إِقنَاع المؤمنين بِتَبرُكِ الصَّالِحِين

تأليف

فضيلة الشيخ

عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود "الشيخ عثمان حِدِغ "

الشافعي الصومالي العَيْل طَيْرِيّ مولدا

راجعه وصححه الشيخ عبد الناصر علي حسين

الطبعة الخامسة ربيع الأول سنة ١٤٢٩هـــ

تليفون صوماليا : ٩٦٥٤٣٥

١٥٥١٣٠١٦

كينيا ٠٧٢٢١٣١٨٥٨

البريد الإلكتروني: tajir22@hotmail.com

مقديشو الصومال

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة مؤلف الكتاب

اسمه: هو الشيخ عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود المشهور بـــ"حِـــدِغْ" الأشعري الشافعي العَيْلْ طَيْرِيِّ ثم المقدشي.

نشأته

ولد الشيخ في منطقة قريبة من مدينة "عَيْلْ طَيْر" بإقليم جلجدود وسط الصومال سنة ١٩٤٢م ونشأ في بيت علم حيث كان جده الشيخ داود بن علسو بن عبيد داعية إسلاميا كبيرا أحيى تعاليم الإسلام في أقطار كثيرة، فحفظ الشيخ عثمان القرآن الكريم في العاشرة من عمره والتحق وعمره "١١" عاما بدروس عمه القاضي الشيخ عبد الله بن الشيخ داود في مسجد "عيل طير" ودرس عنده العلوم الشرعية واللغوية ثم رحل إلى العاصمة مقديشو عام ١٩٦٠م ودرس عند أعيان علماء العصر ومن أجلهم عميد القضاة الشيخ أبو بكر بن الشيخ محيي الدين وفقيه الديار الصومالية الشيخ حسين محمد محمود "عطا" والعلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد والشيخ عبد الرحمن طوب والشيخ أحمد بيروت الهرري وغيرهم من كبار المشايخ وأجازه في الحديث العلامة الشيخ محمد أحمد محمود الشهير بـــ"أبا" والشيخ محمد نور بن الشيخ إبراهيم بن معلم سراج حفظهما الله.

وقد أتقن الشيخ العلوم الإسلامية فقها وأصولا وحديثا وتفسيرا ولغة، وبعد أن ضرب بنصيب وافر في المعارف الشرعية واللغوية جنح إلى التصوف وأخذ إجازة الطريقة الإدريسية عن عمه الشيخ أحمد بن الشيخ داود عن الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه عن أبيه الشيخ علي ميه المركي عن الشيخ حسن بن معلم مؤمن البصري عن الشيخ عبد الرحمن بن محمود عن السيد أحمد بن إدريس، وله أسانيد أخرى في هذه الطريقة وقد أُذِنَ له بالتسليك وإرشاد المريدين.

أنشطته وآثاره العلمية

عاد الشيخ في نـــهاية سبعينيات القرن الماضي إلى بلدته "عيل طير" وأسس فيها مركزا دينيا وفد إليه طلبة العلم من الأقطار وتخرّج علي يديه كثير من أهل العلم وقد قام إلى جانب تدريسه للعلوم بتأليف كتب منها "التوضيح في شرح أذكار التسبيح" و"المنتخب في شرح رسالة مرحب" و" البرهان في جواز الذكر بلفظ هو للملك الدّيّان" و"إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين" وهو الذي بين أيدينا و"ترجمة شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي" ومنظومة في التصوف تسمى "المنظومة البهية، في معاتبة النفس الأبية، والتضرع إلى رب البرية" و"المنح الوهبية في ذم القبلية والعصبية " و"أنيس الجليس في ترجمة سيدي أحمد بن إدريس" و"التبيين في أدلة التلقين" و"اللآلي السنيّة في مشروعية مولد خير البريّة" و" النصائح المرسله إلى طلاّب العلم لله والآخره" وقد طبعت هذه الكتب، وله أيضا "شرح النصائح المرسلة" لم يكمل و"ترجمة الإمام الشيخ دواد بن علسو" لم تطبع وكتاب "تاريخ الصوفية" لم يكمل بعد، وقد تولّى الشيخ عند قيام المحكمة الشرعية في شرقي مقديشو منصب نائب رئيس المجلس الأعلى لتطبيق الشريعة الإسلامية وكان المسؤول عن قسم العدالة وهو رئيس لجنة الإفتاء والبحوث العلمية في المجلس الأعلى لعلماء أهل السنة والجماعة.

وما يزال الشيخ – حفظه الله– يقوم بنشر العلم وإرشاد العباد وبذل النفس والنفيس في إحقاق الحق وإزهاق الباطل أيده الله ووفقه لما فيه سعادة الدارين آمين.

بقلم تلميذ المؤلف
عبد الحكيم علي
حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة لكتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

فقد كنت ألفت منذ سنوات كتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين، وبسطت القول بالأدلة حول جواز التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأولياء والصالحين، ووقع الكتاب موقع الإستحسان عند المسلمين في كثير من البلدان العربية والإسلامية، واشتهر صيته في أقطار الأرض، ولقد أخبرت بأن بعض من طالعه استحسنه وأعجبه حتى كان يدعو لي في سجوده، واتصل بي كثير في أروبا وإفريقا وآسيا عبر التليفون يهنئونني ويدعون لي بكل خير في كلا الدارين باعتبار أن ما قمت به عمل جليل يضيف إلى المكتبة الإسلامية ثروة علمية، وبعد أن نفدت نسخ الطبعة الثالثة رأيت الحاجة ملحة إلى أهمية إعادة طبعه مرة رابعة خدمة لمن يحب الصالحين وتلبية لرغبة الراغبين .

وتمتاز هذه الطبعة بتصحيحات أخطاء قليلة جدا وبزيادات يسيرة في بعض المواضع زدتـــها لما فيها من الفوائد الجمة، واللطائف المهمة، التي لا يستغني عنها القارئ، وذلك لسد حاجات الراغبين أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم والصالحين، ومن ذلك زيادة خاتمة في تبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء المطاهر في آخر المقصد الأول، وكذلك خلاصة ذكرت فيها أهمّ ما في هذا المقصد من البراهين والأدلة الواردة في تبرك سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته.

كما زدت أيضا في أواخر مقدمة المقصد الثالث بعض الأحاديث الواردة في مشروعية الدعاء عند القبور، وكلمات يسيرة وأحرفا قليلة في مواضع أخرى لإتمام فائدة أو تنبيه على نكتة دقيقة أو نحو ذلك. والله الموفق

بقلم المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بديع الأرض والسموات، الذي عمت بركاته الكائنات، وشملت رحمته أصناف المخلوقات، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، أنزل كتابه مباركا وهدى للعالمين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، شرع لأمته بفعله ومقاله التبرك به وبسائر عباد الله الصالحين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بركة الوجود، وصاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، الذي من لاذ به نال البغية والمقصود، ومن التجأ إلى الله بجاهه صار مقبولا غير مردود، وعلى آله وأصحابه مصابيح الوجود، والتابعين لهم بإحسان إلى اليوم الموعود.

أما بعد: فإننا في زمان صار فيه الحق غريبا، والمتمسك به طريدا، ليس له أنيس، ولا صديق حميم، فتكتنفه الوحشة وهموم الوحدة، فينشد بلسان حاله بما قاله الإمام أبو سليمان الخطابي البستي:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بُسْتٍ وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

ويتسلى بقول بعض الفضلاء:

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ... وخفض لذي عز فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم ... وأهل التقى أبناء ضرتي الأخرى
أأترك أولادي يموتون ضيعة ... وأرضع أولادا لضرتي الأخرى

وقد كثرت فيه أصحاب الدعاوي والفتن، ترى أحدهم يدعي بلوغ رتبة الاجتهاد وهو لا يعرف أركان الصلاة وشروطها وهيئاتها، وترى من يسمونه مفتيا وهو لم يتعلم كيفية إزالة النجاسة وشروط الغسل ونحوها، فيفتي برأيه في عويص المسائل ودقائقها، ويرشد الناس بزعمه وهو في ضلال مبين.

وهولاء طوائف وأحزاب " وكل حزب بما لديهم فرحون " اخترعت كل فرقة منهم أسماء لنفسها، فمنهم طائفة أنكرت التبرك بالأنبياء والصالحين الأحياء منهم والأموات، ومنعت التوسل بجاههم إلى الله تعالى وما يشبه ذلك، مما ثبت بالتواتر عن السلف والخلف.

ومما شاع وانتشر في عصرنا ازدراء العلم والعلماء، ومتابعة البدع والأهواء، واستحسان المنكر وإنكار المعروف، حتى افتخر كثير ممن يدعي العلم بمخالفة أئمة الهدى أصحاب المذاهب الأربعة وأهل السنة والجماعة من الأشاعرة والمأتريدية.

فرأيت أن السكوت في مثل هذه الحالة غير جائز، وأنه لا بد من التنبيه على هذا الخطر الهائل، وأن يُبرِز كل متدين بما لديه لحل هذه المشاكل، وأن يبذل ما في وسعه من النصيحة لهولاء الطوائف المنحرفة عن جادة سلف هذه الأمة وخلفها، وإقناعهم بكل ما يقتنع به المؤمن المنصف، المتحرر عن العناد والتعسف، وعزمت أن أجمع كتابا يشمل أنواعا تعم بـــها الحاجات كالتبرك بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم وغيره، وكالتوسل بجاهه العظيم وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين.

وقسمته إلى مقاصد أربعة ومقدمة وخاتمة، المقصد الأول في التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما له تعلق به، والمقصد الثاني في التبرك بالصالحين وما يلحق بذلك، والمقصد الثالث في التبرك بقبور الصالحين، والمقصد الرابع في التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين، وسميته ((إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين)) .

ولا يخفى عليّ ما في التصنيف من الهيبة والصعوبة، وانفتاح باب الانتقاد والاعتراض، فقد قال الأصمعي: إن الإنسان في سلامة من ألسنة الناس ما لم يضع كتابا أو يقل شعرا. وقال الهلال ابن العلاء: يستدل على عقل المرء بعد موته بتصنيفه أو شعره أو رسالته. وقال الإمام الخطيب البغدادي: من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس اهـــ .

وكذا جعل علمه وعِرضه عُرضة لألسنة الطاعنين. وغَرضا لأقلام الباحثين، وهدفا لسهامهم، كما قيل: من ألف استهدف، فإن صاحب كل فن يناضل عن فنه ويراعي نظامه، ويدفع من يرتكب ما يخالف قوانينه، فالفقيه يرى أنه المتكلم الوحيد بلسان الشريعة وأحكامها، فيحاكم من زاغ عن سبيلها، والمحدث يلوم على من يميل عن صناعة علم الحديث دراية ورواية، وأهل العربية من علماء النحو والصرف يراقبون الحركات والسكنات، وموازين الكلمات واشتقاقها وهم من أشد الناس محاسبة وأقلهم هيبة، وهم أهل التعمق والتدقيق فلا يسامحون نقيرا ولا قطميرا من الغلط واللحن،روى البيهقي في ((مناقب الشافعي)) بسنده عن حرملة بن يحيى أن الإمام الشافعي رحمه الله قال : أصحاب العربية جن الإنس يبصرون ما لا يبصرغيرهم اهـــ. والبيانيون يتأملون الكلام من جانب الفصاحة وحسن التركيب وتناسب بعضه لبعض، ومن جانب الحقيقة والمجاز والمحسنات البديعية، وهكذا أهل كل فن من الفنون، فمن يناقشه أصحاب الفنون كلها فلا بد أن يعاني ويحمل العبء الثقيل، وإني معترف بأني لست من فرسان هذا الميدان، ولا من أرباب الفصاحة والبيان، لقلة معرفتي وفتور همتي وضعف فطنتي، هذا و لم يكن عندي من التسهيلات ما يشجعني على اقتحام هذه العقبات، وصعود الشواهق العاليات، بل

أحدقتني من كل الجوانب العلائق والعوائق من الشواغل والأمراض والمصائب العامة، كالفوضى وعدم الأمن والاستقرار، ومن قلة الكتب والمراجع، بل لم يكن عندي كتاب واحد ألف في التبرك بالصالحين عدا كتابا صغير الحجم جدا يسمى ((تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم))، لكن حملني على ذلك حب الدفاع عن حمى الشريعة المطهرة، ودرء المفاسد المنتشرة، وإقناع المنهمكين الذين يحسبون أنـــهم يحسنون صنعا، مع أنـــهم في بحر الضلال خائضون، وفي واد التيه يهيمون، وفي أباطيلهم يعمهون، كأنـــهم عن قيامهم أمام ربـــهم غافلون، فعسى أن ينفع الله به أقواما فيزدادوا به إيمانا واطمئنانا، ويهدي به آخرين فيقتنعوا به ويرجعوا إلى الصواب والسداد.

وقد بذلت جهدي في جمع كتب عديدة، فالتقطت منها ما وجدت في بطونـــها من درر غالية، ونفائس سامية، واقتنصت كل شاردة، وقيدت كل نادرة، ودمت على ذلك سنين عديدة، فانكشفت لي – ولله الحمد– مخدرات الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، والحجج الدامغة، مزاعم كل من يقصد إلى تحريف الملة وتضليل الأمة .

وأرجو ممن رأى فيه الخطأ والخلل الصفح وستر الزلل، وإصلاح ذلك بعد التثبت والتأمل، وأطلب من الله ذي الفضل العظيم، والإحسان العميم، أن يمن عليّ بالقبول، وأن ينقذني به يوما تحار فيه العقول وتشيب فيه الولدان، وتحيط الهموم والكروب، وتدهش فيه القلوب، بجاه من تفزع إليه الخلائق عند الشدائد والخطوب، وعلى الله الكريم اعتمادي، وإليه أفوض أمري وبه ثقتي وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

المقدمة

اعلم أن البركة في اللغة العربية تأتي على معان، ففي ((النهاية)) لابن الأثير " برك" البعير إذا أناخ في موضع فلزمه، وتطلق البركة أيضا على الزيادة، والأصل الأول، وبَارِكْ على محمد صلى الله عليه وسلم أي أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة، وفي الحديث: فحنكه وبرك عليه أي دعا له بالبركة، والبَرْكُ الصدر، ومَبْارِكُ الإبل الموضع الذي تبرك فيه اهـ .

وقال الراغب: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء . وقال النووي في ((تهذيب الأسماء واللغات)): حكى الأزهري عن ثعلب أن البركة العلو والنماء، وقال الخليل بن أحمد: معنى تبارك تعظم وتمجد اهـ .

وفي ((القاموس)) وشرحه ((تاج العروس)): البَرَكَةُ محركة النماء والزيادة والسعادة، ويقال: بارك الله لك وفيك وعليك وباركك، وبَارِكْ على محمد أدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة، وتبارك الله تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم، وسئل أبو العباس عن تفسير تبارك الله فقال: ارتفع، وقال ابن الأنباري: تبارك الله أي يُتَبَرَّكُ باسمه في كل أمر، والبرك صدر البعير هذا هو الأصل فيه، وتبرك به أي تيمّن، نقله الجوهري، يقال: يزار ويتبرك به اهـ.

وقال الشهاب الخفاجي في ((نسيم الرياض)): البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال الله تعالي: لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة: مبارك، وفيه بركة اهـ .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى البركة في مواضع كثيرة من القرآن، فقال جل شأنه: ((كتاب أنزلناه إليك مبارك، إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا، وقل رب أنزلني منزلا مباركا، وجعلني مباركا أينما كنت، ونزّلنا من السماء ماء مباركا، توقد من شجرة مباركة، رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، تبارك الله رب العالمين، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام، تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده، تبارك الذي جعل في السماء بروجا، فتبارك الله أحسن الخالقين، تبارك الذي بيده الملك، سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، أن بورك من في النار ومن حولها))، فهذه سبعة عشر موضعا من كتاب الله تعالى ذكرت فيها البركة ونقتصر عليها .

وقال البخاري في تفسير قوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي: قال ابن عباس: يصلون: يُبَرِّكُوْنَ. وقال الحافظ في شرحه: في تفسير قول ابن عباس : يبركون على النبي أي يدعون له بالبركة.

وقال الحافظ السخاوي: في ((القول البديع)): قال ابن عطية في قوله تعالى: هو الذي يصلي عليكم: صلاة الله على العبد هي رحمته عليه وبركته لديه.

وذكرت البركة في موضعين من التشهد، وموضعين من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، وفي القنوت، وقد يزاد "وبركاته" في السلام من الصلاة. وقال السخاوي في ((القول البديع)): لم يصرح بوجوب قوله وبارك على محمد فيما عثرنا عليه غير ابن حزم، ذكر ما يفهم وجوبــها في الجملة فقال: على المرء أن يبارك عليه ولو مرة في العمر، وظاهر كلام صاحب ((المغني)) من الحنابلة وجوبــها في الصلاة، فإنه قال: وصفة الصلاة كما ذكرها الخرقي، والخرقي إنما ذكر ما اشتمل عليه حديث كعب، ثم قال: وإلى هنا انتهى الوجوب اهــ وحديث كعب هو ما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: بلى فاهدها لي، فقال: سأَلْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. متفق عليه، وأخرجه أيضا الأربعة. وقال النبهاني في ((شواهد الحق)) ص٥٥٩: رأت بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولي لأبيك: بركتي ما هي سنة، بركتي فرض لكن فرض خفيف. قال النبهاني : فصرت بعد هذه الرؤيا أحرص على ذكر البركة في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اهــ .

ويحسن شرعا طلب البركة من الله قبل الأكل وبعده، ففي ((الأذكار)) للنووي: كان صلى الله عليه وسلم يقول في الطعام إذا قرب إليه: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذاب النار، بسم الله. رواه ابن السني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي ((الأذكار)) أيضا: روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، قال الترمذي: حديث حسن. وقال ابن علان في

شرحه على ((الأذكار)) يحتمل أن تكون البركة بالتكثير الحسي كما وقع له صلى الله عليه وسلم كثير من ذلك، ويحتمل أن تكون بالتكثير المعنوي. وتكرر ذكر البركة في السنة المطهرة، ففي ((صحيح مسلم)) أن الضيف يدعو لصاحب الطعام، ويقول: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم. وفي ((الأذكار)) أنه يقال في تـــهنئة المولود له: بارك الله لك في الموهوب لك، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورُزِقْتَ بره، ويرد عليه المهنَّأ فيقول: بارك الله لك، وبارك عليك، وجزاك الله خيرا، ورزقت مثله وأجزل ثوابك. وأخرج ابن السني أنه يقال لمن قال لك بارك الله فيك: وفيك بارك الله .

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في بعض الأشجار بركة، فروى البخاري في كتاب الأطعمة من صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوس إذ أوتى بجمار نخلة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم، فظننت أنه يعني النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة يارسول الله، ثم التفتُّ فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكتُّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي النخلة اهــ . فالزيتونة والنخلة شجرتان مباركتان، وكذلك تكون البركة في بعض البقاع والمياه والأيام والليالي، وفي لحم الأضحية والهدي، وفي صاع المدينة ومدها، فالبركة كما تكون في البشر تكون في غيره أيضا .

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو لأمته بالبركة كقوله صلى لله عليه وسلم: اللهم بارك لأمتي في بكورها، رواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم، وكقوله صلى الله عليه وسلم: اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس، رواه ابن ماجه.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا اهــ .

ودعا لكثير من أصحابه بالبركة، منهم أنس بن مالك، فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما آتيته، ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، فكان عبد الرحمن يقول: لو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا، ودعا لأبي قتادة فقال: اللهم بارك له في شعره وبشره، فمات وهو ابن سبعين سنة، وكأنه ابن خمس عشر سنة، ودعا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالبركة في صفقة يمينه، فما اشترى شيئا إلا ربح فيه، وجيء إليه صلى الله

عليه وسلم بصبي يوم ولد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بارك الله فيك، فكان يسمى مبارك اليمامة، وحديثه يعرف بحديث شاصونة، وهو اسم راويه.

وعادة العلماء الدعاء بالبركة فيما بينهم وفي أحبابـــهم، ويكثر في مخاطباتـــهم ودعواتـــهم بارك الله فيكم .

وقد تبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم خلائق من أصحابه، وتبرك بآثاره الشريفة بعد وفاته السلف والخلف، وكان ذلك منتهى آمالهم ومطمح أبصارهم، فشدوا الرحال لرؤية أثر من آثاره، وقطعوا المفاوز لاستنشاق الرياح الهابة من رحاب حرمه، وضربوا أكباد المطايا للثم تراب مواطئ أقدامه، ولشم عبير المسك الذي يفوح من مهبط وحيه .

وتبرك أيضا المتقدمون والمتأخرون بصلحاء أمته وأصفياء أتباعه في حياتـــهم وبعد مماتـــهم. بل ورد التبرك بماء المطر فإن فيه البركة كما نطق به القرآن الكريم، وورد أيضا تبرك بعض الأنبياء بالجراد، وصرح العلماء بأنه يتبرك بلحم الأضحية والهدي .

وما زال الناس يتبركون بكل ما جعل الله فيه البركة من البقاع المشرفة، والأماكن المقدسة، ومقابر الأولياء ومجالس الأتقياء ونحوها، فعلم من كثرة ورود البركة في القرآن والسنة النبوية وألسنة حملة الشريعة أنه ينبغي الاهتمام بـــها، والاعتناء بشأنـــها.

ملاحظة في اغترار بعض الناس بالتبرك بغير من تأهل له

واعلم أن البركة تكون حيث وضعها الله، وفيمن جعلها الله فيه واختصه بـــها، ولا تنال بالتمني والطمع، ولا بالحيل والتصنع، وقد أجاد القائل :

انتبه يا راقد المقل   ليس دين الله بالحيل

ولكنها تنال بتقوى الله عز وجل وطاعته مع الصدق والإخلاص، وبامتثال أوامره واجتناب نواهيه في السر والعلانية، وفي السراء والضراء، فما كل من يتبرك به الناس أهلا لذلك .

وقد كثر في زماننا أقوام غرتـــهم أنفسهم واتبعوا أهواءهم، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وخدعوا الناس بأخذ لباس الصالحين وإظهار الخشوع والخضوع كي يتبرك بـــهم الناس ويحترموهم، فيكونوا بذلك سادة أعزة وقادة أئمة، فهولاء باعوا دينهم بدنياهم، وأخراهم بأولاهم، ويزعمون أنـــهم ينتمون إلى الصوفية وما صدقوا في ذلك، بل هم باسمهم مرتزقون، وشرف هذه الطائفة مشوهون، ولا يخافون مقت ربـــهم وغضبه، فانخدع بـــهم بعض من يحب الخير ولا يعرف أهله، وظنوا أنـــهم من عباد الله المخلصين، يحملهم على ذلك حسن

الظن بالمسلمين وسلامة الصدر ، وما علموا أن معيار الصلاح الحقيقي هو التمسك بالشريعة والعمل بـــها، وإكثار الأوراد والأذكار وطاعة الكبير المتعال .

فالناس في التبرك أشتات متفرقة وطوائف مختلفة، فمن بين منكر جاحد من أصله، ومغرور مغلوب على عقله يتبرك بكل من رأى عليه سيما الصالحين وزي العابدين، ومتوسط يضع الشيء في محله، ويسلك طريقا بين التفريط والإفراط، وخير الأمور أوساطها .

فمن أنكر التبرك من أصله فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع، وهو من الخاسرين الهالكين، ومن انخدع بترهات المبطلين ومزاعم الخائنين فتبرك بـــهم وهو لايدري أنه مخذول مغرور أفرط وأسرف في التبرك، فخاب سعيه ولم يثمر كدُّه، فهو كمن طلب الماء من السراب، وصار سخرية للمفسدين المرائين، ومن تبرك بأحباب الله وأصفيائه فقد أخذ وسط الأمور، واستمسك بالعروة الوثقى، واقتدى بالعلماء العارفين، وسلك مسالك المقربين، فنال البغية والمرام والفلاح والهناء .

تـــمهيد

اعلم أن التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبآثاره أمر معلوم لا يكاد يخفى على مسلم إلا أن يكون عاميا بعيدا عن أهل العلم أو قريب عهد بالإسلام، ولا ينكره إلا مبتدع معاند أو فاسق متهور.

وما زال المسلمون يحرصون عليه خلفا وسلفا من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى عصرنا، وقد نال الخليفتان أبوبكر وعمر رضى الله عنهما من بركته صلى الله عليه وسلم ما لم ينله غيرهما، فقد منّ الله عليهما ببركة جواره صلى الله عليه وسلم في ضريحه إلى يوم البعث والنشور، وذلك فضل الله يؤبيه من يشاء فهنيئا لهما.

وكان كثير من الصحابة يكثر التبرك به صلى الله عليه وسلم وبكل ما له اتصال وتعلق به .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما معروفا بالتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم وتتبعها حتى ظن البعض أن به نوع خلل وخفة. ففي ((سير أعلام النبلاء)) ج٣ص ٢١٣ و((حلية الأولياء)) لأبي نعيم أن عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان يتبع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وحاله ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك . وعن نافع قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت هذا مجنون. وقال ابن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تركنا هذا الباب للنساء، قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات .

وكان إذا رآه أحد ظن به شيئا مما يتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن نافع أن ابن عمر كان في طريق مكة يأخذ برأس راحلته يثنيها ، ويقول : لعل خفا يقع على خف – يعني خف راحلة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا. وسيأتي في باب المحبة أنه كان يصب الماء في أصل شجرة نزل تحتها النبي صلى الله عليه وسلم لئلا تيبس.

قلت: فلما كان ابن عمر يكثر من التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم بارك الله له آثاره وجزاه جزاء من جنس صنيعه، وقد قيل : الجزاء من جنس العمل، فكان من أولاده خمسة من فقهاء المدينة. روى الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن البَيِّع في ((معرفة علوم الحديث)) ص٤٤ بسنده عن علي بن المديني قال : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : فقهاء المدينة اثنا عشر، سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وحمزة بن عبد الله بن عمر وزيد بن عبد الله بن عمر وعبيد الله بن عبد الله بن عمر وبلال بن عبد الله بن عمر وأبان بن عثمان بن عفان وقبيصة بن ذؤيب وخارجة بن زيد بن

ثابت واسمعيل بن زيد بن ثابت اهـ توفي الحاكم سنة ٤٠٥ هـ والبيع بكسر الياء المشددة كما في ((الأنساب)) و((اللباب)) وهذا من نعم الله وجزيل إحسانه على ابن عمر رضي الله عنه ، فإن نجابة الأولاد من أعظم العطايا الإلهية، ولله در القائل :

نعم الإله على العباد كثيرة　　　وأجلهن نجابة الأولاد اهـ

والمشهور أن فقهاء المدينة سبعة، ويأتي ذكرهم إن شاء الله في التبرك بذكر الصالحين .

وكان أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص أيضا على التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري في كتاب الأطعمة من صحيحه عن أنس أن "خياطا" دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يتتبع الدباء من حوالي القصعة، قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ .وقال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) ج٩ص٥٢٦: في هذا الحديث الحرص على التشبه بأهل الخير والإقتداء بهم في المطاعم وغيرها ، وفيه فضيلة ظاهرة لأنس لاقتفائه أثر النبي صلى الله عليه وسلم حتى في الأشياء الجبلية ، وكان يأخذ نفسه باتباعه فيها رضى الله عنه .

ويأتي إن شاء الله كثير من الصحابة كانوا يكثرون التبرك به صلى الله عليه وسلم وبآثاره .

وقد تبرك التابعون ومن بعدهم بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسلكوا في ذلك مسلك الصحابة وساروا على نهجهم، وسنذكر إن شاء الله بعضا من أكابرهم كالتابعي الجليل محمد ابن سيرين وأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز والإمام أحمد بن حنبل والبخاري وغيرهم .

وما زال كثير من العلماء والأمراء يدخرون أشياء من آثاره صلى الله عليه وسلم ويحفظونها تعظيما له صلى الله عليه وسلم وتبركا بها .

وقال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج٦ص٧- ٨ : قد بلغني أن بالديار المصرية مزارا فيه أشياء كثيرة من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين، فمن ذلك مكحلة، وقيل: ومشط، وغير ذلك، وقال أيضا: اشتهر في حدود ستمائة سنة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له: ابن أبي الحدرد نعل مفردة، ذكر أنها نعل النبي صلى الله عليه وسلم، فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها، فاتفق موته بعد حين، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور، فأخذها إليه وعظّمها، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية جعلها في خزانة منها،وجعل لها خادما وقُرِّر له من المعلوم كل شهر أربعون درهما، وهي موجودة إلى الآن في الدار المذكورة اهـ.

وقال الحافظ السيوطي في ((حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة)) ج٢ص٢٧٣: بالقرب من بركة الحبش رباط الآثار، عَمَّره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بـــهاء الدين، وفي هذا الرباط قطعة خشب وحديد وأشياء أخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني إبراهيم أهل " ينبع " ذكروا أنـــها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملها إلى هذا الرباط وهي إلى اليوم يتبرك بـــها، ومات الصاحب تاج الدين في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة .

وللأديب جلال الدين بن خطيب داريا في الآثار بيتان :

يا عين إن بـــعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشـــط مزاره

فلقد ظفرتِ من الزمان بطائل إن لم تَـــرَيْـــهِ فـــهذه آثاره

وقال أبو الخرمي المدني أيضا:

يا عين كم ذا تسفحين مدامـــعـــا شوقا لحب المصطفى ودياره

إن كان صرف الدهر عاقك عنهما فـــتمتـــعي يا عين في آثاره

وقال الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي في كتابه ((تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم))ص ٥٨-٦١ : ذكر البتانوني في كتابه ((الرحلة الحجازية)) أنه يوجد بعض شعراته صلى الله عليه وسلم بالمسجد الأقصى بالخزانة الفضية التي بجوار الدَّرَاْبْزِيْن من الجهة الغربية للصخرة، ويوجد بعض الآثار في الآستانة مقر الخلفاء سلاطين آل عثمان سابقا رحمهم الله تعالى، كالشعرة المباركة والبردة الشريفة، وبعض آثار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كما يوجد شيء من الآثار في القاهرة بمسجد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وسمعنا أنه توجد في بلده "بوسنة " بتركيا في جامع "خُسْرُوْبَكْ " قطعة من قميص النبي صلى الله عليه وسلم وشعرة من شعراته الشريفة، ويعرض ذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان على الجمهور، وتوجد أيضا في "طرابلس الغرب" في جامع " طورغود باشا" في بيت الصلاة شعرة من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم موضوعة في زجاجة، وتعرض على الجمهور في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وفي اليوم السابع والعشرين من رجب، وفي منتصف شعبان، وفي اليوم السابع والعشرين من رمضان، وهذه الشعرة المباركة أرسلت من "الآستانة" إلى "طرابلس الغرب" .و"طورغود باشا" هو قائد بحري عثماني عظيم . وقد توفي

"طورغود باشا" رحمه الله شهيدا في سنة ٩٧٣هـــ وهو يحاصر جزيرة "مالطة" فنقل إلى مدينة "طرابلس الغرب" ودفن بـــها بجوار مسجده المعروف باسمه حتى اليوم، وفي دمشق توجد شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتفل أهل دمشق بـــها احتفالا كبيرا ومما يوجد بالآستانة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم للمقوقس عظيم القبط.

هذا ولقد رأينا بعض الرسائل المطبوعة باللغة اللاتينية في تركيا يذكر فيها جميع ما يوجد من الآثار النبوية بالآستانة بالغرفة الخاصة في قصر "طوبقابو" ففي هذا الجناح توجد الآثار النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأشرف التحية .

فمن هذه الرسائل المطبوعة بالآستانة رسالة باللغة العربية اسمها ((الأمانات المقدسة)) وهي مطبوعة طبعة جميلة مع صور جميع الآثار الموجودة بالآستانة.

وإليك ملخص ماجاء فيها :

١. الخطاب الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس وهو في صندوق من الذهب
٢. سيفان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
٣. قوس للنبي صلى الله عليه وسلم
٤. بردة النبي صلى الله عليه وسلم وهي في صندوق من الذهب المزخرف
٥. علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رايته وهو في داخل صندوق خاص جميل
٦. شعرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في صندوق خاص من الفضة هذا ما علمناه والله تعالى أعلم بما يوجد في البلاد الإسلامية من الآثار انتهى ما قاله الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر .

قلت: وأخبرني جمع من الثقات أن في "باكستان" آثارا منه صلى الله عليه وسلم تقصد إليها الخلائق للتبرك بـــها من الأقاليم القريبة والبعيدة.

باب في محبته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن التبرك ينشأ عن المحبة فلا يتبرك المتبرك إلا بمن يحبه ويعتقد فيه الصلاح والمحاسن، ويرجو منه النفع إما عاجلا أو آجلا، فحينئذ يكون التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم ناشئا عن محبته عليه الصلاة والسلام وفرعا عن مودته، وعلى قدر المحبة يكون التبرك ، فمن أعطاه الله حظا وافرا ونصيبا كاملا من محبته صلى الله عليه وسلم يكون تبركه به صلى الله عليه وسلم على قدر ذلك الحب النبوي، والمحروم من ذلك الحب فقد لا يتبرك به صلى الله عليه وسلم أصلا، لأن محبته عليه الصلاة والسلام هي المهيجة للسعي إلى التبرك بآثاره، والتعلق بأذياله، والتقرب إلى الله بوسيم وجهه، وقد كان عند الله وجيها في الدنيا وفي الآخرة .

فرأيت أن أضم إلى التبرك به صلى الله عليه وسلم بابا يتعلق بمحبته صلى الله عليه وسلم.

تعريف المحبة

في ((المواهب اللدنية)) للحافظ القسطلاني: قال بعض المحققين: حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد، وإنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه. وقال ابن القيم في ((مدارج السالكين)) تبعا لغيره: والمحبة لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء، فحدها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها ، فتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات بحسب الإدراك والمقام والحال انتهى . وقال بعضهم: بل يمكن تعريفها، ثم اختلفوا فيه فقال القاضي عياض في ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)): حقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان، وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه، كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له، وإما لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله معاني باطنة شريفة، كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة ، وإما أن يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، فإذا تقرر لك هذا نظرت لهذه الأسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت أنه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة، أما جمال الصورة وكمال الأخلاق فقد كان عليه الصلاة والسلام على غاية الكمال فيهما، وأما إحسانه وإنعامه على أمته فقد ذكر الله سبحانه أنه بالمؤمنين رؤف رحيم ، ورحمة للعالمين، وأنه كان مبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا

من إحسانه إلى جميع المؤمنين، إذ كان منقذهم من العماية، وداعيهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم، فقد استبان لك أنه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا وعادة وجبلة انتهى ما نقلته من ((الشفاء)) باختصار وتصرف يسير، وذكر بعض ذلك النووي في شرح مسلم .

وقال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبي يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك في حبه. ومما قيل فيها: أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب ، وكمال المحبة يقتضي ذلك، فإنه ما دامت في القلب بقية لغيره، ومسكن لغيره، فالمحبة مدخولة. ومنها أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء، وهو لأبي عبد الله القرشي. والمراد : أن تهب إرادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه. ومنها استكثار القليل من محبوبك، واستقلال الكثير من نفسك ، وهو لأبي يزيد البسطامي .

والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله، ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه. ومنها: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

ومنها: أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك، وهو للشبلي. ومراده : احتقارك لنفسك واستصغارها أن يكون مثلك يحبه.

وفي ((الشفاء)) وشرحه للخفاجي أن الإمام سفيان قال: المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه التفت إلى قوله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني- الآية. وقال بعضهم : محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته، والذب عن سنته، والانقياد لها وهيبة مخالفته. وقال بعضهم : المحبة دوام الذكر للمحبوب، وقال آخر: إيثار المحبوب. وقال بعضهم: المحبة الشوق إلى المحبوب اهـ .

نبذة من علامات محبته صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ في ((فتح الباري)): ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل، والذب عن شريعته، والتخلق بأخلاقه، والله أعلم.

وفي ((المواهب اللدنية)):ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم أن يلتذ محبه بذكره الشريف، ويطرب عند سماع اسمه المنيف، وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وبصره، وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل، وسبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام، فإذا كانت المحبة قوية وإدراك المحبوب قويا، كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين الأمرين. وقد

يكون سبب السكر قوة الفرح بإدراك المحبوب، بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله مثل شارب الخمر، وربما قتله هذا الفرح . ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد أن استشعر بالموت : اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح ، وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب.

وفي ((المواهب اللدنية)) أيضا : قال القرطبي : كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من المحبة الراجحة، غير انـــهم متفاوتون ، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقا بالشهوات محجوبا بالغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره، ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر في قلوبـــهم من محبته صلى الله عليه وسلم، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى كلام القرطبي ملخصا. فكل مسلم في قلبه محبة الله وسوله، إذ لا يدخل الإسلام إلا بـــها، ولكن الناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته من وجوه النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم، لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بـــها أعلم انتهى ما نقلته من ((المواهب)).

ومما يدل على مزيد محبته صلى الله عليه وسلم كما في ((الشفاء)) الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإثيار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته، فمن اتصف بـــهذه الصفات فهو كامل المحبة لله ورسوله، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة، ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر ولعنه بعضهم: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله.
وفي ((الحاوي للفتاوي)) أن السيوطي سئل هل يدخل أحد الجنة بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو عاص، وتارك بعض الفرائض؟ فأجاب بقوله نعم.

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره. ومنها كثرة شوقه إلى لقائه، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه، وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنـــهم كانوا يرتجزون: غدا نلقى الأحبة، محمدا وصحبه. ومنها تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره عند ذكره، وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه، قال إسحاق التجيبي: كان

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين، منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه، ومنهم من يفعله تـــهيبا وتوقيرا. قلت: وكثيرا ما يحصل الاهتزاز والرقص والتمايل ونحوها عند اشتعال نيران المحبة في قلوب العاشقين وهيجان الشوق فيها، قال الشيخ أبو مدين :

فقل للذي ينهى عن الوجد أهلـــه   إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا

إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقـــا   ترقصت الأشباح يا جاهل المعنـــى

وفي ((الفتاوي الحديثية)) لابن حجر الهيتمي ص ٢٥٥ أنه سئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل؟ فأجاب بقوله: نعم له أصل، فقد روي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له: أشبهت خلقي وخلقي ، وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم، وقد صح القيام والرقص عن جماعة من كبار الأئمة، منهم عز الدين شيخ الإسلام بن عبد السلام اهـــ . وروى الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٨٧ عن أنس قال: كانت الحبشة يزفنون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرقصون ويقولون: محمد عبد صالح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يقولون؟ قالوا: يقولون: محمد عبد صالح اهـــ وفي كتاب ((حقيقة التوسل والوسيلة)) أن الحافظ المقدسي أخرج هذا الحديث أيضا وأن رجاله رجال الصحيح. والزفن: الرقص كما في ((القاموس)) .

ومنها: محبة أهل بيته وذريته وأصحابه وكل من له علاقة واتصال به صلى الله عليه وسلم، حتى إن بعض الصحابة وغيرهم كانوا يسرون برؤية من له أدنى شبه بصورته الكريمة ويخشعون لذلك ويتذكرون بـــها صورته صلى الله عليه وسلم، فتهيج بـــهم حينئذ لوعة الحب والشوق إليه صلى الله عليه وسلم، ففي ((المواهب اللدنية)) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حمل الحسن وهو يقول:

بأبي شبيه بالنبـــي   ليس شبيها بعلـــي

وعلي يضحك اهـــ والبيت من مجزو الكامل. يعني هو مفدي بأبي، وشبيه خبر بعد خبر. وفي ((المواهب اللدنية)) أيضا و((الشفاء)): بلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وقبل بين عينيه، وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـــ والمرغاب: بكسر فسكون وغين معجمة اسم أرض بمرو أو قرية بـــهراة.

وفي ((المواهب)) وشرحه ج٩ص٢٦٩ أن أنس بن مالك كان إذا رأى كابسا بكي شوقا له صلى الله عليه وسلم.

وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب كل ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن حجر الهيتمي في ((شرح الشمائل)) ص٢٢٢ في شرح حديث أنس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء من يومئذ . وفي الحديث فوائد، منها أنه تسن محبة الدباء لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا كل شيء يحبه، ذكره النووي اهـــ .

ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: بغض من أبغض الله ورسوله، ومعاداة ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه، واستثقاله كل من يخالف شريعته، وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحباءهم، وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته صلى الله عليه وسلم، وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي: لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه.

ومنها: محبة القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم، وهدى به واهتدى وتخلق به، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، وحب القرآن تلاوته والعمل به، والوقوف عند حدوده، قال سهل بن عبد الله التستري: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم، وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة.

ومنها: شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم ،كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما.

ومنها: زهد مدعي المحبة في الدنيا، وإثياره الفقر.

حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان

روى البخاري في باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده، وفي رواية أنس زيادة والناس أجمعين اهـــ ذكره البخاري في كتاب الإيمان، وذكره مسلم في باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والناس أجمعين، ولفظه: عن أنس بن مالك قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم

حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين . قال النووي في شرح هذ الحديث: قال الإمام أبو سليمان الخطابي: لم يرد به حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار، لان حب الإنسان نفسه طبع، قال: فمعنى الحديث لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك، هذا كلام الخطابي. وقال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام: إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة الشفقة والرحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس، فجميع أصناف المحبة في محبته صلى الله عليه وسلم.

تنال حلاوة الإيمان بمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.
وقال الحافظ في ((الفتح)) : معنى هذا الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم آكد عليه من حق أبيه وأمه وولده وزوجه والناس أجمعين، لأن الهدي من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله. وقال أيضا في شرح كتاب الإيمان: قوله صلى الله عليه وسلم مما سواهما للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحد منهما، فإنـــها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى، فمن يدعى حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك.

وقال الإمام النووي في شرح مسلم : قال العلماء رحمهم الله: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمل المشقات في رضا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى.

ثواب المحبة وثمارها

ومن فوائد محبته صلى الله عليه وسلم وثمارها إثابة المحب بمعيته صلى الله عليه وسلم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب. فمن أحبه صلى الله عليه وسلم في الدنيا يكون في القيامة معه، وروي حديث: المرء مع من أحب بألفاظ مختلفة، منها ما رواه البخاري في باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال: متى الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: أنت مع من أحببت ، قال أنس: فما فرحنا بشيء

فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت ، قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم .
وذكره البخاري أيضا في "باب ما جاء في قول الرجل ويلك" من كتاب الأدب.
وروى القاضي عياض بسنده عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت . قال على قارئ نقلا عن ((الجامع الصغير)) للسيوطي: روى حديث أنت مع من أحببت الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد، وفي رواية الترمذي : أنت مع من أحببت وله ما اكتسب اهـــ ((الشفاء)) وشرحه .
قال الحافظ في ((فتح الباري)): قد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه ((كتاب المحبين مع المحبوبين)) وبلغ الصحابة فيه نحو عشرين ، وقال الحافظ: أخرج أبو نعيم عن أنس: إنك مع من أحببت، ولك ما احتسبت، وأخرج أيضا عن أنس: المرء مع من أحب، وله ما اكتسب. وأخرج أيضا عن عبد الله أنت مع من أحببت، وعليك ما اكتسبت- الحديث.
وفي ((الشفاء)) للقاضي عياض وشرحه للشهاب الخفاجي: أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف، فقال له صلى الله عليه وسلم: ما بالك ؟ قال: بأبي أنت وأمي، أتمتع بالنظر إليك، فإذا كان يوم القيامة رفعك الله، فأنزل الله: ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. وقوله: لا يطرف أي لا يطبق أحد جفنيه على الآخر. وروى الطبراني وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لأنت أحب إليّ من أهلي ومالي، وإني لأذكرك فما أصبر عنك حتى أنظر إليك، وإني ذكرت موتي وموتك، فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلتها لا أراك، فأنزل الله تعالى: ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فدعا به صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه. وفي تفسير القرطبي: أنه لما قرأها صلى الله عليه وسلم دعا الله أن يعميه حتى لا يرى أحدا غيره في الدنيا فعمي مكانه .
وقوله: إني لأذكرك، يعني أتذكرك في ذهني وأتصورك، أو أذكر اسمك وصفاتك اهـــ .
وفي ((المواهب اللدنية)) : ذكر ابن ظفر في ((ينبوع الحياة)) اسم –تفسيره- بلفظ: أن عامرا الشعبي قال: إن رجلا من الأنصار أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من نفسي ومالي وولدي وأهلي، ولولا أني آتيك فأراك لرأيت أن أموت،

وبكى الأنصاري ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما أبكاك ؟ قال: بكيت أن ذكرت أنك تموت ونموت وترفع مع النبيين ، ونكون نحن إن دخلنا الجنة دونك، فلم يحر النبي صلى الله عليه وسلم إليه أي لم يرجع إليه، فأنزل الله الآية. وحار إليه يحور رجع إليه، أي لم يرده النبي صلى الله عليه وسلم بالجواب، وأنزل الله الآية.

قال ابن ظفر : وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا ، وقال: هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الذي رأى الأذان.

ومن ثمار محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وفائدتـــها ارتفاع مشقة العبادات وثقلها، وذلك لأن المحب الصادق في المحبة يستلذ بخدمة محبوبه، ويفرح بامتثال أوامره، فيجد لذة وراحة وطمأنينة في صيام نـــهاره وقيام ليله، وفي جميع أوراده وأنواع عباداته وأذكاره، فيزول عند صفاء المحبة موانع الخدمة وعوائق السير إلى حضرة ذي الجلال والإكرام، وتنبعث النفس على مباشرة أنواع الخيرات، وتكره المعاصي ومتابعة الشهوات، ويكون ذلك طبعا لها فتسر بالطاعة وتستلذ بـــها ولا تصبر عنها،وتزول عنها كلفة العبادات والاستثقال لفعلها، ويكون بدلا عن ذلك كراهيتها لعمل المعاصي والمنكرات، حتى إن بعض الصالحين كان إذا رأى من يعصي ربه استنكرت ذلك نفسه واستقبحته ويتألم به فيبول بالدم، وبعضهم كان تأخذه القشعريرة والانقباض عند رؤية المعاصي.

وفي ((المواهب اللدنية)) نقلا عن المحاسبي : علامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضاة الله، والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه، فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه، وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله، فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش ، فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بـــها، بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له، وقرة عين في حقه ، وتنعما لروحه، يلتذ بـــها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في أوراد العبادة كلفة اهـــ.

وفي ((الزرقاني)) على ((المواهب))ج٩ص١٠٠: قال عتبة الغلام: كابدت الصلاة عشرين سنة، ثم استمتعت بـــها بقية عمري. وقال إبراهيم بن أدهم: والله إنا لفي لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف. وقال الجنيد : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم اهـــ .

وقال السيد أحمد بن أدريس: أكبر غذاء لنفسي ذكر الله ولو أتركه ساعة لم أستطع.

وقيل في تفسير قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان: جنة مؤجلة في دار الجزاء والحساب، وجنة معجلة في دار الدنيا وهي حلاوة الطاعة، فمن أذاقه الله حلاوة الطاعة ولذة محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم تكون له العبادة كالنفَس، لا كلفة فيها، بل يستلذ بـــها كما يستلذ العطشان بالماء البارد، والجائع بالطعام .

باب ما روي عن الصحابة والسلف الصالح والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم إليه

روى البخاري في كتاب المناقب ومسلم في كتاب الفضائل في باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله. قال الحافظ في ((الفتح)) : كل أحد يكون بعد الصحابة إلى زماننا هذا يتمنى لو كان رآه صلى الله عليه وسلم وفَقَدَ مثل أهله وماله، فكيف بالصحابة رضي الله عنهم مع عظيم منـــزلته عندهم ومحبتهم فيه، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله .

وفي ((المواهب اللدنية)) أخرج الأنصاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا بكر ليت أني لقيت إخواني، فقال أبوبكر: يا رسول الله نحن إخوانك ، قال: لا، أنتم أصحابي ، إخواني الذين لم يروني وصدقوني وأحبوني ، حتى إني لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده، قالوا: يا رسول الله أما نحن إخوانك ؟ قال: لا، أنتم أصحابي ، ألا تحب يا أبا بكر قوما أحبوك بحبي إياك ؟ قال: فأحبهم ما أحبوك بحبي إياك. قال الزرقاني: أمر يعني النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك صريحا بعد حثه عليه.

وفي ((فتح الباري)) للحافظ العسقلاني ما حاصله: وفي ((دلائل النبوة)) للبيهقي: أن أبا بكر ليلة انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ، ومن خلفه ساعة، فسأله: فقال: أذكر الطلب فأمشي خلفك، وأذكر الرصد فأمشي أمامك، فقال: لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني ؟ فقال: إي والذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار قال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه. وذكر نحوه أبو القاسم البغوي وابن هشام اهـــ من ((الفتح))

وروى البيهقي في ((دلائل النبوة))ج٢ص٤٧٧ بسنده عن ضبة بن محصن العنـــزي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في قصة ذكرها قال: فقال عمر: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من

عُمْر عمر، هل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال : أما ليلته فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة خرج ليلا فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا ابا بكر؟ ما أعرف هذا من فعلك قال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه ، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أنـــها قد حفيت حمله على كاهله ، وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، فدخل فلم ير شيئا، فحمله فأدخله ، وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاعي، فخشي أبو بكر أن يخرج منهن شيء يؤذي رسول الله، فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تنحدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته الإطمئنانية لأبي بكر فهذه ليلته، وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي، وقال بعضهم: لا نصلي ولا نزكي فأتيته ولا آلوه نصحا، فقلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بـــهم ، فقال: جبار في الجاهلية خَوَّار في الإسلام، فبماذا أتألفهم؟ أبشعر مفتعل أو بشعر مفترى ؟ قبض النبي وارتفع الوحي، فوالله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا معه فكان والله رشيد الأمر، فهذا يومه اهـــ والخَوَّار الضعيف، وفي رواية: أجبار- بـــهمزة الإستفهام .

وفي ((البداية والنهاية)) قال ابن إسحاق: عن عائشة أم المؤمنين أنـــها قالت: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم- أي في بيت أبيها- وقال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة، قالت فقال: أبوبكر الصحبة يا رسول الله، قال: الصحبة ، قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبابكر يومئذ يبكي اهـــ باختصار .

وفي ((المواهب اللدنية)) روي أن أبا بكر قال: نظرت إلى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما، فبكيت وعلمت أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفى والجفوة أي لم يتعود جفوة قومه له. قال الزرقاني: وإنما بكى أبو بكر لما علم من رقة قلبه وشدة حبه للمصطفى المقتضي لغلبة البكاء. وفي ((المواهب اللدنية)) أيضا: روى ابن رزين أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه ، وأنه رأى جحرا فيه فألقمه عقبه

لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت الحيات والأفاعي تضربنه وتلسعنه فجعل دموعه تنحدر، وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك، فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لك يا أبا بكر؟ قال: لدغت فداك أبي وأمي ، فتفل عليه رسول صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده.

وروى الحافظ أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) بسنده عن أنس بن مالك قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني أدخل قبلك، فإن كانت حية أو شيء كانت لي قبلك، قال: ادخل، فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيده، فكلما رأى جحرا جاء بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه أجمع، فبقي جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة، فأوحى الله تعالى إليه: إن الله تعالى قد استجاب لك. وذكره أيضا الحافظ ابن الجوزي في ((صفة الصفوة)) اهـــ .

وفي ((المواهب اللدنية)) وشرحه للزرقاني روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال: حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة، قال أبو بكر الصديق: وأنا يارسول الله حبب إلي من الدنيا النظر إلى وجهك، وجمع المال للإنفاق عليك، والتوسل بقرابتك، أي التوسل إليك بقرابتك كعلي والعباس وفاطمة. وقال عمر: وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والقيام بأمر الله. وقال عثمان: وأنا يا رسول الله حبب إليّ من الدنيا ثلاث: إشباع الجائع، وإرواء الظمآن، وكسوة العاري. وقال عليّ: وأنا يارسول الله حبب إليّ من الدنيا ثلاث: الصوم في الصيف، وإقراء الضيف، والضرب بين يديك بالسيف. قال الطبري محب الدين رواه الجندي بفتحتين كذا قال والعهدة عليه اهـــ .

وأخرج أبو داود في كتاب الزكاة من سننه والحافظ أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) عن زيد بن أرقم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك ؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا.

وفي ((المواهب اللدنية)) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ليلة خروجه إلى الغار علي بن أبي طالب فنام مكانه وغطى ببرد له صلى الله عليه وسلم، فكان أول من شرى نفسه في الله، ووقي بـــها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول علي:

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى   ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يـــمكروا به   فنجاه ذو الطول الإله من المكر

روى البيهقي في ((دلائل النبوة)) ج ٥ ص ٣٢٧ بسنده عن هود بن عبد الله بن سعيد أنه سمع مزيدة العصري قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ قال لهم: سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا، فقال: من القوم؟ قالوا : من بني عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد أتجارة؟ قالوا : لا قال: أما إن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا، ثم مشى معهم حتى أتو النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم فمنهم من مشي إليه، ومنهم من هرول، ومنهم من سعى، حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخذوا بيده فقبلوها، وتخلف الأشج في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله- الحديث، وفي رواية أخرى للبيهقي عن زارع وكان في وفد عبد القيس قال: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله- الحديث قال الحافظ في ((فتح الباري)) وأخرجه أيضا البخاري في ((الأدب المفرد)) مطولا. وفي ((البداية والنهاية)): أن الإمام أحمد رحمه الله رواه بسنده عن هند بنت الوازع عن أبيها فذكر نحوه مع زيادة .

قلت: مزيدة رجل، وهو مزيدة بن مالك بن همام العبدي العصري،وهو جد هود بن عبد الله العصري لأمه ، وهذا هو المعتمد، ووهم من جعله امرأة، قال البخاري: مزيدة العصري له صحبة، ذكر ذلك كله الحافظ في ((الإصابة)). وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما كان أحد أحب إلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت: ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى أصحابه من المهاجرين والانصار، يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فاجعل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم. وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر بعيني من إسلامه —

يعني أباه أبا قحافة– وذلك إن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك. وعن عمر بن الخطاب قال للعباس رضي الله عنه: أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب، لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي ((كنـــز العمال)) في باب فضائل الصحابة من كتاب الفضائل/ حرف الميم، عن عمر قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا عليه إهاب كبش قد تَنَطَّقَ به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انظروا إلى هذا الذي نوّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه أطيب الطعام والشراب، لقد رأيت عليه حلّة اشتُرِيَتْ بمائتي درهم، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون . رواه الحسن بن سفيان وأبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين، وأبو نعيم في الأربعين الصوفية، والبيهقي والديلمي والحاكم .

وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحُد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرا، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرنيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ.

وروي أن عبد الله بن عمر خدرت رجله، فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت. ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته وا حزناه، فقال: وا طرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه.

ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها، فبكت حتى ماتت. ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنه من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك يضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا اهـــ وفي كتاب ((حياة الصحابة)) : أخرج الطبراني عن حصين بن وحوح الأنصاري أن طلحة بن البراء رضي الله عنهما لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يلصق برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبل قدميه، قال: يا رسول الله، مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمرا، فعجب لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام، فقال له عند ذلك: اذهب فاقتل أباك، فخرج موليا ليفعل، فدعاه فقال له: أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم. وذكر ذلك أيضا الهيثمي

في ((مجمع الزوائد)) في باب ما جاء في طلحة بن البراء ج ٩ ص ٣٦٥ : وزاد فيه فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده في الشتاء في غيم وبرد، فلما انصرف قال: لا أرى طلحة إلا حدث به الموت، فآذنوني حتى أشهده وأصلي عليه وأعجل، فلم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم بني صال بن عوف حتى توفي وجن عليه الليل، وكان فيما قال طلحة: ادفنوني وألحقوني بربي تبارك وتعالى، ولا تدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني أخاف عليه اليهود فيصاب في سببي، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره وصف الناس معه حتى قال: اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك. رواه الطبراني في الأوسط: وقد روى أبو داود بعض هذا الحديث وسكت عليه فهو حسن إن شاء الله. وفي رواية أخرى عن طلحة بن مسكين أنه مرض فعاده النبي فوجده مغمى عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أظن طلحة إلا مقبوضا من ليلته، فإن أفاق فأرسلوا إليّ فأفاق طلحة في جوف الليل فقال: ما عادني النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا: بلى فأخبروه بما قال، فقال: لا ترسلوا إليه في هذه الساعة فتلسعه دابة أو يصيبه شيء، ولكن إذا فقدت فأقرأوا مني السلام وقولوا له فليستغفر لي، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح سأل عنه فأخبروه بموته وبما قال، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال: اللهم القه يضحك إليك وأنت تضحك إليه.

وفي ((صحيح مسلم)) في باب قضاء صلاة الفائتة قال أبو قتادة : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابـــهار الليل وأنا إلى جنبه قال: فنعَس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته، قال : ثم سار حتى تَـــهَوَّر الليل مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد ينجفل فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال: من هذا ؟ قلت: أبو قتادة، قال: متى كان هذا مسيرك مني ؟ قلت : مازال هذا مسيري منذ الليلة، قال: حفظك الله بما حفظت به نبيه اهـــ . قوله " ابـــهار الليل " أي انتصف، وقوله " فدعمته" أي أقمت ميله من النوم وصرت تحته كالدِعامة للبناء فوقها، وقوله " تـــهور الليل " أي ذهب أكثره مأخوذ من تـــهور البناء وهو انـــهدامه، وقوله "ينجفل" أي يسقط .

وفي ((المواهب اللدنية)) للحافظ القسطلاني: كان السختياني إذا ذكر النبي صلى الله عنده بكى حتى نرحمه، وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم، وإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه

وسلم اصفر لونه، وكان عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. و"نزف" بضم النون وكسر الزاي أي سال عنه الدم ولم يبق منه شيء، وكان عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينه دموع، وكان الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن هشام من أهنأ الناس وأقربـــهم- أي في المودة- فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنك ما عرفته ولا عرفك. وكان صفوان بن سليم- بضم السين- من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه. وكان قتادة إذا سمع الحديث يقرأ عنده أخذه العويل والبكاء. ويحكى أنه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتـــها، فقيل لها: ما فعل الله بك قالت: غفر لي، قيل: بماذا؟ قالت: بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر إليه، فنوديت من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحيي أن نذله بعتابنا، بل نجمع بينه وبين من يحبه اهـــ .

وفي ((الشفاء)) للقاضي عياض: قال مصعب بن عبد الله: كان الإمام مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوما في ذلك: فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد تسئله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه .

ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموعه. ولما كثر على مالك الناس قيل له: لو جعلت مستمليا يسمعهم، فقال: قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، وحرمته حيا وميتا سواء. وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ويتأول أنه يجب له صلى الله عليه وسلم من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله، وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله وسلم خشع، وعن عمرو بن ميمون قال: اختلفت إلى ابن مسعود سنة، فما سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم علاه كرب حتى رأيت العرق ينحدر عن جبهته، ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو قريب من ذا، وفي رواية فتربد وجهه، وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه .

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتـــهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث، قال مصعب: فسئل عن ذلك، فقال: إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن أبي أويس: قال مالك: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحدث به إلا على طهارة. وكان مالك أيضا إذا أتى إليه الناس يريدون الحديث دخل مغسله فاغتسل وتطيب، ولبس ثيابا جددا ولبس طيلسانه وتعمم، ووضع على رأسه رداءه، وتلقى له منصة أي شيء عال كالكرسي ونحوه، فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغه عقرب ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا، قال: نعم، إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ضرار بن مرة : كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء. وقال عبد الله بن صالح: كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران. وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبي إلا على وضوء، ولا يحدث إلا على طهارة. وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم. وفي ((فتح الباري)) ج٧ص ٣٧ أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد كلام: ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك.

وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج ٢ص ٥٠٩ و((مجمع الزوائد)) ج٩ص٣٨١ أن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: ما مسست ذكري بيميني منذ بايعت بـــها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي ((الإصابة)) للحافظ العسقلاني ج١ص ٥٨-٥٩: روى الطبراني عن الأسلع بن شريك قال: كنت أرحل ناقة النبي صلى الله عليه وسلم فأصابتني جنابة في ليلة باردة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحلة ، فكرهت أن أرحل ناقته وأنا جنب، وخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فأمرت رجلا من الأنصار فرحلها، ووضعت أحجارا فأسخنت بـــها ماء فاغتسلت ، ثم لحقت رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال: يا أسلع ما لي أراك رحلتك تغيرت؟ فقلت يا رسول الله لم أرحلها رحلها رجل من الأنصار، قال: ولم؟ فقلت: إني أصابتني جنابة فخشيت القر على نفسي ، فأمرته فرحلها، ووضعت أحجارا فأسخنت ماء فاغتسلت به، فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى إلى قوله عفوا غفورا. وروى البخاري عن أنس قال: لما كان يوم أحد انـــهزم الناس عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم، قال: يشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك يعني أفديك بنفسي. ويصيبك بالرفع أي لا تشرف فإنه يصيبك سهامهم، وفي رواية يصبك بسكون الموحدة على أنه جواب النهي، قال ذلك كله في ((الفتح))

وفي ((المواهب اللدنية)) أن عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الذي رأى الأذان كان يعمل في جنة له، فأتاه ابنه فأخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي، فقال: اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أحدا فكف بصره. وكان الإمام مالك كما في ((الشفاء)) لا يركب بالمدينة دابة، وكان يقول: أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة.

وفي ((الشفاء)) وشرحه ((نسيم الرياض)) ج ٣ ص ٤٣٥ : وعن أحمد بن فضلويه بفتح الفاء وسكون الضاد الزاهد وكان من الرماة الغزاة أنه قال : ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده اهــ والمعنى ما أمسكت قوسي أو قوس غيري إلا بطهارة منذ بلغني أنه صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده، وإنما فعل ذلك رحمه الله احتراما وتشريفا للقسي كلها، وإنما خصها بذلك دون السيف ونحوها لأن السهام كانت في عصره صلى الله عليه وسلم أعظم آلات الحرب وأنفعها ، وكانت العرب تسميها رسل المنايا، وفسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة- بالرمي- ، وقال : ألا إن القوة الرمي وكررها ثلاثا اهــ.

وفي ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) للحافظ ابن عساكر ج٦ص٨٩: أخرج الحافظ عن سعد أنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم بصحفة أو جفنة مملوءة مخا فقال : ما هذا يا أبا ثابت ؟ فقال : والذي بعثك بالحق لقد نحرت أو ذبحت أربعين ذات كبد، فأحببت أن أشبعك من المخ ، قال: فأكل ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بخير، قال إبراهيم بن حبيب أحد رواة هذا الحديث: سمعت أن الخيزُران حُدثت بـــهذا الحديث، فقسمت قِسْمًا من مالها على ولد سعد بن عبادة فقالت : أكافئ به ولد سعد عن فعله برسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان سعد رضي الله عنه يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة كل يوم جفنة فيها ثريد بلحم أو بلبن أوبخل أو بزيت أو بسمن، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه.

وقال الواقدي : جاء سعد وابنه قيس بزاملة تحمل زادا يوم ضلت زاملة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، حتى وجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند باب داره، قد أتى الله بزاملته، فقال سعد: يا رسول الله بلغنا أن زاملتك ضلت العام، وهذه زاملة مكانـــها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله عليكما، أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة ؟ فقال سعد: يا رسول الله المنة لله ولرسوله، والله يا رسول الله للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا مما تدع، قال : صدقتم يا أبا ثابت، أبشر فقد أفلحت اهـــ ملخصا .

وخيزُران أم أمير المومنين هارون الرشيد . والزاملة الدابة التي يحمل عليها طعام الرجل ومتاعه في سفره من الإبل وغيرها كما في ((القاموس)) وشرحه.

وفي ((سيرأعلام النبلاء)) للحافظ الذهبي : أن عبد الوهاب المدني قال: بلغني أن رجلا دخل على معاوية ، فقال: مررت بالمدينة فإذا أبو هريرة جالس في المسجد حوله حلقة يحدثهم، فقال: حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ثم استعبر فبكى، ثم عاد فقال: حدثني خليلي صلى الله عليه وسلم نبي الله أبو القاسم ثم استعبر فبكي، ثم قام.

وفي ((البداية والنهايـــة)) ج٩ص٥ و ((أسد الغابـــة)) ج٣ ص٢٢٧ و ((سيـــر أعلام النبـــلاء)) ج٣ص٢١٣ كان ابن عمر رضي الله عنه يتعاهد شجرة نزل تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس اهـــ.

وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) : وفي ((الزهد)) للبيهقي بسند صحيح عن عمر بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر سمعت أبي يقول: ما ذكر ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بكي، ولا مر على ربعهم إلا غمض عينيه . وقال في ((مجمع الزوائد)) بعد ذكره هذا: رواه الطبراني في ((الأوسط)) .

وبالجملة كان الصالحون من السلف والخلف معروفين بمحبته صلى الله عليه وسلم، وكان للصحابة رضي الله عنهم الحظ الأوفر والنصيب الكامل منها، فقد ملأ حبه صلى الله عليه وسلم قلوبـــهم و لم يترك فيها فراغا، وكانوا كما قال القائل:

تملّك بعض حبك كل قلبي   فإن ترد الزيادة هات قلبا

وقد أدركت رجالا منحهم الله تعالى حظا وافرا من محبة حبيبه صلى الله عليه وسلم، منهم شيخنا العارف بالله أبو علي بن الشيخ محمد المركي، فقد كان عظيم المحبة والشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، وكان ينشد في السحر كل ليلة :

متى عين قلبي ترى نوركم   وأشهد منكم جمالا صفا

ومنهم شيخنا عبد الرحمن بن عمر الورشيخي، كان مشهورا بمحبته صلى الله عليه وسلم وببغض المبتدعة المانعين للسفر إلى زيارته صلى الله عليه وسلم والتوسل إلى الله بجاهه ونحو ذلك، وألف قصائد كثيرة جدا في مدائحه صلى الله عليه وسلم . ومنهم والدي، كان يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في السنوات الأخيرة من عمره، فكان إذا سمع اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم تأخذه رعدة ودهشة وانزعاج تكاد نفسه تزهق بـــها. ومنهم رفيقي في الله الشيخ علي عنبر ، فقد كان يكثر جدا من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وكان يقول لإخوانه : صلوا على نبيكم في اليوم ولو بعشرة آلاف مرة فقط .

فائدة

وما قد يحصل لأهل المحبة من الهيمان والانزعاج والطرب ونحو ذلك دليل على الحب الصادق والشوق الحقيقي، فقد قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ٤ ص ٤٨٤ بعد كلام في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ما نصه : والله ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء إلا وهو محب لله ولرسوله، فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار اهـــ وللمحبين له صلى الله عليه وسلم أحوال متنوعة وأوصاف متباينة، وأذواق مختلفة، فمنهم من يفرح ويطرب إذا سمع اسمه صلى الله عليه وسلم فتحصل له خفة وطيش فيظن من لا يدري حاله أنه ثمِل بالشراب أو أن به خللا في عقله، وقد يتكلم بكلام مختلط كالذي وجد راحلته التي أيس منها، فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح. روى حديثه مسلم في صحيحه، فهذا من سكر الفرح ومثله سكر المحبة .

ومنهم من تملك المحبة شعوره وتختلط بشغاف قلبه فيزول إحساس بدنه كصواحب يوسف عليه السلام اللاتي قطعن أيديـــهن ولم يشعرن بألمهن لفرط محبتهن له عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ومنهم من يتصور أنه واقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فتأخذه الهيبة والحياء فتسكن جوارحه ولا تتحرك أعضاؤه فكأنه عود يابس فهو كمن رأي الأسد بقربه بغتة ففزع وانتصب قائما لا حركة ولا كلام له، وعلى هذا كان وصف جلسائه صلى الله عليه وسلم، فقد روى أسامة بن شريك قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأن على رأوسهم الطير.

ومنهم من يغضب إذا سمع ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من أهل الغفلة والفساق والمبتدعة ونحوهم غَيرةً من ذكر هؤلاء اسمه الطاهر الطيب بألسنتهم المتضمخة بأوساخ الذنوب وأدناس المعاصي، وصونا لاسمه من الابتذال، فيكون كعاشق فتاة بني عامر القائل:

وإياك واسم العامرية إنني أغار عليها من فم المتكلم

ومنهم من يرتعد ويضطرب عند سماع اسمه الشريف ويهتز لذكره حبا وشوقا إليه على حد قول القائل : وإني لتعروني لذكراك هزة .

وهذا بعض أوصاف المحبين له صلى الله عليه وسلم، ولهم في محبته أوصاف وأحوال أخرى فلا تستغرب ما رأيت فيهم من أفعال وأقوال وحركات غريبة، فإنه يقع كثيرا في العشق الشهواني والحب الدنيوي أمثال ذلك كما هو معروف مشهور .

واعلم أن المحبة والشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن خاصا بالعقلاء، بل ما زالت البهائم والجمادات ترى فيها آثار المحبة وأمارات الشوق إليه صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك جبل أحد

روى البخاري في باب غزوة تبوك عن أبي حميد قال: أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من عزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة ، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه، ورواه مسلم في آخر الحج في باب فضل المدينة عن أنس بن مالك وفي باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم. قال النووي في شرح مسلم: الصحيح المختار أن معنى هذا الحديث أن أحدا يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزا يحب به كما قال سبحانه وتعالى: وإن منها لما يهبط من خشية الله، وكما حن الجذع اليابس، وكما سبح الحصى، وكما فر الحجر بثوب موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إلى آخر ما قال.

ومن ذلك الجذع الذي حن شوقا إليه صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسند ظهره إلى جذع في المسجد إذا خطب الناس، فلما كثر الناس صنع له منبر وقعد عليه يخطب الناس يوم الجمعة ، فلما فقده الجذع اشتاق إلى جواره صلى الله عليه وسلم، واستماع خطبته، ومس جسده الشريف، فحن حينئذ حنين الناقة التي انتزع منها ولدها، وأنينَ الواله الغريق في بحار الحب حتى تصدع وانشق، وارتج لصوته المسجد، فبكى من فيه من الصحابة رضي الله عنهم، فقد تحركت المحبة فيهم، وهيج ما رأوه وما سمعوه من الجذع كمين الحب العميق في قلوبـــهم، ولم تنطفئ شعلة الحب عن الجذع بل ازداد توقدها والتهابـــها، حتى نزل صلى الله عليه وسلم إليه وضمه كما تضم الوالدة الرحيمة ولدها، ومسح عليه بيده الكريمة فسكن واطمأن، ثم خيره صلى الله عليه وسلم بين أن يغرسه في المكان الذي كان فيه قبل أن يصير جذعا، وبين أن يغرسه في الجنة فيأكل من ثماره أولياء الله تعالى، فاختار أن يغرسه صلى الله عليه وسلم في الجنة، وسمع كلامه مع النبي من كان قريبا منه من الصحابة، فقبل منه صلى الله عليه وسلم ذلك، وأمر بعض الصحابة بدفنه فدفن تحت المنبر، ثم قال صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء على دار الفناء. وقال بعض العلماء وإنما دفن وهو جامد لأنه صار في حكم المؤمن لحبه وحنينه، ودفنه تحت منبره ليكون الجذع قريبا من الذكر وما يتبعه من الخير، ثم لما هدم المسجد في زمن عثمان رضي الله عنه للتجديد والتوسيع للمسلمين أخذه أبي بن كعب رضي الله عنه تبركا به، وكان عنده إلى أن أكلته الأرض وصار رفاتا.

روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه.

وفي راوية له عن جابر أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا ؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها. قوله دفع إلى المنبر في رواية: رفع إلى المنبر بالراء، وقوله: قال كانت إلخ أي قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الزرقاني على ((المواهب)) وفي رواية

للبخاري أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه.

وفي ((المواهب اللدنية)) للحافظ القسطلاني :روى أبو يعلى الموصلي عن أنس بن مالك بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر جأر الجذع كجؤار الثور، وارتج المسجد لجؤاره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنـــزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه سكت،ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمره به صلى الله عليه وسلم فدفن. ورواه الترمذي وقال: صحيح غريب، وكذا رواه ابن ماجه والإمام أحمد من طريق الحسن عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة فلما كثر الناس قال: ابنوا لي منبرا، أراد أن يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة إلى المنبر ، قال: أخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تحن كحنين الواله قال: فما زالت تحن حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت.

ورواه أبو القاسم البغوي وزاد فيه: فكان الحسن البصري إذا حدث بـــهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله شوقا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. وفي تفسير ابن كثير في آخر سورة الحشر مثل هذا، وقال الحافظ العسقلاني في ((فتح الباري)): وفي حديث أبي زبير عن جابر عند النسائي اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج اهـــ والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها. وفي رواية عند الترمذي خار ذلك الجذع كخوار الثور.

وفي حديث أبي بن كعب عند أحمد والدارمي وابن ماجه: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق. وفي حديث بريدة عند الدارمي أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال له: اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فتكون كما كنت يعنى قبل أن تصير جذعا، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنـــهارها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك أولياء الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اختار أن أغرسه في الجنة اهـــ. وحديث حنين الجذع متواتر كما قاله غير واحد

من العلماء بالسنة كالقاضي عياض في ((الشفاء)) وابن السبكي في شرحه لـــ((مختصر ابن الحاجب)) والقسطلاني والزرقاني. ولله در القائل:

وألقي حتى في الجمادات حبـــه　　فكانت لإهداء السلام له تُـــهدَى

وفارق جذعا كان يخطب عنده　　فأنّ أنين الأم إذ تـــجد الفقـــدا

يحن إليه الجذع يا قوم هكـــذا　　أما نحن أولى أن نَحِنّ له وجـــدا

إذا كان جذع لم يطق بُعد ساعة　　فليس وفاء أن نطيـــق له بُعـــدا

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله المقدشي الشاشي المعروف بـــ((ـــالشيخ صوفي)) في قصيدته اللامية:

والجذع حـــن لـــه وَأَنَّ إذ ودعـــه　　وصات صوت العشار صائحات فلا

وارتج مسجده لصوتـــه وبـــكـــى　　شوقا له كيف لا يشتاقه العـــقـــلا

وصار يُصْبِرُهُ كي لا يـــدوم كـــذا　　فوضع المصطفي يـــده فاحتـــمـــلا

واختار إذ أعرض الأمرين دار بقـــا　　وكون ثـــمـــره للأبـــرار أي نُـــزُلا

قال رفيقنا الشيخ أحمد منير في شرحه على هذه القصيدة: قوله " فلا " جمع فلاة كحصى وحصاة . وأي في قوله " أي نزلا " زائدة لضروة الشعر اهـــ.

أسباب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ القسطلاني في ((المواهب اللدنية)) : من أقوى أسباب محبته صلى الله عليه وسلم سماع الأصوات المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية إذا صادفت محلا قابلا، فلا تسأل عن سكرة السامع، وهذا السكر يحصل عندها من جهتين: إحداهما أنـــها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر أي يتغطي منها العقل، الثانية أنـــها تحرك النفس إلى نحو محبوبـــها وجهته، فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب وإحضاره في النفس، وإدناء صورته إلى القلب واستيلائها على الفكرة لذة عظمية تغمر العقل، فتجتمع لذة الألحان ولذة الأشجان، فتسكر الروح سكرا عجيبا أطيب وألذ من سكرالشراب، وتحصل به نشأة ألذ من نشأة الشراب. وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أن الله تعالى يقول لداود: مجِّدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا، فيقول كيف وقد أذهبته ؟ فيقول: أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده، فإذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة اهـــ أي شغلهم صوته عما هم فيه من النعيم.

قلت: ومما تنشأ عنه المحبة أيضا صحبة أهل المحبة ومخالطتهم، فإن الطباع تتأثر بالمخالطة والاجتماع، وطبع الإنسان التأسي والاقتداء برفيقه وصاحبه ، فكل من انضم إلى جماعة وعاش معهم زمانا واختلط بـــهم في معاملاتـــهم فإنه يتصف غالبا بصفاتـــهم، ويتخلق بأخلاقهم، وصدق من قال :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فإن القرين بالمقارن يقتـــدي

وقالوا: من جالس جانس، وقد ورد في الحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل، فينبغي لمن يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بحب حبيبه صلى الله عليه وسلم أن يجتنب مجالس قرناء السوء وأصحاب القلوب القاسية المحرومين من مودة أحباب الله تعالى وتوقيرهم واحترامهم، كما ينبغي له أيضا أن يختار الرفيق الصالح الذي تزرع مرافقته في القلب محبة من أحبه الله من الأنبياء والصالحين، لا سيما محبة سيد الكونين، وأفضل الخلائق أجمعين، صلى الله عليه وسلم في كل وقت وحين، وأن يكثر الحضور في مواضع اجتماع المحبين، ومحافل قراءتـــهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومراكز أناشيدهم بلذيذ صفاته كي تنطبع مرآة قلبه بما انطبعت به قلوبـــهم، فيصير من جملة المحبين الفائزين بمعيته صلى الله عليه وسلم في دار السلام.

ومنها التفكر في عظيم إحسانه صلى الله عليه وسلم وجزيل نواله، وكثرة مننه التي على رقابنا، وتدقيق النظر في أخلاقه المعنوية وأوصافه الباطنة، مثل رحمته وشفقته على أمته، بل وعلى الخلائق أجمعين، حتى قال في شأن من يبول في المسجد: لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه البول ، ومثل عفوه عند المقدرة والسيطرة على أعدائه الذين أخرجوه من أحب بلاد الله إليه، فقال لهم وهم بين الخوف من الانتقام وأخذ الثأر، وبين الرجاء والعفو: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ومثل حسن قيادته وسياسته وتنظيم الأمور كلها، فلا تفريط في تصرفاته ولا إفراط فيها، فيضع كل شيء في أنسب مواضعه وأحسن مواقعه، وهذا يدل على رجحان عقله وكمال ذكائه وفطانته، فإن حسن التدبير في قيادة العامة والخاصة وانسجام الأمور والأنظمة في الميادين كلها بحيث لا يرى فيها الخلل أصلا صعب جدا، ونادر عرفا، بل لم يتم هذا الكمال لغيره صلى الله عليه وسلم قبله ولا بعده كماحققه أصحاب التواريخ المنصفون، أعداء كانوا له صلى الله عليه وسلم أو أحبابا، وهذا يشهد أنه كان أعقل خلق الله كلهم. وفي ((الشفاء)) للقاضي عياض: أن وهب ابن مُنَبِّهٍ قال: قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا.

ومثل شجاعته النادرة عند التقاء الصفوف واحمرار الأحداق، حتى كان تتوقى به ليوث الوغى لدى اشتعال نيران المعارك ، ففي صحيح مسلم أن البراء قال: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع للذي يحاذي به صلى الله عليه وسلم، وقد كان في غزوة حنين من أمره صلى الله عليه وسلم ما كان حين تناست الأحبة واضطربت الأفئدة، وانـــهزم بعض الصحابة وغشيه المشركون، وقال وهو يركض ببغلته البيضاء قبل الكفار والعباس يكفها إرادة أن لا تسرع كما في صحيح مسلم كلمته المشهورة التي لم يقل بمثلها بشر في مثل ذلك الموقف: "**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**" لفت أبصارهم إليه ودلهم ما كانوا يقصدون إليه، فهاجت عندئذ أطماعهم وظنوا أنـــهم ظفروا بمقصودهم ومأمولهم، فشدوا عليه وحملوا حملة رجل واحد، فوقف صلى الله عليه وسلم موقفا لم تسمع أذن مثله، وحاربـــهم هو صلى الله عليه وسلم وقليل من أصحابه، حتى رجع إليه المنهزمون وقاتلوا معه قتالا مكللا بالغلبة والنجاح، وهزموهم وغنموهم ثم لما تحقق المشركون أنـــهم فشلوا في ميدان القتال صاروا يتفكرون فرَدَّ الله إليهم عقولهم، وحصل لهم الصحو بعد السكر، فانقادوا وأرسلوا إليه صلى الله عليه وسلم وفدا وقد أسلموا وبايعوا وسألوا عنه كرمه صلى الله عليه وسلم وإحسانه، كأنـــهم لم يكونوا قبل حريصين على قتله، وإطفاء نور دعوته، ومحو رسالته، ثم تفضل عليهم ورد إليهم سباياهم.

ومنها: تصور صورته الجسمية وجمالها، وتناسب أعضائه الشريفة واعتدالها، وتلألؤ وجهه الكريم كالبدر في ليلة كماله، وقد ورد أنه كان عند سروره يزداد صفاء وجهه ولمعانه، فيرى من خلاله الجدران كالمرآة الصقيلة.

وفي ((القول البديع)) للحافظ السخاوي نقلا عن ((شرف المصطفى)) لأبي سعيد الواعظ أن عائشة رضي الله عنها كانت تخيط شيأ، فضلت الإبرة وطفئ السراج، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوئه، صلى الله عليه وسلم ووجدت الإبرة فقالت: ما أضوأ وجهك يا رسول الله !! قال: ويل لمن لا يراني يوم القيامة، قالت: ومن لا يراك؟ قال: البخيل، قالت :ومن البخيل؟ قال: الذي لا يصلى عليّ إذا سمع باسمي. وقد وصفه الله تعالى بأنه نور وسراج منير، فإذا كانت الشمس النور الحسي لهذا العالم الفاني فهو صلى الله النور المعنوي للعالم الدنيوي والأخروي الذي لا يغيب ولا يزول بزوال الدنيا وفنائها، فهو سراج لا ينطفئ بموته، ونور لا ينمحي، بل هو صلى الله عليه وسلم دائم الترقي فتزداد أنواره.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن خلق الله صورة، كما كان أفضلهم وأقربـــهم إلى الله درجة ورتبة، ولقد أجاد حسان بن ثابت حيث قال:

وأحسن منك لم تر قط عينـــي وأجمل منك لم تلد النســـاء

خلقت مبرأ من كـــل عيـــب كأنك قد خلقت كما تشـــاء

فلا شك أن كل من لنفسه شعور، ولحواسه إحساس وإدراك وتمييز بين الحسن وضده، إذا تفكر في مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم ومعالي صفاته، وأمعن النظر في ذلك وأكثر المطالعة في سيره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه يتأثر بـــها ويحبه، ويشتاق إلى اتصاله به ويتمنى لقاءه، وكذلك تصور محاسنه الظاهرة الجسمانية ينشأ عنه محبته صلى الله عليه وسلم، والشوق إلى التمتع برؤية جماله ، فكم من محب لشيء لا يحبه إلا لجمال صورته الظاهرة فقط، وليست محبة الألوان والثياب الفاخرة ونحوها إلا من حسن صورها وأشكالها، فكيف لا تلتذ حينئذ نفوس المؤمنين بتذكر شمائله صلى الله عليه وسلم وأوصافه المعنوية، وتصور محاسنه الظاهرة واستحضارها في الذهن؟!!

ومما تنشأ عنه محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعته في أفعاله وأحواله كلها، والتمسك بسنته، وبذل المهجة في خدمة ملته بالتعلم والعمل بـــها، ثم بتعليم الناس ودعوتـــهم إليها، والذب عن حمى الشريعة وحراسة أصولها وفروعها، وقمع المبتدعة وإزالة شبهها وإدحاض أباطيلها، فمن أكرمه الله بمتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره أعطاه الله ببركتها محبته صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا تابعه واقتدى به في أموره تعلق به قلبه ويكثر تفكره فيه، ويكون بينه وبينه صلى الله عليه وسلم علاقة التابع والمتبوع، والخادم والمخدوم، ويدوم بينهما الاتصال الروحي والارتباط القلبي، فيدرك حينئذ محاسنه صلى الله عليه وسلم ويستحضر في ذهنه كمالاته الظاهرة والباطنة، وينطبع ذلك في نفسه ويستقر فيها، فيستحسن حينئذ أحواله صلى الله عليه وسلم من أفعاله وأقواله وتصرفاته وأخلاقه، ورحمته وجوده ووقاره، وحيائه وحلمه وفصاحته وجوامع كلامه وغير ذلك من مزاياه العلية، وأوصافه السنية، وجمال صورته البهية، فيؤدي ذلك إلى محبته وتعظيمه، والتلذذ بذكر اسمه صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا أن استحسان الشيء يقتضي حبه وميل القلب إليه، فتحقق لك إن شاء الله أن متابعته صلى الله عليه وسلم الصادقة تكون سببا قويا لمحبته عليه الصلاة والسلام، بل قد تكون أقوى الأسباب وأعلاها وأنفعها، رزقنا الله من متابعته حظا وافرا ونصيبا كاملا، وكما تكون المتابعة سببا للمحبة كذلك تكون المحبة الصادقة سببا للمتابعة والطاعة غالبا، فإن المحب يستحيي طبعا عن مخالفة محبوبه فقد قيل :

تعصي الإله وأنت تظهر حبـــه هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعتـــه إن المحب لمن يحب مطيـــع

فالمحبة والمتابعة متلازمان، متى وجدت إحداهما ترتبت عنها الأخرى غالبا، فأيتهما سبقت عن أختها لحقتها الأخرى هذا ما ظهر، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

محبة الله تعالى لعبده

قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، وقال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.

اعلم أن محبة العبد لربه أيسر بكثير من محبة الله تعالى لعبده، ولا شك أن محبته تعالى لعبده أفضل وأجل من محبة العبد لمولاه جل جلاله.

وفي ((المواهب اللدنية)) وشرحه للزرقاني : ليس الشأن أن تحب الله فقط، بل الشأن أن يحبك الله، ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، وصدقته وأطعت أمره وأجبت دعوته، وآثرت طاعته على كل شيء، وإن لم تكن كذلك فلا تتعنّ، فلست على شيء، وتأمل قوله تعالى: فاتبعوني يحببكم الله أي الشأن في أن الله يحبكم لا في أنكم تحبونه، وهذا لا ينالونه إلا باتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم انتهى باختصار. وقال العارف بالله أحمد بن عطاء الله السكندري في ((تاج العروس)): قد جمع الله الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه في متابعته صلى الله عليه وسلم، فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله له ، قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني، وإذا طلبت الخير كله فقل: اللـــهم أني أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال، وقال الله تعالى حكاية عن الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: فمن تبعني فإنه مني، فمفهوم هذا أن من لم يتبعه ليس منه، وقال تعالى حكاية عن نوح عليه وعلى نبينا المصطفى أزكى الصلاة والسلام: إن ابني من أهلي فأجابه سبحانه بقوله تعالى: إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح، فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وإن كان أجنبيا، كسلمان الفارسي لقوله صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت، ومعلوم أن سلمان رضي الله عنه من أهل فارس، ولكن بالمتابعة قال عنه صلى الله عليه وسلم ذلك تعليما، فكما أن المتابعة تثبت الاتصال، كذلك عدمها يثبت الانفصال اهـــ.

ولقد أجاد الشيخ العلامة محمد بن عبد الله بن محمد السلميّ ابن أبي الفضل المرسي حيث قال:

من كان يرغب في النجاة فما له   غير اتّباع المصطفـــى فيما أتـــى
ذاك السبيل المستقيـــم وغيـــره   سُبُل الضلالة والغوايـــة والـــرَّدى
فاتْبَع كتابَ الله والسنَنَ الـــتي   صحت فذاك إذا اتّبعتَ هو الهدى
ودع السؤال بلم وكيف فإنه   باب يجر ذوي البصيرة للعمـــى
الدينُ ما قال النبيُ وصحبُـــه   والتابعون ومَنْ مناهجَهم قَفَـــى

قال ابن السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٥ص ٢٩: كان الشيخ السلمي فقيها محدثا أصوليا نحويا أديبا زاهدا متعبدا، توفي سنة ٦٥٥ اهـــ والله وليّ التوفيق .

المقصد الأول في التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم

المقصد الأول في التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم

التبرك بموضع ولادته صلى الله عليه وسلم وزمانـــها

قال النووي في ((مناسك الحج)) ص٤٤٤: يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل في مكة والحرم، وقد قيل: إنـــها ثمانية عشر موضعا، منها: البيت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو اليوم مسجد في زقاق يقال له: زقاق المولد، ومنها بيت خديجة الذي كان يسكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة رضي الله عنها، وفيه وَلَدَتْ أولادَها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها الغار الذي بجبل حراء، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه، والغار الذي بجبل ثور وهو المذكور في القرآن، قال الله عز وجل: إذ هما في الغار اهـــ. وفي القاموس: الزُقَاق كغُرابٍ السِّكَةُ .

وعدّ ابن حجر الهيتمي في ((حاشية الإيضاح على مناسك الحج)) من المزارات التي بمكة مولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: وهو اليوم مزار مشهور اهـــ

وقال العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي الشافعي المتوفى سنة ٩٥٨ في ((قلائد الخرائد وفرائد الفوائد)) ج١ص٢٧٥: ينبغي أن تزار مواضع مشهورة في الحرم ويُتَبَرَكَ بـــها، منها: موضع مولده عليه الصلاة والسلام في الشِّعْبِ، ودار خديجة، وفيها وَلَدَتْ أولادَها منه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وتوفيت فيها، وكانت مسكنه حتى هاجر صلى الله عليه وسلم. ودارُ الأرقم وتسمى دار الخَيْزُرَان وهي التي اختفى فيها. ودار أبي بكر رضي الله عنه اهـــ

وفي الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف للعلامة الحنفي جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة المخزومي ص٣٥٤: ذكر العلامة النقاش في منسكه مواضع يستجاب فيها الدعاء، منها دار خديجة رضي الله عنها ليلة الجمعة، وفي مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال اهـــ

وقال القسطلاني في ((المواهب اللدنية)): ولد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي لمحمد ابن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي، وقال الزرقاني في شرحه على ((المواهب اللدنيـــة)) ج١ ص ٢٥٨ : تزار ويتبرك بـــها إلى الآن اهـــ . قلت: ورأيت أنا حجاج بيت الله يزورون ويتبركون بموضع قريب من الكعبة المشرفة، وهم يقولون: إنه المحل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم .

وفي ((السيرة الحلبية)): ج١ ص ٩٣ أن ولادته صلى الله عليه وسلم في ١٢ من ربيع الأول، وعليه العمل الآن في الأمصار خصوصا أهل مكة في زيارتهم موضع مولده صلى الله عليه وسلم اهـ. وفي موضع آخر من ((السيرة الحلبية)) ج ٣ ص ٤٩٦: اختلف في مكان ولادته صلى الله عليه وسلم، فقيل: بمكة، وعليه قيل: بالدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، وقيل: بالشعب- شعب بني هاشم- وذلك المحل يزار الآن، وقيل: بالردم، وقيل: ولد صلى الله عليه وسلم بعسفان، وفيه أيضا: اختلف في زمان ولادته صلى الله عليه وسلم، فقيل: ولد ليلا، وعليه عمل أهل مكة في زيارة موضع مولده الشريف. وقال القسطلاني في ((المواهب اللدنية)): فإن قلت: إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلا فأيما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ؟ أجيب بأن ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة، أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم، وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر. الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم ، ومن شرف به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل، الثالث: أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل اهـ. وقال الزرقاني في ((شرحه على المواهب)) ج١ ص ٢٥٦: وهذا الذي ساقه المصنف وأقره متعقب، قال الشهاب الهيتمي: فيه احتمال واستدلال بما لا ينتج المدَّعى، لأنه إن أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة إلى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الأدلة لا تنتج ذلك كما هو جلي، وإن أريد عين تلك الليلة فليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك، وإنما أتى فضلها في الاحاديث الصحيحة على سائر ليالي السنة بعد الولادة بمدة، فلم يمكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما التفضيل، وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، وقد نص الشارع على أفضليتها، ولم يتعرض لليلة مولده ولا لأمثالها بالتفضيل أصلا، فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه، ولا نبتدع شيئا من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم ، على أنا لو سلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة في تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها، وأما تفضيل ذات الزمن الذي لا يكون العمل فيه فليس له كبير فائدة. إلى هنا كلامه وهو وجيه. ثم إذا قلنا بما قال المصنف وقلنا: إن الولادة

نـــهارا فهل الأفضل يوم المولد أو يوم بعثه صلى الله عليه وسلم ؟ والأقرب كما قال شيخنا: أن يوم المولد أفضل لمنّ الله به فيه على العالمين، ووجوده يترتب عليه بعثه ، فالوجود أصل والبعثة طارئة عليه، وذلك قد يقتضي تفضيل المولد لأصالته. اهـــ.

واعلم أن الهيتمي لم ينكر فضيلة ليلة المولد النبوي من أصلها، حاشاه عن ذلك، وإنما اعترض على أنـــها أشرف من ليلة القدر.

تنبيه

لا يخفى أن شرف ليلة المولد لا يختص بعين تلك الليلة التي ولد فيها صلى الله عليه وسلم، وأنه ما انقضى بانقضائها، فهي كيوم عاشوراء الذي ثبت أن فضيلته باقية، وأنه مشرف يستحب صيامه كل سنة.

ومعلوم أن أصل شرفه وسبب حرمته إنجاء الله تعالى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام، وإغراق فرعون فيه كما في حديث مسلم، فكما لم ينقض شرف عاشوراء بانقضاء إغراق فرعون وإنجاء موسى كذلك لا ينقضي شرف ليلة المولد النبوي، ولا يختص بعين ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فقط، بل يعم نظائرها من كل عام، ونظير ذلك أيضا مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه، فقد كانت عيدا لأولهم وآخرهم كما نطق به القرآن العزيز، ولم يختص بالحاضرين وقت النـــزول ولا بيوم النـــزول فقط، فما المانع أن تكون ليلة المولد عيدا لأولنا وآخرنا، فهذا إن شاء الله قياس ظاهر، ولله در العلامة الزيلعي حيث يقول في قصيدته العينية المشهورة:

وميلاده عيد لنا وهو ذخرنا   يجدد شوق الواله المتطلع

وأجاد العاشق القائل:

ولو أنا سعينا كل وقت   على الأحداق لا فوق النجائـــب
ولو أنا عملنا كل يـــوم   لأحمـــد مـــولدا قد كان واجب

ومما يدل على شرف موضع ولادته صلى الله عليه وسلم وبركته: ما ورد في حديث الإسراء من أن جبريل عليه السلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة ببيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام، فكما تشرف بيت لحم بميلاد عيسى فيه حتى أمر أفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام بالصلاة فيه تبركا به، كذلك يتشرف موضع ميلاد سيد البشر به صلى الله عليه وسلم، وهذا قياس ظاهر جلي أولوي إن شاء الله.

وفي ((السيرة الحلبية)) ج١ص٩٥: قد أقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: والضحى والليل، وقيل: أراد بالليل ليلة الإسراء، ولا مانع أن يكون الإقسام وقع بـــهما.

التبرك برؤيته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أفضل هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، بل هم أشرف بني آدم غير الأنبياء والمرسلين، بل قال كثير من العلماء: إن رؤساء الصحابة أفضل من بعض الملائكة المعصومين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وما نالوا تلك المراتب العلية والدرجات الرفيعة إلا ببركة رؤية سيد الوجود، وإمام المقربين، أفضل خلق الله أجمعين.

واختلفوا في حد الصحابي، فقال النووي في ((التقريب)): المعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر قولين آخرين ، وزاد السيوطي في ((تدريب الرواي)) ثلاثة أخرى ، فالأقوال في حد الصحابي ستة، نقتصر على ذكر الراجح منها فقط، وهو ما قاله البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من صحيحه: ولفظه: من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه اهــ

وقال الحافظ في ((الفتح)) ج ٧ ص٣-٥: وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح، وهو قول أحمد والجمهور من المحدثين، ومنهم علي بن المديني شيخ البخاري، وهذا فيمن رآه صلى الله عليه وسلم وهو في قيد الحياة الدنيوية ، أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس بصحابي، وإلا لعد- أي من الصحابة - من اتفق أن يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الأعصار ، وكذلك من كشف له عنه من الأولياء فرآه على طريق الكرامة اهــ ملفقا وفي ((المواهب اللدنية)) ما معناه: وعبارة ابن المديني كما قال شيخنا أي السخاوي: من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نـــهار فهو من أصحابه اهــ .

وفي ((الزرقاني)) ج٩ص٢٨٤-٢٨٥: قوله أو رآه الضمير المنصوب للنبي صلى الله عليه وسلم أو للصاحب، فلهذا عد الحافظ في ((الإصابة)) من الصحابة من حضر معه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينهما من الأعراب، وكانوا أربعين ألفا لحصول رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم وإن لم يرهم هو، بل ومن كان مؤمنا به في زمن الإسراء إن ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كشف له في ليلته عن جميع من في الارض فرآه و لم يلقه، لحصول الرؤية من جانبه صلى الله عليه وسلم. وقال في ((الإيعاب)) : ويتجه أنه حيث وقع بصره صلى الله عليه وسلم على مجنون محكوم بإسلامه أفاده ذلك الصحبة أخذا من هذا ومن الصغير غير المميز، فإن حكمهما واحد عند الفقهاء، وبـــهذا يرد قول الدماميني: ليس الضمير المستتر في قول االبخاري- أو رآه- يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يلزم

عليه أن يكون من وقع عليه بصره صلى الله عليه وسلم صحابيا ولا قائل به، وإن في نفيه الخلاف نظرا كبيرا اهـ.

وفي ((الإصابة)) ج١ص٧ : أطلق جماعة أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم فهو صحابي، وهو محمول على من بلغ سن التمييز إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه ، نعم يصدق أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه فيكون صحابيا من هذه الحيثية.

وفي ((الإصابة)) أيضا ج١ص ٦ : وأصح ما وقفت عليه في ذلك أن الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام اهـ. وتبعه القسطلاني على ذلك فقال في ((المواهب)) : ينبغي أن يزاد في تعريف الصحابي ومات على ذلك اهـ .

عدالة الصحابة وفضلهم

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي في ((الكفاية)) ص ٩٣-٩٧: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن.

فمن ذلك قوله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص، وقيل هو وارد في الصحابة دون غيرهم. وقوله تعالى :يأأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين، في آيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها، ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم ، فمن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم -الحديث ، وروى أبو سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه. و"النصيف" النصف كما قال أهل اللغة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية ، فإن لم تكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي ، إن أصحابي بمنـزلة النجوم في السماء فأيها أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي، فأوحى الله إليّ : يا محمد إن أصحابك عندي بمنـزلة

النجوم في السماء بعضها أضوأ من بعض ، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله اختارني واختار أصحابي فجعلهم أصهاري وجعلهم أنصاري، وإنه سيجيء في آخر الزمان قوم ينتقصونـــهم ، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم ، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة.

وقال الإمام أبو زرعة : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بـــهم أولى وهم زنادقة، والأخبار في هذا المعنى تتسع ، كلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له، ولو لم يرد من الله عزّ وجلّ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الأباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنـــزاهتهم، وأنـــهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين. وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء . انتهى ما نقلته من ((الكفاية)) باختصار.

وفي ((الفتاوي الحديثية)) لابن حجر الهيتمي ص ٢٦١: وسئل الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله للغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل ابن عبد العزيز، يريد بذلك أن شرف الصحبة والرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحلول نظره الكريم لا يعادله عمل، ولا يوازنه شرف اهـــ.

قلت: وابن المبارك هو الإمام المشهور، وقد قال النووي فيه: كان مجمعا على إمامته وجلالته في كل شيء الذي تستنـــزل الرحمة بذكره وترجى المغفرة بحبه، توفي سنة ١٨١ وستأتي نبذة من ترجمته في التبرك بذكر الصالحين.

وفي ((شرح مسلم)) للنووي رحمه الله ج١٦ص٩٣: قال القاضي عياض : الجمهور على تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، ثم قال النووي : وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا

يوازيها عمل ، ولا تنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اهـ. وقال الحافظ العسقلاني في ((فتح الباري)) ج٧ص٧ في شرح باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: والذي ذهب إليه الجمهور: أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه ما من خصلة من خصال الخير إلا وللذي سبق بـها مثل أجر من عمل بـها من بعده، فظهر فضلهم اهـ بمعناه .

وفي ((الزرقاني على المواهب)) ج ٩ ص ٢٨٤ : وقد صرح غير واحد أنه صلى الله عليه وسلم لو رآه مسلم أو رأى مسلما لحظة طبع قلبه على الاستقامة، لأنه بإسلامه متهيئ للقبول ، فإذا قابله النور المحمدي أشرق عليه فظهر أثره في قلبه وملأ جوارحه اهـ .

وروى الشيخان واللفظ للبخاري عن البراء رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم ؟ قال: أسلم ثم قاتل ، فأسلم ثم قاتل ، فقتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عمل قليلا وأجر كثيرا.

قال الحافظ في ((فتح الباري)) ج ٦ص ٢٤-٢٥ : لم أقف على اسم هذا الرجل . وقيل: اسمه عمرو بن ثابت، فقد أخرج ابن إسحاق في ((المغازي)) بإسناد صحيح عن أبي هريرة أنه كان يقول: أخبروني عن رجل دخل الجنة ولم يصل صلاة ؟ ثم يقول : هو عمرو بن ثابت. قوله : مقنع بفتح القاف والنون المشددة هو كناية عن تغطية وجهه بآلة الحرب وقوله أجر كثيرا: اي أجر أجرا كثيرا اهـ .

وقال النووي في ((شرح مسلم)) ج ١٦ ص ٩٣ : قال القاضي : ومن أصحاب الحديث من يقول: هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته وقاتل معه وأنفق وهاجر ونصر ، لا لمن رآه مرة كوفود الأعراب أو صحبه آخرا بعد الفتح وبعد إعزاز الدين ممن لم يوجد له هجرة ولا أثر في الدين ومنفعة المسلمين، قال: والصحيح هو الأول وعليه الأكثرون .

وقال ابن حجر الهيتمي في ((الفتاوي الحديثية)) : قال ابن عبد البر: قد يوجد في الخلق من هو أفضل من الصحابة لحديث أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره وأحاديث أخر قريبة منه وهو مقالة شاذة جدا ، وللحافظ العسقلاني في ((فتح الباري)) كلام يتعلق في رأي ابن عبد البر والجواب عنه.

وقال الحافظ في ((فتح الباري)) ج٧ص٦ في شرح حديث خير الناس قرني ، ثم الذين يلونـهم، ثم الذين يلونـهم :اقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين ، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد ؟ محل

بحث ، وإلى الثاني نحا الجمهور. وهذا الحديث رواه الشيخان في فضائل الصحابة بطرق متعددة، بل قال الحافظ في ((الإصابة)) : إنه متواتر .

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم : يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : نعم فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم . واللفظ لمسلم. والفئام بفاء مكسورة ثم همزة الجماعة.

وفي راوية أخرى ولفظها لمسلم : عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث ، فيقولون : انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به ، ثم يبعث البعث الثاني فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيفتح لهم به ، ثم يبعث البعث الثالث ، فيقال : انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ ثم يكون البعث الرابع فيقال : انظروا هل ترون فيهم أحدا رأى من رأى أحدا رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به . قلت: وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة بأن حضور الصحابة في القتال سبب الانتصارات والفتوحات، وببركتهم تغلب البعوث الإسلامية وجيوشها على أعدائها، وما نالوا ذلك إلا ببركة رؤية من كان وجود شعرات منه في صف القتال سببا للانتصارات والفتوحات صلى الله عليه وسلم، وسيأتي إن شاء الله استنصار خالد بن الوليد بشعره صلى الله عليه وسلم، ثم لم تنقطع تلك البركات بانقطاعهم، بل احتظى بـــها من رآهم من التابعين، ومن رأى من رآهم من أتباع التابعين، ثم من رأى أتباع التابعين. فلهذا كان الناس لا يؤمرون في الغزوات إلا الصحابة رضوان الله عليهم ما وجدوا لذلك سبيلا طمعا للنصرة ببركتهم واستعجالا لهزيمة أعداء المسلمين ، وهذا كله ما يرشد إليه قوله صلى الله عليه وسلم : فيفتح لهم به، بل هو كالصريح فيه.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الإصابة)) ج ١ ص ٩-١٠: أخرج ابن أبي شيبة أنـــهم كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة، فمن تتبع الأخبار الواردة في الردة والفتوح وجد من ذلك شيئا كثيرا .

قلت: فكما ثبت أنــهم كانوا قادة في المغازي والفتوحات ورد أن من مات منهم بأرض يكون قائدا لمن فيها ونورا لهم يوم القيامة، ففي ((تــهــذيب تاريــخ دمشــق)) لا بن عساكر ج١ص ٢٦٥: روي عن أوس بن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعا: من مات من أصحابي بأرض فهو قائدهم يوم القيامة. وفي رواية: ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب اهـ .

فهم رضي الله عنهم السادة والقادة في الدنيا ويوم البعث .

استحقاقهم الجنة برؤيته صلى الله عليه وسلم

روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني . وفي شرح التاج للشيخ منصور علي ناصف: أن سند هذا الحديث حسن .

وفي ((الإصابة)) ج١ص١١ : قال أبو محمد بن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا. قال الله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ، وقال تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، فثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار ، لأنــهم مخاطبون بالآية السابقة .

والجواب عما قد يتوهم من أن التقييد بالإنفاق والقتال في هذه الآية، وكذلك التقييد بالإحسان في قوله تعالى: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان يخرج من لم يتصف بذلك، هو أن التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب، وإلا فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة اهـ من ((الإصابة)) بتصرف واختصار .

عظمة الصحابة والهيبة منهم

قال في ((الإصابة)) أيضا ج ١ ص ١٢-١٣: وقد كان تعظيم الصحابة ولوكان اجتماعهم به صلى الله عليه وسلم قليلا مقررا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم. ثم ذكر ما رواه محمد بن قدامة المروزي بسنده إلى نبيح العنــزي عن أبي سعيد الخدري قال: كنا عنده – يعني أبا سعيد – وهو متكئ، فذكرنا عليا ومعاوية، فتناول رجل معاوية فاستوى أبو سعيد الخدري جالسا، ثم قال: كنا ننــزل رفاقا مع رسول صلى الله عليه وسلم، وكنا في رفقة فيها أبو بكر، فنــزلنا على أهل أبيات وفيهم امرأة حبلى، ومعنا رجل من أهل البادية، فقال للمرأة الحامل: أيسرك أن تلدي غلاما؟ قالت: نعم، قال : إن أعطيتني شاة ولدت غلاما فأعطته فسجع لها أسجاعا، ثم

عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها، ومعنا أبو بكر فلما علم بالقصة قام فتقيأ كل شيء أكل، قال: ثم رأيت ذلك البدوي أتي به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصار، فقال لهم عمر: لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدرى ما نال فيها لكفيتموه، ولكن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورجال هذا الحديث ثقات . وقد توقف عمر رضي الله عنه عن معاتبته فضلا عن معاقبته، لكونه علم أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك أبين شاهد على أنـــهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء، كما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري من قوله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه اهـــ .

وفي ((الجامع الصغير)): روى الطبراني في ((المعجم الكبير)) والحاكم عن عبد الله بن بسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رأى من رأى من رآني ، طوبي لهم وحسن مآب. وعن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال: طوبي لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي و لم يرني. رواه أحمد في ((المسند)) وابن حبان . وروى أحمد في مسنده أيضا والبخاري في ((التاريخ)) وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة أنه صلى الله عليه وسلم قال: طوبى لمن رآني وآمن بي مرة ، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات ، وفي رواية أخرى ثلاث مرات اهـــ. قال المناوي في ((فيض القدير)) ج٤ص ٢٨٠: قوله طوبى لمن رآني أي وأثرت فيه بركة نظري إليه ورؤيته لي ، وقوله صلى الله عليه وسلم: طوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات لأن الصحابة رضوان الله عليهم كان إيمانـــهم غيبا وشهودا، فإنـــهم آمنوا بالله وباليوم الآخر غيبا وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم شهودا ، لأنـــهم رأوا الآيات وشاهدوا المعجزات، ورأوا بأعينهم ذاته الشريفة وكمال أخلاقه ومحاسنها، وعلموا من معاشرته ومعاملته ما يحقق لهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمين وحيه، فانسد بذلك عنهم طرق الشك والتردد ، وصار علمهم برسالته صلى الله عليه وسلم وبصدقه فيها يقينا راسخا في قلوبـــهم، لا يطرقه الاحتمال أصلا ، وصار كالمحسوس الذي تراه بعينيك، وما راء كمن سمع ، وأما من بعد الصحابة فإن إيمانـــهم كله بالغيب ، آمنوا بالله تعالى وباليوم الآخر وبالنبي صلى الله عليه وسلم غيبا، و لم يشاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم بأعينهم، ولا رأوا الخوارق والمعجزات التي أظهرها الله في يديه، فصدقوا بما لم يروه ثقة بالخبر الذي وصل إليهم، ومعلوم أن الخبر ليس كالمعاينة، فلهذا أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : طوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات اهـــ وقد أخذ بعض العلماء منهم ابن عبد

البر من هذا الحديث ونحوه أنه يوجد فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة، لكن قد علمت مما تقدم أن فضيلة الصحبة ورؤية وجهه الشريف ولو لحظة لا يعدلها عمل ولا تنال درجتها بشيء من الطاعات والعبادات .

خاتمة في صفتهم

وفي ((صفة الصفوة)) ج ١ ص٣٣١: أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صلى صلاة الفجر، فلما سلم انفتل عن يمينه ، ثم مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال وقلب يده: لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزي ، قد باتوا لله سجدا وقياما ، يتلون كتاب الله ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابـــهم . والركب جمع ركبة، والمعزى بكسر الميم وسكون العين خلاف الضأن من الغنم كالمَعْز كما في ((القاموس))

وبالجملة ينبغي لكل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يعرف لهم حقهم علينا ، إذ هم الواسطة بيننا وبين من أرسله الله إلى الكون صلى الله عليه وسلم، وهم أنصاره وحماة الشريعة وحراس العقيدة، فكان له صلى الله عليه وسلم فيهم الكفاية بعد الله كما تشهد له الآية الكريمة: يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين، ويكفيهم شرفا أن وصفهم الله تعالى: بأنـــهم كفاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسبه، وهم السبب في انتشار هذه الملة الحنيفية في آفاق الأرض ، وهم المبلغون عنه صلى الله عليه وسلم، فلولاهم لانقرض الدين ولم يعقب، فجزاهم الله عن الامة المحمدية خير الجزاء. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم. ورضي الله عنهم وعنا بـــهم.

التبرك باسمه الشريف صلى الله عليه وسلم

وفي ((الفتاوي الفقهية)) للهيتمي ج ٤ ص ٢٥٩: سئل عن حديث من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا كان هو ومولوده في الجنة، من رواه ؟ فأجاب بقوله رواه أحمد وغيره. وقال: الحافظ السيوطي: وسنده عندي على شرط الحسن اهـــ .

وفي ((سعادة الدارين)) للنبهاني ص٣٩٥-٣٩٩: أنه قد ألف في فضائل اسم أحمد ومحمد أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير الحافظ كتابا ذكر فيه أحاديث كثيرة ، منها هذا الحديث المذكور، فقد رواه بطريقين ، لفظ أحدهما ما ذكرناه إلا أنه قال: وتبركا باسمي ، واللفظ الآخر: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا به كان هو ومولوده في الجنة. وروى أيضا بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ولد له ثلاثة فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل. رواه بطرق كثيرة، وروى أيضا بطرق عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اجتمع قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد فلم يدخلوه في مشورتـــهم إلا لم يبارك لهم . وروى أيضا بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سميتموه محمدا فعظموه ووقروه وبجلوه ، ولا تذلوه ولا تحقروه ولا تجبهوه تعظيما لمحمد صلى الله عليه وسلم. وفي رواية أخرى: إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه، وأوسعوا له في المجلس، ولا تقبحوا له وجها. ورواه بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أكل طعام قط من حلال عليه رجل اسمه اسمي إلا تضاعف لهم البركة في طعامهم. ورواه بسنده أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما من أهل بيت فيه من اسمه محمد إلا لم يزالوا يتعاهدهم الله عز وجل في كل يوم وليلة، يعني بالبركة في كل يوم وليلة. ورواه أيضا بسنده عن علي أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مائدة وضعت وحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس ذلك المنـــزل في كل يوم مرتين اهـــ. وفي هذه الأحاديث دلالة على أن بركة من اسمه محمد تسري إلى من يستشيره وإلى من سكن معه وإلى من أكل معه . ومن بركات هذا الاسم الشريف أنه علاج ودواء لخدر الرجل ففي ((الأذكار)) للنووي رحمه الله ص٢٧١: روى ابن السني عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند ابن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله، فقال له رجل: أذكر أحب الناس إليك فقال: يا محمد، فكأنما نشط من عقال. وروى ابن السني أيضا عن مجاهد قال: خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال ابن عباس : اذكر أحب الناس إليك فقال: محمد صلى الله عليه وسلم فذهب خدره اهـــ والخدر بفتح الخاء والدال الاسترخاء، وفي ((المصباح)) : خدر العضو خدرا من باب تعب استرخى فلا يطيق الحركة . وفي ((تاج العروس)) أن ابن عمر خدرت رجله ، فقيل له: ما لرجلك ؟ قال : اجتمع عصبها ، فقيل له : اذكر أحب الناس إليك ، فقال: محمد ، فبسطها اهـــ .

وفي ((البداية والنهاية)) ج١٤ص ١٦٨ أن الشيخ الصالح العابد الناسك أمين الدين أيمن بن محمد كان يذكر أن اسمه محمد بن محمد إلى سبعة عشر نفسا كل منهم يسمي محمدا ، توفي الشيخ أيمن سنة ٧٣٤ هـــ بالمدينة ودفن بالبقيع اهـــ. وأما من كان اسمه واسم أبيه وجده

محمدا فكثير جدا ، منهم الإمام حجة الإسلام أبوحامد الغزالي . وذكر الحافظ السخاوي في ((الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)) ج١٠ص ٣-١٨ نيفا وخمسين نفسا كل منهم محمد بن محمد بن محمد ، وكلهم في القرن التاسع، وذكر أيضا أربعة كل منهم يسمى محمد بن محمد بن محمد بن محمد إلى أربعة أنفس .

التبرك بجسده الشريف صلى الله عليه وسلم

وفي ((المواهب اللدنية)): أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : زاهر باديتنا ونحن حاضرته، وكان صلى الله عليه وسلم يحبه، فمشى صلى الله عليه وسلم يوما إلى السوق فوجده قائما، فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره، فأحسّ زاهر بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته. وروى الترمذي في ((الشمائل)) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه: أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا، وكان يهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم هدية من البادية، فيجهزه النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه، وكان صلى الله عليه وسلم يحبه، وكان رجلا دميما فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: من هذا؟ أرسلني، فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يشتري هذا العبد؟ فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: أنت عند الله غال. ذكره الترمذي في باب مزاحه صلى الله عليه وسلم. وفي ((المفاهيم)) ص ١٤٠ أخرج ابن إسحاق عن حبان ابن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية رضي الله عنه حليف بني عدي بن النجار وهو مستنصل من الصف- أي خارج- فطعنه في بطنه في القدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بدنه فقال : استقد قال: فاعتنقه فقبّل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد، فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير والحديث في ((الإصابة)) ج ٣ ص ٢١٨ أيضا .

والقدح بكسر القاف وسكون الدال السهم قبل أن يراش وينصل، كما في ((القاموس)) .

وفي ((المفاهيم)) أيضا ص ١٣٩-١٤٠ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان أسيد بن حضير رضي الله عنه رجلا صالحا ضاحكا مليحا، فبينما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث القوم ويضحكهم فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرته، فقال: أو جعتني، قال: اقتص، قال: يا رسول الله إن عليك قميصا و لم يكن علي قميص، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردت هذا .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي فقال: صحيح، قلت : والحديث عند أبي داود اهـ .

التبرك بعرقه صلى الله عليه وسلم

روى البخاري في صحيحه عن أنس أن أم سليم كانت تبسط للنبي صلى الله عليه وسلم نطعا فيقيل عندها على ذلك النطع، قال: فإذا نام النبي صلى الله عليه وسلم أخذت من عرقه وشعره، فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك وهو نائم، قال أي الراوي عن أنس: فلما حضر أنسَ بن مالك الوفاةُ أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السك قال: فجعل في حنوطه اهـ .

وفي ((فتح الباري)) ج١١ص ٧١ : وفي ذكر الشعر غرابة في هذه القصة، ثم نقل من رواية محمد بن سعد ما يزيل اللبس، وحاصل ذلك أنها لما أخذت العرق وقت قيلولته أضافته إلى شعر منه صلى الله عليه وسلم كان عندها ، وليس المراد أنها أخذت من شعره صلى الله عليه وسلم لما نام.

وروى الإمام مسلم في باب طيب عرقه صلى الله عليه وسلم والتبرك به من صحيحه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت، فقيل لها: هذا النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت يا رسول الله: نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت .

قال في ((فتح الباري)) ج ٦ ص ٥٧٣: وفي بعض طرق حديث أنس : وهو أطيب الطيب .

وفي ((سير أعلام النبلاء)) نقلا عن ابن سعد أنه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سليم: ما تصنعين ؟ قالت له: آخذ هذه البركة التي تخرج منك.

قال النووي رحمه الله في شرحه على ((صحيح مسلم)) ج ٥ ص ٨٧: العتيدة كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها. وقال الحافظ في ((فتح الباري)): العتيدة السلة، والنطع بكسر النون وفتحها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونـــها بساط من الأديم، والسك بضم السين وتشديد الكاف طيب مركب ، وقوله فزع: أي استيقظ من نومه، واستنقع بمعنى استجمع كما في ((النهاية)) .

وقال النووي رحمه الله في شرحه على مسلم في باب فضائل أم سليم: كانت أم سليم وأختها مَحرمَين له صلى الله عليه وسلم، إما من الرضاع، وإما من النسب، فتحل له الخلوة بـــهما، وكان يدخل عليهما خاصة لا يدخل على غيرهما من النساء إلا أزواجه اهـــ .

وفي ((فتح الباري)) أن ابن الجوزي قال : كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، وذكر أقوالا كثيرة غير هذا اهـــ.

قلت: أخت أم سليم هي أم حرام بنت ملحان .

وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج٢ص ٣٠٧: عن أيوب عن ابن سيرين عن أم سليم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيل في بيتي وكنت أبسط له نطعا فيقيل عليه فيعرق وكنت آخذ سكا فأعجنه بعرقه ، قال ابن سيرين فاستوهبت من أم سليم من ذلك السك فوهبت لي منه، قال أيوب: فاستوهبت من محمد بن سيرين من ذلك السك فوهب لي منه ، فإنه عندي الآن ، قال: ولما مات محمد حنط بذلك السك. رواه ابن سعد عن عبد الله بن جعفر الرقي عن عبيد الله بن عمرو عنه.

وفي ((فتح الباري)) ج٦ص ٥٧٣: أخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة في قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء ، فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه ، وقال له: مرها فلتطيب به ، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين. وسلت بمعنى أزال كما في ((المصباح)) وفي ((القاموس)) : سلت القصعة مسحها بأصبعه.

فائدة

قال الحافظ الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) ج ١٣ ص ٢٥٢: أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي بنيسابور أخبرني علي بن أحمد بن عبد العزيز الجرجاني، حدثني داود ابن سليمان بن خزيمة البخاري حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله

عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نورا فبهت ، فنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: ما لك يا عائشة بـــهت ؟ فقلت: جعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نورا، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره ، قال : وما يقول أبو كبير ؟ قالت : قلت يقول:

ومبرأ مـــن كل غُبَّر حيضة   وفساد مرضعـــة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه   برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال: جزاك الله يا عائشة عني خيرا، ما سررت مني كسروري منك، ورواه الخطيب أيضا بسند آخر، وقال: قال أبو ذر: قال أبو علي صالح بن محمد البغدادي ما معناه: وسند هذا الحديث عندي حسن اهـــ باختصار .

وفي ((نسيم الرياض شرح الشفاء)) ج١ص ٣٢٦ : روي عن عائشة رضي الله عنها أنـــها نظرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخصف نعله، وقد عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهتت، فقال ما لك تبهتين ؟ فقالت: نظرت لعرقك يتولد نورا، فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بقوله: ومبرأ من كل غبر حيضة إلى البيتين المذكورين، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني، وقال : جزاك الله عني خيرا ما سررت بشيء كسروري بـــهذا. وغبر حيضة: بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة بقاياه اهـــ باختصار. وذُكِرَتْ هذه القصة أيضا في ((تـــهذيب تاريخ ابن عساكر)) ج ١ص٣٢٥ وذكرها العمراني في باب الحيض من كتابه ((البيان)) ج١ص ٣٤٨ وزاد فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وأنت مبرأة من أن تكون أمك حملت بك في غبر الحيض. والغبر البقية اهـــ. وفي ((المشكاة)) وشرحه ((مرقاة المفاتيح)) ج٦ص ٢٣٨ : وعن جذامة بنت وهب قالت: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس وهو يقول: لقد هممت أن أنـــهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئا، رواه مسلم والغيلة: بكسر الغين المعجمة الإرضاع حال الحمل، وفي ((النهاية)): الغيلة: بفتح الغين أن يجامع الرجل زوجته وهي مرضعة وكذلك إذا حملت وهي مرضع، والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء، والعرب تكرهه وتتقيه، ذكره السيوطي، قال القاضي: كان العرب يحترزون عن الغيلة ويزعمون أنـــها تضر الولد، وكان ذلك من المشهورات الذائعة عندهم. وقال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: قال أهل اللغة: الغيلة هنا بكسر الغين ويقال لها الغيل بفتح الغين مع حذف الهاء، واختلف العلماء في المراد بالغيلة في هذا الحديث فقال مالك في ((الموطأ)) والاصمعي وغيرهما من أهل اللغة :هى أن

يجامع امراته وهي مرضع ، يقال فيه : أغال الرجل وأغيل إذا فعل ذلك، وقال ابن السِّكِّيْتِ: هو أن ترضع المرأة وهي حامل، يقال فيه : غالت وأغليت. وفي الحديث جواز الغيلة فإنه صلى الله عليه وسلم لم ينه عنها وبين سبب ترك النهي اهـــ. وأسرة الوجه خطوطه، والأسارير جمع الجمع. وفي حديث عائشة رضي الله عنها في صفته صلى الله عليه وسلم : تبرق أسارير وجهه وهي الخطوط التي في الجبهة، وهي أيضا محاسن الوجه. والعارض: السحاب. ومنه قوله تعالى: فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم، واسم أبي كبير عامر بن حليس كما في شرح ((القاموس)). وبالجملة كان وجهه صلى الله عليه وسلم نورا يتوقد وعرقه نورا يتلألأ ، وقد قالوا: وكل إناء بالذي فيه يرشح، وقال البوصيري في همزيتة:

فعله كله جميل وهل ينـــ ــــضح إلا بما حواه الإناء

بل كان كله صلى الله عليه وسلم نورا ساطعا ظاهرا وباطنا حسا ومعنى، قال تعالى: قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، فالكتاب القرآن العظيم، والنور هو نبينا الكريم الوسيم محمد صلى الله عليه وسلم. وكما كان صلى الله عليه وسلم نورا كذلك كان كله طيبا، ففي ((فتح الباري)) ج٦ص ٥٧٤: روى أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك، فيقال:مر رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـــ.

ملاحظة

لقد حدث في الإسلام من بعض الطوائف استنكار التبرك وكراهيته، بل واستقباحه ومنعه بتاتا، فالذي ينبغي للمؤمن أن يأخذ حذره عن هذا الحادث البغيض، ويقتنع بالسنن الثابتة عن سيد الكونين صلى الله عليه وسلم، وليطمئن قلبه بقوله صلى الله عليه وسلم للتي ترجو بركة عرقه: أصبت، وليستحي المسلم بعد هذا أن يقول لمن يتبرك به صلى الله عليه وسلم أو بورثته: أخطأت .

التبرك بريقه الشريف صلى الله عليه وسلم

روى مسلم رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال: لما ولدت أم سليم قالت لي: يا أنس انظر هذا الغلام فلا يصيبن شيئا حتى تغدو به إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحنكه قال: فغدوت فإذا هو في الحائط وعليه خميصة جونية وهو يسم الظهر الذي قدم عليه في الفتح.

قال النووي في شرحه على ((صحيح مسلم)) في باب جواز وسم الحيوان غير الآدمي في غير الوجه ج١٤ص٩٨–١٠٠: في هذا الحديث فوائد، منها حمل المولود عند ولادته إلى واحد من

أهل الصلاح والفضل يحنكه بتمرة ليكون أول ما يدخل في جوفه ريق الصالحين فيتبرك به. والخميصة كساء من صوف أو خز ، والجونية منسوبة إلى بني الجون قبيلة من الأزد اهـــ. قوله: يسم الظهر من وسم دابته بالميسم وسما. والوسم أثر الكي، والسمة العلامة، وقوله: الظهر المراد به الإبل، سميت بذلك لأنـــها تحمل الأثقال على ظهرها .

وروى مسلم أيضا عن أنس رضي الله عنه قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عباءة يهنأ بعيرا له فقال: هل معك تمر ؟ فقلت: نعم، فناولته تمرات فألقاهن في فيه فلاكهن، ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه، فجعل الصبي يتلمظه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حب الأنصار التمر وسماه عبد الله اهـــ وقال النووي في ((شرحه على مسلم))ج١٤ص١٢٣: قوله: يهنأ أي يطليه بالقطران، وقوله: فلاكهن أي مضغهن، وقوله: فغر فا الصبي أي فتح فم الصبي، وقوله، يتلمظه أي يحرك لسانه لتتبع ما في فمه من آثار التمر، والتلمظ فعل ذلك باللسان يقصد به فاعله تنقية الفم من بقايا الطعام، وكذلك ما على الشفتين، وأكثر ما يفعل ذلك في شيء يستطيبه. وقوله: حب الأنصار روي بكسر الحاء بمعنى المحبوب كالذبح بمعنى المذبوح، فالباء مرفوعة أي محبوب الأنصار التمر، وروي بضم الحاء وهو مصدر، وعلى هذا فباء حب منصوبة فتقديره: انظروا حب الأنصار التمر، فالتمر منصوب أيضا، ويجوز رفع الباء فهي مبتدأ حذف خبره أي حب الأنصار التمر لازم أو نحوها اهـــ.

وروى الإمام مسلم أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم : هو أسكن مما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: أعرستم الليلة ؟ قال: نعم، قال: اللهم بارك لهما، فولدت غلاما، فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، وبَعَثَتْ معه بتمرات، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أمعه شيء ؟ قالوا: نعم تمرات، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير: أن أسماء بنت أبي بكر خرجت حين هاجرت وهي حبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمت قباء فَنُفِسَتْ بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نفست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنكه، فأخذه رسول الله

صلى الله عليه وسلم منها فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة قال: قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها ثم بصقها في فيه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه وسماه عبد الله ، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه مقبلا إليه ثم بايعه. قال النووي في شرحه ج١٤ص ١٢٦ قوله: صلى عليه أي دعا له، وذكر أيضا أن فيه استحباب مسح المولود للتبريك، وفسر قوله ثم بايعه: بأنـــها بيعة تبريك وتشريف لا بيعة تكليف اهـــ .

وروى الإمام مسلم في صحيحه : عن أسماء بنت أبي بكر أنـــها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة، فنـــزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام . قال النووي في شرح هذا الحديث: يعني أول من ولد في المدينة بعد الهجرة من أولاد المهاجرين، وإلا فالنعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما ولد قبله بعد الهجرة، وقولها: وأنا متم أي قريبة الولادة .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة . وروى الإمام مسلم في صحيحه : عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ج١ص ٤: يغلب على الظن أن من الصحابة كل من ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة من النساء والرجال، ممن مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو في دون سن التمييز، وإنما يلحق بالصحابة للظن الغالب على أنه صلى الله عليه وسلم رآهم لتوفر دواعي أصحابه على إحضارهم أولادهم عنده صلى الله عليه وسلم عند ولادتـــهم ليحنكهم ويسميهم ويبرك عليهم، والأخبار بذلك كثيرة شهيرة. وأخرج الحاكم في كتاب الفتن في ((المستدرك)) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: ما كان يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له – الحديث. وأخرج ابن شاهين في كتاب ((الصحابة)) في ترجمة محمد بن طلحة بن عبد الله أنه لما ولد محمد بن طلحة أتي به النبي صلى الله عليه وسلم ليحنكه ويدعو له، وكذلك كان يفعل بالصبيان اهـــ باختصار.

وقال النووي: تحنيك المولود سنة بالإجماع . وقال الحافظ في ((الإصابة)) ج ٤ص ١٤٣ أيضا: وفي ((معجم البغوي)) أن ابن عمر رضي الله عنه كان يقرب ابن عباس رضي الله عنه ويقول: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك فمسح رأسك وتفل في فيك، وقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وقال أيضا : روى ابن خثيم عن ابن عباس نحوه .

ورواه الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) ج١ص ١٧٤ بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ قريب إلى رواية البغوي .

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في إطعامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الخندق من صاع شعير وعناق أنه صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك، وقال جابر: أقسم بالله أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا يخبز كما هو، وقد كان عددهم ألفا وهو حديث طويل.

وروى البخاري في غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتي فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. وروى مسلم نحوه. وقال القسطلانى في ((المواهب اللدنية)): روى الطبراني من حديث علي قال: فمارمدت ولاصدعت منذ دفع إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر. وروى الحاكم من حديث علي قال : فوضع صلى الله عليه وسلم رأسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بـــها عيني . وفي الطبراني: قال علي: فما اشتكيتهما حتى الساعة، ودعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما حتى يومى هذا. والقر: بالضم البرد كما في ((القاموس)) .

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنهما قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتيّ، فأتيت بـــهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانـــهما، وبصق فيهما فعادتا تبرقان. قلت: وروى قصة قتادة البيهقي في ((الدلائل)) ج٣ص ٢٥١، والحافظ ابن حجر في ((الإصابة)) ج٥ ص ٤١٧ والدارقطني، والقاضي عياض في ((الشفاء)) وغيرهم . وفي ((نسيم الرياض)) ج٣ص ١٠٥: واختلف هل قلعت عينه أو عيناه؟ والمشهور الأول، ورجح ابن حجر الهيتمى في شرح الهمزية الثاني، واختلف أيضا هل انفصلت أو لا ؟ فقيل: إنـــها بقيت معلقة وقيل: سقطت فأتى بـــها أو بـــهما في كفه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت فاصبر ولك الجنة، وإن شئت رددتـــها، قال يا رسول الله: إني محب للنساء ، وعندي امرأة أحبها فأخشى أن تقذرني فردها وادع الله لي بالجنة، ففعل فكانت أقوى عينيه وأحسنهما.

وفي ((المواهب)) ج٢ص ٥٨٠-٥٨١ و((نسيم الرياض)) ج٣ص ١٠٧ : روى ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بـــهما شيئا، وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضتان اهـــ . وروى البخاري أنه أصيب سلمة بن الأكوع يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط. وفي ((الشفاء)) أنه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد ، قال : فما ضرب علي ولا قاح اهـــ . وفي ((نسيم الرياض)) ج٣ص١٠٥ قوله ما ضرب عليّ أي ما آلمني يقال: ضرب الدهر بمعنى آلم، وقوله: ولا قاح من القيح أي ما سال منه قيح، وذي قرد بفتح القاف والراء وروي بضمهما، وهو اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين اهـــ

وأخرج البيهقي في ((الدلائل)) ج ٣ ص ٩٧-٩٨: أن خبيب بن عدي ضرب يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق. قوله: لأمه في ((المقاييس)) لابن فارس : لأمت الجرح والصدع إذا سددت ، وإذا اتفق شيئان فقد التأما .

وأخرج البيهقي أيضا في ((الدلائل)) ج ٣ ص ١٠٠: والهيثمي في ((مجمع الزوائد)): أن رفاعة ابن رافع بن مالك قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، قال: فأَطْعَنُهُ بالسيف فيها طعنة، ورُمِيْتُ بسهم يوم بدر ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي، فما آذاني منها شيء .

وذكر البيهقي في ((الدلائل)) ج٦ ص ٢٢٧ والعسقلاني في ((الإصابة)) ج٦ص ٢٤٦: أن ثابت بن قيس بن شماس فارق جميلة بنت عبد الله بن أبي وهي حامل بمحمد، فلما ولدته حلفت أن لا تلبنه من لبنها، فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في فيه وحنكه بتمرة عجوة وسماه محمدا، وقال: اخْتَلِفْ به فإن الله رازقه، فأتيته اليوم الأول والثاني والثالث فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس ، فقلت لها: ما تريدين منه ؟ أنا ثابت، فقالت: رأيت في منامي هذه الليلة كأني أرضع ابنا له يقال له: محمد، فقال: فأنا ثابت وهذا ابني محمد، قال: وإذا درعها ينعصر من لبنها اهـــ واللفظ للبيهقي.

وفي ((الإصابة)) اذهب به بدل قوله: اختلف به وقوله: أن لا تَلبُنه أي لا تسقيه بلبنها، يقال: لبنته إذا سقيته اللبن. وفي ((القاموس)) وشرحه لَبَنَه يلبنه من باب ضرب ونصر.

وأخرج البيهقي في ((الدلائل)) ج ٦ ص ٢٢٥: أن عامر بن كريز أتى بابنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين أو ست سنين، فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في فيه، فجعل يزدرد ريق النبي صلى الله عليه وسلم ويتلمظ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن ابنك هذا مسقى، قال: فكان يقال: لو أن عبد الله قدح حجرا أماهه، يعني يخرج من الحجر الماء من بركته. وفي شرح ((القاموس)) : قدح الختام قدحا فضه. والقدوح الركي تغرف باليد . وفي ((أساس البلاغة)) للزمخشرى: بئر قدوح لا يوجد ماؤها إلا غَرفة غَرفة .

وأخرج البيهقي في ((دلائل النبوة)) ج ٦ ص ٢٢٦: بسنده عن علية بنت الكميت العتكية عن أمها أميمة قالت: قلت لأمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أمة الله أسمعت أمك رزينة تذكر أنـــها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر صوم يوم عاشوراء قالت: نعم، كان يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة، ويتفل في أفواههم، ويقول للأمهات: لا ترضعنهن إلى الليل .

وروى ابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) ص ٢٨٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة زواج علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهما قال أنس :فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ائتوني بماء، قال علي: فقمت فملأته القعب فأتيته به ، فأخذه ومج فيه ثم قال لي: تقدم، فَصَبَّ على رأسي وبين يدي، ثم قال : اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم، ثم قال: أدبر فأدبرت فصب بين كتفي، ثم قال: اللهم أني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم، ثم قال: يا علي ادخل باسم الله بأهلك على البركة اهـــ . باختصار. وقوله: فملأت القعب في ((القاموس وشرحه)) القَعب القدح الضحم الغليظ، وقيل: قدح من حشب .

وروى البيهقي في ((دلائل النبوة)) ج٥ ص ٤٤٤ : عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند جمرة العقبة راكبا ووراءه رجل يستره من رمي الناس، فقال: يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا، ومن رمى جمرة العقبة فليرمها بمثل حصى الخذف، قالت: ورأيت بين أصابعه حجرا ، قالت: فرمى ورمى الناس، قالت: ثم انصرف، فجاءت امراة ومعها ابن لها به مس، قالت: يا نبي الله ابني هذا، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت بعض الأخبية، فجاء بتور من حجارة فيه ماء فأخذ بيده فمج فيه ودعا فيه وأعاد فيه، ثم أمرها فقال: اسقيه واغسليه فيه، قال: فتبعتها، فقلت: هبني لي من هذا الماء، فقالت: خذي منه فأخذت منه حفنة فسقيته ابني عبد الله فعاش فكان من بره ما شاء الله أن

يكون، قالت: ولقيت المرأة فزعمت أن ابنها برئ وأنه غلام لا غلام خير منه قوله: قال: فتبعتها. كذا في نسخة ((دلائل النبوة)) والظاهر – قالت- والله أعلم. قوله بتور: التور إناء يشرب فيه، قوله: هبني لي كذا في نسختي ولعله هبي لي .

وأخرج البيهقي في ((الدلائل)) ج٦ ص١٧٤-١٧٥ بسنده: أن محمد بن حاطب قال: وقعت على يدي القدر فاحترقت، فانطلقت بي أمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتفل عليها ويقول: أذهب الباس رب الناس، وأحسبه قال: واشف أنت الشافي. وفي رواية أخرى: أن أم محمد بن حاطب قالت له: أقبلت بك من أرض الحبشة، حتى إذا كنت من المدينة بليلة أو ليلتين فطبخت لك طبيخا ففني الحطب، فَرُحْتُ لطلب الحطب فتناولت القدر فانكفت على ذراعك، فقدمت المدينة فأتيت بك النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت يا رسول الله هذا محمد بن حاطب، وهو أول من سمي بك ، فمسح على رأسك ودعا بالبركة، ثم تفل في فيك ، وجعل يتفل على يديك، وهو يقول: أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما، قالت: فما قمت من عنده حتى برئت يدك وذكره أيضا القاضي عياض في ((الشفاء)) وقال الشهاب الخفاجي في ((نسيم الرياض)) ج٣ص ١١٢ وملا علي سلطان قارئ في شرحه عليه أيضا ج٣ص١١٣: رواه النسائي والطيالسي. قوله انكفت: الذي في ((الشفاء)): انكفأت وهو الصواب إن شاء الله، ومعناه انقلبت.

وأخرج البيهقي في ((الدلائل)) ج٦ ص ١٧٦ عن شرحبيل الجعفي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة، فقلت: يا رسول الله هذه السلعة قد آذتني تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه عنان الدابة، فقال : ادن مني، فدنوت منه، فقال لي: افتح كفك ففتحتها، ثم قال: اقبضها فقبضتها ثم قال: ادن مني فدنوت منه فقال: افتحها ففتحتها، فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما أدري أين أثرها. وقائم السيف مقبضها كما في ((تاج العروس)) ويقال: قائمة السيف أيضا .

وذكر حديث شرحبيل القاضي عياض في ((الشفاء)) مختصرا.

وقال شارحه الشهاب الخفاجي ج٣ص ١١٣: رواه الطبراني والبيهقي. وشرحبيل بضم الشين وفتح الراء وسكون الحاء وموحدة مكسورة صحابي، وقوله: سلعة بكسر السين، وهي زيادة تحدث بين الجلد واللحم كالغدة ، وعنان الدابة ما يقاد به الفرس ونحوه .

وفي ((الشفاء)) للقاضي عياض: أن كلثوم بن الحصين رُمى يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ. وحصين بضم الحاء وفتح الصاد، وكلثوم صحابي شهد أحدا وبايع تحت الشجرة.

وأخرج البيهقي في ((الدلائل)) ج٦ ص ١٧٨: أن حبيب بن إساف قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه فقلنا: إنا نشتهي معك مشهدا، قال: أسلمتم؟ فقلنا: لا قال: فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين، قال: فأسلمت فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابتني ضربة على عاتقي، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فتفل فيها فألزقها فالتئمت وبرئت، وقتلت الذي ضربني ، ثم تزوجت ابنة الذي ضربته فقتلته، وحدثتني وكانت تقول: لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فأقول: لا عدمت رجلا عجل أباك إلى النار انتهى باختصار وذكره العسقلاني في ((الإصابة)) ج ٢ ص ٢٦٢ مختصرا. وذكر هذا الحديث القاضي في ((الشفاء))، وقال الشهاب الخفاجي في ((نسيم الرياض))ج ٣ص١١١: قوله: خبيب بالتصغير أي بضم الخاء المعجمة وفتح الباء، وإساف بكسر الهمزة ويقال: يساف بكسر الياء أو بفتحها، وقوله: الوشاح بالضم والكسر وهو أديم عريض يرصع بالجواهر فتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها كما في ((القاموس))، قال الخفاجي تعني الضربة التي في محل الوشاح .

وفي ((الشفاء)) أن أبا جهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء، فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب. وقال الشهاب الخفاجي في ((نسيم الرياض)) ج٣ ص ١١١: أي فلصقت كما كانت في مكانـــها ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة ريقه الشريف الذي تفله عليها. وروي أن معاذ بن عفراء قتل أبا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه وأجهضه القتال، فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه، فلما آذته وضع عليها قدمه فقطعها. ذكر هذه الرواية ابن سيد الناس ونقلها عن المصنف في غير هذا الكتاب، فيحتمل أن أبا جهل قطع يد معوذ ثم استشهد، وقطع ابنه عكرمة يد معاذ والله أعلم، ومعوذ ومعاذ أخوان وأمهما عفراء بنت عبيد، ولهما أخ آخر اسمه عوف شهدوا كلهم بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بـــها، وبقي معاذ بن عفراء إلى زمان عثمان ابن عفان رضي الله عنهم. ومعوذ بن عفراء بضم الميم وفتح العين وتشديد الواو المكسورة وتفتح اهـــ .

وفي ((الشفاء)) انه صلى الله عليه وسلم نفث في رجل زيد بن معاذ حين أصابـــها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت، وقال الشهاب الخفاجي وملا علي بن سلطان قارئ في شرحيهما على ((الشفاء)) ج٣ ص ١٠٩: رواه عبد بن حميد في تفسيره ثم قال علي بن سلطان قارئ: ورواه ابن إسحاق والواقدي لكن قالا بدل زيد بن معاذ: الحارث بن أوس . ورواه البيهقي وذكر بدلهما عباد بن بشر وهو ممن حضر قتل كعب، وأما زيد بن معاذ فقال الحلبي : لا أعرف أنه ذكر في هذه الواقعة بل ولا في الصحابة أحد يقال له: زيد بن معاذ إلا أن يكون أحد نسب إلى جده أو جد له أعلى .

وفي ((الشفاء)) أنه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تُمِدّ، وأنيس بالتصغير هو ابن أسعد بن حرام وقوله: فلم تمد بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة أي لم يبق فيها مدة بكسرالميم وهي القيح.

قال الخفاجي في شرحه ج ٣ ص ١٠٨: وروى هذا الحديث الطبراني مسندا.

وفي ((الشفاء)) أيضا أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه، أي برأ في مكانه.

وروى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنـــهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ألفا وأربعمائة أو أكثر، فنـــزلوا على بئر فنـــزحوها، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى البئر وقعد على شفيرها ثم قال: ائتوني بدلو من مائها فأتي به، فبصق فدعا، ثم قال: دعوها ساعة، فأرووا أنفسهم وركابـــهم حتى ارتحلوا. قال الحافظ في ((الفتح)) ج٧ص ٤٤٢: والنَّـــزح أخذ الماء شيئا بعد شيء إلى أن لا يبقى منه شيء.

وروى مسلم في كتاب الجهاد والسير في باب غزوة ذي قرد عن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: حدثني أبي قال: قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها، قال: فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جَبَا الركية فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا .

والركية البئر، وجباها ما حولها، وقوله: فجاشت أي ارتفعت وفاضت .

وفي رواية للبيهقي في ((الدلائل)) ج٤ ص ١١٢: أن عروة بن الزبير ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم قال: وخرجت قريش من مكة، فسبقوه إلى "بلدح" وإلى الماء فنـــزلوا عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد سبق نزل إلى الحديبية، وذلك في حر شديد وليس بـــها إلا بئر واحدة، فأشفق القوم من الظمأ والقوم كثير، فنـــزل فيها رجال يميحونـــها،

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فتوضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج به وأمر أن يصب في البئر، ونزع سهما من كنانته فألقاه في البئر، ودعا الله تبارك وتعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتيها .

وروى عروة هذا الحديث عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة كما يفهم من عبارة البيهقي والله أعلم. و"بلدح" واد قِبَل مكة أو جبل بطريق جُدَة. وفار الماء: هاج ونبع. وقوله: يميحونـــها من الميح وهو كما في ((القاموس)) أن تدخل البئر فتملأ الدلو لقلة مائها .

وفي ((الشفاء)) وشرحه ((نسيم الرياض)) ج٣ص ١٠٦: روى أبو نعيم عن عروة أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها،فأعطاها رسوله،فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به، فأتاه به على شفا فشربـــها فشفاه الله. وقوله: حثوة من حثا يحثو أي أخذ قبضة من التراب، وقوله: شفا بفتح الشين المعجمة والشفا مقصور أي قريب من الموت، وقوله : فشربـــها أي وضع الحثوة في ماء وشربـــها فشفاه الله عليه ببركته صلى الله عليه وسلم .

وفي ((البخاري)) في باب متى يصح سماع الصبي عن محمود بن الربيع قال: عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو ، قال العيني في شرحه عليه ج٢ص ٧١-٧٣: معنى عقلت عرفت أو حفظت، والمجة رمي الشراب من الفم، وإنما مج في وجهه لإفادته البركة.

وروى البخاري في باب غزوة الطائف عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: ألا تنجز ما وعدتني ؟ فقال له : أبشر ، فقال : قد أكثرت علي من أبشر فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، وقال: رد البشرى فاقبلا أنتما قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال: اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا ، فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة. وروى البخاري هذا الحديث مختصرا، في باب استعمال فضل وضوء الناس. وقال الحافظ العسقلاني في شرحه في هذا الباب ج١ ص ٢٩٥: قوله: ومج فيه أي صب ما تناوله من الماء في الإناء، والغرض بذلك إيجاد البركة بريقه المبارك اهــ.

واعلم أنه ذكر الفقهاء وعلماء المناسك أنه صلى الله عليه وسلم بصق في آبار المدينة المنورة وأنه يسن الشرب من مائها ،وذكر منها الهيتمي سبعة في حاشيته على ((مناسك الحج)) للإمام النووي رحمهما الله تعالى ص ٥٠٨ – ٥١٠ وهي:

١. بئر غرس بمعجمة مضمومة أو مفتوحة، ورد أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل منها وكان يشرب منها، وأنه صلى الله عليه وسلم قال: إني رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة فأصبح على بئر غرس، فتوضأ منها وبزق فيها، وأهدي له عسل فصبه فيها.
٢. وبئر بضاعة بموحدة مضمومة ورد أنه صلى الله عليه وسلم توضأ من دلو منها ورده إليها وبصق فيها. وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما كنا نغسل المرضى منها ثلاثة أيام فيعافون.
٣. وبئر أنس بن مالك رضي الله عنه، ورد أنه صلى الله عليه وسلم بزق فيها فلم يكن بالمدينة أعذب منها.
٤. وبئر إهاب، ورد أنه صلى الله عليه وسلم بزق فيها ولم يزل أهل المدينة يتبركون بـها وينقل إلى الآفاق من مائها كما ينقل من ماء زمزم ، وسموها ((بزمزم)) لبركتها.
٥. وبئر القراضة ، ورد أنه صلى الله عليه وسلم بصق فيها.
٦. وبئر الفريضة ، ورد أنه صلى الله عليه وسلم توضأ منها وشرب وبصق فيها .
٧. وبئر اليسيرة – من اليسر ضد العسر– ، ورد أنه صلى الله عليه وسلم سماها بذلك لما قيل له: إن اسمها عسيرة وبصق فيها وبرك .

فائدة

وفي ((مغني المحتاج في شرح المنهاج)) للخطيب الشربيني : يسن أن يأتي بئر أريس فيشرب منها ويتوضأ، وكذلك بقية الآبار السبعة، وقد نظمها بعضهم في بيت فقال:

أريس وغرس رومة وبضاعة كذا بصّة قل بيرحاء مع العهن

فأما أريس بوزن جليس فسيأتي في التبرك بخاتمه صلى الله عليه وسلم، ورومة بضم الراء هي التي اشتراها عثمان رضي الله عنه لما قال صلى الله عليه وسلم: من يشتري رومة فيتصدق بـها، وبصة قال الهيتمي: بموحدة مضمومة فمهملة مخففة، وقيل: مشددة من وبص كوعد إذا بلغ أو أعطى، أو من بص الماء إذا رشح ، وبيرحاء ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، والعهن بكسر فسكون قيل: إنـها اليسيرة المذكورة.

قال النووي في ((الإيضاح)) يستحب أن يأتي الزائر لقبره صلى الله عليه وسلم الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل، فيشرب ويتوضأ وهي سبع آبار اهـــ.

وقال الهيتمي في حاشيته: قيل: وتزيد الآبار على ذلك ثم ذكر تسعة عشر، وقال: حصر المصنف وغيره لها في سبع كأنه للذي اشتهر معرفته اهـــ.

وفي ((مجمع الزوائد)) ج ٥ ص ٨٣ في باب المج في الإناء رجاء البركة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منـــزلنا، فناولته دلوا فشرب ثم مج في الدلو. رواه البزار ورجاله ثقات. وفي ((فتح الباري)) ج ٦ ص ٥٧٣: روى الإمام أحمد عن وائل بن حجر ما لفظه : أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب منه، ثم مج في الدلو، ثم في البئر ، ففاح منه مثل ريح المسك .

وفي ((الشفاء)) وشرحه ((نسيم الرياض)) ج٣ ص ١٣٦: روى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم أتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصارت أطيب من المسك .

وفي ((الشفاء)) وشرحه ((نسيم الرياض)) أيضا ج ٣ ص ١٣٦: أنه صلى الله عليه وسلم بزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها. رواه أبو نعيم في ((دلائله)). وفيهما أيضا ج٣ ص ١٤٨ أن رجلا به أدرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرئ. والأدرة بضم الهمزة وسكون الدال انتفاخ في الخصيتين.

خاتمة

لقد ذكرنا كثيرا ممن اختارهم الله لبلع ريق حبيبه صلى الله عليه وسلم في حياته ، فنتبرك بذكر أفراد شرفهم الله بذلك أيضا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

فمنهم نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة، ففي ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ج٧ ص٣٣٧: روي أن نافعا كان إذا تكلم توجد من فيه ريح مسك فسئل عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم تفل في في. ولد نافع سنة بضع وسبعين، وتوفي سنة تسع وستين ومائة اهـــ

وقال الذهبي أيضا في ((معرفة القراء الكبار)) ج١ص ١٠٨-١٠٩: قال أحمد بن هلال المصري: قال لي الشيباني : قال لي رجل ممن قرأ على نافع: إن نافعا كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، فقلت له: يا أبا عبد الله أو يا أبا رويم أتتطيب كلما قعدت تقرأ ؟ قال: ما أمس طيبا، ولكني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في فيّ فمن ذلك الوقت أشم من فيّ هذه الرائحة.

ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله: ففي ((تــــهذيب الأسماء واللغات)) للإمام النووي ج١ص ٨٤ قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قبل حلمى، فقال لي: يا غلام، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: ممن أنت ؟ قلت: من رهطك، قال : ادن مني، فدنوت منه، ففتح فمي فأمرّ من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال: امض بارك الله فيك، فما أذكر لحنت في حديث بعد ذلك ولا شعر.

ومنهم الشيخ عبد القادر الجيلاني

قال ابن حجر الهيتمي في ((الفتاوي الحديثية)) ص ٢٥٦ ما نصه: حكى ابن الملقن في ((طبقات الأولياء)) أن الشيح عبد القادر الجيلي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لي: يا بني لم لا تتكلم ؟ قلت يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء بغداد، فقال لي: افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا وقال: تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتج عليّ، فرأيت عليا قائما بإزائي في المجلس فقال: يابني لم لاتتكلم ؟ فقلت ياأبتاه قدارتج عليّ فقال: افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا، قلت: لم لا تكملها سبعا ؟ قال: أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم توارى عني فتكلمت اهـــ.

ومثله في ((قلائد الجواهر)) للشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي ص ١٣ اهـــ.

ومنهم الشيخ سعد الدين التفتازاني

ففي ((شذرات الذهب)) لابن عماد الحنبلي ج ٦ ص ٣٢١ : حكى بعض الأفاضل أن الشيخ سعد الدين كان في ابتداء طلبه بعيد الفهم جدا و لم يكن في جماعة شيخه العضد أبلد منه، ومع ذلك كان كثير الاجتهاد، و لم ييئسه جمود فهمه من الطلب ، فاتفق أن أتاه إلى خلوته رجل لا يعرفه فقال له: قم يا سعد الدين لتذهب إلى السير، فقال: ماللسير خلقت، أنا لا أفهم شيئا مع المطالعة فكيف إذا ذهبت إلى السير و لم أطالع ؟ فذهب وعاد وقال له: قم بنا إلى السير فأجابه بالجواب الأول و لم يذهب معه، فذهب الرجل وعاد وقال له: مثل قال أولا، فقال: ما رأيت أبلد منك ألم أقل لك: ما للسير خلقت ؟ فقال له: رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك، فقام منــــزعجا و لم ينتعل بل خرج حافيا حتى وصل إلى مكان خارج البلد به شجيرات، فرآى النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه تحت تلك الشجيرات، فتبسم له وقال له: نرسل إليك المرة بعد المرة و لم تأت؟ فقال: يا رسول الله ما علمت أنك المرسل وأنت أعلم بما اعتذرت به من سوء فهمي وقلة حفظي وأشكو إليك ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم: افتح فمك وتفل له فيه ودعا له، ثم أمر بالعود إلى منـــزله وبشره بالفتح، فعاد وقد تضلع علما ونورا. توفي رحمه الله سنة أحد وتسعين وسبعمائة بسمرقند .

التبرك بمضمضته صلى الله عليه وسلم

روى النسائي عن طلق بن علي رضي الله عنه قال: خرجنا وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه، وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا، فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه لنا في إداوة وأمرنا فقال: اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانـــها بـــهذا الماء واتخذوها مسجدا، قلنا: إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف، فقال: مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبا .

قال الملا علي بن سلطان قاري في ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) ج٢ص ٢٠٤: ورواه ابن حبان في صحيحه مطولا فقال: عن طلق بن علي قال: خرجنا ستة وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من بني حنيفة وسادس من ضبيعة بن ربيعة حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعناه وصلينا معه وأخبرنا بأن بأرضنا بيعة لنا، واستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ منه وتمضمض ثم صبه لنا في إداوة ثم قال: اذهبوا بـــهذا الماء فإذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم ثم انضحوا مكانـــها من هذا الماء واتخذوا مكانـــها مسجدا، قلنا: يا رسول الله البلد بعيد والماء ينشف، قال: فأمدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبا، فخرجنا فتشاححنا على حمل الإداوة أينا يحملها، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل رجل منا يوما وليلا، فخرجنا بـــها حتى قدمنا بلدنا فعملنا الذي أمرنا، وراهب ذلك القوم رجل من طيئ، فنادينا بالصلاة، فقال الراهب: دعوة حق ثم هرب فلم ير بعد، نقله ميرك عن ((التخريج)) انتهى .

قلت: ورواه البيهقي في ((دلائل النبوة)) ج٢ ص ٥٤٢-٥٤٣ قوله: بيعة بكسر الباء، وهي معبد النصارى، وقوله طهوره: بفتح الطاء هو ما يتطهربه، والاداوة ظرف صغير من جلد، وقوله ينشف . قال القاري: بالتخفيف على صيغة المجهول يقال: نشف الثوب العرق ونشف الحوض الماء شربه اهـــ. قال في ((القاموس)) : نشف كسمع ونصر، ونشف الماء في الأرض ذهب اهـــ فهي تتعدى بنفسها إذا كانت بمعنى شرب وتتعدى بحرف إذا كانت بمعنى ذهب . وقوله مدوه: أي زيدوا عليه ماء آخر . قال في ((المرقاة)): قوله فإنه لايزيده إلاطيبا اي لايزيدالماء الوارد الماء المورود ، وقال ابن حجر الهيتمي الأولى العكس، أي إن المورود لايزيد الوارد إلاطيبا، لأن ما أصاب بدنه عليه الصلاة والسلام لايطرقه تغير بل هو باق على غاية

كماله الذي حصل له بواسطة ملامسته لتلك الأعضاء الشريفة، فكل ما مسه أكسبه طيبا، وقال الهيتمي: وفيه التبرك بفضلته صلى الله عليه وسلم ونقله إلى البلاد، ونظيره ماء زمزم فإنه عليه الصلاة والسلام يستهديه من أمير مكة ليتبرك به أهل المدينة، ويؤخذ من ذلك أن فضلة وارثيه من العلماء والصالحين كذلك اهـــ.

وروى البخاري والبيهقي في ((الدلائل)) عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح – فتح مكة – وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنـــزحناها ، فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنا أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

قال الحافظ في ((الفتح)) ج ٧ص ٤٤٢: وأصدرتنا أي رجعتنا، يعني أنـــهم رجعوا عنها وقد رووا .

التبرك بنخامته صلى الله عليه وسلم

ذكر الإمام البخاري في صحيحه في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط حديثا طويلا قال فيه: ثم إن عروة يعني ابن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بـــها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتـــهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بـــها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتـــهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له.

قال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) ج٥ ص٣٤١ : في هذا الحديث التبرك بفضلات الصالحين. قوله يرمق: بضم الميم أي يلحظ. وقوله وما يحدون: بضم أوله وكسر المهملة أي يديمون اهـــ. وفي ((كتاب حياة الصحابة)) ج٢ص ٣٢٥ : أخرج البيهقي عن الزهري قال: حدثني من لا أتـــهم من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أو تنخم ابتدروا نخامته فمسحوا بـــها وجوههم وجلودهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لم تفعلون هذا ؟

قالوا: نلتمس به البركة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره، كذا في ((الكنـــز)) ج ٨ ص ٢٢٨ اهــ.

التبرك بالماء المتفجر من بين أصابعه الكريمة صلى الله عليه وسلم

أخرج البخاري في باب شرب البركة والماء المبارك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قد رأيتني مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فأتي النبي صلى الله عليه وسلم به فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال: حي على أهل الوضوء، البركة من الله ، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة، قال سالم بن أبي الجعد: قلت لجابر: كم كنتم يومئذ قال: ألفا وأربعمائة اهــ قال الحافظ في ((الفتح)) ج١٠ ص١٠٢: وقوله لا آلو- أي لا أقصر – والمراد أنه جعل يستكثر من شربه من ذلك الماء لأجل البركة . وفي رواية حي على الوضوء بإسقاط لفظ أهل، وهي أصوب. قال ابن بطال: يؤخذ منه أنه لا سرف ولا شره في الطعام أو الشراب الذي تظهر فيه البركة بالمعجزة بل يستحب الاستكثار منه اهــ .

التبرك بوضوئه صلى الله عليه وسلم الوضوء بفتح الواء الماء الذي يتوضأ به

روى الإمام مسلم في صحيحه رحمه الله تعالى عن عون بن أبي جحيفة أن أباه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالا أخرج وَضوءً فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوَضوءَ، فمن أصاب منه شيئا تمسح به، ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه، ثم رأيت بلالا أخرج عَنَـــزة فركزها، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء مشمرا فصلى إلى العَنَـــزَة بالناس ركعتين، ورأيت الناس والدواب يمرون بين يدي العنـــزة. وروى مسلم أيضا بسند آخر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو بالأبطح في قبة له حمراء من أدم قال: وخرج بلال بوضوئه فمن نائل وناضح- الحديث، قال النووي في شرحه ج٤ ص ٢١٨-٢١٩: معناه: فمنهم من ينال منه شيئا ومنهم من ينضح عليه غيره شيئا مما ناله ويرش عليه بللا مما حصل له .

وذكرنا قريبا حديث وإذا توضأ صلى الله عليه وسلم كادوا يقتتلون على وضوئه.

وروى البخاري ومسلم والنسائي عن جابر رضي الله عنه قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصب عليّ من وضوئه فعقلت، وفي رواية لمسلم أن جابرا قال: عادني النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة يمشيان فوجدني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ ثم رش عليّ منه فأفقت ، قال النووي في شرحه ج١١ص ٥٥-٥٦ : في هذا

الحديث التبرك بآثار الصالحين، وفضل طعامهم وشرابـــهم ونحوهما، وهذا يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم صب من الماء الباقي في الإناء أو من الماء الملاقي أعضاءه صلى الله عليه وسلم في الوضوء اهـــ .

وروى النسائي في ((عمل اليوم والليلة)) ص ٩٧ وابن السنيّ في ((عمل اليوم والليلة))ص ٢٨٦ في قصة زواج علي بن أبي طالب وفاطمة أنه صلى الله عليه وسلم توضأ بماء ثم أفرغه على علي بن أبي طالب، فقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شبلهما. يعني ولدهما لأن الشبل بكسر الشين ولد الأسد إذا أدرك الصيد.

وروى البخاري في باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم ومسلم عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة. والزر بكسر الزاي وتشديد الراء الذي يوضع في القميص وجمعه أزرار، وفي ((فتح الباري))ج١ ص ٢٩٦: الحجلة بفتح الحاء والجيم واحدة الحجال وهي بيوت تزين بالثياب والأسرة والستور لها عرى وأزرار، وقيل المراد بالحجلة الطير، يقال للأنثى منه حجلة، وعلى هذا فالمراد من زرها بيضتها، وفي حديث آخر مثل بيضة الحمامة. قلت: رواه البخاري في مواضع من صحيحه باختلاف يسير في بعض الألفاظ اهـــ .

التبرك بغمس يده صلى الله عليه وسلم في مياههم ومسحهم بـــها في وجوههم وصدورهم وما يشبه ذلك

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها. قال النووي رحمه الله تعالى في ((شرحه على صحيح مسلم)) ج١٥ص ٨٢: في هذا الحديث صبره صلى الله عليه وسلم على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابته من سأله حاجة أو تبريكا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا، وفيه التبرك بآثار الصالحين، وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية .

وفي ((الترغيب والترهيب))ج٣ ص٥٨٩ روى الطبراني عن عبد الرحمن بن الحرث عن أبي قراد السلمي رضي الله عنه: قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بطهور فغمس يده فتوضأ فتتبعناه فحسوناه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما حملكم على ما فعلتم ؟ قلنا: حب

الله ورسوله، قال: فإن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدثتم وأحسنوا جوار من جاوركم اهـــ. وقال مصطفى محمد عماره في تعليقه على ((الترغيب والترهيب)) أي دعاهم إلى ذلك حب التبرك والتقرب لمحبة الله ورسوله. فانظر رعاك الله إلى تيمن الصحابة وتناولهم شيئا من طهوره رجاء القبول انتهى بالمعنى .

وقال العلامة الشوكاني في ((نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار)): روي عن يزيد بن الأسود رضي الله عنه قال: حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع قال: فصلى بنا صلاة الصبح ثم انحرف جالسا فاستقبل الناس بوجهه، وذكر قصة الرجلين اللّذين لم يصليا قال: ونـــهض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونـــهضت معهم وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلدهم، قال: فما زلت أزحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت بيده فوضعتها إما على وجهي أو صدري قال: فما وجدت شيئا أطيب ولا أبرد من يد رسول صلى الله عليه وسلم، قال: وهو يومئذ في مسجد الخيف. أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي والترمذي، وقال: حسن صحيح. وقال الشوكاني: في هذا الحديث مشروعية التبرك بملامسة أهل الفضل لتقرير النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك، وكذلك قوله في رواية أخرى ثم ثار الناس بيده يمسحون بـــها وجوههم .

قلت: روى هذا الحديث الإمام أحمد في ((مسنده))ج٤ص١٩٩-٢٠٠ بطرق، وروى الإمام أحمد في ((المسند)) أيضا ج ٤ ص ٤٢ عن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانـــهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم.

التبرك والاستشفاء بغسالة جبته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

روى الإمام مسلم عن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر أنه قال: أرسلتني أسماء إلى عبد الله بن عمر فقالت: بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة : العلم في الثوب، ومئثرة الأرجوان، وصوم رجب كله، فقال لي عبد الله: أما ما ذكرت من رجب فكيف بمن يصوم الأبد ، وأما ما ذكرت من العلم في الثوب فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما يلبس الحرير من لا خلاق له فخفت أن يكون العلم منه، وأما مئثرة الأرجوان فهذه مئثرة عبد الله، فإذا هي أرجوان. فرجعت إلى أسماء فخبرتـــها فقالت: هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجت إليّ جبة طيالسة كسروانية، لها لِبْنَةُ ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج قالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بـــها.

وقوله مئثرة الأرجوان قال النووي في شرحه على ((صحيح مسلم)) ج ١٤ص٣٣ و ٤٢-٤٤: الميثرة بكسر الميم وطاء كانت النساء يضعنه لأزواجهن على السروج ، ويكون من الحرير، ويكون من الصوف وغيره، والمئثرة مهموزة وهي مفعلة بكسم الميم من الوثارة يقال: وثر بضم الثاء وثارة بفتح الواء فهو وثير أي وطيئ لين، وأصلها مِوْثَرَةٌ فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كما في ميعاد وميقات وميزان فإن أصلها مِوعاد ومِوقات ومِوزان ، والأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو صبغ أحمر شديد الحمرة، وقوله جبة طيالسة بإضافة جبة إلى طيالسة، وهي جمع طيلسان بفتح اللام، وقوله كسروانية: نسبة إلى كسرى ملك الفرس، وقوله لها لبنة بكسر اللام وإسكان الباء وهي رقعة في جيب القميص، وقوله وفرجيها مكفوفين: أي ورأيت فرجيها مكفوفين، ومعنى الحديث أن ابن عمر رضي الله عنه أنكر تحريمه بصوم رجب وأخبر أنه يصوم رجب كلها وأنه يصوم الأبد أي الدهر وأما العلم فلم يعترف بأنه كان يحرمه بل أخبر أنه تورع منه خوفا من دخوله في عموم النهي عن الحرير، وأما الميثرة فأنكر ما بلغها عنه فيها ، وقال: هذه مئثرتي وهي أرجوان . وفي الحديث استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم اهـ قوله وفرجيها بضم الفاء أي شقيها شق من خلف وشق من قدام ، وفي كثير من النسخ فتح فاء فرجيها، وقوله مكفوفين أي مخيطين بالديباج اهـ من هامش على صحيح مسلم .

التبرك بما شرب منه صلى الله عليه وسلم من القربة والقدح والقصعة في حياته وبعد وفاته

وفي ((مجمع الزوائد)) ج٥ ص ٧٩ في باب الشرب قائما: وعن أم سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وفي بيتها قربة معلقة، قال: فشرب من القربة قائما، قالت: فعمدت إلى القربةفقطعتها. رواه أحمد والطبراني، وفيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحد وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ.

قلت: ولفظ أحمد في مسنده ج٦ص٤٠٧ عن أنس قال: حدثتني أمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وفي بيتها قربة معلقة، قالت: فشرب من القربة قائما، قالت: فعمدت إلى فم القربة فقطعتها اهـ وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج٢ص ٣٠٨: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم وقربة معلقة فشرب منها قائما، فقامت إلى في السقاء فقطعته. رواه عبيد الله بن عمرو وزاد : وأمسكته عندها .

وروى الترمذي عن أم ثابت كَبْشَةَ بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنه وعنها قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما، فقمت إلى فيها فقطعته، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال الإمام النووي في ((رياض الصالحين)) ص ٢١٨ : إنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبرك به وتصونه عن الابتذال . وروى البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه عن أبي بردة قال: قدمت المدينة، فلقيني عبد الله بن سلام فقال لي: انطلق إلى المنـــزل فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصلي في مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلقت معه فأسقاني سويقا وأطعمني تمرا وصليت في مسجده اهـــ. وأبو بردة تابعي، توفي سنة ١٠٤ .

وروى مسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: أسقنا يا سهل، قال: فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه، قال أبو حازم: فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا فيه، قال: ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له. ذكره مسلم في باب إباحة النبيذ الذي لم يصر مسكرا. وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم ج١٣ص ١٧٨-١٧٩: في هذا الحديث التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول لله صلى الله عليه وسلم في الروضة الكريمة، ودخول الغار الذي دخله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك، ومن هذا إعطاؤه صلى الله عليه وسلم أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس، وإعطاؤه صلى الله عليه وسلم حقوه لتكفن فيه بنته رضي الله عنها، وجعله الجريدتين على القبرين، وجمعت بنت ملحان عرقه صلى الله عليه وسلم، وتمسحوا بوضوئه، ودلكوا وجوههم بنخامته صلى الله عليه وسلم، وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، وكل ذلك واضح لا شك فيه اهـــ وإنما نقلت عبارته كلها لما فيها من فوائد لا يستغنى عنها وتنبيهات مهمة . وروى أيضا حديث سهل رضي الله عنه البخاري في باب الشرب من قدح النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب الأشربة.

وفي ((مجمع الزوائد)) للهيثمي ج٤ص٥٠-٥١: وعن شهر بن حوشب أن أسماء بنت يزيد بن السكن إحدى نساء بني عبد الأشهل دخل عليها يوما فقربت إليه طعاما، ففال: لا أشتهيه، فقالت: إني قينت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئته فدعوته لجلوتـــها، فجاء فجلس إلى جنبها، فأتي بعس لبن فشرب ثم ناولها، فخفضت رأسها واستحيت،قالت أسماء: فانتهرتـــها وقلت لها: خذي من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قالت: فأخذت فشربت شيئا، ثم قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أعطي تربك،قالت أسماء:فقلت:يا رسول الله بل خذه فاشرب منه ثم ناولنيه من يدك،فأخذه فشرب منه ثم ناولنيه،قالت: فجلست ثم وضعته

على ركبتي،ثم طفقت أديره وأتبعه بشفتي لأصيب منه مشرب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال لنسوة عندي: ناوليهن، فقلن:لا نشتهيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :لا تجمعن جوعا وكذبا. رواه أحمد والطبراني في ((الكبير)) بنحوه، وشهر فيه كلام وحديثه حسن اهـــ .

قلت: رواه أحمد في ((مسنده))ج٦ص٤٨٠–٤٨١. وقولها قينت أي زينتها للزفاف، ففي ((القاموس)) وشرحه قانت المرأة المرأة زينتها، والتقيين التزيين، ومنه الحديث أنا قينت عائشة أي زينتها اهـــ ، وقولها لجلوتـــها: أي لعرضها عليه ، قال في ((القاموس)): جلا العروس على بعلها جلاء عرضها عليه، و العس بالضم القدح. و أعطي " تِربَكِ " أي صاحبتك، ففي ((أساس البلاغة)) للزمخشري تربت الجارية الجارية خادنتها اهـــ يقال خادنته أي صاحبته.

وفي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ والماء واللبن، ورواه الترمذي في ((الشمائل)) عن ثابت عن أنس. قال الباجوري في ((المواهب اللدنية حاشية الشمائل المحمدية)) ص ١٠٠: اشتري هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف درهم. وعن البخاري أنه رآه بالبصرة وشرب منه، هكذا في شرح المناوي، والذي في شرح القاري أن الذي اشترى من ميراث النضر وشرب منه البخاري. وقال الحافظ القسطلاني في ((المواهب اللدنية)) ج٢ص ٤١٦: ذكر القرطبي في ((مختصر البخاري)) أنه رأى في بعض النسخ القديمة من البخاري، قال أبو عبد الله البخاري: رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه، وكان اشتري من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف.

وفي ((صحيح البخاري)) في كتاب فرض الخمس في باب ما ذُكِرَ من درع النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يُذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما تبرك أصحابه وغيرُهم بعد وفاته– أن عاصما قال: رأيت القدح وشربت فيه: أي تبركا به عليه الصلاة والسلام كما قال الحافظ القُسطُلاني في ((إرشاد الساري)): ج٧ص٢٣. وقال الحافظ في ((الفتح)) ج٦ص٢١٤: وعاصم هو الأحول الراوي. وقال أيضا في ج١٠ص١٠٠: وأخرج أبو نعيم أن علي بن الحسن قال: وأنا رأيت القدح وشربت منه اهـــ.

قلت: وفيما ذكره البخاري في الترجمة من أن الصحابة وغيرَهم كانوا يتبركون بدرعه وقدحه وغيرِهما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم دليل ظاهر على أن التبرك بما ذُكِرَ لم يكن خاصا بحياته صلى الله عليه وسلم بل هو عام في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم، وبـــهذا يقتنع –إن شاء الله – الزاعم بأن التبرك به صلى الله عليه وسلم وبما يتعلق به خاص في حياته. وفي ((الشفاء)) وشرحه ((نسيم الرياض)) ج٣ ص١٣٤: قال الشيخ أبو القاسم بن مأمون: كانت

عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم، فكنا نجعل فيها الماء للمريض فيستشفون بـــها. قال الخفاجي: فيحصل لهم الشفاء بشربـــهم بما وضع فيه لبركة آثاره. وفي ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ج١١ ص ٢١٢: أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي أخذ قصعة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلها في حب الماء ثم شرب فيها، وتأتي عبارته بكمالها في باب التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم. وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج٦ص٧ في مبحث صفة قدح النبي صلى الله عليه وسلم: قال الإمام أحمد: حدثنا روح بن عبادة حدثنا حجاج بن حسان قال: كنا عند أنس بن مالك، فدعا بإناء فيه ثلاث ضبات حديد وحلقة من حديد، وأمر أنس فجعل لنا فيه ماء فأتينا به فشربنا وصببنا على رؤوسنا ووجوهنا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم، انفرد به أحمد انتهى باختصار. وفي ((البداية والنهاية)) أيضا ج٦ص٧ و((شرح الشمائل)) للهيتمي ص٢٧٥ قال ابن سيرين كان في قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقة من حديد فأراد أنس أن يجعل مكانـــها حلقة من ذهب أو فضة، فقال أبوطلحة: لا تغيرنّ شيئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه. فالحاصل أن المذكور في هذا الباب من المتبركين بآثاره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أبو بردة وأبو حازم والبخاري وعاصم الأحول وأبو القاسم بن مأمون والإمام أحمد بن حنبل وحجاج بن حسان.

التبرك بما مسته يده الكريمة صلى الله عليه وسلم

وفي ((المفاهيم)) ص ١٤٩-١٥٠: عن محمد بن عبد الملك بن أبي محذورة عن أبيه عن جده قال: قلت: يارسول الله علمني سنة الأذان، قال: فمسح مقدم رأسي، قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الحديث. وفي رواية: وكان أبو محذورة لايجز ناصيته ولايفرقها لأن النبي صلى الله عليه وسلم مسح عليها . أخرجه البيهقي والدارقطني وأحمد والنسائي وابن حبان بمعناه .

وفي ((مجمع الزوائد)) ج٥ ص ١٦٥ وعن صفية بنت مجزأة أن أبا محذورة كانت له قصة في مقدم رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض فقالوا له: ألا تحلقها؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتى أموت .رواه الطبراني اهـــ . ونحوه في ((الشفاء)) للقاضي عياض ذكره في فصل من إعظامه صلى الله عليه وسلم إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة وما لمسه. وفي ((نسيم الرياض)) أن صفية بنت نجدة هي زوجة أبي محذورة الصحابي المتوفى سنة ٥٩ أو غيرها، و أنه كان مؤذن رسول الله صلى

الله عليه وسلم بمكة ، وكان لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأُذِّنَ له بـــها وهو مع فتية من قريش سمعوا الأذان فاستهزأوا به، وجعل أبو محذورة يحاكي الأذان استهزاء، فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه ظن أنه مقتول، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده، قال: فامتلأ قلبي يقينا وإيمانا، وعلمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذان وأمره أن يؤذن لأهل مكة وهو ابن ستة عشر سنة، فكان مؤذنـــهم حتى مات. وإنما لم يحلق قصته وأبقاها تبركا بما مسه صلى الله عليه وسلم . والقصة بضم القاف شعر الناصية. ونجدة بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة وهاء، ويقال: إن اسمه نجداه، وقيل: نجراة، وقيل: بحرة اهـــ.

التبرك بيد من مس رسول الله صلى الله عليه وسلم

في ((تـــهذيب ابن عساكر)) ج٣ ص ١٤٧ ما نصه: قال ثابت البناني لأنس: أحب أن أقبل منك ما رأيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمكنه من عينيه، وقال له: هل مسست رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك؟ قال: نعم قال: فأعطنيها حتى أقبلها اهـــ وفي ((مجمع الزوائد)) ج٩ص ٣٢٥: عن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسا يخبر بمكاني فأدخل عليه فآخذ بيديه فأقبلهما، وأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة .

وقوله يخبر بمكاني أي يخبره الناس بحضوري. وفي ((تـــهذيب ابن عساكر)) ج٣ ص ١٤٧: أن ثابتا البناني قال: دخلت على أنس بن مالك فقلت: رأت عيناك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم فقبلتهما، ثم قلت: أفصببت الماء بيديك على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، فقبلتهما، وأخرج البخاري في ((الأدب المفرد)) ص ٢٨٧: في باب تقبيل اليد: عن عبد الرحمن بن رزين قال: مررنا بالربذة فقيل لنا: ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فاتيته فسلمنا عليه، فأخرج يديه فقال : بايعت بـــهاتين نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخرج كفا له ضخمة كأنـــها كف بعير فقمنا إليها فقبلناها. وأخرج البخاري أيضا في ((الأدب)) ص ٢٨٨ عن ابن جدعان قال ثابت لأنس رضي الله عنه: أمسست النبي صلى الله عليه وسلم بيديك ؟ قال: نعم فقبلها. وعند أبي نعيم في ((الحلية)) ج٩ ص ٣٠٦ عن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين، فدخل عليه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه فلما نظر إليه مد يده فأخذ يده فمسح بـــها وجهه وصدره لأنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا

يزيد كيف ظنك بربك؟ فقال: حسن، فقال: فأبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وفي ((مجمع الزوائد)) ج ٨ ص ٤٢ عن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت واثلة بن الأسقع فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: نعم، قلت: أعطني يدك أقبلها، فأعطانيها فقبلتها. رواه الطبراني، وفيه عبد الملك القاري و لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

التبرك بما مسته يد مست رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) لابن عساكر ج٣ ص ١٤٧: أن أنس بن مالك رضي الله عنه دفع إلى أبي العالية تفاحة، فجعلها في كفه ، وجعل يشمها ويقبلها ويمسحها بوجهه، ثم قال: تفاحة مستها كف مست رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـــ واسم أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي، تابعي جليل، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق وقد قيل فيه: ليس بعد الصحابة أحد أعلم بالقرآن منه، توفي سنة ٩٠ أو ٩٣

التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منـــزله بمنى ونحر، وقال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس، وقال النووي في شرح مسلم: ومما يؤخذ من هذا الحديث التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم وجواز اقتنائه للتبرك. وروى الترمذي من حديث أنس أيضا قال: لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة نحر نسكه، ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فقال : اقسم بين الناس . وقد جاء في رواية عند مسلم ما لفظه : فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر فصنع مثل ذلك. وفي رواية أحمد في ((المسند)) : أن أنسا قال: لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بمنى أخذ شق رأسه الأيمن بيده ، فلما فرغ ناولني، فقال: يا أنس انطلق بـــهذا إلى أم سليم، قال: فلما رأى الناس ما خصنا به تنافسوا في الشق الآخر، هذا يأخذ الشيء وهذا يأخذ الشيء.

وقد جمع المحب الطبري رحمه الله ما قد يبدو بين هذه الروايات من التعارض بقوله: والصحيح أن الذي وزعه على الناس الشق الأيمن وأعطى الأيسر أبا طلحة وأم سليم ولا تضاد بين

الروايتين، لأن أم سليم امرأة أبي طلحة فأعطاه لهما صلى الله عليه وسلم. فنسب العطية تارة إليه وتارة إليها.

قال الشيخ محمد علوي المالكي في كتابه ((المفاهيم)) وفي هذه الروايات التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي ونفسي هو. وقد روى أحمد في ((مسنده)): إلى ابن سيرين أنه قال: فحدثينه يعني – هذا الحديث – عبيدة السلماني فقال: لأن يكون عندي شعرة منه صلى الله عليه وسلم أحب إلي من كل بيضاء وصفراء على وجه الأرض وفي بطنها انتهى ما في ((المفاهيم)) .

وروى البخاري في كتاب الوضوء عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، قال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها اهـ قال العسقلاني في ((الفتح)) ج١ص ٢٧٤: وفيه التبرك بشعره صلى الله وسلم وجواز اقتنائه اهـ.

وفي ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ج٤ ص ٤٢: أن عبيدة السلماني قال: لأن تكون عندي منه شعرة أحب إليّ من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض، ثم قال الحافظ الذهبي: قلت: هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس. ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعرة بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شقفة من إناء شرب فيه. فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده أكنت تعده مبذرا أو سفيها؟ كلا، فابذل مالك في زورة المسجد الذي بني فيه بيده، والسلام عليه عند حجرته في بلده، والتذّ بالنظر إلى أُحُدِه وأحبه، فقد كان نبيك صلى الله عليه وسلم يحبه، وتملأ بالحلول في روضته ومقعده، فلن تكون مؤمنا حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم ، وقبِّل حجرا مكرما نزل من الجنة، وضع فمك لاثما مكانا قبَّله سيد البشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك ، فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول إلى الحجر ثم قبل المحجن لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل، ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله انتهت عبارة الحافظ الذهبي .

والشقف: الخزف المكسر كما في تعليق على ((تاج العروس شرح القاموس))، والمحجن بميم مكسورة وحاء مهملة ساكنة ثم جيم مفتوحة ثم نون، وهي عصا معقفة الرأس كما في

((تـــهذيب الأسماء واللغات))، وفي ((المصباح المنير)) عقفه من باب ضرب عقفا فانعقف عطفه فانعطف. وفيه أيضا: المحجن خشبة في طرفها اعوجاج. وقوله –تملأ– الظاهر أن الصواب تملّ بتشديد اللام من التملي وفي ((القاموس)): تملّى عمره أي استمتع منه.

وفي ((الأساس)): ملاك الله حبيبك طوّل لك الإمتاع به.

وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٣ص٥٤٦ وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه فرق شعره المطهر على أصحابه إكراما لهم بذلك، فوا لهفي على تقبيل شعرة منها اهـــ.

قلت: وعبيدة بفتح العين كما قاله النووي، والسلماني بفتح السين وسكون اللام نسبة إلى سلمان بن يشكر، حيّ من مراد، أسلم عبيدة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يلقه مات سنة ثنتين أوثلاث وسبعين .

وقال البخاري في صحيحه :حدثنا مالك بن إسمعيل حدثنا إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء، وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قُصة فيها شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة، فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا .

قال في ((الفتح)) ج١٠ ص ٣٥٢– ٣٥٣ : قوله من قصة: يظهر أن من سببية، أي أرسلوني بقدح من ماء بسبب قصة فيها شعر، وقوله قبض إسرائيل ثلاث أصابع إشارة إلى صغر القدح، والقصة بالضم شعر الناصية كما في ((القاموس))، والجلجل بجيمين مضمومتين هو شبه الجرس، والمخضبة بكسر فسكون هو من جملة الآنية. والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إلى أم سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده فيشربه صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء، فتحصل له بركتها. ولفظ الحميدي في ((الجمع بين الصحيحين)): أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر إلخ .

وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج٣ ص ١٥٨–١٦٠ عن ابن عباس قال: لما احتضر معاوية قال: إني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، وإني دعوت بمشقص فأخذت من شعره، وهو في موضع كذا وكذا، فإذا أنا مت فخذوا ذلك الشعر فاحشوا به فمي ومنخري. وفيه أيضا أن معاوية قال ليزيد: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قلم أظفاره وأخذ من شعره وجمعت ذلك، فإذا أنا مت فاحش به فمي وأنفي. وفيه أيضا أن معاوية أوصى وقال: كنت أوضئ رسول الله فنـــزع قميصه وكسانيه فرفعته وخبأت قلامة أظفاره، فإذا أنا متّ فألبسوني القميص على جلدي واجعلوا القلامة مسحوقة بين عيني فعسى الله أن يرحمني

بركتها. والمشقص كمنبر نصل عريض من نصال السهام، وقيل: النصل الطويل وليس بعريض. كذا في ((القاموس)) وشرحه .

وأخرج البيهقي في ((دلائل النبوة))ج٦ ص ٢٤٩ في باب ما جاء في قلنسوة خالد واستنصاره بما جعل فيها من شعره صلى الله عليه وسلم : أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها، فإذا قلنسوة خلقة، وقال خالد: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر. وذكره الحافظ العسقلاني في ((الفتح)) أيضا في مناقب خالد وقال: أخرجه سعيد بن منصور، وذكر كثير ممن ترجم لخالد ابن الوليد هذه القصة، منهم ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج٧ص١١٣ وعبارة ((الشفاء)) للقاضي عياض: وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه، فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها، فقال: لم أفعلها بسبب القلنسوة بل بما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم، لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين. وقوله كثرة: مفعول به لأنكر ، أو هو مفعول لأجله. وقال الخفاجي في شرحه على ((الشفاء)) : روى هذا الحديث أبو يعلى .

وفي ((أسد الغابة)) لابن الأثير ج٢ص٩٥ كان في قلنسوة خالد بن الوليد التي يقاتل فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به وببركته، فلا يزال منصورا اهـــ.

وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ج١ص ١٢٧ : وروى ابن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال: قال لي ثابت البناني: قال أنس بن مالك: هذه الشعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعها تحت لساني، قال: فوضعتها تحت لسانه فدفن وهي تحت لسانه .

وفي ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) ج٢ ص ٣٤١: أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أوصى أن يدفن معه شيء كان عنده من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وأظفاره، ففعلوا ذلك. وسيأتي ذلك إن شاء الله في تبرك قبر عمر بن عبد العزيز .

وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١٠ص ٣٣٤: وكان مع الإمام أحمد بن حنبل شعرات من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مصرورة أي مشدودة في ثوبه في أيام محنته بمسألة خلق القرآن. وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج ١١ ص٢١٢ للإمام الذهبي و((حلية الأولياء)) لأبي نعيم ج٩ص١٨٣- ١٨٤: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم، فيضعها على فيه يقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه

ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به، ورأيته أخذ قصعة النبي صلى الله عليه وسلم، فغسلها في حب الماء، ثم شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه. ثم قال الذهبي: أين المتنطع المنكر على أحمد ؟ وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأسا أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع اهـ. قوله حب الماء: بضم الحاء يعني الجرة قال في ((القاموس)): الحب الجرة أو الضخمة منها. وفي ((صفة الصفوة)) للحافظ ابن الجوزي ج٢ص٣٥٧ و ((سير أعلام النبلاء)) للإمام الذهبي ج١١ص ٣٣٧: عن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله أحمد بن حنبل وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فأوصى الإمام أحمد عند موته أن يجعل على كل عين شعرة وشعرة على لسانه ففعل ذلك به بعد موته . وقال الحافظ العسقلاني في مقدمة ((الفتح)) ص ٤٨١: كان مع الإمام البخاري شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في ملبوسه. وقال القسطلاني في ((المواهب اللدنية)) ج٢ص٣٠١: رأيت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة ٨٩٧ شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي شاع وذاع أنها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها، ذكره في باب صفة شعره صلى الله عليه وسلم. وقال الحافظ السخاوي في ((الضوء اللامع)): إن الشيخ عمر بن محمد المرشدي المكي المقرئ كانت عنده شعرة مضافة للنبي صلى الله عليه وسلم، تلقاها عن أبيه المتلقي لها عن شيخ ببيت المقدس، كانت عنده ست شعرات، ففرقها عند موته بالسوية على ثلاثة أنفس هو أحدهم، فضاعت شعرة منهما، ثم قال السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج ٦ ص ١٣٨: وقد تبركت بها عنده في سنة ٨٥٦، وتوفي الشيخ عمر بن محمد سنة ٨٦٢ هـ .

التبرك بقلامة أظفاره صلى الله عليه وسلم

ذكرنا تبرك معاوية رضي الله عنه بقلامة أظفاره صلى الله عليه وسلم، وفي ((المواهب اللدنية)) للحافظ القسطلاني ج٤ ص ٤٥٠ أن الإمام أحمد روى من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش، وهو صلى الله عليه وسلم يقسم أضاحي، فلم يصبه شيء ولا صاحبه، فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في ثوبه فأعطاه شعره فقسم منه على رجال ، وقلم أظفاره فأعطاه صاحبه.

وروى الإمام أحمد أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قلم أظفاره وقسمها بين الناس اهـ. وقال الزرقاني في شرح ((المواهب)) ج١١ص ٤٣٨: إنما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين الناس للتبرك .

التبرك بغار ثور

ومما يتبرك به غار ثور وهو على قدر فرسخ من مكة شرفها الله تعالى على طريق اليمن ، وفيه الغار الذي آوى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه حين خروجه مهاجرا من مكة ومعه الصديق رضي الله عنه، وذكرنا في التبرك بموضع ولادته صلى الله عليه وسلم أن الإمام النووي قال في كتابه ((مناسك الحج)): يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل في مكة والحرم، منها: البيت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن بطوطة في رحلته ص١٤٠: إن الناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك، فيرومون دخوله من الباب الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذلك اهـ. وقال في ((قلائد الخرائد وفرائد الفوائد)) ج١ص٢٧٦: ينبغي التبرك بغار جبل ثور الذي اختفى صلى الله عليه وسلم فيه عند هجرته هو وأبوبكر، وهو المذكور في القرآن اهـ.

التبرك بغار حراء موضع خلوته صلى الله عليه وسلم

ذكرنا أن النووي قال: يستحب زيارة الغار الذي بجبل حراء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه.

وروى البخاري في كتاب التعبير من صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم كان يأتي حراء فيتحنث فيه أي يتعبد فيه الليالي ذوات العدد .

فصار حراء بذلك موضع خلوته ومكان عبادته، فاكتسب بمجيئه صلى الله عليه وسلم ومجاورته شرفا كبيرا ومجدا رفيعا حتى إنهم قالوا: يستجاب الدعاء فيه، وفي ((المواهب اللدنية)) قال المرجاني في فضائل حراء وما اختص به أبياتا منها :

تأمل حراء في جمال محياه   فكم من أناس من حلى حسنه تاهو

فمما حوى من جا لعلياه زائرا   يفرج عنه الهم في حال مرقاه

قال الزرقاني في شرحه ج١ ص ٤١٥ : أي من جاءه زائرا للتبرك بحلول المصطفى وجبريل فيه ، كما نزل صلى الله عليه وسلم في أماكن حل بها أنبياء ليلة الإسراء . ومنها :

به خلوة الهادي الشفيع محمد   وفيه له غار له كان يرقاه

ومنها:

ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا		به وينادى من دعانا أجبناه

أي يقبل في غار حراء دعاء من دعا فيه. قال الزرقاني: والمرجاني هو عبد الله بن محمد القرشي الإمام القدوة الواعظ المفسر أحد الأعلام، قتل بتونس سنة ٦٠٩هـ وسيأتي في باب التبرك بما شرب منه صلى الله عليه وسلم أن الإمام النووي رحمه الله صرح بأن مما يتبرك به دخول الغار الذي دخله صلى الله عليه وسلم ، والغار الذي دخله صلى الله عليه وسلم يصدق بغار حراء وبغار ثور . وقال في ((قلائد الخرائد وفرائد الفوائد)) للشيخ عبد الله باقشير ج١ص٢٧٦: وينبغي أن يُزَار ويُتَبَركَ بغار حراءٍ وهو الجبل الذي أولُ نُزولِ الوحي فيه .

التبرك بما يفضله صلى الله عليه وسلم من الطعام

روى الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا، والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا، قال: فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده. والغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما قوله فتله أي وضعه. ولفظ رواية الترمذي في ((الشمائل)) عن ابن عباس قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد عن شماله، فقال لي: الشربة لك، فإن شئت آثرت بها خالدا . فقلت: ما كنت لأوثر على سؤرك أحدا .

وقال ابن حجر الهيتمي في ((شرح الشمائل)) ص ٢٨٦ : قد يشكل على قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس: فإن شئت آثرت بها خالدا قول أئمتنا: يكره الإيثار بالقرب، وقد يجاب بأن محل الكراهة حيث آثر من ليس أولى منه بذلك، وإلا فلا كراهة كما هنا، كتقديم غير الأفقه مثلا على الأفقه في الإمامة اهـ .

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم في السفل وأبو أيوب في العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: السفل أرفق، فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبي صلى الله عليه وسلم في العلو وأبو أيوب في السفل، فكان يصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فتتبع موضع

أصابعه، فصنع له طعاما فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا ولكني أكرهه، قال: فإني أكره ما تكره أو ما كرهت، قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى، قال النووي: أي تأتيه الملائكة والوحي كما جاء في الحديث الآخر إني أناجي من لا تناجي، وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم، وفي رواية لمسلم عن أبي أيوب أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أتي بطعام أكل منه وبعث بفضله- الحديث. وفي هذا الحديث كما قاله النووي في شرح ((مسلم)) ج١٤ص٩-١٠ : أنه يستحب للآكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب فضلة ليواسي بـــها من بعده، لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، وكذا إذا كان في الطعام قلة ولـــهم إليه حاجة، ويتأكد هذا في حق الضيف، لا سيما إن كانت عادة أهل الطعام أن يخرجوا كل ما عندهم، وتنتظر عيالهم الفضلة كما يفعله كثير من الناس، ونقلوا أن السلف كانوا يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة، وفي هذا الحديث أصل ذلك كله ، وفيه التبرك بآثار أهل الخير في الطعام وغيره، وفيه إجلال أهل الفضل والمبالغة في الأدب معهم ، وفيه أن من أوصاف المحب الصادق أن يحب ما يحب محبوبه ويكره ما يكره انتهى ما قاله النووي. ونقلت عبارته بطولها لعظيم فائدتـــها . قوله العلو والسفل بكسر أولهما وضمه لغتان. وذكر الإمام مسلم رحمه الله هذا الحديث في باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه وكذا ما في معناه. وفي ((المدخل)) لابن الحاج ج ١ ص ٢٣١ ينبغي للأضياف أن يتركوا فضلة من الطعام وإن قلّ امتثالا للسنة، فقد تكون لأهل البيت نية صالحة في بقية السؤر.

وقال القاضي عياض في ((الشفاء)): وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها، فما برحت أجد شبعها إذا جعت، وريها إذا عطشت، وبردها إذا ظمئت اهـــ .

وقال الشهاب في شرحه على ((الشفاء)) ج ٣ ص ١٤٠: روى هذا الحديث قاسم بن ثابت في ((الدلائل)) عن المسور بن مخرمة ، والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها، ثم ناوله الإناء فشرب بقيته، فلم يزل بعد ما شرب سؤره يجد شبعها إذا جاع، وريها إذا عطش وظمئ. والعطش هو الظمأ، فغاير بينهما في العبارة تفننا أي لم يفارقه الشبع والري بعد شربـــها لبركة سؤره صلى الله عليه وسلم اهـــ.

التبرك بخاتم النبوة

روى البخاري في كتاب الأدب من صحيحه في باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به عن خالد بن سعيد عن أبيه عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي وعليّ قميص أصفر، قال رسول صلى الله عليه وسلم: سنه سنه ، قال عبد الله يعني ابن المبارك: وهي بالحبشية حسنة قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي .

قال ملا علي سلطان قاري في ((المرقاة شرح مشكاة المصابيح)) ج١١ص ٧٤ في شرح هذا الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم لأبيها: دعها أي لتتبرك بالخاتم أيضا كما تبركت بإلباس الخلعة الشريفة ، وهذا يدل على كمال حلمه وكرمه وحسن عشرته مع صحابته، وقد أشار الشيخ الصمداني شهاب الدين السهروردي قدس الله سره في عوارفه إلى أن استناد مشايخ الصوفية في لبس الخرقة بـــهذا الحديث، أقول: ولعله أراد إلباس خرقة التبرك دون إلباس خرقة الإجازة اهـــ .

قلت: سيأتي حديث إلباسه صلى الله عليه وسلم أم خالد الخميصة في باب التبرك بثيابه صلى الله عليه وسلم.

وفي ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) أن سلمان الفارسي قال في قصة إسلامه لما رأيت خاتم النبوة قبلته وبكيت.

التبرك بخاتمه صلى الله عليه وسلم

روي البخاري في باب نقش الخاتم من كتاب اللباس ومسلم رحمهما الله تعالى في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذرسول الله صلي الله عليه وسلم خاتما من ورق، فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان حتي وقع منه في بئر أريس، نقشه محمد رسول الله.

قال النووي في شرحه على مسلم ج١٤ ص ٦٧ : في هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين ولبس لباسهم، وجواز لبس الخاتم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يورث، اذ لو ورث لدفع الخاتم إلى ورثته، بل كان الخاتم والقدح والسلاح ونحوها من آثاره الضرورية صدقة للمسلمين، يصرفها والي الأمر حيث رأى من المصالح، فجعل القدح عند أنس إكراما له لخدمته، ومن أراد التبرك به لم يمنعه، وجعل باقي الأثاث عند ناس معروفين واتخد الخاتم عنده للحاجة التي اتخذه

النبي صلى الله عليه وسلم لها، فإنـــها موجودة في الخليفة بعده، ثم الخليفة الثاني ثم الثالث وهذا الحديث أخرجه أيضا الترمذي في ((الشمائل))

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في يده ، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر ، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس ، قال: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننــــزح البئر فلم نجده اهـــ . قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في ((فتح الباري)) ج١٠ص ٣٢٩ في شرح هذا الحديث: الذي يظهر أنه إنما بالغ في التفتيش عليه لكونه أثر النبي صلى الله عليه وسلم قد لبسه واستعمله وختم به ، وإلا لو كان غير خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لاكتفى بطلبه بدون ذلك. وقال الحافظ أيضا: في هذا الحديث استعمال آثار الصالحين ولبس ملابسهم على جهة التبرك والتيمن بــــها اهـــ.

وقال الهيتمي في ((شرح الشمائل))ص ١٥٢ يحتمل أن أبا بكر ومن بعده كانوا يختمون به، ويحتمل أنه كان عندهم تبركا، وأما ختم كل فبخاتم فيه نقشه، ثم رأيت في ((النسائي)) ما يصرح بالأول اهـــ .

فائدة

قال الحافظ في((الفتح)) ج١٠ص ٣٢٩: قال بعض العلماء : كان في خاتمه صلى الله عليه وسلم من السر شيء مما كان في خاتم سليمان عليه السلام، لأن سليمان لما فقد خاتمه ذهب ملكه، وعثمان لما فقد خاتم النبي صلى الله عليه وسلم انتقض عليه الأمر، وخرج عليه الخارجون، وكان مبدأ الفتنة التي أفضت إلى قتله واتصلت إلى آخر الزمان.

قلت: الأمر كما قاله هؤلاء العلماء ، فقد أخرج البيهقي في ((دلائل النبوة)) ج٦ص ٥٥ عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري، ثم من بني حارث بن الخزرج توفي زمن عثمان ابن عفان فسجي في ثوبه، ثم إنـــهم سمعوا جلجلة في صدره ، ثم تكلم ثم قال : أحمد أحمد في الكتاب الأول ، صدق صدق أبو بكر الصديق، الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول ، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع وبقي اثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس ؟ قال سعيد يعني ابن المسيب: ثم هلك رجل من خطمة فسجي بثوبه، فسمع جلجلة في صدره ثم تكلم فقال : إن أخا بني

حارث بن الخزرج صدق صدق. ثم رواه البيهقي بسند آخر وقال : هذا إسناد صحيح وله شواهد. ومثله في ((البداية والنهاية)) ج ٦ ص ١٥٦ و ((شرح الصدور)) ص ٢١٩.

وفي ((شرح الصدور)) للحافظ السيوطي روى الطبراني عن النعمان بن بشير: مات رجل منا يقال له خارجة بن زيد، فسجيناه بثوب، وقمت أصلى إذ سمعت صوتا فانصرفت إليه، فإذا أنا به يتحرك ، فقال : أجلد القوم وأوسطهم عبد الله، عمر أمير المؤمنين القوي في جسمه القوي في أمر الله ، عثمان أمير المؤمنين العفيف المتعفف الذي يعفو عن ذنوب كثيرة ، خلت ليلتان وبقيت أربع، واختلف الناس فلا نظام لهم، يا أيها الناس أقبلوا على إمامكم واسمعوا له وأطيعوا. وأخرج البيهقي((في الدلائل)) عن إسماعيل بن أبي خالد، أن ذلك كان على تمام سنتين خلتا من إمارة عثمان، فهما الليلتان قال: فلم أزل أحفظ العدة للأربع البواقي، وأتوقع ما هو كائن فيهن، فكان فيهن انتزاء أهل العراق وخلافهم وإرجاف المرجفين وطعنهم على أميرهم الوليد ابن عقبة . قال البيهقي وهذا أيضا إسناد صحيح. والانتزاء التحريش والإفساد . وروي ذلك أيضا بسند آخر عن النعمان بن بشير وذكر فيه بئر أريس، والأمر فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر من بعده ، ثم كان في يد عمر ، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس بعد ما مضى من خلافته ست سنين ، فعند ذلك تغيرت عماله، وظهرت أسباب الفتن ، كما قيل على لسان زيد بن خارجة اهـــ.

وقال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)): قلت: وهي أي الست سنين المراد من قوله: مضت اثنتان وبقيت أربع، أو مضت أربع وبقيت اثنتان، على اختلاف الراوية والله أعلم اهـــ.

وروى قصة زيد بن خارجة أيضا ابن عساكر عن أنس وغيره، ويقال: إن الذي تكلم بعد الموت خارجة بن زيد كما في رواية الطبراني المذكورة. وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ما لفظه: خارجة بن زيد جاء أنه تكلم بعد الموت .

قال الزرقاني في شرح ((المواهب اللدنية))ج٧ص٦٤: وهذا وهم لأن خارجة بن زيد شهد أحدا فقتل هو وابنه سعيد فيه ، وزيد توفي في خلافة عثمان. فالمشهور الراجح إن شاء الله أن الذي تكلم بعد الموت هو زيد بن خارجة، فقد قال البخاري في كتاب ((التاريخ)): زيد بن خارجة الأنصاري شهد بدرا توفي في زمن عثمان، وهو الذي تكلم بعد الموت. ونقل البيهقي في ((الدلائل)) ج ٦ ص ٥٧ ذلك عن البخاري في تاريخه وسكت عليه .

وهو كما في ((الإصابة)) ج ٢ ص ٦٠٣ زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ، تزوج أبو بكر أخته فولدت له أم كلثوم بعد وفاته.

وقال البيهقي في ((الدلائل)) : روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة اهـ وذكر كثيرا من ذلك السيوطي في ((شرح الصدور)) .

فثبت أن ظهور الفتن والفساد واختلاف الناس وظلم بعضهم بعضا كان بعد وقوع خاتمه صلى الله عليه وسلم في بئر أريس، وأما قبل ذلك فكان الاستقرار والنظام والأمن التام ببركة الخاتم النبوي، وقال ابن حجر الهيتمي في ((شرح الشمائل))ص ١٥٣ كان سقوط خاتمه صلى الله عليه وسلم في بئر أريس مبدأ الفتنة والاختلاف، وقد بالغ عثمان رضي الله عنه في التفتيش عليه بنزح البئر ثلاثة أيام فلم يُرَ، إشارة إلى أن انتظام أمر الخلافة كان منوطا بذلك الخاتم، ومن ثمة انحل الأمر بضياعه انحلالا بينا اهـ .

وقال ابن علان في شرحه على ((الأذكار)) ج ٥ص٢١٧: ومذ عدم خاتمه صلى الله عليه وسلم اختلفت الكلمة وزال الاتفاق في جميع بلاد الإسلام من أقصى خراسان إلى أقصى بلاد المغرب اهـ فصلى الله وسلم على من تشرف به هذا الخاتم الذي ذهب بفقد بركته خير كثير من الدنيا وأهلها، فسبحان من أودع فيه سرا عظيما من أسراره، وجعله حرزا حصينا وحجابا منيعا لأمة حبيبه صلى الله عليه وسلم.

وفي ((طبقات الشافعية الكبرى)) لابن السبكي ج٢ص٨١ أن الإمام الجليل أحمد بن إسحاق ابن أيوب بن يزيد بن عبد الرحمن أبا بكر النيسابوري الصبغي قال: رأيت في المنام كأني خارج من منزل شخص، واستقبلني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان أو علي رضي الله عنهم أحدهما فإني شككتُ و لم أشكّ في أنهم كانوا أربعة فتقدمتُ فسلمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليّ السلام، ثم تقدمت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقبل بين عينيّ وقال: جزاك الله عن نبيه خيرا وعنا خيرا، قال أبو بكر، فأخرجت خاتمي هذا من أصبعي وجعلته في أصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نزعته فجعلته في أصبع أبي بكر، ثم إلى آخر الأربعة، ثم قلت: يا رسول الله قد عظمت بركة هذا الخاتم إذ دخل أصابعكم، ثم انتبهت. قال الحاكم: وقد كان الشيخ أوصى أن يدفن ذلك الخاتم معه . ثم قال ابن السبكي: وهذا منه فيه استحسان لما يفعل من دفن المرء معه ما يتبرك به، أو دفنه فيما يتبرك به . انتهى باختصار .

قلت: وكان الشيخ أحمد بن إسحاق من الأئمة الجامعين بين الفقه والحديث، روى عن كثير من المشايخ ، وروى عنه خلائق، منهم أبو أحمد الحاكم وأبو عبد الله الحاكم ولد سنة٢٥٨ وتوفي سنة ٣٤٢ هـ

التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم

روى البخاري في باب المساجد في البيوت من كتاب الصلاة عن محمود بن الربيع الأنصاري أن عِتبان بن مالك وهومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا من الأنصار أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذاكانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصليَ بـــهم ، ووددت يارسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سأفعل إن شاء الله، قال عتبان: فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك ؟ قال: فأشرت له الى ناحية من البيت، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر، فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلم .قال: وحبسناه على خزيرة صنعناها له، قال: فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عدد فاجتمعوا الى آخر الحديث، قال الحافظ في ((فتح الباري)) ج ١ص ٥٢٢ في شرح هذا الحديث: فيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أو وطئها، ويستفاد منه: أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة، وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منـــزل بعضهم ليستفيدوا منه ويتبركوا به، قوله أصلي لقومي: أي لأجلهم والمراد أنه يؤمهم . وقوله على خزيرة: بخاء معجمة مفتوحة بعدها زاي مكسورة ثم ياء تحتانية ثم راء ثم هاء نوع من الأطعمة، قيل: هو حساء من دقيق فيه دسم ، وقيل غير ذلك. وروى مسلم في باب سترة المصلي عن سلمة وهو ابن الأكوع أنه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبح فيه، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى ذلك المكان. وفي رواية أخري لمسلم عن يزيد يعني ابن أبي عبيد قال: كان سلمة يتحرى الصلاة عند الأسطوانة التي عند المصحف. فقلت له: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها. قوله يسبح فيه: أي يصلي ، وقوله مكان المصحف هو المكان الذي وضع فيه صندوق المصحف في المسجد الشريف النبوي، وذلك المصحف هو الذي سمي إماما من عهد عثمان رضي الله عنه اهـــ. كذا بـــهامش صحيح مسلم .

التبرك بموضع قدميه صلى الله عليه وسلم

وفي ((المفاهيم)) روى النسائي عن أبي مجلز أن أبا موسى رضي الله عنه، كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بـــها فقرأ فيها بـــمائة آية من النساء ثم قال : ما آلوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قدميه، وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التبرك بمنبره صلى الله عليه وسلم

وفي بعض نسخ ((الشفاء)) للقاضي عياض: رؤي ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه. وقال علي قارئ في شرحه على هذه النسخة ج ٣ ص ٥١٨ : رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القاري، وعن أبي قسيط والعتبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون. قال الملا على قاري جسوا بفتح الجيم وتشديد السين المهملة، أي حسوا ومسوا، ورمانة المنبر العُقدة المشابـــهة للرمانة، والمعنى تمسحوا بأيمانـــهم طلبا لليمن والبركة.

وفي ((المفاهيم)) ص١٥١ نقلا عن ((اقتضاء الصراط المستقيم)) ص ٣٦٧: روى ذلك ابن تيمية أيضا عن الإمام أحمد، وأنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة، وذكر أن ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك اهـــ .

وفي ((شواهد الحق)) للنبهاني ص ١١٧ : قال السيد السمهودي في ((خلاصة الوفا)): وفي كتاب ((العلل والسؤالات)) لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بمسه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال: لا بأس به.

وقال الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١١ ص ٢١٢: قد ثبت أن عبد الله بن أحمد سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأسا. قال الذهبي: أين المتنطع المنكر على أحمد؟ أعاذنا الله من رأي الخوارج ومن البدع.

وفي ((نسيم الرياض شرح الشفاء)) ج ٣ ص٦١: كان لمنبره صلى الله عليه وسلم ثلاث درج فزيد عليه في أيام معاوية رضي الله عنه ست درجات فصارت تسعا، ثم لما جددوه اتخذ بعض بني العباس من أعواده القديمة أمشاطا يتبرك بـــها اهـــ . وقال ملا على قارئ في ((شرح

الشفاء)) ج ٣ ص٦١: إن المنبر احترق أول ليلة من رمضان سنة ٦٥٤، وكان ذلك على الناس من أعظم المصيبة اهـ .

التبرك بثيابه صلى الله عليه وسلم

روى البخاري في كتاب الأدب في باب حسن الخلق والسخاء وفي اللباس وفي الجنائز في باب من استعد الكفن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه عن سهل رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة فيها حاشيتها : أتدرون ما البردة ؟ قالوا: الشملة، قال: نعم قالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها ، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره ، فحسنها فلان فقال: اكسنيها ما أحسنها ، قال القوم: ما أحسنت ، لبسها النبي محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد، قال: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه . هذا لفظه في كتاب الجنائز وقوله أتدرون: هو مقول سهل بن سعد كما أخرجه المصنف في الأدب ولفظه: فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة ؟ والصحابي الذي سأل البردة ليكفن فيها تبركا بها هو عبد الرحمن ابن عوف كما أفاده الحافظ ابن حجر في مقدمة ((الفتح)) وقيل: سعد بن أبي وقاص. وفي البخاري في كتاب الأدب أن هذا الصحابي قال في جواب أصحابه لما لاموه بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم، لعلي أكفن فيها. قال الحافظ في ((فتح الباري)) ج٣ ص ١٤٤: وفي هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين. قال ابن بطال وفيه جواز إعداد الشيء قبل وقت الحاجة إليه، قال: وقد حفر جماعة من الصالحين قبورهم قبل الموت. وقال بعض الشافعية: ينبغي لمن استعد شيئا من ذلك أن يجتهد في تحصيله من جهة يثق بحلها أو من أثر من يعتقد فيه الصلاح والبركة اهـ . وعقد الإمام النووي بابا لهذا فقال في ((خلاصة الأحكام)) ج ٢ ص ٩٥٥: باب استحباب ادِّخار الكفن إذا كان مما يتبرك به. واستدل بحديث سهل السابق.

وقد تبرك سعد بن أبي وقاص أيضا بجبة لقي فيها المشركين، ففي ((أسد الغابة)) ج٢ص٢٩٣ لما حضرت وفاة سعد بن أبي وقاص دعا بخلق جبة له من صوف، فقال: اكفنوني فيها، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي عليّ، وإنما كنت أخبأها لهذا .

لطيفة

قال الحافظ القسطلاني في ((المواهب اللدنية)) : استنبط من هذا الحديث السادة الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم ، كما استدلوا لإلباس الشيخ

للمريد بحديث أنه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالد خميصة سوداء ذات علم. وروى البخاري في كتاب الجنائز في باب كيف الإشعار للميت ؟ أن ابن سيرين قال: جاءت أم عطية رضي الله عنها – امرأة من الأنصار من اللاتي بايعن — قدمت البصرة تبادر ابنا لها فلم تدركه، فحدثتنا قالت : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نغسل ابنته وقال: اغلسنها ثلاثا أو خسما أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافورا، فإذا فرغتن فآذنني ، قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوه فقال: أشعرنـــها إياه ولم يزد على ذلك. وقال الحافظ في ((الفتح)) قوله تبادر ابنا لها فلم تدركه هذا الابن ما عرفت اسمه، وكأنه كان غازيا فقدم البصرة فبلغ أم عطية وهي بالمدينة قدومه وهو مريض، فرحلت إليه فمات قبل أن تلقاه. وقوله أشعرنـــها إياه: أي اجعلنه شعارها أي الثوب الذي يلي جسدها.وقوله حقوه: بفتح المهملة ويجوز كسرها بعدها قاف ساكنة والمراد به هنا الإزار. والحقو في الأصل معقد الإزار ، وأطلق على الإزار مجازا. وهذا الحديث أصل في التبرك بآثار الصالحين. وقال الحافظ في ((الفتح)) ج ٣ ص ١٢٩: قيل: والحكمة في تأخير الإزار معه إلى أن يفرغن من الغسل ولم يناولهن إياه أولا ليكون قريب العهد من جسده الكريم حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل اهـــ ملخصا.

وروى هذا الحديث مسلم بطرق في باب غسل الميت.

قال النووي في ((شرح مسلم)) ج ٧ ص ٣ : كانت أم عطية غاسلة للميتات، وكانت من فاضلات الصحابيات، والحكمة في إشعارها بحقوه صلى الله عليه وسلم تبريكها به، ففي الحديث التبرك بآثار الصالحين ولباسهم اهـــ.

وفي ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) ج٣ص١٥٣: أن أنس بن مالك كانت عنده عصابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات دفنت معه بين جبينيه وبين قميصه اهـــ والعصابة بكسر العين العمامة كما في ((القاموس)) .

وفي ((البداية والنهاية)) ج ٨ ص ١٤٣ وقد ورد من غير وجه أن معاوية رضي الله عنه أوصى إلى ابنه يزيد أن يكفن في ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كساه إياه، وكان مدخرا عنده لهذا اليوم، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامة اظفاره في فمه وأنفه وعينيه وأذنيه. وروى البخاري في كتاب اللباس عن سعيد بن العاص عن أم خالد بنت خالد قالت: أتي النبي بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: من ترون أن نكسو هذه ؟ فسكت القوم ، قال: ائتوني بأم خالد فأتي بـــها تحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: أبلي وأخلقي، وكان فيها علم

أخضر أو أصفر، فقال: يا أم خالد هذا سناه، وسناه بالحبشية. وفي ((فتح الباري)): وفي بعض الروايات: سناه سناه، قال الحميدي يعني حسنا حسنا. قال الزرقاني: الخميصة بفتح الخاء المعجمة وكسر الميم ثوب من حرير أو ثوب معلم أو كساء رقيق من أي لون كان اهـــ. وقيل: لا تسمى خميصة حتى تكون سوداء معلمة . وقد ذكرنا عن القسطلاني وملا علي بن سلطان قاري أن بعضهم استدلوا بحديث أم خالد لإلباس خرقة الصوفية، وسيأتي إن شاء الله الكلام عن خرقة الصوفية مبسوطا في التبرك بثياب الصالحين.

وفي شرح الزرقاني على ((المواهب اللدنية)) ج٧ ص ٨٣-٨٤: روى أبو نعيم عن عباد بن عبد الصمد : أتينا أنس بن مالك ، فقال: يا جارية هلمي المائدة نتغدى، فأتت بـــها ، ثم قال: هلمي المنديل ، فأتت بمنديل وسخ ، فقال: اسجرى التنور ، فأوقدته فأمر بالمنديل فطرح فيه ، فخرج أبيض كأنه اللبن ، فقلنا : ما هذا ؟ قال: هذا منديل كان صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه، فإذا اتسخ صنعنا به هكذا ، لأن النار لا تأكل شيئا مر على وجوه الأنبياء اهـــ .

التبرك بنقده صلى الله عليه وسلم

روى مسلم رحمه الله في صحيحه عن جابر رضي الله عنهما قال: أقبلنا من مكة إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتل جملي، وساق الحديث بقصته، وفيه ثم قال لي: بعني جملك هذا قال: قلت :لا بل هو لك، قال: لا، بل بعنيه، قال: قلت: لا، بل هو لك يا رسول الله، قال: لا، بل بعنيه، قال: قلت: فإن لرجل علي أوقية ذهب فهو لك بـــها، قال: قد أخذته فتبلغ عليه إلى المدينة، قال: فلما قدمت المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال: أعطه أوقية من ذهب وزده، قال: فأعطاني أوقية من ذهب وزادني قيراطا، قال: فقلت: لا تفارقني زيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكان في كيس لي فأخذه أهل الشام يوم الحرة. قال النووي في شرحه لهذا الحديث ج١١ ص ٣٦ : فيه التبرك بآثار الصالحين لقوله: لا تفارقه زيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التبرك بعنـــزته صلى الله عليه وسلم

العنـــزة بفتح العين والنون عصا عليه زج ، والزج بضم الزاي الحديدة التي في أسفل الرمح. روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام إداوة من ماء وعنـــزة يستنجي بالماء . قال العيني في شرح هذا الحديث ج٢ ص ٢٩٦ : توارث هذه العنـــزة بعده صلى الله عليه وسلم الخلفاء رضي الله عنهم. وعبارته : قال الزبير بن العوام : رأيت سعيد بن العاصي وفي يدي عنـــزة فأطعن بـــها

في عينه حتى أخرجتها متفقأة، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تحمل بين يديه وبعده بين يدي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، ثم طلبها ابن الزبير رضي الله عنهما فكانت عنده حتى قتل. وفي ((مفاتيح العلوم)) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي : هذه الحربة وتسمى العنــزة كان النجاشي أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت تقام بين يديه إذا خرج إلى المصلى، وتوارثها من بعده الخلفاء رضي الله عنهم. وفي ((الطبقات)) أهدى النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عنــزات ، فأمسك واحدة لنفسه ، وأعطى عليا واحدة ، وأعطى عمر واحدة.

التبرك بسيفه صلى الله عليه وسلم

وفي ((الزرقاني شرح المواهب اللدنية)) ج٥ص٨٦ : روي عن الأصمعي أنه أحضر الرشيدُ يوما ذا الفقار فأذن لي في تقبيله فقبلته، واختلفت أنا ومن حضر في عدة فقاره هل هي سبع عشرة أو ثماني عشرة، وقال الأصمعي أيضا: دخلت على الرشيد فقال: أريكم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقار؟ قلنا: نعم، فجاء به فما رأيت سيفا قط أحسن منه، إذا نصب لم ير فيه شيء ، وإذا بطح عد فيه سبع فقر، وإذا صفيحة يمانية يحار الطرف فيه من حسنه، وكان صلى الله عليه وسلم أخذه من غنيمة بدر كما أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه، وروى الحسن بن عرفة أن ملكا نادي من السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي اهـــ .

وقال في ((المواهب اللدنية)): كان في وسط هذا السيف مثل فقرات الظهر، ويجوز في فائه الكسر والفتح .

وكان لا يفارقه صلى الله عليه وسلم يكون معه في كل حرب يشهدها .

فائدة

قال الهيتمي في ((شرح الشمائل)) ص١٦٣: جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان عنده ثمانية سيوف كل له اسم خاص .

وفي ((المواهب اللدنية)) أن له صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف وهي مأثور، وهو أول سيف ملكه، والعضب بفتح العين وسكون المعجمة وذو الفقار، والقلعي بضم القاف أو فتحها وفتح اللام، والبتّار بفتح الموحدة وتشديد الفوقية، والمخذم بكسر الميم واسكان الخاء وفتح الذال المعجمة، والرسوب بفتح الراء، والحتف، والقضيب اهـــ وفي ((الزرقاني)) زاد اليعمري وغيره

الصمصامة بفتح فسكون، واللحيف، فهذه أحدى عشرة أو عشرة إن حذف منها القضيب فإن فيه خلافا اهـــ .

التبرك بسريره صلى الله عليه وسلم

وفي ((المواهب اللدنيه)) وشرحه للزرقاني ج٥ص٩٦: كان له صلى الله عليه وسلم سرير قوائمه من ساج أهداه إليه أسعد بن زرارة فكان ينام عليه، ثم وضع عليه لما مات، ثم الصديق، ثم الفاروق، ثم صار الناس يحملون عليه موتاهم تبركا به، ثم بيع في زمن بني أمية فاشترى ألواحه عبد الله بن اسحاق بأربعة آلاف درهم، ذكره ابن العماد وفي ((الروض)) أنه كان خشبات مشدودة بالليف اهـــ .

وروى الحافظ أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) بسنده ج٥ ص٣٢٦ – ٣٢٧ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان عنده سرير النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه وقدح وجفنة ووسادة حشوها ليف وقطيفة ورداء، فكان إذا دخل عليه النفر من قريس قال: هذا ميراث من أكركم الله به وأعزكم به وفعل وفعل اهـــ .

التبرك بسواكه صلى الله عليه وسلم

روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يستاك فيعطيني السواك لأغلسه، فأبدأ به فأستاك ثم أغسله وأدفعه إليه. والمعنى كما في ((بذل المجهود شرح سنن أبي داود)) ج١ص ١٢٧: يعطيني صلى الله عليه وسلم السواك لأغسله للتنطيف، قال ابن حجر يؤخذ منه أن غسل السواك في أثناء التسوك وبعده قبل وضعه سنة، وقولها: فأبدأ به أي باستعماله قبل الغسل لنيل البركة ، ولا أرضى أن يذهب بالماء ما صحبه السواك من ماء أسنانه، وأستاك به تبركا ثم أغلسه تأدبا اهـــ.

التبرك بنعله الكريمة المباركة صلوات الله وسلامه عليه

اعلم أنه أفرد بعض العلماء بالتأليف في نعله صلى الله عليه وسلم كأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج الأندلسي، وأبي اليمن بن عساكر، فإن كلا منهما ألف في تمثالها جزءا مفردا. ومما قال فيها الحافظ العراقي :

ونعله الكريمة المصونة   طوبي لمن مسّ بـــها جبينه

إلى آخر الأبيات.

قال القسطلاني في ((المواهب)) ج٢ ص ٤٦٧ : ومن بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد وكان شيخا صالحا قال: حذوت مثال

نعله صلى الله عليه وسلم لبعض الطلبة، فجاءني يوما فقال لي رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجبا، أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها، فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل فشفاها الله للحين. وقال أبو إسحاق: قال أبو القاسم بن محمد : ومما جرب من بركته أن من أمسكه عنده متبركا به كان له أمانا من بغي البغاة وغلبة العداة، وحرزا من كل شيطان مارد وعين كل حاسد، وإن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله وقوته .

وكان عبد الله بن مسعود بن غافل رضي الله عنه صاحب نعليه صلى الله عليه وسلم، ففي ((صفة الصفوة)) ج١ص ٣٩٧ للحافظ ابن الجوزي: روي عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله يلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد: أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواك والنعلين.

وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ج٤ ص ٢٣٤ : أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحمل نعليه، وقال علقمة : قال لي أبو الدرداء: أليس فيكم صاحب النعلين والسواك والوساد ؟يعني عبد الله اهـــ.

وفي ((البداية والنهاية)) ج١٠ص ١٥٣: أن المهدي بن المنصور أمير المؤمنين دخل عليه رجل يوما ومعه نعل فقال: هذا نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديته لك، فقال: هاتـــها، فناوله إياها فقبلها ووضعها على عينيه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما انصرف الرجل قال المهدي: والله إني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير هذه النعل فضلا عن أن يلبسها، ولكن لو رددته لذهب يقول للناس: أهديت إليه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي، فتصدقه الناس، لأن العامة تميل إلى أمثالها، ومن شأنـــهم نصر الضعيف على القوي وإن كان ظالما، فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم، ورأينا هذا أرجح وأصلح .

وفي ((تـــهذيب تاريخ ابن عساكر)) ج٦ ص ٢٩٠: أن نعلي النبي صلى الله عليه وسلم كانتا عند شداد بن أوس الصحابي رضي الله عنه ، فانتقلتا إلى ابنه محمد فطلبت منه أخته احدى النعلين ، وقالت له: إن هذه مكرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحب أن تشرك فيها ولديّ فأخذت منه واحدة، فمكثت النعل عندها حتى أدرك أولادها، فلما أن صار

المهدي إلى بيت المقدس أتاه ولداها وعرفوه نسب بنت شداد، فعرف ذلك وقَبِلَ النعل منهما وأجاز كل واحد بألف دينار ، وأمر لكل واحد منهما بضيعة ، ثم بعث إلى محمد بن شداد فأتي به محمولا على أيدي الرجال لزمانته، فسأله عن خبر النعل فصدق مقال الرجلين فيها، فقال له المهدي: ائتني بالأخرى، فبكى واسترحمه وناشده بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إن الأمر قد قرب مني فلا تفجعني بـــها ولا تسلبني مكرمة اختصنا بـــها ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، فرق المهدي للشيخ وأقرها على حالها.

قال محمد بن عبد الوهاب: أخبرني من أدركت من مشايخ الأنصار من ولد شداد وغيره أن الرجلين يعني اللذين زهدا في النعل هلكا وهلك ما كان لهما و لم يعقبا انتهى باختصار.

وذكر هذه القصة الذهبي مختصرة في ((سير أعلام النبلاء)) ج ٢ ص ٤٦٣ .

وألف الشيخ العلامة الشهاب أحمد المَقَرِيّ صاحب كتاب ((نفح الطيب)) المتوفى سنة ١٠٤١ كتاب ((فتح المتعال في مدح النعال الشريفة النبوية)) واختصره العلامة النبهاني بمختصر سماه ((بلوغ الآمال من فتح المتعال)) كما ذكره في ((جواهر البحار)) له ج٣ ص١٤٦.

وفي ((الضوء اللامع)) للحافظ السخاوي ج١٠ص٨٠: أن مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي صاحب ((القاموس)) قرأ صحيح مسلم على ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهبل بدمشق تجاه نعل النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أيام اهـــ ومثله في ((شذرات الذهب)) ج٧ ص ١٣٠ وقال : وتبجح بذلك مجد الدين وقال:

قرأت بـــحمد الله جامـــع مسلم بجوف دمشق الشام جوف لإسلام
على ناصر الدين الإمام ابن جهبل بحضرة حـــفاظ مشاهير أعـــلام
وتم بتوفـــيـــق الإلـــه وفضلـــه قـــراءة ضبـــط فـــي ثلاثة أيام

فسبحان المانح الذي يؤتي فضله من يشاء اهـــ .

قلت: الظاهر أن الشيخ مجد الدين تبرك بالنعل الشريفة وأن الله أعاد عليه من بركاتـــها ما تبهر له العقول وتسر به القلوب، فلله الحمد الذي أراه من بركاتـــها ما تقر به عينه، ويعتبر به ذوو القلوب الصافية وأصحاب المحبة للآثار النبوية، صلى الله وسلم على من تشرفت هي به والله أعلم.

وفي ((المواهب اللدنية)): قال أبوبكر أحمد بن الإمام أبي محمد عبد الله بن الحسين القرطبي:

ونعـــل خـــضعنا هيبة لبهـــائها وإنا متى نخضع لها أبدا نعـــلو
فضعها على أعلى المفارق إنـــها حقيقتها تاج وصورتـــها نعل

وفي شرح الزرقاني ج ٦ص ٣٥٨ : كان أبو بكر أحمد بن أبي محمد القرطبي فقيها محدثا مقرئا مجودا صادق الورع معرضا عن الدنيا لا يضحك إلا تبسما نادرا ، توفي سنة ٦٥٢هـــ .

وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج ٦ ص ٧: اشتهر في حدود سنة ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له : ابن أبي الحدرد نعل مفردة ذكر أنـــها نعل النبي صلى الله عليه وسلم، فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها، فاتفق موته بعد حين، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور، فأخذها إليه وعظمها ، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية جعلها في خزانة منها، وجعل لها خادما، وقرر له من المعلوم كل شهر أربعين درهما، وهي موجودة إلى الآن في الدار المذكورة اهـــ .

التبرك بحنوطه صلى الله عليه وسلم

وفي ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) ج١ص٣٢٠ : قيل: كان عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصي أن يحنط به.

التبرك بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمهيد

اعلم أن موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع كلها، وأجمعت الأمة على ذلك كما صرح به القاضي عياض، فقال في كتابه ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)): لا خلاف أن موضع قبره أفضل من بقاع الارض، وقال الشهاب الخفاجي في كتابه ((نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض)) ج ٣ ص ٥٣١: وافق القاضي عياضا على هذا الإمامُ السبكي فقال: الإجماع على أن قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع. وقال القرافي ((في القواعد)) للتفضيل أسباب، منها المجاورة كتفضيل جلد المصحف، ومنها الحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على البقاع. وقال ابن عبد السلام : التفضيل يكون لأمور غير العمل ، فقبره صلى الله عليه وسلم أفضل الأمكنة لتجلي الله له بما ينـــزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة اهـــ. وفي ((المواهب اللدنية)) ج ٤ ص ٦٠٢-٦٠٣ للحافظ القسطلاني: وأجمعوا على أن الموضع الذي ضمّ أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض، بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في ((فضائل المدينة)) عن ابن عقيل الحنبلي أنـــها أفضل من العرش، وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السموات. وقد روى أبو يعلى عن أبي بكر أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه، ولا شك أن أحبها إليه أحبها الى ربه

تعالى، لأن حبه صلى الله عليه وسلم تابع لحب ربه جل وعلا، وما كان أحب إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل؟ اهـ. وقال ابن الحاج في كتابه ((المدخل)) ج١ ص ٢٥٧: وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه .

ونقل الإمام النووي في ((شرح مسلم)) ج ٩ ص ١٦٣ الإجماع على ذلك عن القاضي عياض وسكت عليه. وجرى على ذلك ابن حجر الهيتمي.

وفي ((المرقاة)) لملا علي بن سلطان قاري ج٦ص ١٠: أن البقعة التي ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم هي أفضل من مكة بل من الكعبة بل من العرش إجماعا .

وفي ((السيرة الحلبية)) ج ٣ ص ٤٩٥: أن الإجماع قام على أن هذا الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة، قال بعضهم: وأفضل من بقاع السماء أيضا حتى من العرش.

وفي الجامع اللطيف للعلامة الحنفي جمال الدين محمد جار الله بن محمد ص ١٥٥: أن القاضي عياض نقل أن محل قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة، ولقد أحسن وأبدع من قال:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها

فإذا كان حال هذا المكان الشريف كما ذكرناه ومزيته كما وصفناه فلا شك أنه ينبغي لنا معشر المؤمنين به صلى الله عليه وسلم الاهتمام بزيارته ، والتبرك بموضع إقامته ، وشد الرحال إلى وصول جنابه، واستمداد البركات من بحار عطائه وجزيل نواله، واستنشاق مسكه وعبير ضريحه وبارد نسيمه، والتسلي بقصد مثواه إن غاب عنا بدر كماله .

وما زال الناس سلفا وخلفا يقصدون إلى زيارته صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة للتبرك بتلك الآثار النبوية فقد نقل القاضي عياض في ((الشفاء)) ج٢ ص٨٥ وابن الحاج في ((المدخل)) ج١ص٢٦١: أن الشيخ إسحاق بن إبراهيم الفقيه قال: ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يده ومواطئ قدميه، والعمود الذي كان يستند إليه، وينـزل جبريل بالوحي فيه عليه، وبمن عمّره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله انتهى بلفظه.

فزيارته صلى الله عليه وسلم سنة مؤكدة مهمة جدا، وقد ورد بذلك أحاديث كثيرة، وصنف فيها العلماء كالإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، صنف فيه كتابا نفيسا جدا سماه

((شفاء السقام في زيارة خير الأنام)) وألف ابن حجر الهيتمي فيها كتابا اسمه ((الجوهر المنظم)) وهو جزء لطيف مفيد، وانعقد إجماع الأمة على مشروعية الزيارة، فمن أنكرها فقد خرق إجماع هذه الأمة المعصومة، وممن نقل الإجماع عليها القاضي عياض فقال في ((الشفاء)): زيارة قبره عليه الصلاة والسلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها اهـ. وقال الملا علي بن سلطان قاري في شرحه على ((الشفاء)) ج٣ ص٥١١: وممن ادعى الإجماع عليها النووي وابن الهمام، بل قيل: إنها واجبة اهـ وقال الحافظ القسطلاني في ((المواهب اللدنية)) ج٤ ص٥٧٢: أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي وأوجبتها الظاهرية.

وفي ((المدخل)) لابن الحاج ج١ص ٢٥٦ : أن ابن هبيرة نقل في كتاب ((اتفاق الأئمة)) الاتفاق على ذلك فقال: اتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم مستحبة. ونقل عبد الحق في ((تهذيب الطالب)) عن أبي عمران الفاسي: أن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة، وقال عبد الحق : يريد وجوب السنن المؤكدة. وفي ((المدخل)) أيضا: أن الغزالي رحمه الله قال: كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته. وقال ابن حجر الهيتمي في ((الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم)) ص ٦-٧ : نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول في نقل الخلاف الإجماع على مشروعية زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم . فهي مطلوبة بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، ثم ذكر تفصيل ذلك تفصيلا واضحا جليا.

وقال الهيتمي أيضا في ((حاشية الإيضاح)) للنووي ص ٤٨٩ : نقل المحققون الإجماع على سنّ زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذا تحققت أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم مطلوبة شرعا، و أن الإجماع انعقد على ذلك، تحققت أن منكر ذلك مغرور مخدوع استهوته الشياطين واستحوذت عليه، وغلبت عليه التخيلات والوساوس وقادته نفسه واتبع هواه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ ! فما أعظم خسرانه ومصيبته!! أعاذنا الله من الوقوع في حبيبه والحرمان من بركاته، قال الحافظ القسطلاني في ((المواهب اللدنية)) ج ٤ ص ٥٧٠: اعلم أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات، وأرجى الطاعات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام ، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام اهـ .

وقد أجاد من قال :

هنيئا لمن زار خير الورى وحط عن النفس أوزارها

فإن السعادة مضمـــونة   لمن حـــلّ طيبة أو زارها

وقال ابن بطوطة في ((رحلته)) ص ١٢١: لما وصلنا إلى المدينة المنورة ذكر لي علي بن حجر الأموي أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلا يقول له: اسمع مني واحفظ عني

هنيئا لكـــم يا زائرين ضريحه   أمنتم به يوم المعـــاد من الـــرجس

وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبة   فطوبى لمن يضحي بطيبة أو يمسي

وقال ابن الحاج في ((المدخل)) ج١ص٢٥٨-٢٦٤ في فصل عقده لزيارة سيد الأولين والآخرين: لا يخيب من قصده، ولا من نزل بساحته، ومن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد، لما شهدت المعاينة والآثار، فإن التوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط الأوزار، وأثقال الذنوب والخطايا ، لأن بركة شفاعته صلى الله عليه وسلم وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنـــها أعظم من الجميع ، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عز وجل: ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما، فمن جاءه ووقف ببابه وتوسل به وجد الله توابا رحيما، لأن الله عز وجل منـــزه عن خلف الميعاد، وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه ، فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين، معاند لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، نعوذ بالله من الحرمان اهـــ . ثم قال بعد ذلك : وقد لا يحتاج الزائر في طلب حوائجه ومغفرة ذنوبه أن يذكرها بلسانه، بل يحضر ذلك في قلبه وهو حاضر بين يديه صلى الله عليه وسلم، لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم منه بحوائجه ومصالحه، وأرحم به منه لنفسه، وأشفق عليه من أقاربه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: إنما مثلي ومثلكم كمثل الفراش ، تقعون في النار وأنا آخذ بحجزكم عنها أو كما قال، وهذا في حقه صلى الله عليه وسلم في كل وقت وأوان، أعني في التوسل به وطلب الحوائج بجاهه عند ربه عز وجل ، ومن لم يقدر له زيارته صلى الله عليه وسلم بجسمه فلينوها كل وقت بقلبه، وليحضر قلبه أنه حاضر بين يديه صلى الله عليه وسلم مستشفعا به إلى من منّ به عليه. اللهم لا تحرمنا شفاعته ولا عنايته في الدنيا والآخرة، وأدخلنا بفضلك في زمرة المتبعين له بإحسان إلى يوم الدين بجاهه عندك، فإن جاهه عندك عظيم اهـــ.

وقال الحافظ السخاوي في ((القول البديع))ص٢٠٣: وليملأ الزائر قلبه من هيبته وليتحقق أنه صلى الله عليه وسلم يسمع سلامه وفي الشدائد يساعده .

تنبيه في بيان تفاوت شرف الأشياء التي تشرفت به صلى الله عليه وسلم

قال ابن الحاج في ((المدخل)) ج ١ ص ٢٥٦-٢٥٧: سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول: مضت حكمة المولى تبارك وتعالى على أنه عليه الصلاة والسلام تتشرف الأشياء به، ولا يتشرف هو بـــها، فلو بقي عليه الصلاةوالسلام في مكة إلى انتقاله إلى ربه تعالى لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة ، فانظر إلى الأشياء التي باشرها عليه الصلاة والسلام تجدها أبدا تتشرف حسب مباشرته لها، وبقدر ذلك يكون التشريف، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام قال في المدينة: ترابـــها شفاء، وما ذاك إلا لتردده بتلك الخطا الكريمة في أرجائها لعيادة مريض أو إغاثة ملهوف أو غير ذلك، ولما كان مشيه عليه الصلاة والسلام في مسجده بالمدينة أكثر من تردده في غيره من المدينة عظم شرفه بذلك، فكانت الصلاة فيه بألف صلاة، ولما كان تردده عليه الصلاة والسلام بين بيته ومنبره أكثر من تردده في المسجد كانت تلك البقعة الشريفة بنفسها روضة من رياض الجنة. قال عليه الصلاة والسلام : ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة اهـــ .

ولما كان قبره الشريف مثواه صلى الله عليه وسلم الذي ضم جسده إلى أن تقوم القيامة كان جديرا بأن ينال بجواره صلى الله عليه وسلم مرتبة سنية لا تطمع فيها بقعة من بقاع الأرض والسموات، فلهذا أجمعت الأمة المحمدية على تفضيل هذا القبر المبارك على جميع الأماكن والبقاع كلها .

باب في ذكر أمور تتـــعلق بزيارته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الفضائل الواردة والبركات المذكورة في زيارته صلى الله عليه وسلم إنما تنال باتباع الشرع وامتثال أوامره في كيفية الزيارة لا بمتابعة الأهواء، والانقياد للشيطان، فإن أساس الخير الاقتداء والاتباع، وأساس الشر الاختراع والابتداع، ولقد حدث في هذه الأزمنة أمور وأحوال عظام لم يتساءل فاعلوها هل هي موافقة للشريعة أم هي مخالفة لها ؟ سلكوا فيها مسالك التفريط والإفراط في زيارتـــهم .

لهذا رأيت أنه لا بد أن أذكر قليلا مما له تعلق بالزيارة الشرعية نصيحة لزائري ضريحه الشريف صلى الله عليه وسلم وزائري قبور الصالحين.

ولزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم آداب وأمور يفعل بـــها الناس، منها ما هو محظور يجب الاحتراز عنه، ومنها مكروه ومنها مندوب إليه ينبغي الاعتناء والاهتمام به لينال الزائر ثواب زيارته بكماله، فمن الآداب أن يغتسل الزائر ويلبس أنظف ثيابه، وأن يستحضر في قلبه

شرف المدينة، وأنــها أفضل الدنيا بعد مكة عند بعض العلماء، وأن الذي شُرِّفت به هو خير الخلائق أجمعين، وليكن مستشعرا لتعظيمه صلى الله عليه وسلم، ممتلئ القلب من هيبته كأنه يراه، وأن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها زاد من الصلاة والتسليم عليه، ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته وأن يتقبلها منه، وإذا أتى القبر الشريف استدبر القبلة ويستقبل القبر، ويبعد من رأس القبر نحو أربعة أذرع، ويقف ناظرا إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر غاض الطرف في مقام الهيبة والإجلال، فارغ القلب من علائق الدنيا، مستحضرا في قلبه جلالة موقفه ومنــزلة من هو بحضرته، ثم يسلم ولا يرفع صوته، فيقول: السلام عليك يا رسول الله، ويدعو لنفسه بما أهمه وما أحبه ولوالديه ولمن شاء من أقاربه وأشياخه وإخوانه وسائر المسلمين، ثم يأتي الروضة فيكثر فيها الدعاء، ويستحب أن يصوم بالمدينة ما أمكنه. هذا ما لخصته من ((الإيضاح في مناسك الحج)) للإمام النووي . وآداب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم كثيرة نقتصر منها هنا على ما ذكرناه وسيأتي طرف منها قريبا إن شاء الله تعالى .

ومن المحظور الطواف، بلغني أن بعض زائري القبور يطوفون بــها، وهو حرام شرعا، فقد قال الإمام النووي محرر المذهب الشافعي في ((المجموع)) ج ٨ ص٢٧٥ و((الإيضاح في مناسك الحج)) ٥٠١: لايجوز أن يطاف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم. وتبعه على ذلك ابن حجر الهيتمي فقال في ((الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم)) ص ٦٣ مانصه: لايجوزأن يطاف بقبره صلى الله عليه وسلم كمانقله النووي رحمه الله عن إطباق العلماء، ويوجه بأنــهم كماأجمعوا على تحريم الصلاة لقبره إعظاما له كذلك أجمعوا على حرمة الطواف بقبره، لأن الطواف بمنــزلة الصلاة كما في الحديث الصحيح إلافي مسائل ليست هذه منها اهــ.

وذكر ابن الحاج في ((المدخل)) ج١ص٢٦٣ بدعا محدثة في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم، وقال فيه: ترى من لاعلم عنده يطوف بالقبر الشريف كمايطوف بالكعبة الحرام، وذلك من البدع اهــ.

وفي ((النهاية)) ج٣ ص٣٢٠ للشمس الرملي: وليحذر من الطواف بقبره عليه الصلاة والسلام ومن الصلاة داخل الحجرة الشريفة بقصد تعظيمه.

قلت: لم أر مخالفا لهولاء الأئمة في تحريم الطواف بقبره صلى الله عليه وسلم ، وقدعلمت أن النووي رحمه الله نقل إطباق العلماء في التحريم.وعلى فرض وجودمخالف لهم فالذي ينبغي ترك الطواف أيضاخروجا من الخلاف .

وقد كان كثير من الناس يمسحون قبره الشريف صلى الله عليه وسلم باليد ويقبلونه تبركا.
واختلف في ذلك العلماء رحمهم الله تعالى، فقال بعضهم: بكراهته وبعضهم بإباحته واستحبابه، فمن القائلين بإباحته الإمام أحمدبن حنبل والسبكي وابن أبي الصيف اليمني والمحب الطبري، والرملي ووالده وغيرهم.
ومن القائلين بالكراهة النووي والهيتمي والغزالي والزعفراني وأحمدبن حنبل في رواية، وعبدالله ابن عمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضي الله عنهم وابن مرزوق والقليوبي وابن الحاج .
قال النووي رحمه الله تعالي في ((المجموع)) ج ٨ ص ٢٧٥ و((الإيضاح)) ص ٥٠١-٥٠٢: ويكره إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر الشريف قاله الحليمي وغيره. وقالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته صلى الله عليه وسلم ، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وجهالاتـــهم، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد وفي رواية لمسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجعلوا قبري عيدا وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواه أبو داود بإسناد صحيح، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ما معناه: اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ بالبركة فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء ، وكيف يبتغى الفضل في مخالفة الصواب انتهى ملخصا منهما.
وقال الغزالي في ((الإحياء)) ج ١ ص ٢٦٠ و ٢٧٢: في مبحث زيارة المدينة المنورة وآدابــها: ليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبّله فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام انتهى .
وقال الهيتمي أيضا في حاشية ((الإيضاح)) و((الجوهر المنظم)) : روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رجلا وضع يده على القبر المكرم فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا أي الدنوّ منه إلى هذا الحد وفي ((مغنى الحنابلة)) أنه لا يستحب التمسح بحائط القبر المكرم ولا تقبيله، وقال أحمد: ما أعرف هذا ، وظاهر كلام الأثرم وهو من أجل أصحابه أن ميل أحمد إلى المنع ، فإنه قال: رأيت أهل العلم بالمدينة الشريفة لا يمسون القبر المكرم، قال أحمد: وهكذا كان

يفعل ابن عمر رضي الله عنهما. وقال الزعفراني : وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعا، انتهى باختصار، وقال الهيتمي في ((الجوهر المنظم)) ٦٤: قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لا بأس بتقبيل القبر الشريف، وروى بعضهم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وقال المحب الطبري وابن أبي الصيف : يجوز تقبيل القبر الشريف ومسه وعليه عمل العلماء الصالحين، وقال السبكي : إن عدم التمسح للقبر الشريف ليس مما قام الإجماع عليه، ثم ذكر حديث إقبال مروان وهو أن مروان أقبل، فرأى الرجل ملتزم القبر الشريف فأخذ مروان برقبته ، ثم قال: هل تدري ما ذا تصنع ؟ فأقبل عليه فقال: نعم، إني لم آت الحجر ولا اللبن إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله . وهذا الرجل الملتزم القبر هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه أحمد والطبراني والنسائي بسند فيه من ضعفه النسائي ووثقه آخرون انتهى ما في ((الجوهر المنظم)). ثم أجاب الهيتمي عن أقوال العلماء المبيحين فقال: قول أحمد بن حنبل لا بأس به يحتمل نفي الحرمة ونفي الكراهة أي والمتبادر منه الأول كما حقق في كتب الفقه، ومرّ أيضا أن الإمام أحمد قال : ما أعرف هذا، وأن ظاهر كلام الأثرم رحمه الله أن ميل أحمد إلى المنع فإنه قال: رأيت أهل العلم بالمدينة الشريفة لا يمسون القبر المكرم، قال أحمد: وهكذا كان ابن عمر يفعل رضي الله عنه ، فتعارض الروايتان عن أحمد رحمه الله تعالى وبهذا يعارض رواية بعضهم عن ابن عمر أنه كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف أي إلا أن يحمل على أنه كان في بعض الأوقات يمسه لغلبة وجد أوحال. وقول الطبري وغيره: وعليه عمل العلماء إلخ يحتمل رجوع الضمير فيه إلى الجواز المأخوذ من يجوز وإلى نفس المس والتقبيل والأول أقرب. ومعنى ما قاله السبكي: إن عدم التمسح ليس مما قام عليه الإجماع أي ابتداء فما قاله النووي أي من إطباق العلماء على ذلك صحيح لا مطعن فيه. وحديث أبي أيوب الأنصاري ضعيف، وبتسليم صحته فيجوز أن يكون السلف أجمعوا على ذلك بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم أي لمصلحةِ فَطْمِ الناس عن ذلك المؤدي التمكين منه إلى مفاسد من العوام لا تنحصر كما هو ظاهر، على أن ما مر عن أبي أيوب مذهب صحابي وليس إجماعا سكوتيا كما هو ظاهر، أي لأن شرطه انتشار الواقعة حتى تبلغ علماء العصر ويسكتوا عليها، ولم يوجد ذلك هنا.وعلى ما وجهنا به ما مر عن ابن عمر رضي الله عنه أي من أنه كان في بعض الأوقات يمس القبر لغلبة وجد أو حال يحمل ما جاء عن غيره أيضا، كما جاء بسند جيد أن بلالا رضي الله عنه لما زار النبي صلى الله عليه وسلم من

الشام جعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر، وجاء عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لما قبض أخذت قبضة من تراب قبره الشريف، وجعلته على عينها وبكت وقالت منشدة بيتين :

ما ذا على من شم تربة أحمدا   أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنـــها   صبت على الأيام عـــدن لياليا

ورأيت الخطيب بن الجملة ذكر ما قلته، فإنه لما ذكر عن ابن عمر وبلال رضي الله عنهما ما قلته مما مر قال: لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم ، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته صلى الله عليه وسلم، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ، وأناس فيهم أناة يتأخرون، والكل على خير انتهى ما نقلته من ((الجوهر المنظم)) للهيتمي فتأمل ذلك فإنه مهم جدا، وهو في غاية التحقيق والتدقيق، ونقل الهيتمي أكثره أو كله من كتاب ((خلاصة الوفا)) للسيد السمهودي كما في ((شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)) للنبهاني ص١١٩. وفي ((المواهب اللدنية)) للحافظ القسطلاني : أن العلامة ابن مرزوق وغيره قال في شرح قول البوصيري :

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتثـــم

ليس المراد به تقبيل القبر الشريف فإنه مكروه .

وقال الهيتمي في ((حاشية الإيضاح)) و((الجوهر المنظم)): وعلم مما تقرر كراهة مس مشاهد الأولياء وتقبيلها، نعم إن غلبه وجد أو حال فلا كراهة، وفي ((نسيم الرياض شرح الشفاء)) للقاضي عياض للشهاب الخفاجي: أن تقبيل القبور بدعة .

وفي ((المدخل)) لابن الحاج: قال الإمام مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم الزائر النبي صلى الله عليه وسلم يقف، ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم عليه، ولا يمس القبر بيده، وقال ابن الحاج في موضع آخر منه: ترى من لا علم عنده يتمسح بالقبر الشريف ويقبله، ويلقون عليه مناديلهم وثيابـــهم ، يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع لأن البركة إنما تكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام اهـــ .

وقال الرملي في ((نـــهاية المحتاج بشرح المنهاج)) : ويكره تقبيل التابوت الذي يجعل فوق القبر كما يكره تقبيل القبر واستلامه، وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء ، نعم إن قصد بتقبيل أضرحتهم التبرك لم يكره كما أفتى به الوالد رحمه الله تعالى، وقد صرحوا بأنه إذا عجز عن استلام الحجر يسن له أن يشير بعصا وأن يقبّلها ، وقالوا : أي أجزاء البيت قبّل

فحسن اهـــ. وفي حاشية الرشيدي على ((النهاية)) ج٣ص٣٤ قوله التبرك هذا هو الواقع في تقبيل أضرحتهم وأعتابـــهم فإن أحدا لايقبّلها إلا لهذا القصد كما هو ظاهر اهـــ .

وفي ((بشرى الكريم)) ج٢ص٢٩: وفي تقبيل ضرائح الأولياء خلاف، فعند ابن حجر مكروه، وعند الرملي سنة اهـــ .

وقد ذكرنا في التبرك بمنبره صلى الله عليه وسلم أن الذهبي والسيد السمهودي قالا: سأل عبدالله ابن أحمد أباه عن الرجل يتبرك بمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك ؟ فقال: لا بأس به .

فالحاصل أن غالب الخلاف المذكور يدور بين الكراهة والإباحة المستوية الطرفين، وذكرنا أن صاحب ((بشرى الكريم)) نقل عن الرملي سنيّة التقبيل، ولا يخفى أن الطرفين متفقان على أنه لا يترتب عن التمسح ونحوه العقاب، وأنه لا يجب الندم والتوبة عنه، إذ لا يعصي مرتكب الكراهة ولا إثم عليه، فلا يهوّلنّك بعض العبارات المشدّدة المذكورة التي يُقصَدُ منها الزجر والتنفير، لا التحريم والتأثيم . ولا شك أن في ارتكاب المكروه شرعا في هذا الموقف العظيم سوء أدب وقلة حياء وعدم احترام للحضرة النبوية، فالتغليظ في التنفير عن ذلك هنا صواب مناسب، ورعاية المناسبات مطلوبة مستحسنة، فكل مقام له مقال .

مهمة

من آداب الزيارة التي يتساهلها كثير من زوار ضريحه الشريف صلى الله عليه وسلم الاستغاثة والتوسل به والاستشفاع به إلى المعبود بحق جل وعلا، وصرح بذلك كثيرون من أئمة المذاهب الأربعة و لم نعلم مخالفا لهم يعتد بخلافه.

ففي ((المواهب اللدنية)) للحافظ القسطلاني وشرحه للزرقاني ج ١٢ص٢١٩: ينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه. وقال في موضع آخر منه : ويجدد الزائر التوبة في حضرته الكريمة، ويسأل الله بجاهه أن يجعلها توبة نصوحة. وقال ابن حجر الهيتمي في ((الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم)) ص ٥١: يسن للزائر أن يتوسل به في حق نفسه ويستشفع به صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى ، قال أصحابنا وغيرهم من أهل المناسك من جميع المذاهب : ومن أحسن ما يقول ما جاء عن محمد العتبي رحمه الله قال: كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله

توابا رحيما، وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك يا رسول الله إلى ربي عز وجل، ثم بكى وأنشأ:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه　　　فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه　　　فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي: ثم استغفر وانصرف ، فحملتني عيناي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله تعالى قد غفر له، فخرجت خلفه فلم أجده. وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روي عن علي كرم الله وجهه أنـــهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى نفسه على القبر الشريف، على ساكنه الصلاة والسلام، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلتَ فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه وتعالى ووعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك قوله تعالى : ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك إلى آخر الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربي ، فنودي من القبر الشريف أنه قد غفر لك. وجاء ذلك عن علي أيضا من طرق أخرى، ويؤخذ من ذلك تجديد التوبة في ذلك الموقف الشريف.

وذكر قصة علي كرم الله وجهه الإمام القرطبي في تفسيره ج ٥ ص١٧٥ اهـــ وقال ابن حجر الهيتمي في ((الجوهر المنظم)) : جاء عن الأصمعي أنه رأى أعرابيا وقف على القبر الشريف وقال: إن هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سرّ حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك، وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتـــهلك عبدك، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، وإن هذا سيد العالمين أعتقني على قبره يا أرحم الراحمين، قال الأصمعي: فقلت له: يا أخا العرب إن الله تعالى قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال.

وقال الإمام النووي في ((الإيضاح في مناسك الحج)): ويتوسل به صلى الله عليه وسلم الزائر في حق نفسه ويتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول: ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له اهـــ ونذكر إن شاء الله عبارته بكمالها في مبحث التوسل.

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرح ((المنهج)) : ويتوسل به صلى الله عليه وسلم الزائر في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه، ومثله في ((النهاية)) للشمس الرملي، وذكر المحقق المحلي في شرح ((منهاج الطالبين)) في كتاب الحج مثل عبارة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ومثله في ((المغني)) للخطيب الشربيني ج ١ ص ٥١٢ .

وقال الشهاب الخفاجي في ((نسيم الرياض شرح الشفاء)) ج ٣ ص ٥١٧: يستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم أن يدعو ويستشفع به ويتضرع. وقد ذكرت آنفا عن ابن الحاج قوله: من جاءه صلى الله عليه وسلم ووقف ببابه وتوسل به وجد الله توابا رحيما، وقال في موضع آخر: من توسل به صلى الله عليه وسلم أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، وقد ذكرت عبارته بكمالها .

فهؤلاء بعض من صرح بسنيّة التوسل والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم عند زيارة ضريحه الشريف، وسيأتي إن شاء الله بسط هذه المسألة في مبحث التوسل والاستغاثة .

باب في مسائل في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك

الأولى منها: أنه ليس لزيارته صلى الله عليه وسلم وقت معين، بل هي في الأوقات كلها مطلوبة، وإن كانت في بعضها أشد استحبابا مثل عقيب أداء الحج، وليس لها وقت هي فيه ممنوعة أو مكروهة، فللزائر الاتيان بـــها في أي وقت شاء، وإن عين لها وقتا من الأسبوع فله ذلك ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يأتي قباء كل سبت كما رواه البخاري ومسلم، وفي رواية يزور راكبا وماشيا -بدل يأتي- فإذا جاز تحديد وقت من كل أسبوع لزيارة قباء تكون كذلك زيارة ضريحه الشريف صلى الله عليه وسلم ، فيجوز تعيين وقت لها من كل أسبوع أو غيره، إذ لا فرق بين زيارتيهما بل قبره صلى الله عليه وسلم أفضل من قباء وغيرها من المواضع كلها، فما جاز في زيارة قباء من التوقيت يجوز في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى، ومن التزم زيارته في رأس كل سنة فقد اهتدى بـــهديه صلى الله عليه وسلم وتمسك بسنته، ولا يضر تعيين ذلك الوقت وتحديده، فللإنسان تخصيص العبادات المطلقة في بعض الأزمان، وله توزيعها على الأوقات إذا لم يمنع من ذلك مانع شرعي، ولا مانع هنا أصلا، بل ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي تفسير ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى في سورة الرعد سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ما لفظه: حدثني المثنى قال: ثنا سويد قال: أخبرنا ابن المبارك عن ابراهيم بن محمد عن سهل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول، فيقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وأبو بكر وعمر وعثمان . وفي تفسير ابن كثير في تفسير هذه الآية أيضا ما لفظه: وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول، ويقول لهم: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان اهـــ . وقال ابن كثير أيضا في كتابه ((البداية والنهاية)) ج ٤ ص ٤٥

بعد ذكره رواية البيهقي الآتية ما لفظه: قال الواقدي: كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورهم أي الشهداء كل حول ، فإذا بلغ نقرة الشعب يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول، ثم عمر ثم عثمان اهــ.

وروى البيهقي في ((دلائل النبوة)) ج٣ص ٣٠٦ بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشهداء، فإذا أتى فرضة الشعب يقول : السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، ثم كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر رضي الله عنه بعد أبي بكر يفعله، وكان عثمان رضي الله عنه بعد عمر يفعله اهــ.

وكالزيارة في هذا جميع الطاعات المطلقة التي لم تقيد بوقت، كقراءةالقرآن والتسبيح والتهليل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكالصدقة والاعتكاف وغيرها من العبادات التي ليس لها أوقات معينة، فمن عين وقتا من الأوقات لقرآءة حزب من القرآن مثلا فله ذلك ولا حرج عليه في تحديده وتعيينه، ومثل ذلك زيارته صلى الله عليه وسلم وسائر الزيارات المشروعة، وهذا من الواضحات جدا، لكني ذكرته وبسطت القول فيه تنبيها على بطلان تقوّل القائلين: إن تعيين الأوقات وتحديدها للزيارات ممنوع وبدعة مذمومة، بل يتجاوزون الحد في ذلك ويزعمون أنه شرك وعبادة للأوقات المحدودة للزيارات، وزعموا أن تقييد فعل الطاعات المطلقة في أوقات معينة تشريع، والتشريع من الشركيات. وهذا من الترهات والسقطات التي لا تصدر عن لبيب عاقل فضلا عن فاضل عالم ، لكني ذكرت هذا نصيحة لهؤلاء المتنطعين وإقناعا لهم، ودفاعا عن شريعتنا السمحاء التي نفى الحرج عنها منــزلها جل جلاله بقوله: وما جعل عليكم في الدين من حرج، ولولا ذلك ما كان ينبغي التعرض لهذه المسألة لأنــها من البديهيات الجليات .

الثانية : النذر بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والوصية لعمارته

قال الإمام النووي رحمه الله في ((المجموع)) : قال ابن كجّ : إذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء وجها واحدا اهــ. وعبارة النووي في ((الروضة)) ج٣ص٣٢٨ قال القاضي ابن كجّ : إذا نذر أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم فعندي أنه يلزمه الوفاء وجها واحدا، ولو نذر أن يزور قبر غيره فوجهان اهــ. وفي ((شفاء السقام)) للسبكي ص ٩٢ فإن قلت: ما قولكم فيمن نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم هل ينعقد نذره ويلزمه ذلك أم لا فإن مقتضى قولكم باستحباب الزيارة أن تلزم بالنذر؟ قلت : نعم، نقول بانعقاد نذره ولزوم

الزيارة به، وبه صرح القاضي ابن كجّ من أصحابنا، ولم نر لغيره من الأصحاب خلافه. وقد قدمنا عن العبدي المالكي لزوم النذر بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم اهـــ.

وقال ابن حجر الهيتمي في ((حاشية الإيضاح)) ص ٥١٩ و((الجوهر المنظم)) ص ٧٨ : ولو نذر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم لزم الوفاء به لما علمت أنـــها من القرب المؤكدة، وكذا زيارة قبر غيره صلى الله عليه وسلم مما تسن زيارته لأنه قربة مقصودة فلزمت بالنذر اهـــ.

وقال الزركشي في ((الساجد في أحكام المساجد)) ص ٢٧١ بعد نقله عبارة ابن كجّ : أقره الرافعي وغيره اهـــ.

فثبت أن من نذر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء باتفاق الشيخين وغيرهما، بل لم يخالفهم في ذلك أحد من الأصحاب كما قاله الإمام السبكي، وأما الوصية لعمارة ضريحه الشريف فهي جائزة أيضا فقد قال النووي في ((الروضة)) ج ٦ ص ٩٨ :يجوز للمسلم والذمي الوصية لعمارة المسجد الأقصى وغيره من المساجد ، ولعمارة قبور الانبياء والعلماء والصالحين لما فيها من إحياء الزيارة والتبرك بـــها اهـــ.

وقال النووي في ((المنهاج)): وإذا أوصى لجهة عامة فالشرط أن لا تكون معصية كعمارة كنيسة. وقال الخطيب الشربيني في شرحه ج٣ص٤٠: فإذا انتفت المعصية فلا فرق بين أن يكون قربة كالفقراء وبناء المساجد وعمارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وألحق الشيخ أبو محمد بـــها قبور العلماء والصالحين لما فيها من إحياء الزيارة والتبرك بـــها ، أو مباحة لا تظهر فيها القربة كالوصية للأغنياء اهـــ .

وابن كجّ هو الإمام أبو القاسم يوسف بن أحمد بن يوسف بن كجّ الدينوري الشافعي من أصحاب الوجوه، توفي سنة ٤٠٥. قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج ١١ ص ٣٥٥: كان أحد أئمة المذهب الشافعي وله في المذهب وجوه غريبة . وقال في ((شذرات الذهب)) : انتهت إليه الرياسة ببلده في المذهب، وفي طبقات ابن شهبة أنه أحد الأئمة المشهورين، وحفاظ المذهب المصنفين، وأصحاب الوجوه المتقنين، ومن تصانيفه ((التجريد)) وهو مطول، وقد وقف عليه الرافعي اهـــ وفي((طبقات الشافعية)) لابن السبكي: هو الإمام أحد أركان المذهب، وأطنبوا في وصفه بحيث يفضله بعضهم على الشيخ أبي حامد.

وفي ((وفيات الأعيان)) أنه جمع بين رئاسة العلم والدنيا، وله وجه في المذهب الشافعي، وصنف كتبا كثيرة انتفع بـــها الفقهاء. وكج بفتح الكاف وتشديد الجيم اهـــ. وهو في اللغة اسم للجص الذي يُبَيّض به الحيطان.

الثالثة النية والقصد إلى زيارة مسجده صلى الله عليه وسلم أيضا

قال الإمام النووي في ((الإيضاح)) ص ٤٨٩ : يستحب للزائر أن ينوي مع زيارته صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى بالمسافرة إلى مسجده صلى الله عليه وسلم والصلاة فيه اهـ

وقال الحافظ القسطلاني في كتابه ((المواهب اللدنية)) في باب زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم: ينبغي لمن نوى زيارة قبره صلى الله عليه وسلم أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا إليها اهـ. وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه ((الجوهرالمنظم)) ص ٣٣: قال العلماء من الشافعية وغيرهم :يستحب للزائر أن ينوي مع زيارته صلى الله عليه وسلم التقرب بشد الرحل والسفر إلى مسجده صلى الله عليه وسلم والصلاة والاعتكاف فيه اهـ .

الرابعة زيارة المشاهد والمزارات التي بالمدينة المنورة

قال الحافظ القسطلاني في ((المواهب اللدنية)): وينبغي أيضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة، والآثار المباركة، والمساجد التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم التماسا لبركتها اهـ .

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي في ((الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم)) ص ٧٤: يسن للزائر أن يأتي متطهرا قبور الشهداء بأُحُد، ويبدأ بسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، والأفضل أن يكون ذلك يوم الخميس، لأن الموتى يعلمون أي يزيد علمهم للأدلة على دوام علمهم بزوارهم يوم الجمعة، ويوما قبله ويوما بعده كما نقله في ((الإحياء)) عن محمد بن واسع، ويستحب استحبابا متأكدا أن يأتي متطهرا مسجد قباء، ناويا التقرب بزيارته والصلاة فيه للحديث الصحيح: صلاة في مسجد قباء كعمرة، والأولى أن يكون ذلك يوم السبت ، ويسن أن يأتي الآبار التي بالمدينة وهي مشهورة لأهلها، وذكرت منها في الحاشية ١٩، ويسن له أيضا أن يأتي المساجد التي بالمدينة وهي نحو ثلاثين موضعا انتهى ملخصا.

الخامسة: الاستئجار على إبلاغ السلام له صلى الله عليه وسلم والدعاء عند قبره الشريف

قال ابن حجر الهيتمي في ((حاشية الإيضاح)) ص ٥١٩: ويصح الاستئجار على الدعاء عند القبر الشريف، لأنه مما يقبل النيابة ولا يضر الجهل به ، وكذا على إبلاغ السلام له صلى الله عليه وسلم، لا على نفس الوقوف عند القبر لأنه لا يقبل النيابة إذ فائدته لا تتعدى إلى المستأجر بخلاف الدعاء ، والجعالة كالإجارة في جميع ذلك اهـ .

السادسة أخذ التراب من قبره صلى الله عليه وسلم وسائر قبور الصالحين للتبرك

اعلم أن كثيرا من الناس يأخذون التراب من قبور الصالحين للتبرك والتداوي، ومن العلماء الذين أدركناهم من يستحسن ذلك، ومنهم من يكرهه، ومنهم من يحرمه، كشيخنا العلامة الورع الزاهد، الشيخ حسين بن محمد المعروف بعطا، فقد كان يمنع أخذ التراب من قبور الصالحين، وقد أخبرني من أثق به وهو محمد بن حسين الزاهد أن الشيخ سئل عن ذلك، فأجاب بأنه ممنوع حرام، وأخبرني أيضا تلميذه الشيخ هلوله تِفَوْ يوم الجمعة ١٤٢٣/١/١هـ أنه سَأل بنفسه الشيخ حسينا عن هذه المسئلة، فأجابه بأن ذلك ممنوع ، وقال الشيخ هلوله : وكنا حينئذ في زيارة الشيخ عثمان بن الشيخ حسن معلم ، وكان طلب مني شخص من المحبين له أن آخذ له التراب من قبره ، فلما سألت الشيخ وأجابني بمنعه امتنعت . وأخبرني أيضا تلميذه الشيخ محمد غَيْدِ أنه سمع الشيخ حسينا يقول: إن أخذ التراب من القبور حرام .

وممن ذهب إلى جواز ذلك الإمام الطنبداوي، ففي ((النور السافر)) ص٢٢٩-٢٣٠: أن العلامة الطنبداوي كان يضع تراب بعض قبور الأولياء في إناء فيه ماء ثم يشرب، وعبارته: حكى العلامة الحافظ جمال الدين محمد بن المعروف أفلح محدث الديار اليمنية قال: كنت أيام قراءتي على الطنبداوي أخرج معه في الأسبوع يوما نزور السبعة المشهورين المسمين بـ"الأعلية" جمع على غير قياس، لأنهم يريدون جمع عليّ، فكلما وصل إلى قبر واحد منهم قرأ ماشاء الله تعالى وأهدى ذلك إلى روح صاحب القبر، ثم يأمرني أن آتيه بإناء من ماء، فيضع من تراب القبر فيه ويشرب، ثم يأمرني أن أفعل مثله، ويقول لي : هو ترياق مجرب .

والطنبداوي هو الشيخ أحمد بن الطيب بن شمس الدين البكري الصديقي الشافعي، شهاب الدين شيخ الإسلام الحبر الإمام العارف بالله القانت الأواه، بلغ غاية من العلم ماارتقى إليها أهل ذلك الزمن، كان مع أهل عصره بمنزلة الشمس مع النجوم، وكان شديد التصلب والصدع بالحق، لايخاف في الله لومة لائم، وانتهت إليه رئاسة الفتوى والتدريس بمدينة زبيد، وله فتاوي مشهورة عليها الاعتماد بزبيد، وشرح ((التنبيه)) في ٤ مجلدات، وله على ((العباب)) حاشية، قال الشيخ صالح النماري: ومن عجيب ما سمعته منه أنه قال: طالعت جميع ((الإيضاح شرح الحاوي)) للقاضي الطيب الناشري في ليلة واحدة، وهو مجلدان ضخمان، قال: وعلقت من كل باب فائدة، وهذا خرق عادة. وقال الخولاني : سمعته يقول : كان الفوائد التي كتبتها تلك الليلة ثلاثة كراريس، وكان مولد الطنبداوي بعد السبعين وثمانما ئة تقريبا، وتوفي رحمه الله سنة ثمان وأربعين وتسعمائة ٩٤٨ اهـ .

وممن أباح ذلك بل وأَكْلَ القليلِ منه البرهان بن جمعان وغيره، فقد قال الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن حسن الأهدل في كتابه ((عمدة المفتي والمستفتي)) ج١ص١٧٥: يحرم أكل تراب المقبرة المنبوشة الذي قد خالط صديد الموتى يقينا، أما عند الشك فالأصل الطهارة. قال البرهان بن جمعان وغيره: يجوز أَكْلُ القليلِ من قبور الأولياء للتبرك، وقد جُرِّب للتبرك ونفع. قلت: ويُستأنس له بحديث تربة أرضنا بريق بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا. رواه مسلم من حديث عائشة مرفوعا، فإنه يفيد أن للتربة مدخلا في الشفاء في الجملة، وإذا انضم إلى ذلك أخذه من قبر ولي توفرت البركة اهـ.

قلت: ومما يدل على جواز ذلك أخذ تراب قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه، ففي ((سير أعلام النبلاء)) ج١ص ٢٨٩ و((السيرة النبوية)) ص ٥٢٢ كلاهما للحافظ الذهبي، و((حجة الله على العالمين)) للنبهاني ج٢ص ٤٩٩ : أخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: قبض إنسان بيده من تراب سعد بن معاذ، فذهب بـها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه، فقال: الحمد لله لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد، ضم ضمة ثم فرج الله عنه اهـ واللفظ للنبهاني . ففي هذا تقرير منه صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو لا يقر على غير مباح .

ومما يستدل به على الجواز ما ذكره غير واحد من أن سيدتنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت قبضة من تراب قبره صلى الله عليه وسلم لما مات ودفنوه، وممن ذكر ذلك ابن قدامة الحنبلي في ((المغني)) ج٢ ص ٥٤٧ والحافظ ابن الجوزي في ((الوفا بأحوال المصطفى)) وعبارته: وعن علي كرم الله وجهه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله عنها، فأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينيها فبكت، وأنشأت تقول :

ما ذا على من شم تربة أحمدا   أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنـها   صبت على الأيام عـدن لياليا

وقد يعترض على استدلال حديثها بأن الذهبي تكلم فيه ، فقد قال في ((سير أعلام النبلاء))ج٢ص١٣٤: ومما ينسب إلى سيدتنا فاطمة ولا يصح: ماذا على من شم تربة أحمدا إلى البيتين اهـ وبفرض صلاحيته للاستدلال فلا يخفى أن الحالة حينئذ كانت حالة دهشة وحيرة واستغراق في مصيبة وفاته صلى الله عليه وسلم ، حتى قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله

عنه فيها ما قال مع قوة يقينه وكمال إيمانه، وقد ذكرنا آنفا أن الهيتمي حمل ما وقع عن السيدة فاطمة على غلبة وَجْدٍ وحال، وأيضا فلا ندري قصدها من أخذها، أكان للتبرك فنستدل به على جواز الأخذ، أم كان لأمر آخر كالتسلي مثلا ، كما يفعله بعضهم من أخذ ثياب من مات منهم أو عصاه أو نحو ذلك مما له اتصال بميتهم للتصبر عنه، وكالتذكار كما يأخذ بعضهم صورته ليتذكروا بــها فقيدهم الراحل فلا ينسوه، أو غير ذلك .

ومما يستأنس للجواز ما كان يفعله بعض السلف رحمهم الله من أخذ التراب من بعض قبور الصالحين، ففي ((حلية الأولياء)) للحافظ أبي نعيم ج ٢ ص ٢٥٨ ما حاصله : أن عبد الله بن غالب قتل شهيدا ، فلما دفن كان الناس يأخذون من تراب قبره، كأنه مسك يصرونه في ثيابــهم. وقال مالك بن دينار: كان يوجد من قبر عبد الله بن غالب ريح المسك اهــ. ومثله في ((صفة الصفوة)) للحافظ ابن الجوزي ج ٣ ص ٣٣٤ .

وفي ((لطائف المعارف)) لابن رجب الحنبلي ص٨٦: لما دفن عبد الله بن الغالب كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرؤي في المنام ، فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره ، فقال: تلك رائحة التلاوة والظمأ اهــ

وكذلك أخْذُ الناسِ تربةَ قبرِ الإمام البخاري رحمه الله، ذكر ذلك الحافظ العسقلاني في مقدمة ((الفتح)) ص ٤٩٣. والإمام القسطلاني، وعبارته في ((إرشاد الساري شرح صحيح البخاري)) ج١ص ١٣٩: ولما صُلِي على الإمام البخاري ووضع في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أياما، وجعل الناس يختلفون إلى قبره مدة يأخذون منه اهــ. وذكر مثل ذلك ملا علي بن سلطان القاري في ((المرقاة شرح المشكاة)) ج ١ ص ١٥-١٦ .

قلت: وبالجملة فالذي يميل إليه القلب وهو المتجه إن شاء الله جواز أخذ التراب للتبرك من قبور الصالحين إذا لم يكن ثَمَّ مانع، مثل كونــها ملك محجور عليه لا يعتبر رضاه، أو كونــها من حرم مكة المشرفة، فإن ترابه لا يجوز إخراجه من الحرم أو نحو ذلك مما يقتضي الحرمة، وأما إذا كان تراب القبر ملكا للآخذ المتبرك فلا يظهر وجه يقتضي منعه من تصرفه بملكه، إذ لم يرد دليل بنهي ذلك، والأصل إباحة التصرف بملكه، وكذلك إذا أذن له المالك الذي يعتبر شرعا إذنه، أو كانت المقبرة في موات لا يملكها أحد. ويدل على الجواز قياسا ما ذكره الذهبي وابن السبكي وابن العماد الحنبلي، فقد قالوا: كان الناس يأخذون تراب نعلي الإمام أبي إسحاق الشيرازي للتبرك وهو ينظر إليهم فلا ينهاهم عن

ذلك. فإذا كان تراب نعلي الصالحين يتبرك به لمجاورته واتصاله بأقدامهم فكذلك يتبرك بالتراب الذي يضم أجساد الصالحين، فإنه إذا جاز التبرك بتراب الأقدام فقط فالتبرك بالتراب الذي تشرف بمجاورة الجسد كله أولى وأجدر. وقد ذكرنا أن ضريحه صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع إجماعا، ومعلوم أن فضيلة تربته الطيبة وبركتها لم تكن إلا من جوارها لسيد الخلق وأفضلهم صلى الله عليه وسلم، فلا مانع حينئذ من تشرّف التربة المجاورة لورثته صلى الله عليه وسلم بـــهم وأن تكون فيهاالبركة.

وسنذكر إن شاء الله أن كثيرا من المفسرين والمحدثين والفقهاء وغيرهم ذكروا قبورا يُتَبَرَّكُ بـــها ويستسقى بـــها ويستجاب الدعاء عندها، فمن أخذ تربة مباركة لينال ما جعل الله فيها من البركة لم يأت بسوء ولا بأس بما فعله كما لايخفى .

ومما يؤيد ذلك ما رأيناه من بعض مشايخنا ومن العلماء العاملين الذين أدركناهم، فقد كان أكثرهم لا يمنعون أحدا عن أخذ التراب تبركا من قبور الصالحين. ويقوي الجواز أيضا القياس على تَمَسُّحِ القبور للتبرك، فقد صرح كثيرون بمشروعيته كما ذكرناه، فإذا جاز التَمَسُّح بالقبور للتبرك فكذلك يجوز أخذ التراب منها للتبرك أيضا، إذ لا فرق بينهما كما يظهر .

ومما يدل على الجواز أيضا أن العلماء الناقلين أَخْذَ التراب من القبور ذكروا ذلك في معرض المدح لمن يُترجمون عنهم، ولا يخفى أن المدح لا يكون إلا بما يستحسنه المادح ممن يمدحه، فمدحوهم على بلوغهم رتبة التبرك بترابـــهم وأهليِّتِهم لذلك، فلو لا أنـــهم يستحسنون ذلك لم يذكروه، وإن ذكروه لم يسكتوا عليه، بل نقدوا واعترضوا عليه. وقد صرح العلماء بأن من نقل شيأ وهو يستحسنه فهو قائل به، فعلى هذا يصح أن نقول: إن من القائلين بجواز أخذ التراب من قبور الصالحين الحفاظ أبو نعيم وابن الجوزي والقسطلاني وغيرهم ممن نقل على وجه الاستحسان أخذ تراب القبور. هذا ما ظهر والعلم عند الله تعالى .

وأما إفتاء شيخنا الشيخ حسين بالمنع فهو مجمل غير مفصل، فيحتمل أن يحمل بما إذا كان التراب ملكا للغير و لم يأذن في أخذه أو نحو ذلك مما يقتضي الحرمة بسبب آخر والله أعلم.

لطيفة

قد يؤخذ التراب من قبور الصالحين أيضا للاستشفاء، ففي كتاب ((الأنوار السنية في الوظيفة الزورقية)) ص٣٣٩: في ((النوازل)) يعني نوازل السهيلي من فتاوي المتأخرين جواز أخذ التراب من قبور الصالحين للاستشفاء به، كما يفعله أهل هذه البلدة يعني "فاس" بتراب سيدي أبي

غالب وغيره ، قال: ودليله فعل السلف ذلك في قبر حمزة رضي الله عنه اهـــ. قلت: أخذ التراب من قبر حمزة لم أرمن ذكره. وذكر الهيتمي في ((حاشية الإيضاح))ص٤٥١: أن تراب حمزة الذي يؤخذ من مسيل عنده دواء للصداع. وفي ((تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام الأسْمَر)) للشيخ محمد بن محمد بن عمر مخلوف ص٢٣٣: قال يعني مؤلف ((روضة الأزهار)): تراب الشيخ عبد الحميد الصغير شفاء من العلل العظام . وقال كمال البرموني : قد جئت زائرا وبعيني رمد، فجعلت فيهما شيئا يعني من التراب فبرئتا بالقرب، وشاهدت غيري جعل التراب على عينه فبرئ في يومه. والحاصل أن ذلك مما جرب فصح، ولذا يعرف عند الناس بأبي تربة اهـــ.

واشتهر أن تراب قبر سيدي الشيخ علي بن ميه المركي دواء لأمراض كثيرة ، فقد أخبرني الشيخ محمد نور بن الشيخ أبي علي بن الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه أنه جرب ذلك وصح. وقال لي: إن تراب هذا القبر دواء للصرع والجنون . قال: وقد عالجت بـــها بعض المرضى فنفعهم الله بـــها وحصل لهم الشفاء .

واعلم أن الله تعالى جعل في بعض الأتربة خواصا، ففي ((الجوهر المنظم)) للهيتمي ص٨٠ أن في المدينة حفرة معروفة قد جربـــها العلماء وغيرهم للشفاء من الحمىشربا وغسلا، لكن الشرب هو الوارد عند ابن النجار، لما أصابت الحمى بني الحرث قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: أين أنتم من صهيب؟ قالوا: وما نصنع به؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول: بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا، ففعلوا ذلك فتركهم الحمى، ولأجل وروده أعني الشرب حلّ وإلا فأكل التراب وشربه حرام لأنه مضر اهـــ وقد جعل الله في تراب آثار فرس جبريل عليه السلام خاصية كما ذكره كثير من المفسرين، فقالوا: إن السامري صاغ لأتباعه من حلي بني إسرائيل عجلا، ثم ألقي عليه قبضة من أثر فرس جبريل، وهو معنى قوله تعالى: فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتـــها، ثم أحياه الله وصار حيوانا له خوار كخوار العجل، وذلك قوله تعالى: فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار، قالوا: وما ألقاه السامري هو قبضة من أثر فرس جبريل عليه السلام، وقد علم السامري أن ما ألقي عليه شيء من أثر فرسه أحياه الله فيصير حيوانا، فسبحان من جعل بركات الصالحين تسري إلى من قاربـــهم وَرُزِقَ بجوارهم والاتصال بـــهم، فأحيا الجماد بتراب موطئ دابة لركوب ملك الوحي عليها .

وما قد يتخيله بعض المتعسفين في عصرنا من أن أخذ التراب للتبرك من قبور الصالحين يؤدي إلى الشرك وعبادة القبور هو مما لا يتصوره عقل سليم، ولا يقتضيه رأي سديد، بل هو من الأوهام التي لا أصل لها كما هو ظاهر لكل منصف، وزعموا أن أخذ التراب احترام للقبور وتعظيم لها، وذلك يكون عبادة لها !! وهذا تحكم وتـــهور عجيب ، وظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار أن ذلك لا يكون شركا بل ولا علاقة له به.

وقد مر بنا أن تقبيل القبور جائز مطلوب أو مكروه، فكيف يكون أخذ التراب شركا مع أنـــهما في الاحترام على حد سواء ، بل الطواف بـــها- مع أنه من أركان الحج والعمرة، وكالصلاة كما ورد في الحديث إلا في أشياء استثني بـــها- لا يكون شركا كما ذكرناه مع أنه أعلى وأبلغ بكثير في الاحترام من أخذ التراب، فإذا كان الطواف بالقبور حراما فقط فكيف يكون أخذ ترابـــها شركا وخروجا عن ملة الإسلام، فعياذا بالله من تلاعب الشيطان وتسويلاته، واتباع الهوى والأوهام .

خاتمة في تبرّك رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء المطاهر وغيرها وتبرّك الفاضل بالمفضول

وكما يُتَبَرَّك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبصالحي المسلمين كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من ماء المطاهر رجاء بركة أيدي المسلمين .

قال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) في باب الوضوء من المطاهر من كتاب الطهارة: عن ابن عمر قال قلت: يارسول الله أتوضأ من جر حديد مخمر أحب إليك أم من المطاهر؟ قال: لا بل من المطاهر، إن دين الله يسر الحنيفية السمحة، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثوقون وعبد العزيز بن أبي رواد ثقة ينسب إلى الإرجاء اهـــ

قال الحافظ في ((تقريب التهذيب)): عبد العزيز بن أبي رواد بفتح الراء وتشديد الواو صدوق عابد ربما وَهِمَ ورمي بالإجاء، مات سنة ١٥٩هـــ، رواه عنه أصحاب السنن الأربعة والبخاري في التعاليق .

وفي ((تـــهذيب التهذيب)) للحافظ العسقلاني: قال يحيى القطان: عبد العزيز ثقة في الحديث، ليس ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه، وقال أحمد: كان رجلا صالحا وكان مرجيا وليس هو في التثبت مثل غيره، وقال ابن معين: ثقة، وقال أبوحاتم: صدوق ثقة في الحديث متعبد، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال يحيى بن سليم الطائفي: كان يَرَى الإرجاء، وقال ابن مبارك: كان يتكلم ودموعه تسيل على خده، وقال ابن عدي: وفي بعض أحاديثه ما لا يتابع عليه،

قلت: وكذا قال ابن سعد في الطبقات، قال: وله أحاديث وكان مرجيا، وكان معروفا بالورع والصلاح والعبادة، وقال علي بن الجنيد: كان ضعيفا، وأحاديثه منكرات، وقال الحاكم: ثقة عابد مجتهد شريف النسب، وقال الساجي: صدوق يرى الإرجاء، وقال الدارقطني: هو متوسط في الحديث وربما وَهِمَ في حديثه، وقال العجلي: ثقة، وقال الجوزجاني: كان غاليا في الإرجاء، وقال شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إلى عبد العزيز رأيت كأنه يطلع إلى القيامة، انتهى باختصار .

فلم يضعف عبدَ العزيز بن أبي روّاد غير علي بن الجنيد. فثبت الاستدلال بحديثه، وكذلك إذا فرضنا ضعفه يستدل به على هذه القضيّة أيضا لأنه من فضائل الأعمال وقد وقع الإجماع على عمل الأحاديث الضعيفة في الفضائل. وقوله "من جَرّ حَدِيد مخمّر"، الجَرّ والجِرَار جمع جرة وهو الإناء المعروف من الفخار، والمخمّر: المغطّى، كما في النهاية، وقوله "أتوضأ" قال بعضهم: لعل الصواب الوضوء .

وكان صلى الله عليه وسلم يحسر ثوبه ليصيبه ماء المطر حرصا على حصول البركة التي نَصّت عليها آية {**ونزّلنا من السماء ماء مباركا**}، ويأتي هذا إن شاء الله في باب التبرك بأول مطر السنة.

وكان أيوب عليه السلام تبرّك بِجَرَادٍ خَرّ عليه كما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ويأتي إن شاء الله في آخر باب التبرك بأول مطر السنة أيضا.

وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء من عمر رضي الله عنه كما رواه أبو داود وغيره عن عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن لي وقال: لا تنسانا يا أُخَيَّ من دعائك، فقال: كلمة ما يسرني أن لي بـــها الدنيا، وفي رواية قال: أشركنا يا أُخَيَّ في دعائك. قال النووي: حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

قال ابن علان في ((دليل الفالحين شرح رياض الصالحين)) ج٢ص١٩٧: في هذا الحديث دليل على استحباب طلب المقيم من المسافر ووصيّته بالدعاء له في مواطن الخير ولو كان المقيم أفضل من المسافر، وإن كان يعرف أنه يدعو له فلا بأس أن يذكره بالدعاء لا سيما إن كان سفره عبادة كحج أو عمرة أو غزوٍ .

وقال ابن علان أيضا في موضع آخر: هذا نحو ما أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء له والصلاة عليه وسؤال الوسيلة له وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ولد آدم، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لعمر: أشركنا في دعائك يأ أُخَيَّ .

وقد تبرك عمر رضي الله عنه بدعاء أويس القرني رحمه الله، ففي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه في حديث أويس القَرَني الطويل: إن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فقال له عمر: استغفرلي فاستغفر له .

ومعلوم أن عمر أفضل من أويس بالإجماع، لكن طلب منه الدعاء لاستكثار الخير واغتنام الفرص بدعاء الصالح الذي ترجى إجابة دعائه.

فالحاصل أن المطلوب من العبد أن يستكثر من الخيرات ويطلبها من مظانـــها الجليّة والخفيّة فإن المؤمن لا يشبع منها حتى يكون منتهاه الجنة، وأن يتبرك بكل ما جعل الله فيه البركة وإن كان مفضولا أو كان من غير الصالحين كماء المطر ولحم الأضحية ونحوهما.

فإذا كان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم يشرب من المطاهر رجاء بركة أيدي المسلمين مع استغنائه وعدم احتياجه إلى ذلك فكيف يليق بنا وبأمثالنا المذنبين المحتاجين لكل ذرة من البركات والخيرات أن نستنكف من الطموح إلى البركات ونسأم من التعرّض لها، كلا بل الذي ينبغي لكل ذي رغبة في الخير أن يهتدي بـــهديه ويتمسك بسنته ويرجو من بركات المسلمين ماكان يرجو منها خير خلق الله أجمعين، فإنه القدوة لكل مؤمن، قال الله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . والله سبحانه وتعالى أعلم وهو الموفق .

خلاصة المقصد الأول

لقد ذكرنا في هذا المقصد أنواعا من التبرك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبآثاره وبما له تعلّق واتصال به في حياته وبعد مماته، وما زال الناس يتبركون بتلك الآثار من عهده صلى الله عليه وسلم إلى الآن .

والتبرك في حياته برؤيته ووَضوءه وشَعَره وأظفاره ومضمضته ونخامته وريقه وعرقه وثيابه وسواكه وسؤره والماء الذي غمس فيه يده الكريمة والماء المتفجر من بين أصابعه ونحو ذلك قد اتفقت عليه الأمة ولا أعلم فيه خلافا بينهم في ذلك.

وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد يوجد أفراد ينكرون التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم وهذا اعتقاد باطل وخيال فاسد، بل هو إما محض عناد وتمرد، أو جهل عجيب، أو تجاهلٌ وتعامٍ

عن رؤية ساطع نور الحق، وقد يكون ناشئا عن حقد كمين في قلوب محجوبة، وصدور مشحونة بالأفكار الخاطئة، والأوهام الكاذبة، والاعتقادات الباطلة، لكن لا يتمادى على هذا الانكار منصف متحرر عن التعصب والتعسف إذا عَلِمَ ما ذكرناه من لوامع الأدلة وقواطع الحجج والبراهين الساطعة.

وقد ذكرنا في (تـــمهيد هذا الكتاب) أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يُكثر التبرك بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خِيف على عقله من اهتمامه بذلك، وأن الحافظ ابن كثير قال: بلغني أن بالديار المصرية من آثاره صلى الله عليه وسلم مُكْحُلَة وقيل: ومُشط، وفيها إلى الآن نعل مفردة في دار الحديث الأشرفية، وأن الحافظ السيوطي قال: في "رباط الأثار" قطعة خشب وحديد وأشياء أخرى من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبرك بـــها، وذكرنا أنه يوجد بالمسجد الأقصى بعض شعراته الشريفة، وفي "بوسنة" قطعة من قميصه وشَعْرة من شعراته، وفي تركيا أيضا كثير من آثاره صلى الله عليه وسلم مثل قوسه وسيفين وبردته ورايته وغير ذلك، وبدمشق شعرة يحتفلون لها احتفالا كبيرا .

ونقلتُ في باب محبته صلى الله عليه وسلم عن "البداية والنهاية" و"سير أعلام النبلاء" و"أسد الغابة" أن ابن عمر رضي الله عنه كان يَصبّ الماء في أصل شجرة نزل تحتها النبي صلى الله عليه وسلم لكيلا تيبس .

وذكرنا في باب التبرك بموضع ولادته صلى الله عليه وسلم أنه يتبرك به إلى الآن وأن الإمام النووي وغيره صرح باستحباب زيارة ذلك الموضع.

وفي باب التبرك باسمه الشريف أن من سمى ولده محمدا حُبًّا له صلى الله عليه وسلم وتبرّكا به كان هو ومولوده في الجنة .

وفي باب التبرك بعرقه أن ابن سيرين وأيوب كانا يتبركان بعرقه صلى الله عليه وسلم .

وفي باب التبرك بريقه أنه صلى الله عليه وسلم بصق في أبار بالمدينة المنورة وأنه يسن الشرب منها إلى الآن، وذلك لبركة ريقه التي لا تنقطع بركاتـــها بمرور السنين والدهور، بل هي نابعة دائما كما تنبع مياه الآبار .

وفي باب التبرك بغسالة جبته صلى الله عليه وسلم أن مسلما روى في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر أنـــها كانت عندها جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قبضت قبضتُها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بـــها .

وفي باب التبرك بما شرب منه أن سهل بن سعد أخرج لأبي حازم التابعي قدحا سقى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب فيه أبو حازم ومن معه ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له، وأنه روَى هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه، وروى مسلم أيضا أن أنس بن مالك كان له قدح سَقَى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اشتُرِيَ هذا القدحُ من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف درهم، وأن الإمام البخاري شرب منه، وذكر في صحيحه أن عاصما- وهو الأحول- قال: رأيت القدح وشربت فيه، وأنه عقد البخاري بابا في ذكر ما تبرّك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من شعره ونعله وآنيته وغيرها .

وأن في كتاب ((الإعتصام من صحيح البخاري)) أن أبا بردة التابعي دعاه عبدُ الله بن سلام ليسقيه في قدح شرب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي في مسجده ففعل ذلك،

وأن في "البداية والنهاية" في مبحث صفة قدح النبي صلى الله عليه وسلم: أن الإمام أحمد روى عن حجاج بن حسان قال: كنا عند أنس بن مالك فدعا بإناء فيه ثلاث ضبات حديد وحلقة من حديد فجعل لنا فيه ماء فأُتِيْنَا به فشربنا وصببنا على رؤسنا ووجوهنا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكرنا في باب التبرك بيد مَن مَسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ثابتا البناني التابعي الجليل كان يقبّل يدى أنس بن مالك لمسه بـــهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبّل عينيه لرؤيته بـــهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: بأبي هاتين اليدين والعينين. وأن عبد الرحمن بن رزين التابعي قبّل كف سلمة بن الأكوع لمبايعته بـــها النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يزيد بن الأسود أخذ يد واثلة بن الأسقع فمسح وجهه وصدره لمبايعته بـــها النبي صلى الله عليه وسلم، وقبّل يحيى بن الحارث يد واثلة لمبايعته بـــها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي التبرك بما مسته يد مسّت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا العالية رُفَيع بن مهران الرياحي كان يَشُمُّ تفاحة دفعها إليه أنس بن مالك ويقول: تفاحة مسّتها كف مسّت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكرنا في باب التبرك بشعره أن البخاري روى في صحيحه أن ابن سيرين قال لعَبِيْدَة السلماني: إن عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عبيدة: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها، وأن الحافظ الذهبي تمنى أن لو كان عنده بعض شعرة أو شسع نعل أو قلامة ظفر منه صلى الله عليه وسلم، وقال: لو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده لم يكن مبذرا ولا سفيها، وقال الذهبي في موضع آخر: والهفي على تقبيل شعرة

منه صلى الله عليه وسلم، وأنه روى البخاري أن عثمان بن عبد الله بن موهب قال ما معناه: "إن الإنسان إذا أصابه عين أو شيء يُبْعَثُ إلى أم سلمة مِخْضَبَةٌ –أي إناء– فتَجعلُ فيه شعراتٍ منه صلى الله عليه وسلم وتغسلها فيه فيشربه صاحب الإناء فتحصل له بركته .

وأن معاوية رضي الله عنه تبرك بشعره وقلامة أظفاره وقميصه، وكذلك خالد بن الوليد كان يستنصر ويتبرك في قتال الكفار بشعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأنه أمر أنس بن مالك ثابتا البناني أن يجعل شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم تحت لسانه إذا مات ففعل ذلك.

وأنه أوصى الإمام أحمد بن حنبل أن تُجعل ثلاث شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في عينيه ولسانه فَفُعِلَ ذلك به بعد موته، وكان الإمام أحمد يضع شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم على فيه يقبّلها ويغمسها في الماء ويشربه يستسقي به.

وأنه كان مع البخاري شيء من شعره صلى الله عليه وسلم فيجعله في ملبوسه.

وأنه ذكر الحافظ السخاوي أنه تبرك بشعرة منه صلى الله عليه وسلم، والحافظ القسطلاني أنه زار شعرة منه صلى الله عليه وسلم بمكة المشرفة.

وذكرنا أنه ينبغي التبرك بغار ثور وغار حراء، والدخول فيهما لدخوله صلى الله عليه وسلم فيهما، وأنه روى البخاري ومسلم أن خاتمه صلى الله عليه وسلم كان في يد أبي بكر بعده ثم في يد عمر ثم في يد عثمان .

وفي باب التبرك بثيابه أن البخاري روى أن صحابيا طلب من النبي صلى الله عليه وسلم بردة له لتكون كفنه، وقال هذا الصحابي: رجوت بركتها لعلي أكفن بـــها، ثم كفنت به.

وأنه دفن مع أنس بن مالك عمامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه أوصى معاوية أن يكفن في ثوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه إياه، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامة أظفاره في فمه وأنفه وعينيه وأذنيه، وأن أنس بن مالك كان عنده منديل كان النبي صلى الله عليه وسلم يمسح به، وكان لا تحرقه النار .

وفي باب التبرك بنقده صلى الله عليه وسلم أن جابرا اقتنى بنقد كان صلى الله عليه وسلم أعطاه إياه، وروى حديثه مسلم في صحيحه .

وفي باب التبرك بعنـــزته أن الخلفاء توارثوا بعده صلى الله عليه وسلم هذه العنـــزة.

وفي التبرك بسيفه أن الأصمعي قبّل سيفه صلى الله عليه وسلم ذا الفقار.

وفي التبرك بسريره صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر وعمر كانا يتبركان به بعده ثم صار الناس يحملون عليه موتاهم، وأنه كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه وقدح وجفنة ووسادة وقطيفة ورداء .

وفي التبرك بنعله أن بعض الصالحين داوى بمثالها فحصل الشفاء للحين، وذكروا لها بركات وخواص، وأجاز المهدي لرجلين أهديا له نعلا للنبي صلى الله عليه وسلم ألفى دينار، وأمر لكل واحد منهما بضيعة .

وأما التبرك بزيارة قبره الشريف من لحوقه بالرفيق الأعلى إلى الآن فهو ظاهر جلي لا يخفى على أحد، فإنه يتكرر ويتجدد كل عام بل يقع في كل وقت وأوان، ولا يزال الزائرون المتبركون عاكفين ليلا ونـــهارا بجوار ضريحه الشريف وساحة قبره المنيف يرجون رحمة ربنا اللطيف .

فهذا الذي ذكرناه هو أنواع من التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وبـــها يقتنع إن شاء الله من كان في قلبه شيء من إنكار ذلك وجحوده ولا أظن أن أحدا مسلما يشك بعد هذا في مشروعية التبرك به صلى الله عليه وسلم وبآثاره في حياته وبعد مماته صلى الله وبارك وشرف محّد وسلم عليه وعلى أصحابه وآله وأتباعه وعلينا معهم أجمعين.

المقصد الثاني في التبرك بالصالحين
وما يُلْحَقُ بذلك

المقصد الثاني في التبرك بالصالحين

باب التبرك بالنظر إلى الصالحين

ذكرنا أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يشتاقون إلى رؤياه صلى الله عليه وسلم، وذكرنا أيضا أنه ينال برؤيته صلى الله عليه وسلم لحظة ما لا ينال بالأعمال الصالحة.

ويتبرك كذلك برؤية الأتقياء من ورثته صلى الله عليه وسلم ففي ((مجمع الزوائد))ج٩ص١١٩: عن عبد الله يعني ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: النظر إلى عليّ عبادة رواه الطبراني وفيه أحمد بن بديل اليامي، وثقه ابن حبان وقال: مستقيم الحديث، وابن أبي حاتم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح. وعن طليق بن محمد قال: رأيت عمران بن الحصين رضي الله عنه يحد النظر إلى عليّ، فقيل له، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: النظر إلى علي عبادة رواه الطبراني وفيه عمران بن خالد الخزاعي وهو ضعيف انتهى. ورونه عائشة رضي الله عنها بـــهذا اللفظ كما في ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم ج٢ص١٨٣ ، وروى أبو نعيم في ((الحلية)) ج٥ص ٥٨ بسنده حديث ابن مسعود بلفظ: النظر إلى وجه علي عبادة .

وقال الإمام الغزالي في ((إحياء علوم الدين)) في كتاب آداب السفر: إن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة .

وقال الحافظ أبو عبد الرحمن السلمي في ((طبقات الصوفية)) ص ١٦٢ : من نظر إلى ولي من أولياء الله تعالى فقبله وأكرمه أكرمه الله على رؤوس الأشهاد انتهى. وقالوا: من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه. وفي ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ج ٥ ص ٣٦٠: أن ابن الماجشون قال: إن رؤية محمد بن المنكدر تنفعني في ديني. وفي ((تاريخ بغداد)) للخطيب ج ١٠ ص ٢٤٩: قال أبو جعفر محمد بن أحمد بن أبي المثنى : وإني لأرجو برؤية أبي سليمان الداراني خيرا. وفي ((شذرات الذهب)): قال مالك : كنت إذا وجدت من قلبي قسوة آتي ابن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأبغض نفسي أياما. وكان بيت محمد بن المنكدر مأوى الصالحين ومجمع العابدين، توفي سنة ١٣٠هـــ وقيل: ١٣١ اهـــ .

وفي((تذكرة القرطبي)) ص٤٢٤ أن الإمام سفيان الثوري كان يتبرك بالنظر إلى عمرو بن قيس اهـــ

وفي ((تذكرة الحفاظ)) ج١ص٣٣٨ ما نصه: عن وكيع قال: النظر الى وجه عبد الله بن داود ابن عامر الكوفي عبادة. قال الذهبي: كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود بن عامر الخريـــبي

الهمداني إماما حافظا، كان يسكن محلة الخريبة بالبصرة ، وسمع هشام بن عروة والأعمش وابن جريج والأوزاعي وطبقتهم ، وحدث عنه الحسن بن صالح وسفيان بن عيينة وخلائق . قال ابن سعد: كان ثقة عابدا ناسكا . قال ابن معين : ثقة مأمون . وروى عنه الكديمي قال: ما كذبت إلا مرة واحدة ، قال لي أبي : قرأت على المعلم ؟ قلت: نعم، و لم أكن قرأت . توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين اهـ

فائدة

وكما يتبرك بالنظر إلى الصالحين كذلك يتبرك بالنظر إلى الكعبة المشرفة، قال النووي في ((الإيضاح في مناسك الحج)): يستحب لمن جلس في المسجد الحرام أن يكون وجهه إلى الكعبة، فيقرب منها وينظر إليها إيمانا واحتسابا، فإن النظر إليها عبادة، فقد جاءت آثار كثيرة في فضل النظر إليها اهـ. وقال ابن حجر الهيتمي في شرحه على ((الإيضاح)) : من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: النظر إلى البيت عبادة. أخرجه ابن الجوزي ، وقوله صلى الله عليه وسلم: من نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحشر يوم القيامة في الآمنين اهـ والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة . وقال النووي : قد جاء أنه يستجاب دعاء المسلم عند رؤية الكعبة. وسيأتي إن شاء الله تعالى أن النظر في بئر زمزم عبادة تحط الخطايا والأوزار، ففي النظر إلى جميع ما ذكرناه فضيلة وبركة، وقد ينكر ذلك بعض الجاهلين فلا تغترّ بتلبيساتهم.

باب التبرك بذكر الصالحين واستنزال الغيث بهم

وفي ((الجامع الصغير)) للسيوطي: أخرج الديلمي عن معاذ رضي الله عنه: ذكر الأنبياء من العبادة، وذكر الصالحين كفارة، وذكر الموت صدقة، وذكر القبر يقربكم من الجنة، قال: وهو حديث ضعيف، قال المناوي في شرحه على ((الجامع الصغير)): وللحديث بقية عند مخرجه الديلمي وهي: وذكر النار من الجهاد، وذكر القيامة يباعدكم من النار، وأفضل العبادة ترك الحيل، ورأس مال العالم ترك التكبر، وثمرة الجنة ترك الحسد، والندامة من الذنوب التوبة الصادقة اهـ.

وقال الحافظ السخاوي في كتاب ((ترجمة الإمام النووي)) ص ٥٥ : قال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، وقال محمد بن يونس: ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين اهـ. ومثله في ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي ج١ص ٤٥، ومثله أيضا في

((تبيين كذب المفترى)) لابن عساكر ص٣٣١، وقال مثل ذلك أيضا محمد بن منصور الحافظ أبو جعفر المتوفى سنة ٢٥٤، وكان تلميذ ابن عيينة كما في ((تاريخ بغداد)) ج ٣ ص ٢٤٩ .

وفي أواخر ((بستان العارفين)) للإمام النووي رحمه الله هذا البيت من بحر الكامل:

كرر عليّ حديثهم يا حادي فحديثهم يجلي الفؤاد الصادي

يعني كرر عليّ حديث الصالحين وذكرهم.

وقال الحافظ ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) ج ٣ ص ٢٤٢: قال بشر بن الحرث الحافي:إن أقواما موتى تحيا القلوب بذكرهم، وإن أقوما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم اهـ.

وممن قيل باستجابة الدعاء عند ذكره: الصحابي الجليل عمران بن الحصين رضي الله عنه : قال العلامة الشنواني في حاشيته على ((مختصر ابن أبي جمرة)) ص ١٥١ : يستجاب الدعاء عند ذكر عمران بن الحصين رضي الله عنه ،وكانت الملائكة تزوره لما قام به مرض البواسير اهـ.

وفي ((صفة الصفوة)) للحافظ ابن الجوزي ج٢ ص ١٥٦ أنه ذكر للإمام أحمد بن حنبل صفوان بن سليم وقلة حديثه، فقال أحمد: هذا رجل إنما كان يستشفى بحديثه ويستنـزل القطر بذكره ، توفي صفوان رحمه الله سنة ١٣٢هـ . وعن محمد بن أبي منصور قال: قال صفوان بن سليم : أعطي الله عهدا أن لا أضع جنبي على فراش حتى ألحق بربي ، قال: فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه !! فلما نزل به الموت قيل له: رحمك الله ألا تضطجع؟ قال: ما وفيت لله بالعهد إذا ، قال: فأسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه اهـ. وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٥ص ٣٦٤: كان صفوان بن سليم إماما ثقة حافظا فقيها، من مشايخه ابن عمر وأنس وجابر بن عبد الله وسعيد بن جبير وطاووس وعطاء بن يسار وخلق سواهم، ومن تلامذته الإمام مالك وسفيان والليث وابن جريج وخلائق آخرون. وعن أحمد بن حنبل قال: يستشفى بحديثه وينـزل القطر من السماء بذكره، ثقة من خيار عباد الله الصالحين، وروى سهل بن العاصم عن محمد بن منصور قال صفوان بن سليم: أعطي الله عهدا أن لا أضع جنبي على فراش حتى ألحق بربي إلى آخر ما ذكرناه، وممن ترجم له أبو نعيم في ((الحلية)) .

قلت: وأبوه سليم بضم السين كما في ((الزرقاني على المواهب اللدنية)) ج٦ص٣٨١.

وقال تاج الدين عبد الوهاب بن الإمام تقي الدين السبكي ((في طبقات الشافعية الكبرى))ج٣ص٢٨٣: كان الشيخ عبد الملك محمد بن إبراهيم أبو سعد بن أبي عثمان الخركوشي فقيها زاهدا من أئمة الدين وأعلام المؤمنين ترجى الرحمة بذكره. وخركوش بفتح

الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الكاف ثم واو ساكنة سكة بمدينة "نيسابور" ، وروى عنه خلائق منهم الحاكم والبيهقي وغيرهما اهـــ.

وفي ((طبقات الشافعية)) ج٥ص108 لابن السبكي أيضا: أن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري كان حافظا كبيرا ورعا زاهدا ولي الله والمحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والفقيه على مذهب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترجى الرحمة بذكره، ويستنـــزل رضا الرحمن بدعائه ، ولا ريب أن الحافظ زكي الدين أبا محمد عبد العظيم كان أحفظ أهل زمانه وفارس ميدانه، ولد سنة ٥٨١ وتوفي رحمه الله سنة ٦٥٦ اهـــ ملخصا.

وفي ((حسن المحاضرة)) للحافظ السيوطي ج١ص ٥٣٠: أن الشيخ أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن خالد الشيخ شهاب الدين العلامة الصالح الزاهد الولي الكبير والإمام الشهير، كان رجلا يستسقى به الغيث، ويهابه لفرط صلاحه الليث، مواظبا على الصلاة والصيام ، قائما بخدمة مولاه والناس نيام، هذا مع تفنن وعلوم كثيرة وتصانيف ما بين منظومة ومنثورة، انتفع بإقرائه الإنس والجان، ونبغ في العلوم، وألف تصانيف ثم تزهد وانقطع إلى أن مات رحمه الله سنة ٨٨٨ اهـــ ملخصا.

وقال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) في ترجمة ابن المبارك: كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مجمعا على إمامته وجلالته في كل شيء، الذي تستنـــزل الرحمة بذكره، وترجى المغفرة بحبه، وهو من تابع التابعين ، وتوفى سنة ١٨١هـــ وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وفي حاشية ((الزرقاني على المواهب اللدنية)) ج ١٢ ص ١٩٦:أن الإمام عبد الله بن المبارك تستنـــزل الرحمة بذكره.

وفي ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي : أن ابن عيينة قال: نظرت في أمر الصحابة، وأمر ابن المبارك فمارأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه. وقال سفيان الثوري: إن عبد الله بن المبارك أعلم أهل المشرق والمغرب، وقال سفيان أيضا : إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

وفي ((النور السافر عن أخبار القرن العاشر))ص٤٦١-١٦٢: أن الشريف سراج الدين عمر بن عبد الله العيدروس كان من عباد الله الذين تستنـــزل الرحمة بذكرهم، وترجى من الله المغفرة

ببركتهم وسرهم، وكان صائم الدهر كثير العبادة، دائم الاجتهاد متبعا للكتاب والسنة، سالكا على طريقة السلف الصالح، متسما بالاستقامة التامة، وحكي أنه كانت له في جميع العلوم يد طولى، ومهارة تامة، وقد جمله الله تعالى بعقل كامل وفضل شامل، وكانت له كرامات عديدة، وأحوال سديدة. توفي رحمه الله سنة ١٠٠٠هـ وعمره ست وسبعون سنة اهـ ملفقا.

وقال النووي في ((تهذيب الأسماء واللغات)) ج ١ ص ١٨٨ : قال مسلمة بن عبد الملك : في كندة ثلاثة رجال ، إن الله ينزل الغيث بهم، وينصر بهم على الأعداء ، رجاء بن حيوة ، وعبادة بن نسئ ، وعدي بن عدي اهـ ورجاء تابعي جليل توفي سنة ١١٢ هـ .

لطيفة

ذكر لبعض أسماء الصالحين بركات وخاصيات خصها الله تعالى بها، ففي ((شرح الزرقاني على المواهب اللدنية)) ج ٩ ص ٤٢٩ ما نصه : في ((تفسير الطبري)) : إذا كتب أسماء أهل الكهف في شيء وألقي في النار أطفئت اهـ .

وفي ((حاشية الجمل على الجلالين)) وغيرها: أن لأسماء أهل الكهف منافع كثيرة تبلغ تسعة.

وفي ((مجمع الزوائد)) ج٧ص٥٣ قال أبو عبد الرحمن: قال أبي: بلغني أنه من كتب هذه الأسماء -يعني أسماء أهل الكهف- في شيء وطرحه في حريق سكن الحريق. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يحيي بن أبي روق وهو ضعيف.

وروى ابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) أن الاستعاذة بدانيال تدفع مكر السباع. وذكروا أن العقرب والحية لا يلدغان من ذكر اسم نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ففي ((الزرقاني على المواهب)) ج١٠ص٩ نقلا عن تفسير القشيري عن بعض التفاسير: أن الحية والعقرب أتيا نوحا فقالتا: احملنا، فقال: لا أحملكما لأنكما سبب الضرر ، فقالتا : احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك.

وعن سعيد بن المسيب قال: بلغني أن من قال حين يمسي: سلام على نوح في العالمين لم يلدغه عقرب اهـ.

وذكروا أن لأسماء أهل بدر رضي الله عنهم فوائد كثيرة وخواصا عجيبة، وذكروا أيضا لاسم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاصية، ولأسماء فقهاء المدينة السبعة المشهورين خاصيات، ففي ((نسيم الرياض شرح الشفاء)) للشهاب الخفاجي ج٢ص١١٧: أن الناس كانوا يتبركون بهم، حتى قيل: إن أسماءهم إذا علقت على محموم برئ، وإذا وضعت في البر لا يدخل سوس و لم يفسد وقد نظمهم القائل في قوله:

ألا كـــل من لا يقتدي بأئمة   فقسمته ضيزى عن الحق خارجة

فخذهم عبيد الله عروة قاسم   سعـــيد أبو بكر سليمان خارجة

وعبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة هو ابن الزبير ، وقاسم هو ابن محمد وسعيد هو ابن المسيب وسليمان هو ابن يسار وخارجة هو ابن زيد بن ثابت الأنصاري، والسابع اختلفوا فيه، فقيل: هو سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، وقيل: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقيل: غير ذلك اهـــ .

وفي ((النور السافر)) ص١٥٥ أن الشيخ الكبير والعلم الشهير، قطب العارفين وسلطان العاشقين، أبا عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالهادي، كان أحد الأولياء الكبار والمشايخ المشهورين في الأقطار وأحد من تنـــزل عند ذكرهم الرحمة ، وكان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين ، ودرس وأفتى . توفي سنة ٩٣٢هـــ ،وقبره مشهور يزار وعليه قبة عظيمة اهـــ .

وفي ((النور السافر))ص٤٧٠ أن الشيخ سعد السويني ترتجى الرحمة بذكره، وتستنـــزل البركة بحبه، ويستمطر المسيئ سحائب الغفران بالتوسل به. وأطال في ترجمته صاحب ((النور السافر)) وختم بـــها كتابه هذا .

وأخرج الخطيب في ((تاريخ بغداد)) ج٥ص ٤١٨ بسنده عن محمد بن عبد الله بن طاهر، قال: كنت واقفا على رأس أبي وعنده أحمد بن محمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو الصلت الهروي، فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت: حدثني علي بن موسى الرضا - وكان والله رضا كما سمي- عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيمان قول وعمل ، فقال بعضهم: ما هذا الإسناد ؟ فقال له أبي: هذا سعوط المجانين، إذا سعط به المجنون برأ اهـــ.

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم في ((تاريخ نيسابور)) بنحوه كما ذكره ابن السبكي في ((طبقاته الكبرى))ج١ص٥٩، وقال ابن السبكي أيضا: وأخرجه ابن ماجه وقال بعد ذكره هذا الإسناد: قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرأ وأبو الصلت متهم اهـــ.

وقال الحافظ أبو نعيم في ((الحلية)) ج ٣ ص ١٩٢ : كان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق .

وفي ((التأمل في حقيقة التوسل)) ص ٣٤٨ قال أحمد بن علي الأنصاري أبو علي الأصبهاني: قال لي أحمد بن حنبل: إذا قرأت هذا الإسناد على مجنون برئ من جنونه، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: كنت مع أبي بالشام فرأيت رجلا مصروعا فذكرت هذا الإسناد فقلت: أجرب بـــهذا، فقرأت عليه هذا الإسناد فقام الرجل فنفض ثيابه ومر اهـــ .

فتأمل رحمك الله ما في أسماء الصالحين وذكرهم من البركات والخيرات التي لا تنقضي بوفاتـــهم، بل تستمر بعد كثير من المئين، بل والآلاف من الأعوام، فرحم الله امرأ اتعظ بذلك وتفكر في نفسه، واجتهد بالانضمام إليهم والالتحاق بجماعتهم ، حقق الله ذلك لنا ولأحبتنا.

التبرك بالمواضع التى يتعبد بـــها الصالحون وأماكن إقامتهم

لقد ذكرنا التبرك والاحترام بالمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أو نزل فيها، فكذلك يتبرك بمجالس ورثته صلى الله عليه وسلم ومواضع عبادتـــهم، قال الله تعالى: في بيوت أذن الله أن ترفع – الآيتين ، قال ابن جرير الطبري في تفسيره: عن عكرمة في بيوت أذن الله أن ترفع قال: هي البيوت كلها اهـــ، ومثله في تفسير النيسابوري يعني أن البيوت التي أمر الله تعالى أن تعظم هي البيوت كلها لا خصوص المساجد فقط ، فكل بيت يذكر فيه اسمه تعالى وفيه رجال يسبحون له تعالى بالغدو والآصال، ولا تلهيهم التجارة والبيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويخافون يوم القيامة، يستحق التعظيم والاحترام، فإن شرف المواضع وخستها بحسب ما عمل فيها ، ألا ترى أن داخل المسجد يقدم رجله اليمنى احتراما له، ويسأل الله فتح أبواب رحمته، وأن داخل الخلاء يقدم رجله اليسرى ويستعيذ بالله من شر الشيطان الخبيث، وذلك لأن الخلاء هو موضع التجريد عن الثياب وكشف العورات ومحل الأقذار والعفونات، فهو بذلك جدير بأن يكون مأوى الشياطين، وبعكس ذلك مواضع العبادات والطاعات فعليها تنـــزل الرحمات والبركات ، فينبغي التعرض لها والرغبة فيها والاهتمام بأخذ نصيب منها، فهي وإن لم تكن في التعظيم والاحترام كالمساجد لكن لها حظ وافر من ذلك، فمتعبد الصالحين وأماكن خلواتـــهم وزواياهم، وخانقاه الصوفية ومواضع الأوراد والأذكار وإلقاء الدروس في علم الشريعة والمدارس القرآنية ونحوها لا شك أنـــها معظمة مباركة مرفوعة على غيرها من الأماكن .

وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) لشيخ الإسلام الحافظ العسقلاني ج ٣ ص ٣: أن أبا نعيم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن البيت الذي يذكر الله فيه ليضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الارض. قال الحافظ: وإسناده ضعيف اهـــ .

وفي ((مجمع الزوائد))ج١٠ص٧٩ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة أو بذكر إلا استبشرت بذلك إلى منتهاها إلى سبع أرضين وفخرت على ما حولها من البقاع، وما من عبد يقوم بفلاة من الأرض يريد الصلاة إلا تزخرفت له الأرض. رواه أبويعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف . وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من بقعة يذكر الله فيها بصلاة إلا فخرت على ما حولها من البقاع، وما من عبد يقوم بفلاة من الأرض إلا استبشرت لذكر الله إلى منتهاها إلى سبع أرضين. رواه الطبراني وفيه أحمد بن بكر البالسي وهو ضعيف جدا .

وفي ((مجمع الزوائد)) أيضاج٢ص٦ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضا ياجارة هل مر بك عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله ؟ فإن قالت: نعم رأت لها بذلك عليها فضلا . رواه الطبراني في الأوسط وفي سنده رجل ضعيف اهـ

قلت: الضعف في مثل هذا لا يضر، فقد وقع الإجماع على جواز العمل بالحديث الضعيف بشروط معروفة.

وعلى التبرك بمواضع العبادة مضى عمل أهل العلم سلفا وخلفا. فممن تبرك بـها السبكي الإمام الجليل المجتهد الذي وصفه الذهبي بأنه فخر الحفاظ .

قال الحافظ السخاوي في كتابه ((ترجمة الإمام النووي)): إن الشيخ الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية كان يمرغ وجهه على البساط، وكان النووي يجلس على هذا البساط وقت الدرس فيقول السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى   على بسط لها أصبو وآوي

عسى أني أمس بحر وجـهي   مكانا مسه قـدم النواوي

ومثله في ((المنهاج السوي في ترجمة النووي)) للسيوطي.

وقال تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) في ترجمة النووي : إذا أردت أنا أن أجمل تفاصيل فضل النووي وأدل على الخلق على مبلغ مقداره بمختصر القول وفصله، لم أزد على بيتين أنشدنيهما من لفظه لنفسه الشيخ الإمام الوالد، وكان من حديثهما أي البيتين أنه أعني الوالد رحمه الله لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفية سنة٧٤٢هـ كان يخرج في الليل فيتهجد، ويمرغ وجهه على البساط، وهذا البساط من زمان الأشرف الواقف وعليه اسمه، وكان النووي يجلس عليه وقت الدرس فأنشدني الوالد لنفسه :

وفي دار الحديث لطيف معنى   على بسط لها أصبو وآوي

عسى أني أمس بحر وجـــهي   مكانا مسّه قـــدم النواوي

انتهى باختصار .

ومثله في خطبة حاشية العلامة ابن حجر الهيتمي على ((الإيضاح في مناسك الحج)) للإمام النووي وعبارته: وقد أجمع الأئمة بعده على أن النووي هو البالغ في العرفان والاجتهاد الغاية القصوى، والحقيق بتعفير الوجوه على مواطئ أقدامه، فضلا عن تقديم آرائه في القضاء والفتوى، حتى قال السبكي مع جلالته :

وفي دار الحديث لطيف معنى   على بسط لها أصبو وآوي

لعلي أن أنال بحـــر وجـــهي   مكانا مسه قـــدم النواوي

قال ابن فارس في ((مقاييس اللغة)) صبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه ، وقوله وآوي: بكسر الواو كما في قوله تعالى أو آوي إلى ركن شديد، وفي ((القاموس)) أويت منـــزلي وإليه نزلته بنفسي وسكنته، وقوله بحر وجهي: والحر بضم الحاء ما بدا من الوجه كما في ((القاموس))، وفي ((المقاييس)): حر الدار وسطها.

نبذة وجيزة في ترجمة الحافظ السبكي ذكرتـــها ليعرف شخصيته كل من أراد الاطلاع على شيء من معالي درجته في العلم والعمل به.

قال القاضي ابن شهبة في ((طبقات الشافعية)) :هو علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الانصاري الخزرجي، الشيخ الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرئ الأصولي المتكلم النحوي اللغوي الأديب الحكيم المنطقي الجدلي الخلافي النظار، شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين، ولد في مستهل صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائةوحفظ التنبيه وأخد التفسير عن علم الدين العراقي، وقرأ القراءات على الشيخ تقي الدين بن الصائغ، والحديث على الحافظ الدمياطي، وقرأ الأصلين وسائر المعقولات على علاء الدين الباجي اهـــ.

وقال الحافظ ابن حجرالعسقلاني في((الدررالكامنة في أعيان المائةالثامنة)) ج ٣ ص ٦٣: تفقه الإمام السبكي على والده عبد الكافي بن علي، ودخل القاهرة واشتغل على ابن الرفعة، وأخذ الأصلين عن الباجي، والنحوعن أبي حيان، والتصوف عن ابن عطاءالله السكندري، وأخذعن خلائق غيرهم.

وكان متقشفا في أموره متقللا في الملابس، حتى كانت ثيابه في غير الموكب تقوم بدون الثلاثين درهما، وكان لايستكثر على أحد شيأ حتى إنه لمامات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم

دينا، فالتزم ولداه تاج الدين وبـــهاء الدين بوفائها، وكان لا يقع له مسئلة مستغربة أومشكلة إلا ويعمل فيهاتصنيفا يجمع فيه شتاتـــها طال أوقصر، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة، مواظبا على وظائف العبادات.

وقال شيخنا العراقي: طلب الحديث سنة ٧٠٣ ثم انتصب للإقراء وتفقه به جماعة من الأئمة، وانتشر صيته وتواليفه و لم يخلف بعده مثله اهـــ.

وقال ولده شيخ الإسلام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)): وممن سمع من الوالد تقي الدين السبكي الحافظ أبو الحجاج المِزِي، وأبو عبدالله الذهبي، وأبو محمد البزالي وغيرهم. ذكره الذهبي في معجمه المختصر فقال: هو القاضي الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء تقي الدين أبو الحسن السبكي، وكان صادقا ثبتا خيرا دينا متواضعا حسن السمت من أوعية العلم يدري الفقه ويقرره، وعلم الحديث ويحرره، والعربية ويحققها، وقد بقي في زمانه الملحوظ إليه بالتحقيق والفضل، سمعت منه وسمع مني، وحكم بالشام وحمدت أحكامه، فالله يؤيده ويسدده اهـــ . وقال الذهبي فيه أيضا في مكان آخر: انتهى إليه الحفظ ومعرفة الأثر في الديار المصرية، وله كلام كثير في تعظيمه ومنه :

وكابن معين في حفظ ونقد   وفي الفتيا كسفيان ومالك

وفخر الدين في جدل وبحث   وفي النحو المبرد وابن مالك

وصح من طرق شتى عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنه كان لا يعظم أحدا من أهل العصر كتعظيمه له، وأنه كان كثير الثناء على تصنيفه في الرد عليه، وبالجملة أجمع من يعرفه على أن كل ذي فن إذا حضره يتصور فيه شيئين أحدهما: لم ير مثله في فنه، والثاني: أنه لا فن له إلا ذلك الفن، وكان مع صحة الذهن واتقاده عظيم الحافظة، لا يكاد يسمع شيئا فينساه وإن طال بُعْدُه عن تذكره، جمعت له الحافظة البالغة والفهم الغريب، فما كان إلا نادرة في الناس، وحق الحق لو لم أشاهده وحكي لي أن واحدا من العلماء احتوى على مثل هذه العلوم وبلغ أقصى غاياتـــها نقلا وتحقيقا مع صحة الذهن وجودة المناظرة وقوة المغالبة وحسن التصنيف وطول الباع في الاستحضار واستواء العلوم بأسرها في نظره، أحسبه وَهماً. وأقول: كيف تفي القوى البشرية بذلك؟ ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

وكان بالآخرة أعرض عن كثرة البحث والمناظرة، وأقبل على التلاوة والتأله والمراقبة، وكان ينهانا عن نوم النصف الثاني من الليل ويقول: يا بني تعود السهر ولو أنك تلعب. والويل كل

الويل لمن تراه نائما وقد انتصف الليل، وكان كثير التعظيم للصوفية والمحبة لهم ويقول: طريق الصوفي إذا صحت هي طريقة الرشاد التي كان السلف عليها، ويقول مع ذلك: هو مسلك وعر جدا انتهى ما نقلته من ((طبقات الشافعية)) ملخصا.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الدرر الكامنة)): وكان تقي الدين السبكي ينظم كثيرا، فمنه ما وصى به ولده محمدا قال:

أَبُنَيَّ لا تــهمل نصيحتي التي　　أوصيك واسمع من مقالي ترشد

احفظ كتاب الله والسنن التي　　صحت وفقه الشافعي محمــد

وتعلم النحو الذي يدني الفتى　　من كل فهم في القران مسدد

واعلم أصول الفقه علما محكما　　يهديك للبحث الصحيح الأيد

واسلك سبيل الشافعي ومالك　　وأبي حنيفة في العلوم وأحــمد

ومنها قوله أيضا:

وخــذ العلــوم بــهمــة وتيقظ　　وقريحــة سمــحاء ذات تــوقد

وطــريقة الشيخ الجنيد وصحبه　　والسالكين سبيلهم بِــهِــمِ اقتد

واقصد بعلمك وجه ربك خالصا　　تظفر سبيل الصالحين وقمتد اهـــ

وقدكان الإمام السبكي رحمه الله تعالى يحب النووي حباشديدا خالصا، حتى إنه كان يحترم من رآه ولقيه في حياته، ففي ((المنهاج السوي في ترجمة النووي)) للحافظ السيوطي : قال الشيخ تاج الدين السبكي في ((الترشيح)): وافق الوالد يعني الإمام السبكي مرة وهو راكب على بغلته شيخا عاميا ماشيا ، فتحادثا فوقع في كلام ذلك الشيخ أنه رأى النووي، ففي الحال نزل عن بغلته وقبّل يد ذلك الشيخ العامي وسأله الدعاء، وقال له: اركب خلفي فلا أركب وعين رأت النووي تمشي بين يدي !! اهـــ.

واعلم أن الإمام النووي رحمه الله كان أهلا لأن يتبرك به الفضلاء والعلماء مثل الشيخ السبكي، فإنه كان مجدد الملة لهذه الأمة في عصره، ومحرر مذهب الإمام الشافعي، وأنفق ساعات عمره في خدمة ربه، وصدق من قال في وصفه : لم يصرف ساعة في غير طاعة، وذكر السخاوي أنه قال: بقيت نحو سنتين لا أضع جنبي بالأرض، وحفظت التنبيه في نحو أربعة أشهر ونصف، وقال السيوطي وغيره: لم تسمع بعد التابعين بمثله أذن، ولم تر ما يدانيه عين، قال السخاوي: نقل التاج السبكي عن والده أنه قال: ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي، ولا التيسير الذي يسر له، وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار، لا يخاف في

الله لومة لائم، ولا بطشة جبار وسطوته، وصرح اليافعي والتاج السبكي أنه كان أشعري العقيدة، ولا يخفى على من له أدنى معرفة بفن الكلام أن الأشاعرة والمأتريدية هما أهل السنة والجماعة، قال السيوطي : وكان إذا ذكر الصالحين ذكرهم بتعظيم وتوقير واحترام وذكر مناقبهم، وألف التصانيف العديدة النافعة في كثير من الفنون، بلغت أكثر من أربعين كتابا، ولا شك أن الأمة تلقتها بالرضا والقبول، وانتفعت بـــها أتم الانتفاع في مشارق الأرض ومغاربـــها.

وقال السخاوي والسيوطي: سأله جماعة من أهل قرية "نوى" أن لا ينساهم في عرصات القيامة فقال لهم إن كان لي ثم جاه والله لا دخلت الجنة وأحد ممن أعرفه ورائي، ولا أدخلها إلا بعدهم. وأفردت في ترجمته التآليف منها: ((المنهاج السوي في ترجمة النووي)) للسيوطي، وترجمة السخاوي، وأثنى عليه كثير من الحفاظ والفقهاء وغيرهم، منهم الحافظ الذهبي فقال في ((سير أعلام النبلاء))، و((تذكرة الحفاظ))، و((تاريخ الإسلام)) : النووي هو الإمام القدوة الحافظ النبيه الفقيه المجتهد شيخ الإسلام حسنة الأنام مفتي الأمة علم الأولياء الزاهد العابد الرباني انتهى.

قلت: فبمثل هذا الإمام ينبغي التبرك بآثاره والتمسك بأذياله، والتمرغ بموطئ أقدامه وأعتاب أبوابه ، نفعنا الله بعلومه.

الخلاصة

لقد ثبت أن الشيخ السبكي تمرّغ للتبرك على البساط الذي كان يجلس عليه الإمام النووي، وقد عد كثير من العلماء تبركه للنووي من محاسنه وجميل أوصافه، فذكروا ذلك في ترجمته ، وقد علمت أن السبكي كان من أساطين العلم فلا يظن به أحد أن الجهل حمله على هذا التبرك، ولا يتهم عليه بالتهاون أو الجراءة على ارتكاب المنهيات، كيف وقد ذكرنا أن الحافظ الذهبي شبهه في الحفظ بيحيى بن معين، وفي الفتوى بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة إلى آخر ما ذكرناه.

وقد علمت مما سبق أيضا أن من تلامذته الحافظ الكبير أبا الحجاج المزي، وأبا عبد الله شمس الدين الحافظ الذهبي، وقال الحافظ عبد الرحيم العراقي شيخ ابن حجر العسقلاني: لم يخلف السبكي بعده مثله. وكان ابن تيمية لا يعظم أحدا كتعظيمه للسبكي، ومعلوم أن ابن تيمية والذهبي كانا مشهورين ببغض الأشاعرة وحط أئمتهم والطعن فيهم ببعض المسائل الاعتقادية ،

ولكن بحمد الله أظهرا الإنصاف والعدل في وصف هذا الإمام، وبالغا في الثناء عليه مع كونه من أئمة الأشاعرة وأعيانـــهم .

وبالجملة تبين لنا أن الحافظين السخاوي والسيوطي، و الشيخ التاج عبد الوهاب السبكي وابن حجر الهيتمي وغيرهم ممن نقل تبرك السبكي بطريق الاستحسان متفقون على مشروعية ما فعله الإمام السبكي وجوازه.

فيتضح إذًا أن التبرك بمواضع العبادات أمر يعتني به أهل العنايات، ومضى عليه عمل العلماء ورثة الأنبياء، فليقتنع المتنطعون بذلك وليقولوا قولا سديدا والله الموفق .

مهمة

نقل بعض من ترجم للإمام النووي قصة تدل على أن السبكي أدرك الإمام النووي رحمهما الله، ذكرها بعضهم مطولة وبعضهم مختصرة، فممن ذكرها السيد محمد شطا في حاشيته ((إعانة الطالبين على فتح المعين)) فقال فيها: ولما رحل الإمام السبكي رحمه الله تعالى مع جلالته لزيارة الإمام النووي في حياته وجده قد توفي فصار يبكي ويمرغ خده في محل جلوسه ويقول البيتين المذكورين اهـــ .

وممن ذكرها مطولة الشيخ أحمد السحيمي في شرحه على الأربعين النووية ((أنوار الطالبين بشرح الأربعين))، وذكرها أيضا رفيقنا الشيخ علي مؤمن في كتابه ((بغية المحتاج)). وهذه الرحلة إلى زيارة النووي وهو حي لا أصل لها، فقد ذكر علماء التراجم والتواريخ أن الإمام النووي ولد في سنة ٦٣١، وأن وفاته على الراجح كانت ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة ٦٧٦ وممن قال ذلك: الذهبي في ((تذكرة الحفاظ)) وابن كثير في ((البداية والنهاية)) والسيوطي في ((طبقات الحفاظ)) وابن العماد الحنبلي في ((شذرات الذهب)) وابن هداية الله في ((طبقات الشافعية))، وأما السبكي رحمه الله فقد ولد سنة ٦٨٣ ذكر ذلك ولده تاج الدين كما ذكرناه آنفا والسيوطي في ((حسن المحاضرة)) والحافظ الداودي في ((طبقات المفسرين)) وابن العماد في ((شذراته)) فبين وفاة النووي وولادة السبكي نحو خمس أو ست سنين فلا تتصور الزيارة بينهما في الحياة فليتفطن لذلك ولا يغتر بكثرة من غلط فيه والله أعلم.

التبرك بجبل أبي قبيس وجبل يشكر وجبل ثبير

و وفي الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف للعلامة الحنفي جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة المخزومي

ص٣٤٠: يستجاب الدعاء في جبل أبي قبيس كما ذكره الفاكهي، وهو أول جبل وضع على وجه الأرض حين مادت، روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد

وفي ص٣٤٤: أن صاحب القاموس نقل عن النقاش أن الدعاء يستجاب في جبل ثبير لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأمام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيام إقامتها بمكة اهـــ

وفي ((حسن المحاضرة)) للسيوطي ج١ص١٤٢ أن جبل "يشكر" يستجاب فيه الدعاء، وكان يصلي عليه التابعون والصالحون . وعلى هذا الجبل جامع أحمد بن طولون، وقد أشار أهل الفلاح على ابن طولون أنه يبني جامعه عليه . وكان "يشكر" رجلا صالحا اهـــ

التبرك بمتعبد سهل بن عبد الله التستري

قال ابن بطوطة في ((رحلته)) ص١٨٥: إن متعبد سهل بن عبد الله بين بصرة وأُبُلة، فإذا حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه من الوادي، ويدعون عند ذلك تبركا بـــهذا الولي اهـــ. وكان الشيخ سهل بن عبد الله التستري من أكابر الأولياء وزهاد السلف الصالح فكان أهلا للتبرك به، وتوفي رحمه الله سنة ٢٨٣هـــ. وفي ((معجم البلدان)) الأبلة بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها بلدة على شاطئ دجلة البصرة اهـــ. وفي ((معجم البلدان)) أيضا أن التستر أعظم مدينة بخوز ستان وهي بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى .

التبرك بمتعبد الشيخ عبد الله العيدروس

وفي ((المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي)) ج١ص ٢٨٨ أنه يوجد في مدينة تَرِيْم شعب يقال له: شعب "النعير" بضم النون وفتح العين، وهو شعب مبارك تعبد فيه كثيرون من الأولياء والصالحين. وممن تعبد فيه الشيخ عبد الله العيدروس، ومتعبده محل فيه معروف يزار ويتبرك به .

تنبيه

لا يخفى أن الله تعالى فضّل بعض المواضع وشرّفها على بعض كما فضّل بعض الأزمان على بعضها والمؤمنين بعضهم على بعض، بل فضّل بعض الرسل على بعضهم، فتشريف ما شرفه الله وتعظيمه واحترامه مطلوب مستحسن شرعا، فقد قال النووي في ((رياض الصالحين)): قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننـــزل الناس منازلهم، رواه مسلم في أول صحيحه تعليقا، وذكره الحاكم أبو عبد الله في ((معرفة علوم الحديث)) وقال: هو حديث صحيح . وروى أبو داود عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنزلوا الناس منازلهم .

وقال السيوطي في ((الإكليل في استنباط التنـــزيل)) في الكلام على قوله تعالى فاخلع نعليك: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة: إنما أمر بخلعهما تواضعا وتعظيما للبقعة ورجّحه ابن جرير، فيستدل به على استحباب المشي حافيا في المساجد والبقاع الشريفة اهـــ.

فمتعبد الصالحين مبارك، وليس كمجالس الفسّاق ومواضع الخمور والفجور، وقد أجاد القائل:

إن البقاع والأماكن كلهـــا　　تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وفي ((مجمع الزوائد))ج١٠ص٧٩ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الجبل ينادي الجبل باسمه أي فلان هل مر بك من ذكر الله ؟ فإذا قال: نعم استبشر، قال: " عون" فيسمعن الشر، ولا يسمعن الخير ؟ هن للخير أسمع، وقرأ قوله تعالى : وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدّا، تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

ومما يدل على أن الأمكنة تتشرّق بشرف ساكنيها وبعبادتـــهم ما ذكره ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج٩ ص١٥٥ في فصل عقده لذكر آثار جامع دمشق وما ورد في فضله من الأخبار، فمما قال فيه: قد اشتهر في الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلية تسمي زاوية الخضر، وما أدري ما سبب ذلك، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة في هذا الجامع، وكفى بذلك شرفا له ولغيره من المساجد التي صلوا فيها، وممن صلى فيه أبو عبيدة ومعاذ بن جبل وأنس بن مالك وخلائق من الصحابة رضي الله عنهم وسيصلي فيه عيسي بن مريم إذا نزل في آخر الزمان اهـــ .

وفي ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) ج١ص٢٣٣ قال أحمد بن صالح: أدركت الشيوخ بدمشق قديما وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام ويقصدونه ويصلون فيه ويقرأون ويدعون ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع شريف قديم عظيم، ويذكرون أن الشق الذي في الجبل خارج باب هذا المسجد هو موضع اختبأ فيه إبراهيم من النمروذ، والدعاء فيه مجاب، فمن توجه إلى الله تعالى في ذلك الموضع ودعا فيه بنية خالصة رأى الإجابة .

وقال أحمد بن سليمان: من قصد الجبل الذي رأى فيه إبراهيمُ الخليل الكواكب التي ذكرها الله في قوله: "فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي" وصلى فيه ركعتين ودعا أجابه الله في دعائه، وقال أبو الحسين الرازي : إن مما يرجى فيه إجابة الدعاء مسجدا عند القطيعة يقال: إن هناك قبر موسى بن عمران اهـــ .

فهذه المواضع تشرّفت بالصالحين الذين سكنوا فيها حتى استجيبت فيها الدعوات ببركتهم. والمواضع التي يتبرك بـــها لبركة ساكنيها كثيرة جدا وفيما ذكرناه كفاية والله الموفق.

التبرك بآبار الصالحين

روى البخاري في كتاب الأنبياء من صحيحه عن عبد الله بن عمر ومسلم في باب النهي عن الدخول على أهل الحجر عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضا أن ناسا نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُهَريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. وقال النووي في ((شرح صحيح مسلم)) ج ١٨ ص ١١٢ : وفي هذا الحديث التبرك بآبار الصالحين.

ومن آبار الصالحين المباركة بئر زمزم، فإن جبريل عليه السلام بحثه بجناحه أو بعقبه كما رواه البخاري في صحيحه، وروى مسلم عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في زمزم: إنــها مباركة، وإنــها طعام طعم وشفاء سقم، وقال العلماء: يستحب شرب ماء زمزم والاستكثار منه، ونقله إلى الأماكن البعيدة طلبا لبركته، وقال الهيتمي في ((حاشية الإيضاح)): قال الماوردي: يسن أن يصب على رأسه منها ويغسل وجهه وصدره ، وقال الزعفراني: والنظر في بئر زمزم عبادة تحط الأوزار والخطايا. ومن بركة ماء زمزم أن من شربه لحاجة من حوئجه فإنه ينالها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ماء زمزم لما شرب له، من شربه لمرض شفاه الله أو لجوع أشبعه الله أولحاجة قضاها الله. وفي مغني المحتاج أن قوله "وشفاء سقم" لم يروه مسلم وإنما رواه أبو داود الطيالسي. وقال النووي رحمه الله في ((الإيضاح)): وقد شرب جماعة من العلماء ماء زمزم لمطالب لهم جليلة فنالوها اهــ وحديث ماء زمزم لما شرب له ورد من طرق، واختلفوا في درجته، فقال ابن حجر الهيتمي في حاشيته على ((الإيضاح)) : الذي استقر عليه أمر محققي المحدثين أنه حديث حسن أو صحيح، وقول الذهبي: إنه باطل وابن الجوزي إنه موضوع مردود. وفي ((المرقاة)) ج٦ص٧ أنه عليه الصلاة والسلام استهداه وهو بالمدينة من سهيل بن عمرو عام الحديبية ، وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام حمله في الأداوى والقرب، وكان يصب على المريض ويستشفيهم به، وصح عن عائشة رضي الله عنها أنــها كانت تنقله، وتخبر أنه عليه الصلاة والسلام كان ينقله، قال علي قاري: فنقل ماء زمزم للتبرك به مندوب اتفاقا اهــ. وكما يتبرك بآبار الصالحين يجتنب أيضا آبار الطالحين والظالمين، كما هو صريح في حديث الشيخين السابق، فقد قال النووي في شرح مسلم: وفي هذا الحديث مجانبة آبار الظالمين. وقال الحافظ في ((الفتح)) ج٦ص٣٨٠: في هذا الحديث كراهة الاستقاء من بئار ثمود، ويلتحق بــها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره.

التبرك بريق الصالحين

لقد ذكرنا التبرك والاستشفاء بريقه صلى الله عليه وسلم فنذكر هنا أنه يتبرك بريق ورثته صلى الله عليه وسلم المهتدين بـــهديه، العاملين بسنته صلى الله عليه وسلم ، كما يتبرك بريقه صلى الله عليه وسلم. وذكر الفقهاء رحمهم الله تعالى في باب العقيقة أنه يسن تحنيك المولود بتمر، فإن لم يوجد تمر فبحلو لم تمسه النار، ويسن أن يكون المحنِّك للمولود من أهل الخير والصلاح، وأن يكون رجلا، فإن لم يوجد فامرأة صالحة، وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في تحنيك المولود، وذكرنا بعضها ، وقال النووي في ((شرح مسلم))ج١٤ص١٢٣-١٢٤: وفي أحاديث التحنيك فوائد منها: تحنيك المولود عند ولادته وهو سنة بالإجماع، ومنها أن يحنكه صالح من رجل أو امرأة، ومنها التبرك بآثار الصالحين وريقهم وكل شيء منهم اهـــ.

التبرك والاستشفاء برقية الصالحين وريقهم بعد قراءة القرآن

والرقية كما في ((فتح الباري)) ج ٤ ص٤٥٣: كلام يستشفى به من كل عارض. وهي بضم الراء وسكون القاف وجمعها الرُّقَي. قال النووي في ((الأذكار)) ص ١١٩-١٢٠: روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها ، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عندهم بعض شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند أحد منكم من شيء ؟ قال بعضهم: إني والله لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا ، فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: الحمد الله رب العالمين، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة، فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، وقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان، فننظر الذي يأمرنا، فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال: وما يدريك أنـــها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهما، وضحك النبي صلى الله عليه وسلم. هذا لفظ رواية البخاري وهي أتم الروايات، وفي رواية فجعل يقرأ أم الكتاب ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ الرجل ، وفي رواية فأمر له بثلاثين شاة اهـــ. وهذه الروايات كلها للبخاري، ذكرها في مواضع من صحيحه ، منها : كتاب الإجارة، وكتاب الطب، وكتاب فضائل القرآن في باب فضل الفاتحة، وقال النووي في الأذكار أيضا

روينا في كتاب ابن السني بلفظ آخر، وهو رواية لأبي داود قال فيها: عن خارجة عن عمه قال: أقبلنا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتينا على حي من العرب فقالوا: عندكم دواء فإن عندنا معتوها في القيود ، فجاءوا بالمعتوه في القيود ، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشيا أجمع بزاقي ثم أتفل، فكأنـــما نشط من عقال، فأعطوني جعلا فقلت: لا، فقالوا: سل النبي صلى الله عليه وسلم فسألته فقال: كل فلعمري من أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق. وفي ((فتح الباري)): وفي الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء والمأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف المأثور، وفي ((فتح الباري))ج ٤ ص ٤٥٦: قوله ((يتفل)) بضم الفاء وكسرها ، وهو نفخ معه قليل بزاق ، وقال ابن أبي جمرة : محل التفل في الرقية يكون بعد القراءة لتحصيل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الريق، فتحصل البركة في الريق الذي يتفله. وفي ((سير أعلام النبلاء)) للحافظ الذهبي ج ١١ص ٢٠٩: أن صالح بن أحمد بن حنبل قال: ربما اعتللت فيأخذ أبي أحمد قدحا فيه ماء ، فيقرأ فيه، ثم يقول: اشرب منه، واغسل وجهك ويديك اهـــ بلفظه.

وقال ابن القيم الجوزية في ((الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)) ص ٥ : مكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ، ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعا اهـــ.

وقال ابن القيم أيضا في ((زاد المعاد)) ج٣ص ١٢٢: لقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأها عليها مرارا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بـــها غاية الانتفاع اهـــ .

ملاحظة

لا يخفى أن الفاتحة أم القرآن والسبع المثاني، وقد قيل: إنـــها نزلت مرتين، ومعلوم أن الصلاة لا تصح عند أكثر العلماء إلا بقراءتـــها، وقال الهيتمي: إنـــها أفضل سور القرآن . فلذا اعتاد كثير من الناس قراءتـــها عند افتتاح مجالس الاجتماع وعند انتهائها، وعند الكرب والشدائد ، وقراءتـــها للأموات والغائبين، وأول الدعاء وآخرها. واعتاد بعضهم أن يقولوا في آخر مجالس التلاوة والأذكار وحلق حضرة الصوفية ونحوها : الفاتحة إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ورد قراءتـــها عند الميت، ففي كتاب ((صحيح صفة صلاة النبي)) للشيخ حسن بن علي السقاف: روى الطبراني في ((الكبير)) والبيهقي في ((شعب الإيمان)) عن سيدنا ابن عمر رضي

الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب انتهى. وفي ((إثـــمد العينين في اختلاف الشيخين)) المطبوع على هامش ((بغية المسترشدين)) ص ٨٨ : وقد ألهم الله هذه الأمة قراءة الفاتحة والإكثار منها عند حضور الجماعة وعند افتراقها.

وفي ((النور السافر عن أخبار القرن العاشر)) لمحيي الدين عبد القادر بن الشيخ عبد الله العيدروس: أن الفقيه عمر بن محمد الملاح وكان رجلا صالحا ثقة قال: تزوجت امرأة شابة وأنا رجل كبير، وكان أهلها يحبوني ويعتقدوني، وهي كارهة بباطنها لصحبتي من حيث كبري، وتظهر الود من أجل أهلها، فاتفق أن امرأة دخلت عليها خفية مني وأنا أسمع وهي لا تشعر بي، وكانت كلما تكلمت كلمة كتبتها في ورقة عندي، ثم إن المرأة أرادت أن تخرج فقالت لها زوجتي: اصبري نقرأ الفاتحة كما يفعل الفقيه وأصحابه، فقرأت هي والمرأة فكتبت أيضا قراءتـــهما الفاتحة ، ثم ذكرت لأخوتـــها وقلت لهم: لا تكرهوها وأردت أن أفارقها، فكرهوا ذلك وعتبوا عليها، فأنكرت جميع ما صدر عنها، فقلت لهم: قد كتبت كلامها في روقة، ثم جئت بالورقة لأريهم كلامها فلم أجد في الورقة شيئا سوى الفاتحة، وهذا من بركات الفاتحة.

وقال الحافظ الديبع: قال شيخنا جمال الدين: هذا ما أخبرني به الفقيه محمد فقيشي، ولعمري إن هذا من فضلها قليل، وقد قال محمد صلى الله عليه وسلم: إنـــها رقية الظاهر والباطن.

وقال الفقيه محمد بن عبد السلام: ولقد أخبرني الفقيه محمد بن عطيف أيام وصل إلينا في زبيد أن رجلا رأى القيامة قامت، وأن مناديا ينادي يا أهل اليمن قوموا ادخلوا الجنة فقيل للمنادي: بما أعطوا هذه المنـــزلة ؟ قال: لقراء تـــهم الفاتحة .وكان إخباره لي بذلك أنا كنا إذا دخلنا عليه نتحدث عنده ساعة، وإذا أردنا الخروج طلب منا قراءة الفاتحة. وقال السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج٣ ص ٢٦٤ : لقيت الشيخ سليمان بن داود بن محمد بن داود علم الدين الدمياطي، وشرعت في الكلام معه في بعض المسائل، فما خاض فيها وبادر لإحضار الأكل فقرأنا الفاتحة وانصرفنا، توفي سنة ٨٧١هـــ. وفي ((الضوء اللامع)) ج ٢ ص ٥٧ في ترجمة الشيخ أحمد بن محمد بن عمر الطنبذي: أنه قصد إلى الشيخ الصدر المناوي القاضي، فوجده غائب العقل، فقال لبواب المدرسة : أعلم أخي بمجيئي وأني وجدته مغمورا فقرأت الفاتحة ودعوت له بالعافية ثم انصرفت اهـــ.

وفي ((الضوء اللامع)) ج٧ص ١٦٥ كان الشيخ محمد الشرف أبو الفتح بن أبي بكر بن الحسين ابن عمر يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويترضى عن الصحابة كلما جرى ذكرهم،

ويفتتح المجلس بالفاتحة وبسورة الإخلاص ثلاثا ويهديها لمشايخه. وترجم له السخاوي ترجمة طويلة أطال في عدّ محاسنه، فمما وصفه به: الثقة والصدق والعبادة والزهد والورع وكثرة التلاوة، وطرح التكلف وقلة الكلام فيما لا يعنيه، والغضب لله وعدم الخوف فيه من لومة لائم، وحسن اعتقاد في المنسوبين للصلاح وغير ذلك، ومن تصانيفه ((المشرع الروي في شرح منهاج النووي)) واختصر ((فتح الباري)) لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في نحو أربع مجلدات، وسماه ((تلخيص أبي الفتح لمقاصد الفتح)) وكان من مشايخ الحافظ السخاوي، ولد سنة ٧٧٥ وتوفي سنة ٨٥٩ اهـــ .

لطيفة

قال القسطلاني في ((المواهب اللدنية)) في المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات ما حاصله : ههنا أمر ينبغي أن يتفطن له ، نبه عليه ابن القيم ، وهو أن الأيات والأذكار والأدعية التي يستشفى بـــها ويرقى بـــها هي في نفسها نافعة شافية ، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره ، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل الذي من شأنه أن يتأثر بقبول الدواء. أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، ثم قال القسطلاني: ومن أنفع الأدوية الدعاء، وهو عدو البلاء، يدافع ويعالجه ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، ومن أقوى الأسباب في رفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف أثره عنه إما لضفعه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، وإما لحصول المانع عن الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو، وقد روى الحاكم حديث: وأعلموا أنَّ الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه.

وقال أيضا: وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب، والجمعية بالكلية على المطلوب، وصادف وقتا من أوقات الإجابة، كثلث الليل الأخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع، واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين، والبداءة بالحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة، وألح في المسألة وأكثر التملق والدعاء والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، والتوجه بنبيه صلى الله عليه وسلم، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا، لا سيما إن دعا بالأدعية التي أخبر بـــها صلى الله عليه وسلم أنـــها مظنة الإجابة، أو أنـــها متضمنة الاسم الأعظم اهـــ ملخصا مع زيادة قليلة من شرحه.

وفي شرحه للزقاني قال الرازي: أجمعت الأمة على أن الدعاء اللسانيّ الخالي عن الطلب النفساني قليل النفع عديم الأثر اهـــ .

باب التبرك بثياب الصالحين وتراب نعالهم

لقد سبق في باب التبرك بثيابه صلى الله عليه وسلم حديث أنه صلى الله عليه وسلم أعطى عبد الرحمن بن عوف أو غيره بردة أهديت له، وأن الحافظ العسقلاني قال : في هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين ولباسهم، وذكر ابن السبكي في ((طبقات الشافعيةالكبرى)) ج١ص٢٠٥ بسنده أن الربيع بن سليمان قال: إن الشافعي رضي الله عنه خرج إلى مصر فقال لي: يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به، وسلمه إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وائتني بالجواب، قال الربيع: فدخلت بغداد ومعى الكتاب، فصادفت أحمد بن حنبل في صلاة الصبح ،فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال لي أحمد : نظرت فيه؟ فقلت لا، فكسر الختم فقرأ وتغرغرت عيناه ، فقلت له إيش فيه أبا عبد الله ؟ فقال : يذكر فيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله فاقرأ عليه السلام وقل له : إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم ، فيرفع الله لك علما إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت له: البشارة يا أبا عبد الله ، فخلع أحد قميصيه الذي يلي جلده ، فأعطانيه، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر، وسلمت إلى الشافعي فقال: أيش الذي أعطاك؟ فقلت: قميصه، فقال الشافعي: ليس نفجعك به ، ولكن بُلَّهُ وارفع إليّ الماء لأتبرك به.

وفي ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) لابن عساكر ج ٢ ص ٤٤: مثل هذه العبارة باختلاف يسير في بعض الألفاظ ، وقال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١٠ص ٣٣١: روى البيهقي عن الربيع قال: بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر، فدفعت إليه الكتاب فقال: أقرأته ؟ فقلت لا ، فأخذه فقرأه فدمعت عيناه فقلت: يا أبا عبد الله وما فيه ؟ فقال يذكر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبهم ، يرفع الله لك علما إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت: حلاوة البشارة، فخلع قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه، فلما رجعت إلى الشافعي أخبرته فقال: إني لست أفجعك فيه ولكن بله بالماء وأعطنيه حتى أتبرك به. وفي ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) لعلي بن سطان قارئ ج١ص ٢٢: مثل ذلك باختصار، وقال فيه: غسل الشافعي قميص أحمد وشرب ماءه، وهذا من أجلّ مناقب الإمام أحمد اهـــ. وذكر ذلك أيضا الشعراني

في ((تنبيه المغترين)) في- الباب الثاني في جملة أخرى من الأخلاق- فقال فيه: قد بلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه أرسل قاصده للإمام أحمد بن حنبل بأنه سيقع في محنة عظيمة ويخلص منها سالما يعني مسألة خلق القرآن، فلما أخبره القاصد نزع الإمام أحمد له قميصه سرورا بقدوم رسول الشافعي، فلما رجع الرسول بالقميص وأخبر الشافعي به قال له: هل كان هذا القميص على جسده من غير حائل ؟ قال: نعم، قال: فقبله الإمام الشافعي ووضعه على عينيه ثم صب عليه الماء في إناء وعرّكه فيه ثم عصره ووضع غسالته عنده في قارورة ، فكان كل من مرض من أصحابه يرسل له شيئا من تلك الغسالة، فإذا مسح به جسده عوفي من مرضه لوقته اهـ.

تنبيه

ذكرنا في التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم أن الإمام أحمد بن حنبل كان يكثر التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم، فكان يأخذ شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فيقبلها ويضعها على عينيه ويغمسها في الماء ثم يشربه يستشفي بـها، فقدر الله سبحانه أن يتبرك به كثير من الأكابر والعلماء مثل شيخه الإمام الشافعي وغيره، كما كان يتبرك هو بالشعرة الكريمة. وهذا من عجائب حكمته تعالى ، وقد ورد في الحديث كما تدين تدان، وقالوا: الجزاء من جنس العمل، فمن تبرك بالصالحين بنية صالحة وحسن اعتقاد جازاه الله بمثل ذلك وقيض له من يتبرك به وينتفع به إن كان أهلا لذلك، فإن الله يجزي الإنسان بوصفه سيجزيهم وصفهم. وأما المنكر بالتبرك من أصله فهو المحروم من هذا كله، فإن الله تعالى لا يكرم العبد بما ينكر ثبوته ويجحد وجوده، وقد قالوا: إن المعتزلة لا يرون الله جل جلاله في الآخرة لإنكارهم ونفيهم وقوع رؤيته تعالي في الجنة. نسأل الله تعالى أن يرزقنا وأحبتنا محبة من يحبه تعالى من عباده الصالحين ونعوذ به من الحرمان عن بركاتـهم .

وممن تبرك الناس بثيابه وتراب أقدامه أبو إسحاق الشيرازي الفِيْرُوْزَاْبَاْذِيُّ، ففي ((طبقات الشافعية الكبرى)) للعلامة تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ج٣ص٩١ قال أبو الحسن الهمذاني: كان الشيخ إبراهيم بن عليّ بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي وصل مرة وهو مسافر إلى بلاد العجم، فخرج أهلها بنسائهم وأولادهم، فيمسحون أردانه ويأخذون تراب نعليه، ويستشفون به. وخرج إليه صوفيات البلد وما فيهن إلا ومعها سبحة، وألقين الجميع إلى المحفة، وكان قصدهن أن يلمسها ليحصل لهن البركة، فجعل يمرها على يديه وجسده، ويتبرك بـهن ويقصد في حقهن ما قصدن في حقه .

ولما بلغ "بِسْطَام " قيل للشيخ: قد أتى فلان الصوفي فنهض الشيخ من مكانه، وإذا به شيخ كبير هِمٌّ وهو راكب بـــهيمة وخلفه خلق من الصوفية بمرقعات جميلة، فقيل له: قد أتاك الشيخ أبو إسحاق الشيرازي فرمى نفسه عن البهيمة وقبّل يده، وقبّل الشيخ أبو إسحاق رجله وقال له الصوفي: قتلتني يا سيدي فما يمكنني أمشي معك ولكن تتقدم إلى مجلسك. ولما وصل جلس الشيخ أبو إسحاق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه ما جاوز الحد، ثم أخرج الصوفي خرجين، في إحداهما حنطة وقال: هذه الحنطة نتوارثها عن أبي يزيد البِسْطامي، وفي الأخرى ملح، فأعجب الشيخ أبا إسحاق ذلك وودعه وانصرف. وهذا الشيخ الصوفي الذي قصد الشيخ أبا إسحاق يعرف بالسهلكي .

قال القاضي أبو العباس الجرجاني صاحب ((المعايات)) وغيرها: كان أبو إسحاق الشيرازي لا يملك شيئا من الدنيا، فبلغ به الفقر حتى كان لا يجد قوتا ولاملبسا، قال: ولقد كنا نأتيه وهو ساكن في "القطيعة" فيقوم لنا نصف قامة، ليس يعتدل قائما من العري كي لا يظهر منه شيء.

وقال ابن سمعان: إنه سمع بعضهم يقول: دخل أبو إسحاق يوما مسجدا ليتغذى، فنسي دينارا ثم ذكر فرجع فوجده ففكر ثم قال: لعله وقع من غيري فتركه، وهذا هو الورع ليكن المرء هكذا وإلا فلا يأمل من الجنة آمالا، وهذا هو خلاصة الناس، فإن كان صالح ترتجى بركاته فهذا، وإن كان سيد يؤمل في الشدائد فحسبك هو ملاذا .

وكان يمشي بعض أصحاب أبي إسحاق معه في طريق فعرض لهم كلب فقال الفقيه لذلك الكلب: اخسأ، وزجره فنهاه الشيخ وقال: لم طردته عن الطريق ؟ أما علمت أن الطريق بيني وبينه مشترك.

شيوخه

منهم أبو عبد الله البيضاوي وعلي بن رامين والقاضي أبو الطيب الطبري ولازمه واشتهر به وصار أعظم أصحابه ومعيد درسه، وقرأ الأصول على أبي حاتم القزويني وطائفة آخرين وسمع الحديث ببغداد من أبي بكر البرقاني وأبي علي بن شاذان وغيرهم، وما برح يدأب ويجهد حتى صار أنظر أهل زمانه وفارس ميدانه والمقدم على أقرانه، وامتدت إليه الأعين، وانتشر صيته في البلدان، ورحلوا إليه من كل مكان، ولقد كان اشتغاله أول طلبه أمرا عجابا وعملا دائما يقول من شاهده: عجبا لهذا القلب والكبد كيف ماذابا، يقال: إنه اشتهى ثريدا بماء الباقلاء قال: فماصح لي أكله باشتغالي بالدرس، وقال: كنت أعيد كل قياس ألف مرة، فإذا فرغت منه أخذت قياسا آخر وهكذا، وكنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسئلة بيت يستشهد

به حفظت القصيدة، وكان غضنفرا في المناظرة لا يصطلى له بنار، وقيل: إنه كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدكم الفاتحة .

وروى عنه الخطيب البغدادي، وأبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي، وأبو بكر بن الحاضنة، وأبو الحسن بن عبد السلام وأبو القاسم بن السمرقندي، وأبو البدر بن الكرخي وغيرهم، ومن تآليفة ((التنبيه)) و((المهذب)) في الفقه و((النكت)) في الخلاف و((اللمع)) وشرحه، و((التبصرة)) في أصول الفقه، و((الملخص)) و((المعونة)) في الجدل و((طبقات الفقهاء)) و((نصح أهل العلم)) وغير ذلك .

وقال أبوبكر محمد بن أحمد بن الحاضنة: سمعت الشيخ أبا إسحق يقول: لو عرض هذا الكتاب الذي صنفته وهو ((المهذب)) على النبي صلى الله عليه وسلم لقال: هذا شريعتي التى أمرت بـــها أمتي .

وعن الحسن الطبري الإمام قال: سمعت صوتا من الكعبة أو من جوف الكعبة: من أراد أن يتنبه في الدين فعليه بالتنبيه. وكانت الطلبة ترحل من الغرب والشرق إليه، والفتاوى تحمل من البر والبحر إلى بين يديه، والفقه تتلاطم أمواج بحاره ولا يستقر إلا لديه، حتى ذكروا أنه كان يجري مجرى ابن سريج في تأصيل الفقه وتفريعه، ويحاكيه في انتشار الطلبة في الربع العامر جميعا، قال حيدر بن محمود بن حيدر الشيرازي : سمعت الشيخ أبا إسحاق يقول: خرجت إلى خراسان فما بلغت قرية أو بلدة إلا وكان قاضيها أومفتيها أوخطيبها تلميذي أو من أصحابي . وله أدب أعذب من الزلال، فمنه :

سألت الناس عن خل وفِيٍّ ... فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حر ... فإن الحر في الدنيا قليل

ويروى بذيل حر بدل بودّ حر .

ومنه:

لبست ثوب الرجى والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا عـــدتي في كـــل نائبـــة ... ومـــن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمـــورا أنت تعلـــمها ... مالي على حملها صبر ولا جـــلد
وقـــد مـــددت يدي بالذل مبتهلا ... إليك يا خير من مـــدت إليه يد
فـــلا تردنـــهـــا يا رب خـــائبـــة ... فبحر جودك يروي كل من يرد

وقال عليّ بن أحمد بن الحسين الإصطخري الفقيه: أنشدنا الامام أبو إسحاق الشيرازي ببغداد و لم يسم قائلا:

صبرت على بعض الأذى خوف كله   وألزمت نفسي صبرها فاستقرت
وجرعتها المكـــروه حـــتي تدربت   ولـــوحُـــمِلَتْهُ جمـــلة لاشمأزت
فـــيا رب عـــز جـــر للنفس ذلـــة   ويارب نـــفس بالتذلل عـــزت
وما العـــز إلا خيفة الله وحـــده   ومـــن خاف منه خافه ما أقلت
وأهجر أبواب الـــملـــوك فإنني   أرى الحرص جلابا لكل مذلـــة
إذا ما مددت الكف ألتمس الغنى   إلى غير من قال اسألوني فشلّت

وكان الشيخ أبو إسحاق يقول: من قرأ عليّ مسئلة فهو ولدي، ويقول: العوام ينسبون بالأولاد والأغنياء بالأموال، والعلماء بالعلم، وكان يقول: العلم الذي لا ينتفع به صاحبه أن يكون الرجل عالما ولا يكون عاملا، وينشد لنفسه:

علمت ما حلل المولى وحرمه   فاعمل بعلمك إن العلم بالعمل

وكان يقول: الجاهل بالعالم يقتدي، فإذا كان العالم لا يعمل بعلمه فالجاهل ما يرجو من نفسه، فالله الله يا أولادي نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا . وكان الشيخ إذا أخطأ بين يديه المباحث قال: أيّ سكتة فاتتك، وربما تكلم في مسئلة فسئل سؤالا غير متوجه، فيقول:

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب

أقوال العلماء فيه:

قال فيه الامام أبوبكر محمد بن علي بن حامد الشاشي: أبو إسحق الشيرازي حجة الله على أئمة العصر ، وقال فيه الامام أبو الحسن الماوردي صاحب ((الحاوي)) وقد اجتمع به وسمع كلامه في مسئلة : ما رأيت كأبي إسحاق ، لو رآه الشافعي لتجمل به . وقال الموفق الحنفي إمام أصحاب الرأي : أبو إسحاق إمام المؤمنين في الفقهاء .

المنامات

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن نصر: رأيت في العشر الأوسط من المحرم سنة ٤٦٨ ليلة الجمعة الشيخ أبا إسحاق طول الله عمره في منامي يطير مع أصحابه في السماء الثالثة أو الرابعة فتحيرت في نفسي، وقلت: هذا هو الشيخ الإمام مع أصحابه يطير وأنا معهم استعظاما لتلك الحالة والرؤية، فكنت في هذه الفكرة إذ تلقى الشيخ الإمام ملك وسلم عليه عن الله تبارك وتعالى وقال له: إن الله تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول: ماذا تدرس لأصحابك؟ فقال

الشيخ: أدرس ما نقل عن صاحب الشرع، وقال له الملك: اقرأ عليّ شيئا من ذلك لأسمعه، فقرأ عليه الشيخ مسئلة لا أذكرها، فاستمع له الملك وانصرف، وأخذ الشيخ يطير وأصحابه معه فرجع الملك بعد ساعة وقال للشيخ: إن الله تعالى يقول: الحق ما أنت عليه وأصحابك فادخل الجنة معهم. وحكي أن الشيخ أبا إسحاق قال: كنت نائما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ومعه صاحباه أبو بكر وعمر وقال لي: يا شيخ وسماني شيخا وخاطبني به، وكان الشيخ يفرح بـــهذا ويقول: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخا انتهى باختصار . وقال ابن السبكي: ومثل هذه الحكاية حكاية شيخه القاضي أبي الطيب في رؤياه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وتسميته إياه فقيها، وكان القاضي أيضا يفتخر بذلك.

وقال ابن كثير في ((طبقات الفقهاء الشافعيين)) جـــ٢ص٣٩: إن الشيخ أبي إسحاق قال: كنت نائما ببغداد ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبوبكر وعمر فقلت: يارسول الله بلغني عنك أحاديث كثيرة عن ناقلي الأخبار فأريد أن أسمع منك خبرا أشرف به في الدنيا وأجعله ذخرة للآخرة، فقال: ياشيخ وسماني شيخا وخاطبني به وكان يفرح بـــهذا ثم قال: قل عني: من أراد السلامة فليطلبها في سلامة غيره، قال ابن كثير: وهذا المنام عليه لوائح الصدق فإن الفقهاء لهجوا بتسميته بالشيخ أبي إسحاق، ولِمَا رواه في المنام شاهد في الصحيح وهو قوله عليه السلام: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" أي من أراد أن يسلم فليسلم الناس منه فإن الجزاء من جنس العمل اهــ

ولد الشيخ أبو إسحاق سنة ٣٩٣ وتوفي سنة ٤٧٦ اهــ ملخصا من((طبقات الشافعية الكبرى)). وقال عز الدين ابن الأثير في ((اللباب في تـــهذيب الأنساب)): أبو اسحاق إبراهيم ابن علي الفيروزاباذي الشيرازي إمام الدنيا مطلقا.

وقال ابن العماد الحنبلي في ((شذرات الذهب)) ج٣ص ٣٥٠ : تراكب الناس على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في بلاد العجم حتى تمسحوا بأطراف ثيابه وتراب نعليه اهــ .

وترجم له الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء))ج١٨ص٤٥٢-٥٦٠ فقال: هو الشيخ الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام الشافعي، قيل: لقبه تاج الدين مولده في سنة ٣٩٣ هــ .

وذكر الذهبي أنه تفقه على أبي عبد الله البيضاوي وعبد الوهاب بن رامين بشيراز وقدم بغداد سنة ٤١٥، ولزم أبا الطيب وصار معيده، كان يضرب المثل بفصاحته وقوة مناظرته .

وسمع من علي بن شاذان وأبي بكر البرقاني ومحمد بن عبيد الله الخَرْجُوْشِيِّ .

وحدث عنه الخطيب وأبوالوليد الباجي والحميدي والزاهد يوسف بن أيوب وأبو نصر أحمد بن محمد الطوسي وأحمد بن نصر بن حمان الهَمَذاني خاتمة من روى عنه .

وكان الوزير ابن جهير كثيرا ما يقول: الإمام أبو إسحاق وحيد عصره وفريد دهره ومستجاب الدعوة .

وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني: ندب " المقتدي بالله " أبا اسحاق إلى المعسكر، فتوجه في آخر سنة ٤٧٥، فكان يخرج إليه أهل البلد بنسائهم وأولادهم يمسحون أردانه ويأخذون تراب نعليه يستشفون به، وخرج الخبازون ونثروا الخبز، وهو ينهاهم ولا ينتهون، وخرج أصحاب الفاكهة والحلواء نثروا على الأساكفة، وعملوا مداسات صغارا ونثروها وهي تقع على رؤوس الناس، والشيخ يعجب وقال لنا : رأيتم النثار، ما وصل إليكم منه؟ فقالوا يا سيدي وأنت أي شيء كان حظك منه ؟ قال: أنا غطيت نفسي بالمحفة . ومات أبو إسحاق سنة ٤٧٦ هـــ ولم يخلف درهما ولا عليه درهم، وكذا فليكن الزهد، وما تزوج فيما أعلم اهـــ . و" المحفة " بكسر الميم هودج لا قبة له. و " الهِمُّ " بكسر الهاء الشيخ الكبير الفاني . وقوله " الخرجين " الخرج بالضم وعاء من شعر أو جلد يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه، و" ندب " فلانا الأمرَ ندْبا دعاه وبعثه ووجّهه . و" الردن " كما في ((معجم الوسيط)) الكُمُّ جمعه أردان و"الأساكفة" في ((القاموس)) وشرحه الأُسْكُفَّةُ خشبة الباب التي يوطأ عليها وهي العَتَبَةُ.

وقال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) ج٢ص ٤٦٥: ولد الشيخ أبو إسحاق الشيرازي سنة ٣٩٣ هـــ وتوفي ببغداد سنة ٤٧٢هـــ، وكان إماما محققا متقنا مدققا ذا فنون من العلوم المتكاثرات والتصانيف النافعة زاهدا عابدا ورعا معرضا عن الدنيا مقبلا بقلبه على الآخرة باذلا نفسه في نصر دين الله، مجانبا للهوى، أحد العلماء الصالحين وعباد الله العارفين الجامعين بين العلم والعبادة المواظبين المتبعين هدى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم اهـــ. وقد ذكرنا أن الذهبي وابن السبكي قالا: إنه توفي سنة ٤٧٦، وممن ذكر التبرك بثياب الشيخ أبي إسحاق الحافظ ابن كثير في ((طبقات الشافعيين)) جـــ٢ص٣٨ .

قلت: فبهذا الإمام وأمثاله ينبغي التبرك بتراب نعالهم وجميع آثارهم رضي الله عنهم وعنا بـــهم.

تنبيه

ومن الثياب التي يتبرك بـــها خرقة الصوفية وهي في اصطلاحهم كما في آخر كتاب ((المشرع الروي)) اسم لكل ما يلبس من الثياب المباحة، كالقلنسوة والعمامة والقميص والقباء والرداء والطيلسان والإزار، رفيعها وكثيفها ومتينها ولطيفها وأحسنها وأخشنها ، وكيفية إلباسها أن

يتطهر الشيخ ويأمر المريد بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيأ لقبول ما يلقيه عليه، ثم توضع الخرقة بين يديهما ويقرأ الفاتحة، ويلبسها الشيخ بيده للمريد، ثم يذكر نسبتها، كأن يقول: البسكها كما ألبسني إياها شيخي فلان إلى آخرها. وهي أنواع كما قاله بعضهم، وهي خرقة تشبه وخرقة تبرك، وخرقة إرادة، فخرقة التشبه والتبرك لا بأس بـــها لكل أحد كالسلاطين والأمراء والتجار ، وأما خرقة الإرادة فلا يتعاطاها إلا من له إرادة صادقة وهمة عالية، فالخرقة وإن كانت هي لباس الفقر والتصوف فالفقراء والصوفية لا يختصون بلباسها ، فمن لبسها بالتشبه والتعلق فهو لاحق، ومن تشبه بقوم فهو منهم ومعهم، ومن أحب قوما فهو منهم ومعهم، وإذا لبس مريد من شيخ لبسا مطلقا ساغ له أن يلبس غيره وإن لم يأذن له شيخه في الإلباس، وإن اختار بعضهم تعيين الإذن في الإلباس، وكذا إذا لبس من شيخ له طرق متعددة فله أن يلبس عنه بكل طرقه ، وإن لم يقترن إلباسه بالإذن نظير ما قاله أئمة الحديث: إن الطالب إذا سمع حديثا أو كتابا من شيخه له أن يرويه عنه وإن لم يأذن له شيخه في الرواية عنه، ولم يبلغنا عن أهل العهد الأول من المتقدمين من مشايخ الصوفية في إلباس الخرقة الإذن ولا الإجازة، وإنما كان ذكر اللبس فقط. وقد فعل لبسها كثيرون علماء عارفون انتهى ما في المشرع ملخصا.

قلت: واختلفوا في أصل ثبوتـــها فذكر بعضهم أن الحسن البصري لبسها من علي بن أبي طالب، وقال آخرون بعدم ثبوت رؤية الحسن البصري لعلي بن أبي طالب، وقال الحافظ القسطلاني في ((المواهب اللدنية)): قال شيخنا يعني السخاوي: ما يذكرونه من أن الحسن البصري لبسها من علي بن أبي طالب فقال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولاضعيف أنه صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعلها، وكل ما يروى صريحا في ذلك فباطل، قال الحافظ: ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري ، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة، وكذا قال الدمياطي والذهبي والعلائي ومغلطاي والعراقي والأبناسي بفتح الهمزة وسكون الباء والحلبي وغيرهم كالـــهكاري وابن الملقن وابن ناصر الدين مع كون جماعة منهم لبسوها وألبسوها تشبها بالقوم، نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كهيل بضم الكاف وفتح الهاء ابن زياد وهو صحب عليا بن أبي طالب من غير خلف في صحبته له بين أئمة الجرح والتعديل. وفي بعض الطرق اتصالها بأويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وهذه صحبة لا مطعن فيها،

وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلي وشيخنا أبي إسحاق المتبولي ، وكان يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر واخذ العهود واللبس، وله في ذلك رسالته ((ريحان القلوب)) قرأتـــها على ولد ولده العارف بالله تعالى المسلك سيدي علي مع إلباسه لى الخرقة والتلقين والعهد انتهى ما نقلته من ((المواهب)) بزيادات من شرحه للزقاني.

قلت: وقوله كهيل بن زياد: كذا في ((المواهب اللدنية)) وشرحه للزرقاني لكني لم أر بعد البحث من روى عن علي بن أبي طالب واسمه كهيل بن زياد فلعل الصواب -كميل بن زياد- الآتي قريبا في ((مرآة الجنان)) و((سير أعلام النبلاء)) وغيرهما والله أعلم .

وممن ألف في الخرقة الحافظ السيوطي، فله جزء سماه : ((إتحاف الفرقة برفو الخرقة)) فمما قال فيه: أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب، وتمسك بـــهذا بعض المتأخرين فخدش به طريق لبس الخرقة، وأثبته جماعة ، وهو الراجح عندي لوجوه، وقد رجحه أيضا الحافظ ضياء الدين المقدسي في ((المختارة))، فإنه قال: الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي، وقيل: لم يسمع منه ، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في ((أطراف المختارة)) ثم ذكر السيوطي لترجيح ماقاله أوجها ثلاثة: الوجه الأول أن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافي لأن معه زيادة علم، وذكر الوجهين الآخرين، ثم ذكر أحاديث كثيرة تبلغ عشرة يرويها الحسن البصري عن علي رضي الله عنه ، وأن الحافظ زين الدين العراقي قال: قال علي بن المديني : رأى الحسن عليا بالمدينة وهو غلام، وقال أبو زرعة: كان الحسن البصري يوم بويع لعلي ابن أربع عشرة سنة ورأى عليا بالمدينة، ثم خرج إلى الكوفة والبصرة و لم يلقه الحسن بعد ذلك، وقال الحسن:رأيت الزبير يبايع عليا اهـــ.

وذكر اليافعي في ((مرآة الجنان)) ج٤ص٤٠-٤١ في ترجمة نجم الدين الكبرى المتوفى سنة ٦١٨ طريقين أحدهما يتصل إلى كميل بن زياد عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثانيهما عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٢٣ص ٣٦٣: أن الإمام سيف الدين أبا المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد بن علي الباخرزي نزيل بخارى كان إماما محدثا ورعا زاهدا تقيا منقطع القرين ، قال : وذكره ابن الفوطي في ((معجم الألقاب)) فقال فيه: روى عن أبي الجِنَاب الخيوقي ولبس منه — أي خرقة الصوفية — وشيخه لبس من إسماعيل القصري ، عن محمد بن ناكيل ، عن دواد بن محمد عن أبي العباس بن إدريس عن أبي القاسم بن رمضان، عن أبي يعقوب الطبري عن أبي عبد الله بن عثمان عن أبي يعقوب النهرجوري، عن أبي يعقوب

السوسي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن قال: هو لبسها من يد كميل بن زياد عن علي رضي الله عنه ثم قال الذهبي : هذه الطرق ظلمات مدلهمة ما أشبهها بالوضع اهـ ! وهذا الطريق الذي ذكره الذهبي هو أحد الطريقين اللذين ذكرهما اليافعي مع اختلاف يسير بينهما. وقال الذهبي كان الباخرزي صحب الشيخ نجم الدين الكبرى الخيوقي وغيره وكانت طريقته عارية عن التكلف، وكان في علمه وفضله كالبحر الزاخر، وفي الحقيقة مفخر الأوائل والأواخر، وزار بخرتنك قبر البخاري وجدد قبته وعلق عليها القناديل، وأهدت له ملكة بن أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان سن النبي صلى الله عليه وسلم الذي كسر يوم أحد، وأوصى أن يكفن في خرقة شيخه نجم الدين الكبرى اهـ. توفي رحمه الله سنة٦٥٩هـ كما في ((الشذرات)). وفي ((اللباب في تهذيب الأنساب)) ج١ص ١٠٤ : الباخرزي بفتح الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفي آخره زاي هذه النسبة إلى باخرز وهي ناحية من نواحي نيسابور. و في ((معجم البلدان)) قوله الخيوقي: بفتح أوله وقد يكسر وسكون ثانيه وفتح الواو وآخره قاف بلد من نواحي خوارزم .

قلت: وفي ((تهذيب التهذيب)) للحافظ العسقلاني ج٨ص٤٤٧: أن كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم كان تابعيا ، روى عن عمر وعلي وعثمان وغيرهم ، قال فيه ابن سعد وابن معين وابن حبان والعجلي : ثقة ، وقال ابن حبان ((في الضعفاء)) لايحتج به ، وقال ابن عمار: رافضي وهو ثقة من أصحاب علي ، قتله الحجاج سنة ٨٢أو٨٨ اهـ

وقال الحافظ العسقلاني أيضا في ((تقريب التهذيب)) : كميل بن زياد النخعي ثقة رمي بالتشيع ، روى له النسائي، مات سنة٨٢ اهـ.

الخلاصة

لقدتقرر اختلاف العلماء رحمهم الله تعالى في أن حديث إلباس خرقة الصوفية مقطوع ينتهي الى الحسن البصري التابعي الجليل أوهو مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا أن سندها الأخر إلى كميل بن زياد عن علي لم يختلف فيه أئمة الجرح والتعديل، وكذلك مافي بعض الطرق من اتصالها بأويس القرني وأنه لاشك في اجتماعه بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم . فثبت بمجموع ذلك أن للخرقة أصلا يتمسك به ويعمل بمثله . وقدذكرنا في مبحث التبرك بثيابه صلى الله عليه وسلم أن الصوفية استدلوا لإلباس الخرقة بحديث أنه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالدخميصة سوداء ، والحديث رواه البخاري ، والخميصة ثوب من حرير أوكساء رقيق أوثوب معلم، واستنبطوا من حديث إعطائه صلى الله عليه وسلم

إزاره لرجل من أصحابه بعدطلبه منه جواز استدعاء المريد الخرقة من المشايخ، والحديث رواه البخاري عن سهل، فلهذا كله استحسنتها الطائفة الصوفية قدس الله أسرارهم وغيرهم من الفقهاء وحفاظ السنة النبوية المطهرة، فلبسوها من المشايخ تبركا،وألبسوها غيرهم. فمنهم سلطان العلماء عزالدين بن عبدالسلام الشافعي، ففي ((طبقات الشافعية الكبرى)) لابن السبكي أن الشيخ عز الدين لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وأخذ عنه، ومثله في ((حسن المحاضرة))ج١ص٣١٥ و((طبقات المفسرين)) للداودي. ومنهم الإمام اليافعي عبد الله بن أسعد الشافعي المتوفى سنة ٧٦٨، فقد ذكر في ((مرآة الجنان))ج٤ص ٣٢٧ أنه لبسها من جماعة من المشايخ قال: وقد ذكرت طريق الخرقة وشروطها، وأنـــها خرقتان خرقة بركة واحترام، وخرقة تحكيم والتزام، في كتاب ((نشر الريحان في فضل المتحابين في الله من الإخوان))

ومنهم الحافظ الذهبي فقد قال في ((سير أعلام النبلاء)) ج٢٢ص٣٧٧: ألبسني خرق التصوف شيخنا المحدث الزاهد ضياء الدين عيسي بن يحيي الأنصاري بالقاهرة، وقال : ألبسنيها الشيخ شهاب الدين السهروردي بمكة عن عمه أبي النجيب اهـــ .

وذكر في آخر كتابه ((تذكرة الحفاظ)) ص١٥٠٤ أن شيخه ضياء الدين عيسي بن يحيى بن أحمد مات سنة ٦٩٦هـــ عن ٨٣ سنه اهـــ.

ومنهم الحافظ السخاوي، فقد قال في ((المقاصد الحسنة)) ص٣٣٥: حديث لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي قال ابن دحية وابن الصلاح: باطل، وكذا قال شيخنا: إنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخرقة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحا فباطل، ولم ينفرد شيخنا بـــهذا بل سبقه إليه جماعة حتى من لبسها وألبسها كالدمياطي والذهبي والهكاري وأبي حيان والعلائي ومغلطاي والعراقي وابن الملقن والأبناسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين، وأوضحت ذلك كله مع طرقها في جزء مفرد، هذا مع إلباسي إياها الجماعة من أعيان المتصوفة امتثالا لإلزامهم لي بذلك، حتى تجاه الكعبة المشرفة تبركا بذكر الصالحين واقتفاء لمن أثبته من الحفاظ المعتمدين انتهى باختصار . وذكر أيضا في ((الضوء اللامع)) ج١٠ص ٣٤٥ أنه ألبس الخرقة لبعض العلماء وأذن له. وقد ذكرنا تلميذه الحافظ القسطلاني والإمام نجم الدين الكبرى وتلميذه الباخرزي، ومنهم غير هؤلاء من العلماء الأكابر والأتقياء الأفاضل .

ملاحظة

وكالخرقة في اتصال المشايخ ومريديهم وارتباط بعضهم بعضا التلقين ولهم فيه كيفيات مختلفة، منها ما ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الدرر الكامنة)) ج ١ ص ١١٦ في ترجمة أحمد ابن تركان شاه فقال فيه: وصورة تلقن الذكر عن الشيخ أنه يغمض عينيه ويجمع همته ويقول: لا إله إلا الله بانزعاج. وذكر العسقلاني أن الشيخ أحمد بن تركان المتوفى سنة ٧٣٠ تلقن الذكر عن الشيخ عبد الله بن بدر بن علي المراغي، وأخذ هو من الشرف الإسفراييني عن أبي نجيب السهرودي عن محمود الزنجاني عن أبي الفتوح الغزالي عن أبي العباس النهاوندي عن ابن حبيب عن رويم عن الجنيد عن السري عن معروف عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي . قال قطب الدين الحلبي في ((تاريخ مصر)): الله أعلم بصحة اتصال هذا الإسناد فقد اشتمل على جملة من المشايخ الصلحاء، انتهى مانقلته من ((الدرر الكامنة)) .

التبرك بالأكل مع الصالحين

لقد ذكرنا التبرك بما يفضله صلى الله عليه وسلم من الطعام، وسيأتي قريبا إن شاء الله التبرك بسؤر الصالحين، فالظاهر أن الأكل معهم كذلك بل قد يزيد عنه، لأن في الأكل معهم بركة رؤيتهم والنظر إليهم وبركة مجالستهم ومحادثتهم، واستماع حِكَمِهِم والاقتداء بـــهم في أحوالهم وأوصافهم وأخلاقهم، فإن المخالطة والمؤانسة تتأثر بـــها القلوب والطباع . وقال ابن كثير في تفسيره في أواخر سورة التحريم: يروى عن بعض الصالحين أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت : من أكل مع مغفور غفر له ؟ فقال :لا ، ولكني الآن أقوله. وقال ابن كثير ماحاصله: نقل كثير من الناس أن هذا حديث وارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك ولا أصل له اهـــ. قلت : ورؤياه صلى الله عليه وسلم حق لقوله عليه الصلاة والسلام من رآني في المنام فقد رآني فيستأنس هذه الرؤيا للتبرك بالأكل مع الصالحين. وقال الإمام النووي رحمه الله في ((شرح صحيح مسلم)) ج١ ص ١١٥: من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه، لأن ذلك ليس حكما بمجرد المنام، بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء والله أعلم اهـــ.

وقد رآه صلى الله عليه وسلم في المنام كثير من العلماء العاملين والأولياء الكاملين، فأمرهم صلى الله عليه وسلم بأوامر ونـــهاهم عن أشياء فامتثلوا بما أمرهم وعملوا به واجتنبوا عما نـــهاهم عنه، وسأله صلى الله عليه وسلم في المنام بعض العلماء مسائل وأحاديث نبوية وأمورا

غيبية، فأخبرهم بـــها فكانت كلها كما أخبر بـــها النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكرنا رؤيا بلال بن الحرث المزني. وفيها أنه صلى الله عليه وسلم أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الرفق فبكى، وقال : يا رب لا آلوا إلا ما عجزت عنه. ومثل هذا كثير جدا بل هو متواتر ، فقد أخذ عنه صلى الله عليه وسلم كثير من الصالحين أورادا وأحزابا وصيغا من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وأعطى بعضهم في المنام إجازة للقرآءات السبعة، والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وقد لقيت أنا من أخذ عنه صلى الله عليه وسلم في المنام إجازة لقراءة ((دلائل الخيرات)) وأخذت عنه، ومع هذا كله لا يثبت بالرؤيا حكم شرعي، ولا يغير بسببها ما تقرر في الشرع، وعلل ذلك النووي فقال: إن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظا لا مغفلا ولا سيء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بـــهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه اهــ. وقال القاضي عياض : لا تبطل بسبب المنام سنة ثبتت، ولا تثبت به سنة وهذا بإجماع العلماء اهــ.

باب التبرك بسؤر الصالحين

وقد ذكرنا في باب التبرك بما يفضله صلى الله عليه وسلم حديث مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه أن أبا أيوب كان يسأل عن مواضع أصابعه صلى الله عليه وسلم فيتتبع مواضعها ، وأن النووي قال: في هذا الحديث التبرك بآثار أهل الخير في الطعام. وفي ((المدخل)) ج١ص ٢٢٩: لابن الحاج ما لفظه: وقد روي أن الحسن البصري وفرقدا رحمهما الله تعالى حضرا على طعام، فكان فرقد يلتقط اللباب من الأرض ويأكله، ولا يأكل من الصحفة شيئا، وكان الحسن ينظر إلى أطيب الطعام فيأكله، فلما أن خرجا جاء إنسان من الحاضرين إلى فرقد، فسأله عن سبب ما رأى منه ؟ فقال له : أغتنم بركة سؤر الإخوان ، ولأكرم نعمة الله تعالى، لأني إن لم ألتقط ذلك قد يقع على الأرض فتدوسه الأقدام، ثم راح إلى الحسن فسأله كما سأل فرقدا، فقال له الحسن رضي الله عنه: إني ما أجبته حين دعاني إلا لأدخل السرور عليه، وكيفما بالغت في الأكل وتناولت أطايب الطعام الذي انتخبه ففيه إدخال السرور عليه أكثر انتهى بلفظه.

وفي ((المنتقى النفيس)) للشيخ صالح بن محمد بن صالح الجعفري ص٥٠: أنه أُتِيَ للسيد أحمد ابن إدريس برطب فأكل منها وبقي من سؤره رطبات، فتنافس فيها المريدون وتزايدوا في ثمنها فبلغ نحوا من ألف ريال، فذهب الذي وقعت عليه يبيع كتبه ليوفي ثمنها، فكان هناك ما شاء الله.وقد اشتهر في الألسنة أن سؤر المؤمن شفاء. وفي ((كشف الخفا)) للعجلوني ج١ص ٥٢٦:

وما يدور على الألسنة من قولهم: سؤر المؤمن شفاء فيصدق به ما رواه الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس – رفعه – من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه.

وفي ((المدخل)) أيضا ج١ص٢٣١: ينبغي للأضياف أن يتركوا فضلة من الطعام وإن قل امتثالا للسنة ، وقد تكون لأهل البيت نية صالحة في بقية سؤره اهـــ.

وقد ذكرنا أن الإمام النووي قال في ((شرح مسلم)) : يستحب للآكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب فضلة ليواسي بـــها من بعده، لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضله، وكذا إذا كان في الطعام قلة ولهم إليه حاجة، ونقلوا أن السلف كانوا يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة اهـــ

التبرك بلعق أيدي الصالحين

روى الشيخان عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده حتى يلقعها أو يلعقها ، وفي رواية لمسلم : ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها، وفي رواية أخرى لمسلم أيضا عن أبي هريرة إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أيتهن البركة. وروى مسلم أيضا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاثة قال: وقال: إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان، وأمرنا أن نسلت القصعة قال: فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة، وفي رواية لمسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: إنكم لا تدرون في أيه البركة. قوله وأمرنا أن نسلت القصعة هو بفتح النون وضم اللام ومعناه نمسحها ونتتبع ما بقي فيها من الطعام، ومنه سلت الدم عنها. وقال النووي في ((شرح مسلم)): ج١٣ص٢٠٦ قوله صلى الله عليه وسلم يلعقها أو يلعقها معناه والله أعلم لا يمسح يده حتى يلعقها، فإن لم يفعل فحتى يلعقها غيره ممن لا يتقذر ذلك كزوجة وجارية وولد وخادم يحبونه ويلتذون بذلك ولا يتقذرون، وكذا من كان في معناهم كتلميذ يعتقد بركته ويود التبرك بلعقها، وقوله صلى الله عليه وسلم إنكم لا تدرون في أيه البركة: معناه والله أعلم أن الطعام الذي يحضر الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله أوفيما بقي على أصابعه أو فيما بقي في أسفل القصعة أو في اللقمة الساقطة، فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة، وأصل البركة الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به والمراد هنا –والله أعلم– ما يحصل به التغذية، وتسلم عاقبته من الأذى، ويقوي على طاعة الله وغير ذلك .

وقال الحافظ في ((فتح الباري)) ج ٩ص ٥٧٨ : ففي الحديث رد على من كره لعق الأصابع استقذارا، نعم يحصل ذلك لو فعله في أثناء الأكل لأنه يعيد أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه، قال الخطابي: عاب قوم أفسد عقلهم الترفه، فزعموا أن لعق الأصابع مستقبح، كأنـــهم لم يعلموا أن الطعام الذي علق بالأصابع أو القصعة جزء من أجزاء ما أكلوه، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير مستقذرا، وليس في ذلك أكبر من مصه أصابعه بباطن شفتيه، ولا يشك عاقل في أن لابأس بذلك، فقد يمضمض الإنسان فيدخل إصبعه في فيه فيدلك أسنانه وباطن فمه، ثم لم يقل أحد إن ذلك قذارة أو سوء أدب .

فائدة

قال الحافظ في ((الفتح)) أيضا ج٩ص ٥٧٩ : وقع في حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في ((الأوسط)) صفة لعق الأصابع، ولفظه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث بالإبـــهام والتي تليها والوسطي ، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطي ثم التي تليها ثم الإبـــهام . قال شيخنا في شرح الترمذي: كأن السرّ فيه أن الوسطي أكثر تلويثا لأنـــها أطول، فيبقي فيها من الطعام أكثر من غيرها ، ولأنـــها لطولها أول ما تنـــزل في الطعام، ويحتمل أن الذي يلعق يكون بطن كفه الى جهة وجهه، فإذا ابتدأ بالوسطي انتقل الى السبابة على جهة يمينه وكذلك الإبـــهام والله أعلم اهـــ.

التبرك بغسالة أيدي الصالحين

وفي ((المدخل)) لابن الحاج في مبحث أداب الأكل ج ١ص٢٣١: وينبغي أن يكون صاحب المنـــزل آخرهم غسل يد، وأن يكون هو الذي يصب عليهم للغسل، وينبغي أيضا أن لايبصق أحد في الماء، ولايغسل بالأشنان ولابالتراب، خيفة أن يكون في الجماعة من يريد أن يشرب هذا الماء إذ أنّ شربه شفاء، ومازال السلف على ذلك لأن الغسل بالأشنان والتراب يحرم بركة ذلك له ولغيره إلا أن يشربه على تلك الحالة فيدخل في جوفه التراب والأشنان والبصاق، وهذا فيه مافيه، وقدنقل عن كثير من هذه الطائفة أنـــهم كانوا يستشفون بـــهذا الماء ويتشاحون عليه ويتنافسون فيه، حتى إنـــهم يقيمون النداء عليه ويبيعونه بالثمن الكثير، حتى يحصل لهم بركة ذلك اغتناما منهم للبركة، ألا ترى إلى ماوقع في قصة هرقل لما أن سأل عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف حالهم في تصرفهم معه، فأخبر أنـــهم يتبركون بالماء الذي يتوضأبه وببصاقه وماشاكلهما، فاستدل بذلك على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام، وكذلك المتبعون له باحسان الى يوم الدين هذه البركة حاصلة لهم وان كانت ليست مثلها لكن ببركة الاتباع له

صلى الله عليه وسلم والمحافظة على ذلك ورثوامنها أوفرنصيب . وقدوقع عندنا بمدينة فاس أن القاضي الأعظم بـــها وكان يعرف بابن المغيلي، وكان من الفقهاء والصلحاء الكبار مرض مرضا شديدا الى أن أشرف منه على الموت، وكان بالبلد طبيب حاذق في وقته عارف بالطب، فأيس منه وقال لهم : اتركوه يأكل كل ماشاء واختار فانه لابقاء له على مقتضى ماأستدل به من الصنعة، فأرسلت زوجة القاضي الى الشيخ الجليل أبي عثمان الوركالي فأخبرته بماجرى من الطبيب، فأخذ الشيخ الماء وتوضأفي إناء ثم أرسل بماء وضوئه إلى زوجة القاضي، وقال لها: أسقيه هذا الماء فسقته ذلك ثم بقي ساعة، ثم قام يريدقضاء حاجة الإنسان فأتي له باناء فقضى حاجته فيه فوجدت فيه كبة عظيمة سوداء، فتعجب كل من رآها، فأرسلت زوجة القاضي إلى الطبيب الذي ماشك أنه يموت كما تقدم، فأرته ما خرج منه فتعجب من ذلك عجبا شديدا ، وقال: هذا أمر إلهيّ ولا يقدر علىهذا إلا الله تعالى، فأما البشر فلا يقدر أن يخرج هذا من فؤاده، وهذا هو الذي لو بقي معه لقتله، وأما الآن فلا خوف عليه.

فانظر رحمك الله إلى هذه البركة كيف هي باقية في المتبع له صلى الله عليه وسلم، وهذه العصابة فيهم من أظهره الله فهو معروف، ومنهم من أخفاه فلا يعرف،فيغتنم بركة الجميع اهـــ

وفي ((تاج العروس شرح القاموس)): الكبة بالضم غدة شبه الخراج، وأهل الشام يطلقونـــها على لحم يرض ويخلط مع دقيق الأرز ويسوى منه كهيئة الرغفان الصغار ونحوها اهـــ.

فائدة

قال الشيخ يوسف بن إبراهيم الأردبيلي في آداب الطعام من كتابه ((الأنوار)) ج٢ص١٤٥: يستحب أن يبدأ بغسل يد الصبيان ثم الشبان ثم الشيوخ قبل الأكل وبالعكس بعده اهـــ وفي حاشيته المسماة بـــ ((ـــالكمثرى)) أن سبب ذلك قلة صبر الصبيان على عدم الأكل وشرف الشيوخ اهـــ. وفي ((الدرر الكامنة)) ج٤ص٤٨٤ أن الأردبيلي كان شيخ المشرق في عصره، كبير القدر غزير العلم . توفي سنة٧٩٩ وقيل ٧٦٦هـــ . وقال ياقوت في ((معجم البلدان)): أردبيل بفتح ثم سكون وفتح الدال وكسر الباء .

باب التبرك بمجالسة الصالحين

روى الإمام مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحا خبيثة . قال النووي في شرح مسلم ج ١٦ص ١٧٨ : في هذا الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير

والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، و فيه النهي عن مجالسة أهل البدع وأهل الشر، ومن تكثر بطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة اهـــ .

وروى مسلم والبخاري واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونـــهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربـــهم عز وجل وهو أعلم منهم ما يقول عبادي؟ قال : تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله مارأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا،قال: يقول: فما يسألوني ؟ قال: يسألونك الجنة قال: يقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنـــهم رأوها ؟ قال: يقولون: لو أنـــهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة ، قال: فمم يتعوذون ؟ قال: يقولون: من النار قال: يقول: وهل رأوها ؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم ، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم اهـــ وفي رواية : لا يشقى بـــهم جليسهم، وفي رواية للترمذي: لا يشقى لهم جليس.

قال الإمام النووي في ((شرح مسلم)) ج١٧ص١٥: وفي هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسه، والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم، وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم اهـــ وقال الحافظ العسقلاني في ((فتح الباري شرح صحيح البخاري))ج١١ص٢١٣: وفي هذا الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين، وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جلسيهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر اهـــ.

وفي ((مجمع الزوائد)) ج١ص ١٢٥: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لقمان قال لابنه: يا بني عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر. رواه الطبراني في ((الكبير)) وفي سنده ضعيفان، وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة . قلت: ذكر هذا في حديث طويل رواه الطبراني في ((الكبير)) ورجاله موثوقون اهـــ .

وفي ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج ٢ ص ٢٨: لابن السبكي ما لفظه: وعن أبي العباس بن سريج أنه تكلم يوما فأعجب بعض الحاضرين، فقال ابن سريج : هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم الجنيد رحمه الله. ومثل هذا ذكره ابن قاضي شهبة في ((طبقات الشافعية)) ج١ص٧٧. وقال ابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) ج١ ص ٣٧٣ : كان ابن سريج إذا تكلم في الأصول والفروع أعجب الحاضرين، فيقول لهم : أتدرون من أين هذا لي ؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد اهـ .

قلت: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج هو الإمام الشهير والشيخ الكبير، ذو المفاخر العلية والصفات السنية، توفي في سنة ٣٠٦ وعمره ٥٥ سنة ، وكان يقال له : الباز الأشهب، وكان مجدد المائة الثالثة على ما اختاره كثيرون، منهم الحافظ الذهبي في ((تذكرته)) وغيره، وبلغت تصانيفه أربعمائة مصنف، وهو صاحب مسألة الدور في الحلف بالطلاق المشهورة بالسريجية. قال الذهبي في ((تذكرته)): كان إماما علامة شيخ الإسلام، ومنه انتشر مذهب الشافعي ، ونقل التاج عبد الوهاب السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) عن أبي حفصة المطوعي أنه كان سيد طبقته بإطباق الفقهاء، وأجمعهم للمحاسن بإجماع العلماء، وهو الإمام المطلق والشافعي الصغير اهـ. فانظر هذا الإمام الذي يقول: إنه بلغ ما بلغ ببركة مجالسته للجنيد رحمه الله، فينبغي حينئذ الاعتناء والاهتمام بمجالسة عباد الله الصالحين نفعنا الله ببركاتهم.

فائدة

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. فقال الإمام أحمد بن حنبل: كان عمر بن عبد العزيز مجدد المائة الأولى والشافعي مجدد المائة الثانية. واختلف العلماء في الثالثة فقال بعضهم: هو ابن سريج وقال آخرون: هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ورجح هذا الحافظ ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري))، ومجدد المائة الرابعة قيل: هو أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي ، وقيل: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، وقيل: هو أبو حامد الإسفرايني ،ومجدد المائة الخامسة الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، ومبعوث المائة السادسة الإمام فخر الدين الرازي، ويحتمل أن يكون الإمام الرافعي، والمائة السابعة ابن دقيق العيد، وذكر السيوطي في ((المنهاج السوي)) ص ١٠١-١٠٣ أنه الإمام النووي. والمبعوث في المائة الثامنة شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني أو الشيخ جمال الدين الأسنوي .

قال المناوي في ((فيض القدير)) ج١ص١١وعبد الوهاب عبد اللطيف في ((مقدمة تدريب الراوي)) ص١٧: صرح الحافظ السيوطي في عدة من تآلفيه بأنه مجدد المائة التاسعة ذكر ذلك في منظومته ((تحفة المهتدين بأسماء المجددين)) وغيرها اهـــ.

وفي ترجمة ابن حجر الهيتمي للشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ص ٧ أن المجدد في المائة العاشرة الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي.

ثم رأيت في ((فهرس الفهارس)) ج ١ ص ٤٩٤ أن الشيخ منلا إبراهيم الكوراني هو مجدد المائة الحادية عشرة كما قاله الشيخ العارف إلياس الكوراني ، وممن جزم بأنه المجدد على رأس المائة الحادية عشرة صاحب ((عون الودود على سنن أبي داود)) اهـــ .

وفي ((فهرس الفهارس)) أيضا ج ١ ص ٥٤٣ أن الشيخ محمد مرتضى بن محمد بن محمد الزبيدي شارح ((القاموس)) و((إحياء علوم الدين)) هو من المجددين المحدثين على رأس المائة الثانية عشرة كما قاله الشهاب المرجاني في ((وفيات الأسلاف)) وصاحب ((عون الودود على سنن أبي داود)) ، وممن وصفه بذلك تلميذه العلامة الشهاب أحمد بن عبد اللطيف البربيري في كتابه ((عقود الجمان فيمن اسمه سليمان)) اهـــ .

ولد الشيخ مرتضى الزبيدي سنة ١١٤٥ وتوفي سنة ١٢٠٥

فهؤلاء كلهم من أصحاب الإمام الشافعي إلا عمر بن عبد العزيز والكوراني والزبيدي. وهذا من أعظم المواهب الإلهية والعطايا الربانية التي امتنّ بـــها المولى جل شأنه على الإمام الشافعي رحمه الله، فأي منقبة أعظم وأشرف للإمام من أن يكون هؤلاء المجددون من أتباعه المنتسبين إلى مذهبه .

وكما اختص الله تعالى عليه ذلك اختصه أيضا بأن تفرع من مذهبه مذهبان، مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ومذهب أبي ثور إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبي البغدادي، فقد كانا رحمهما الله من تلاميذ الإمام الشافعي رضي الله عنهم أجمعين وعنا بـــهم .

وقال الحافظ الذهبي وغيره: إن "من" في قوله صلى الله عليه وسلم: "من يجدد" لفظ عام فيحتمل أن يكون مجدد كل مائة سنة واحدا أومتعددا . والكلام في المجددين يطول فلنقتصر على هذا، وبالله التوفيق .

وبالجملة : لا يخفى أن مجالسة الصالحين تتأثر بـــها الطباع والقلوب، فقد قالوا: من جالس جانس ، وفي شرح ((التاج الجامع للأصول)) للشيخ منصور على ناصف ج ٥ ص ٨١ : محبة الصالحين وزيارتـــهم ومجالستهم غنيمة كبرى . وقال بعض الصالحين: إنـــها دواء القلوب

وترياقها من القسوة. وقال النووي في فضائل تلاوة القرآن من كتابه ((الأذكار)) ص ١٠٠: قال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف، إبراهيم الخواص رضي الله عنه: دواء القلب خمسة أشياء، قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين . وأنشدوا في ذلك فقالوا :

دواء قلبك خمس عند قسوته   فدم عليها تفز بالخير والظفر

خــلاء بطن وقــرآن تدبره   كذا تضرع باك ساعة السحر

كذا قيامك جنح الليل أوسطه   وأن تجالس أهل الخير والخبر

وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج٢ص ٣٤٩: روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لولا ثلاث ما أحببت البقاء ، ساعة ظمإ الهواجر ، والسجود في الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقى أطايب التمر اهـــ وينتقون أي يختارون .

التبرك بجنائز الصالحين

ممن تبرك الناس بجنائزهم الشريف الحصني

ففي ((شذرات الذهب)) لابن العماد الحنبلي ج٧ص ١٨٨- ١٨٩ **أن** الشيخ تقي الدين أبابكر ابن محمد بن عبد المؤمن بن حريز الحصني الفقيه الشافعي ولد سنة ٧٥٢، وكان يبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان للناس فيه اعتقاد زائد، وكان يحط على ابن تيمية، وكان له تآليف كثيرة. منها ((شرح صحيح مسلم))، و((شرح المنهاج))، و((شرح التنبيه))، ولَخَصَ ((المهمات)) في مجلدين، وخرج أحاديث ((الإحياء)) و((قواعد الفقه)) و((تفسير القرآن إلى الأنعام)) وغيرها من مطولات ومختصرات، وكان يميل إلى التقشف، وتوفي بخلوته بجامع المزاز بالشاغور ١٥ جمادى الآخر سنة ٨٢٩ . والحصني نسبة إلى الحصن قرية من قرى حوران.

وصلي عليه بالمصلى وحضر جنازته عالم لا يحصيهم إلا الله ، وازدحموا على حمله للتبرك به، وختم عند قبره ختمات كثيرة ، ورؤيت له منامات صالحة في حياته وبعد مماته اهـــ.

ومنهم أبو القاسم الزاهد المعروف بالأقطع

وفي ((الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية)) ج ٢ ص ٨٠-٨١: أنه كان فقيها عابدا زاهدا عالما عارفا ورعا، سمع الحديث عن جماعة، وأخذ الفقه والتصوف عن آخرين وأخذ أهل مصر ماء غسله فعملوه في الكحل، فكان كل أرمد اكتحل منه يبرأ، وجاء الطير فظلل على نعشه، ورفرف عليه ولم ير قبل ذلك إلا للمزني وذي النون رضي الله عنهما، ولم يزل كذلك حتى دفن رضي الله عنه، مات سنة ٥٢٨ ودفن بالقرافة بقرب قبر عقبة الجهني اهـــ .

ومنهم الحافظ المتقن المقرئ شيخ المغرب أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الأندلسي

ففي ((تذكرة الحفاظ)) ج ٣ ص ١٣٧٠- ١٣٧١: و((سير أعلام النبلاء)) للإمام الذهبي أنه ولد سنة ٥٠٥ وتوفي سنة ٥٩١، قال أبو الربيع بن سالم الحافظ : صادف وقت وفاة أبي محمد قحط، فلما وضع على شفير القبر توسلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطرا وابلا، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل والطين، وظهرت منه كرامات، وقال ابن سالم : إذا ذكر الصالحون فحيهلا بابن عبيد الله اهـــ.

ومنهم العلامة القدوة قاضي الجماعة أبو مروان محمد بن أحمد الباجي

وفي ((سير أعلام النبلاء)) للإمام الذهبي ج ٢٣ ص ٢٩: أنه كان عدلا في الأحكام حسن التلاوة سريع السرد للحديث، له معرفة بالرجال، ومات عقيب حجه بمصر سنة ٦٣٥ هـــ وشيعه أمم وتبركوا به وبنوا عليه قبة في يوم واحد اهـــ .

ومنهم أبو منصور الخياط محمد بن أحمد

وفي كتاب ((معرفة القراء الكبار)) للحافظ الذهبي ج ١ ص٤٥٧-٤٥٩ أن محمد بن أحمد ابن علي بن عبد الرزاق أبا منصور الخياط البغدادي ولد سنة ٤٠١ وقال أبو سعد السمعاني: كان له ورد بين العشائين يقرأ فيه سبعا من القرآن قائما وقاعدا، وكان صاحب كرامات، وكان يعلم العميان ويسأل لهم وينفق عليهم، وقال ابن النجار في تاريخه : بلغ عدد من أقرأهم أبو منصور القرآن سبعين ألفا . وقال أبو منصور بن خيرون : ما رأيت مثل يوم صُلِيَ على أبي المنصور الخياط من كثرة الخلق والتبرك بالجنازة. وختموا على قبره في ثاني جمعة من وفاة الشيخ أبي منصور مائتين وإحدى وعشرين ختمة، ودعوا عقب كل ختمة ، توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين وأربعمائة وله ٩٨ سنة اهـــ.

وترجم له ابن العماد الحنبلي في ((الشذرات)) ج ٣ ص ٤٠٦: وذكر أنه صنف في القرآءات كتاب ((المهذب)) وقال: كان مقرئا زاهدا حنبليا، وأقرأ بضعا وستين سنة وبلغ عدد من أقرأهم القرآن من العميان سبعين ألفا ، وقد زعم بعض الناس : أن هذا مستحيل وسبق قلم، وإنما أراد سبعين نفسا ، وهذا كلام ساقط فإن أبا منصور قد تواترت عنه إقراء الخلق الكثير في السنين الطويلة اهـــ ملخصا.

قلت: يعني بقوله: زعم بعض الناس الحافظ الذهبي فإنه زاعم هذا القول كما في كتابه ((معرفة القراء)) .

ومنهم أبوبكربن عمر بن علي القرشي اليمني

وفي ((الضوء اللامع)) ج ١١ص٦٤: أن أبا بكرالقرشي ولد سنة ٧٤٨بقرية بقرب "زبيد" من اليمن، قدم مكة وجاور بالحرمين ثلاثين سنة متوالية، كان في غالبها بمكة، وولي فيها مشيخة "رباط ربيع " وحمد فيه ، وكان له حظ وافر من العبادة والدين، توفي سنة ٨١٥ ودفن "بالمعلاة" وازدحم الأعيان على نعشه تبركا، رحمه الله وإيانا .

ومنهم مكلبة بن عبد الله المستنجدي

وفي ((البداية والنهاية)) لابن كثير ج ١٣ص ٣١: أن مكلبة بن عبدالله كان تركيا عابدا زاهدا، سمع المؤذن وقت السحر وهوينشد على المنارة:

يا رجال الليل جدوا   رب صوت لا يرد

مـــا يقـــوم الليل إلاّ   من له عزم وجـــد

فبكي مكلبة ثم صرخ صرخةكان فيها حتفه، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه ، فالسعيد منهم من وصل أي نعشه اهـــ باختصار .

ومنهم سهل بن عبد الله التسترى بضم التاء الأولى وفتح الثانية وبينهما سين ساكنة كما في ((معجم البلدان))

وفي ((تذكرة القرطبى)) ص٤٢٥ أنه لما مات سهل بن عبد الله رحمه الله انكب الناس على جنازته، وحضرها من الخلق ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وكانت في البلد ضجة فسمع بـــها يهودي شيخ كبير، فخرج فلما رأى الجنازة صاح وقال: هل ترون ماأرى ؟ قالوا: وما ترى ؟ قال : أرى قوما ينـــزلون من السماء يتمسحون بالجنازة، ثم أسلم وحسن إسلامه انتهى.

ومنهم المغيرة بن حكيم

وفي ((تذكرة القرطبى)) ص٤٢٥ يقال : إن الكعبة لم تخل من طواف طائف يطوف بـــها إلاّ يوم مات المغيرة بن حكيم ، فإنـــها خلت لانحشار الناس لجنازته تبركا بـــها، ورغبة في الصلاة عليه انتهى.

ومنهم أبو الفضل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني

قال تلميذه الحافظ السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج٢ص٤٠ : توفي الحافظ ابن حجر في أواخر ذي الحجة سنة ٨٥٢، وكان له مشهد لم ير من حضره من الشيوخ فضلا عمن دونـــهم مثلَه، وتزاحم الأمراء والأكابر على حمل نعشه ومشى إلى تربته من لم يمش نصف مسافتها قط اهـــ وقال السيوطي في ((حسن المحاضرة)) ج١ص٣٦٤: حدثني الشهاب

المنصوري شاعر العصر أنه حضر جنازة الحافظ ابن حجر فأمطرت السماء على نعشه وقد قرب إلى المصلى و لم يكن زمان مطر .

والتبرك بجنائز الصالحين باب واسع،وبما ذكرناه الكفاية .

وفي((تذكرة القرطبى)) ص٤٢٥ أنه قد شوهد من جنائز الصالحين من يشيعها الطير ويسير معها حيث سارت، منهم أبو الفيض ذو النون المصرى وأبو ابراهيم المزني صاحب الشافعي حدث بذلك ثقات ، قاله أبومحمد عبد الحق في كتاب ((العاقبة)) له اهـــ .

قلت: وقد شيّع جنازة سيدي أبي علي بن الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه باز أشهب فكان يطير أمام الجنازة فلما تم دفنه طار ، وكان الناس يقولون في حياته : "صاحب الباز "، فقد كان يتقدم منه الباز إلى الموضع الذي يقصد إلى زيارته كأنه يخبر عن مجيئه، وقد رأيت أنا ذلك كثيرا، فكنا إذا رأينا هذا الباز واقفا على جدار بيتنا ننتظر قدوم الشيخ أبي علي ونستعد للقائه وترحيبه وضيافته، ثم يجيء الشيخ بعد برهة من الزمان .

الخلاصة

لقد تقرر أن التبرك بجنائز الصالحين مستفيض مشهور في مختلف الأقطار والبلاد، و لم نعلم في ذلك خلافا بين العلماء، لكن بعض المعاصرين الذين يدعون أنـــهم أتباع ابن تيمية وأنصار آرائه يبالغون في إنكاره وتضليل فاعليه، وكأنـــهم لم يعلموا أن بعض من يعتقدون فيهم من أئمتهم استحسنوا ذلك كالحافظ ابن كثير، فقد ذَكَرَ أن خلائق من أتباع ابن تيمية من الرجال والنساء تبركوا بجنازته، فقال في ((البداية والنهاية))ج١٤ص١٣٥-١٣٦: إن ابن تيمية توفي بقلعة "دمشق" بالقاعة التي كان محبوسا بـــها وحضر جمع كثير إلى القلعة، وأذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل، وقرأوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن. وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به ، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسين درهما، وقيل: إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسائة درهم ، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير، وترحم عليه وتضرع وثناء ودعاء له، وختمت له ختمات كثيرة، وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونـــهارا يبيتون عنده ويصبحون، ورثاه جماعة بقصائد جمة، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابـــهم، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم، لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه شرف

الدين عبد الله . وكان مولده يوم الاثنين١٠ ربيع الأول بحرّان سنة ٦٦١هـــ وتوفي في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـــ. وقال الحافظ ابن كثير: وكنت فيمن حضر هناك يعني في القلعة التي مات فيها مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي، وكشفت عن وجه الشيخ ابن تيمية ونظرت إليه وقبلته ، وعلى رأسه عمامة بعذبة مغروزة، وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه.

قلت: في ((القاموس)) الزئبق : كدرهم وزِبْرِجٍ ، منه ما يستخرج من معدنه، ومنه ما يستخرج من حجارة معدنية بالنار، ودخانه يهرّب الحيات والعقارب من البيت، وما أقام منها قتله اهـــ وفي كتاب ((المعتمد في الأدوية المفردة)) :أن الزئبق يقتل القمل.

وفي شرحه نقلا عن ((تحفة العجائب)) ص ٢١٢: من تقلد بقلادة من صوف قد دهنت بالزئبق لا يقرب القمل جسده اهـــ فظهر أن سبب تعليق خيط الزئبق على عنق الشيخ ابن تيمية دفع القمل. وفي ((شذرات الذهب)) ج٦ ص٨٦ أيضا: أنه اشتد الزحام وألقى الناس على نعش ابن تيمية مناديلهم، وصار النعش يتقدم تارة ويتأخر أخرى، ودفن في وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية. وحزر من حضر جنازته بمائتي الف، ومن النساء بخمسة عشر ألفا، وختمت له ختمات كثيرة اهـــ.

التبرك بالدفن عند مقابر الصالحين

قال أبو الحسين يحيى بن أبي الخير سالم العمراني اليمني في كتابه ((البيان)) ج٣ص ٩٤: إذا مات ميت بمكة أو المدينة أو بيت المقدس فالأفضل أن يدفن في مقبرتـــها لحرمتها وشرف منـــزلتها، وإن مات في بلد غير هذه وكانت مقبرتـــها تذكر بخير مثل أن يكون فيها قبور الصالحين أو يرى فيها منامات صالحة فالدفن فيها أولى من غيرها من المقابر اهـــ .

وقال الإمام الجليل الحافظ النووي رحمه الله تعالى في كتابه ((الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار)) ص ١٤٩: إذا أوصى أن يدفن في موضع من مقابر بلدته، وذلك الموضع معدن الأخيار فينبغي أن يحافظ على وصيته .

وفي ((المغني)) لابن قدامة الحنبلي ج٢ص٥٠٩: يستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم، وكذلك في البقاع الشريفة. وقد روى البخاري ومسلم بإسنادهما أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رمية بحجر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت ثَم لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر اهـــ.

وقال الإمام جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتابه ((صفة الصفوة)) ج١ص ٢٦٧: قال أهل السير: توفي أبو بكر الصديق ليلة الثلثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقيت من جمادى

الآخرة سنة ١٣ من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين، وأوصى أن تغلسه أسماء زوجته فغلسته، وأن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر، ونزل حفرته ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله، رحمه الله ورضي عنه وحشرنا في زمرته وأماتنا على سنته ومحبته اهـــ..

قلت: أسماء هي بنت عميس . وكذلك أوصى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي ((صحيح البخاري)) أنه قال لما طعن لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك ؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك. أخرجه البخاري بطوله في مناقب عثمان في باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان من كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم وأخرج أيضا في كتاب الجنائز طرفا منه..

قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في ((الفتح)) ج ٣ ص ٢٥٨ : في هذا الحديث الحرص على مجاورة الصالحين في القبور طمعا في إصابة الرحمة إذا نزلت عليهم، وفي دعاء من يزورهم من أهل الخير اهـــ. قال الحافظ ابن الجوزي في ((صفة الصفوة)): عن أبي علي بن البناء قال: لما ماتت أم القطيعي دَفَنَهَا في جوار أحمد بن حنبل ، فرآها بعد ليال ، فقال: ما فعل الله بك ؟ فقالت: يا بني رضي الله عنك فقد دفنتني في جوار رجل تنـــزل على قبره كل ليلة أو قال: في كل ليلة جمعة رحمة تعم أهل المقبرة وأنا منهم.

وروى الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد))ج١ص١٢٢ بسنده وابن الجوزي في ((صفة الصفوة)) ج٢ص ٣٥٩: لما مات الإمام أحمد بن حنبل رَأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلا ،فقال ما هذا ؟ فقيل له: أما علمت أنه نُوّر لأهل القبور قبورهم بنـــزول هذا الرجل بين أظهرهم ، قد كان فيهم من يعذب فرحم اهـــ. وروي الخطيب أيضا: عن أحمد بن الدورقي أنه قال: مات جار لي فرأيته في الليل وعليه حلتان قد كسي، فقلت: إيش قصتك ما هذا ؟ قال: دفن في مقبرتنا بشر بن الحارث فكسي أهل المقبرة حلتين حلتين اهـــ .

فإذا علمت اهتمام خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار سيد الكون صلى الله عليه وسلم ووصيتهما بذلك علمت أن جوار الصالحين في البرزخ من أولى ما يعتنى به أولو الألباب، ومن أفضل ما يسعى إليه الإنسان، تعرضا لتلك النفحات والبركات التي تنـــزل على ساحتهم، ثم تسري إن شاء الله إلى جارهم الراجي من قربـــهم وصول الرحمة الإلهية إليه، فالشارع أمرنا بإكرام الجار والإحسان إليه، فالرجاء أن يكرم الله جار أحبابه الصالحين. ومعلوم أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاقتداء بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بقوله صلى الله عليه وسلم: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر . رواه الترمذي في ((المناقب)) وحسنه، وأحمد في مسنده وابن ماجه، ورمز السيوطي له بالصحة . فالوصية بالدفن عند مقابر الصالحين اقتداء بخليفتيه صلى الله عليه وسلم . وفي ((تذكرة الحفاظ)) للذهبي: أن الإمام الحافظ الخطيب البغدادي أوصى أن يدفن إلى جنب بشر الحافي، وعبارته في ((التذكرة)) ج٢ص ١١٤٤: قال إسماعيل بن أبي سعد الصوفي: كان أبو بكر بن زهراء الصوفي قد أعدّ قبرا إلى جانب قبر بشر الحافي، وكان يمضي إليه في كل أسبوع وينام فيه ويقرأ فيه القرآن كله، فلما مات الخطيب وكان أوصى أن يدفن إلى جنب قبر بشر الحافي، فجاء المحدثون إلى ابن زهراء وسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره وأن يؤثره فامتنع ، فجاءوا إلى أبي فأحضره وقال: أنا لا أقول لك أعطهم القبر ولكن لو أن بشرا الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه ؟ قال: لا، بل كنت أقوم وأجلسه قال: فكذا ينبغي أن تكون الساعة فطاب قلبه وأذن لهم اهـــ .

قلت: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي كان إماما كبيرا حافظا ثقة، ولد سنة ٣٩٢ وصنف ٥٦ مصنفا في علم الحديث، وكان ينفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قيل فيه: الخلق عيال على الخطيب في الحديث ، وكان شافعي المذهب، وكان من أعيان الأشاعرة وأكابرها، توفي رحمه الله ببغداد سنة ٤٩٣، وختم على قبره ختمات، وكان ممن حمل جنازته أبو إسحاق الشيرازي. وذكر التاج السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) أن الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات وسأل الله ثلاث حاجات منها : أن يدفن إذا مات عند بشر الحافي، وترجم للخطيب البغدادي الذهبي في ((تذكرته)) و((سير أعلام النبلاء)) والسيوطي في ((طبقات الحفاظ)) وابن عساكر في ((تبيين كذب المفترى)) وابن السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) ترجمة حافلة، وابن قاضي شهبة في ((طبقات الشافعية)) وابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) وابن العماد الحنبلي في

((الشذرات)) وغيرهم، وحكى السيوطي في ((تدريب الراوي)) عن النووي أنه قال في الخطيب والبيهقي : هما إمامان حافظان فقيهان شافعيان متضلعان من الحديث والفقه والأصول والخبرة التامة بنصوص الشافعي ومعاني كلامه .

فانظر رحمك الله كيف اعتنى واهتم هذا الإمام الحافظ بالدفن عند قبر هذا العبد الصالح حتى شرب لذلك ماء زمزم ، وقد استجاب الله تعالى دعاءه وحقق رجاءه، لانه صلى الله عليه وسلم قال: ماء زمزم لما شرب .

نبذة وجيزة في ترجمة أبي نصر بشر بن الحرث

قال الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في ((الرسالة)) ص ١٤: أصله من "مرو" وسكن بغداد ومات بـــها وهو ابن أخت علي بن خشرم مات سنة ٢٢٧ وكان كبير الشأن ، وكان سبب توبته أنه أصاب كاغدا مكتوبا فيها باسم الله تعالى قد وطئتها الأقدام، واشترى بدرهم كان معه غالية فطيب بـــها الكاغد وجعلها في شق حائط، فرأى ما يرى النائم كأن قائلا يقول: يا بشر طيبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول: بلغني أن بشرا بن الحرث الحافي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي: يا بشر أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: باتباعك لسنتي وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلّغك منازل الأبرار اهـــ . والكاغد بفتح الغين: القِرْطاس مُعَرّب .

وقال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج ١٠ ص ٢٩٧ : وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهادته وورعه ونسكه وتقشفه، قال الإمام أحمد يوم بلغه موته: لم يكن له نظير إلا عامر بن عبد قيس، ولو تزوج لتم أمره، وفي رواية عنه أنه قال: ما ترك بعده مثله، وقال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلا منه ولا أحفظ للسانه منه، ما عرف له غيبة لمسلم ، وكان في كل شعرة منه عقل، ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء. وكان علي المدائني وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته في الجنازة: هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة. وقد رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة. وقد ترجمه ابن عساكر فأطنب وأطيب وأطال من غير ملال.

وقد ترجم لبشر بن الحارث الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٠ ص ٤٦٩ فقال فيه: بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة شيخ الإسلام أبو نصر المروزي ثم البغدادي المشهور بالحافي، ارتحل في العلم فأخذ عن مالك بن أنس، وفضيل بن عياض ، وابن المبارك ، وحماد بن زيد وغيرهم وأخذ عنه خلائق منهم السَّرِي السَقَطي وأحمد الدورقي ، وعن أيوب العطار أنه سمع بشرا يقول : حدثنا حماد بن زيد ثم قال: أستغفر الله إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء ، وعن بشر قال: المتقلب في جوعه كالمتشحط في دمه في سبيل الله . وعنه قال: قد يكون الرجل مرائيا بعد موته يحب أن يكثر الخلق في جنازته ، وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب. وعنه قال: لا تعمل لتذكر اكتم الحسنة كما تكتم السيئة اهـــ .

وفي ((طبقات الصوفية)) لأبي عبد الرحمن السلمي أن بشرا كان يقول: لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد، وكان يقول أيضا: الدعاء ترك الذنوب اهـــ

قلت: وفي ((تنبيه المغترين)) ص١١٢ قد كان سفيان الثوري يقول : الدعاء حقيقة هو ترك الذنوب، فمن تركها فعل الله به ما يختاره من غير سؤال .

وفي ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) ج ٣ ص ٢٣٩: كان بشر لا ينام الليل ويقول: أكره أن يأتيني أمر الله وأنا نائم، وكان يقول: إذا أحب الله عز وجل أن يتحف العبد سلط عليه من يؤذيه .

وقد قال سفيان: لا خير فيمن لا يؤذَى ، وقال رحمه الله : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت. وقال: يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم، ويأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس، وقال: سكون النفس إلى المدح أشد عليها من المعاصي. وقال حمزة البزاز: ما رأيت أحدا من الزهاد إلا وهو يذم الدنيا ويأخذ منها غير بشر بن الحارث فإنه كان يذمها ويفر منها. وسئل الإمام أحمد عن مسئلة في الورع فقال: أستغفر الله لا يحل لي أن أتكلم في الورع، أنا آكل من غلة بغداد، ولو كان بشر الحافي لصلح أن يجيبك عنه. وقيل لأحمد بن حنبل: قد مات بشر فقال: مات رحمه الله وما له نظير في هذه الأمة إلا عامر بن قيس، ثم لبس رداءه وخرج فشهد جنازته.

وقال الدارقطني: كان بشر جبلا ثقة لا يروي إلا حديثا صحيحا اهـــ ملخصا.

وإنما أطلت في ترجمة بشر رحمه الله بعض الإطالة لتعرف منـــزلته في العلم والعمل به، وزهده وورعه، ومحاسن أوصافه وعلو مكانته ورفيع درجته، فيعلم حينئذ بأنه أهل لأن يغبط بجواره أكابر العلماء، ويتمنى بقربه الفضلاء مثل الخطيب البغدادى، فإنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل

إلا أهل الفضل، وقد انتشر في زماننا الاحتقار بالصالحين والازدراء بالعلماء العاملين، فتراهم إذا سمعوا مثل هذا التبرك من إمام جليل مثل الخطيب البغدادي لإمام آخر مثل بشر الحافي يستغربونه ويستنكرونه، وتشمئز منه قلوبـــهم، بل يكادون يسطون بالذين يسمعون منهم ذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي ((تاريخ بغداد للخطيب)) ج ١ص ١٢١و((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ج ١٣ ص ٥٢٣: أن عبد الله بن أحمد بن حنبل أوصى أن يدفن بمقابر "باب التين" وقال: بلغني أن هناك قبر نبي، ولأن أكون في جوار نبي أحب إليّ من أن أكون في جوار أبي اهـــ.

وفي ((صفة الصفوة)) ج٤ص٨٣: أن الشيخ محمد بن يوسف خرج في جنازة فنظر إلى قبر أبي إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلا مات فدفن بينهما. فما أتت عليه إلا عشرة أيام أو نحوها حتى دفن في الموضع الذي أشار إليه، وتوفي الشيخ محمد ابن يوسف سنة ١٨٤هــ

والتبرك بالدفن عند مقابر الصالحين أمر معلوم شائع عند المتقدمين والمتأخرين من حملة الشريعة المطهرة، وحفاظ السنة النبوية، وقصدهم من ذلك الانتفاع بمجاورتـــهم، والتعرض للرحمة الإلهية التي تنـــزل على ساحتهم، بل قد استحسن بعض أهل العلم مجاورة قبور الصالحين حال حياتـــهم، فقد حكى أبو نعيم الحافظ كما في ((تاريخ بغداد)) ج١ص ١٣٨ عن أبي جعفر الحضرمي مطين أنه كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبر علي بن أبي طالب ويقول: لو كان هذا قبر علي بن أبي طالب لجعلت منـــزلي ومقيلي عنده أبدا اهـــ .

و"مطين" هو كما في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٤ص ٤١: الشيخ الحافظ الصادق محدث الكوفة محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الملقب بـــ"مطيَّن" قال فيه الدارقطني: ثقة جبل، وقال الخليلي: ثقة حافظ، توفي سنة ٢٩٧هـــ عن خمسة وتسعين سنة اهـــ.

واعلم أن الميت كما ينتفع بمجاورة الصالحين كذلك يتأذى بمجاروة الفاسقين، فينبغي حينئذ اجتناب الدفن عند قبور الفجار والمبتدعين. روى البيهقي في ((السنن الكبرى)) ج٥ ص ٤٠٧: بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما أحب أن أدفن بالبقيع، لأن أدفن في غيره أحب إلي، إنما هو أحد رجلين ، إما ظالم فلا أحب أن أكون جواره وإما صالح فلا أحب أن تنبش لي عظامه. وذكر ذلك أيضا القرطبي في باب ما جاء في اختيار البقعة بالدفن. ص ١٠٤، وقد عقد الإمام شمس الدين أبو عبد الله القرطبي بابا في كتابه ((التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)) فقال فيه: باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم ثم قال فيه: أخرج أبو سعيد الماليني في

كتاب ((المؤتلف والمختلف)) وأبو بكر الخرائطي في كتاب ((القبور)) من حديث سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين، فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الاحياء .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات لاحدكم الميت فحسنوا كفنه، وعجلوا إنجاز وصيته، وأعمقوا له في قبره، وجنبوه جار السوء ، قيل: يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة ؟ قال: هل ينفع في الدينا ؟ قالوا: نعم، قال: كذلك ينفع في الآخرة. ذكره الزمخشري في كتاب ((ربيع الأبرار))، وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس .

وقال علماؤنا: يستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم، وتنـــزله بإزائهم وتسكنه في جوارهم تبركا بـــهم وتوسلا إلى الله عز وجل بقربـــهم ، وأن تجتنب قبور من سواهم ممن يخاف التأذي بمجاورته والتألم بمشاهدة حاله كما جاء في الحديث. ثم ذكر القرطبي منامات، منها: أن أعرابيا قال لولده: ما فعل الله بك؟ قال: ما ضرني إلا أني دفنت بإزاء فلان وكان فاسقا، قد روعني ما يعذب به من أنواع العذاب اهـــ .

ورى الحافظ أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) ج٦ص٣٥٤: بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء، قال أبو نعيم حديث غريب. رواه الإمام مالك، ذكره أبو نعيم في ترجمة الإمام مالك.

قوله وسط: بفتح السين وسكونه. قال السيوطي في ((الجامع الصغير)): إن هذا الحديث ضعيف. ومن المعلوم المشهور أن الحديث الضعيف يعمل به في مثل هذا، وما ادعاه ابن الجوزي وغيره من كونه موضوعا تعقبه السيوطي. وفي ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)) يندب لولي الميت أن يقصد به قبور الصالحين ومدافن أهل الخير فيدفنه معهم ويسكنه في جوارهم تبركا بـــهم وتوسلا بـــهم، وأن يجتنب به قبور من يخاف التأذي بمجاورته، والتألم بمشاهدة حاله، ويكره الدفن بقرب قبر مبتدع أو فاسق اهـــ.

وفي ((مغنى المحتاج بشرح المنهاج)) للخطيب الشربيني ج١ ص ٣٦٢-٣٦٦ : يسن الدفن في أفضل مقبرة بالبلد كالمقبرة المشهورة بالصالحين ، ولو كان أهل المقبرة أهل بدعة أو فسق فالأفضل الاجتناب عنها، ولو مات سني في بلاد المبتدعة نقل إن لم يمكن إخفاء قبره .

فائدة

واعلم أن الميت يتأذى بأشياء أخرى غير ما ذكرناه . منها النياحة عليه، وقد وردت بذلك أحاديث في الصحيحين وغيرهما واختلفوا في تأويلها، وذكر السيوطي في ((شرح الصدور)) مذاهب للعلماء تبلغ تسعة من أشهرها : أنه الذي أوصى بالنياحة عليه.

وممايتأذى به الميت الأعمال السيئة من أقارب الميت وإخوانه ، فقد وردت الأحاديث المرفوعة والموقوفة بطرق كثيرة بأن أعمال الأحياء تعرض على من مات من أقاربهم وإخوانهم، فيفرحون بها إذا كانت الأعمال صالحة، ويحزنون ويتأذون إذا كانت غير ذلك، قال السيوطي في ((شرح الصدور)) ص٢٦٣-٢٦٥ والقرطبي في ((التذكرة)) ص٦٢-٦٤ : أخرج الحكيم الترمذي في نوادره من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله، وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا، فاتقوا الله لا تؤذوا موتاكم. وأخرج ابن أبي الدنيا والأصبهاني في ((الترغيب)) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور. وأخرج الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا في كتاب ((المنامات)) والبيهقي في ((شعب الإيمان)) عن النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم. وأخرج ابن أبي الدنيا وابن منده وابن عساكر أن عبادا الخواص دخل على إبراهيم بن صالح الهاشمي ، وهو أمير فلسطين ، فقال له إبراهيم: عظني ، فقال: قد بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك. وابن منده بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة وفي آخرها هاء ساكنة كما ((وفيات الأعيان)) لابن خلكان. وأخرج ابن المبارك والأصبهاني عن أبي الدرداء قال: إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساءون . وأخرج أيضا ابن المبارك أن سعيد بن جبير قال لعثمان بن عبد الله بن أوس: أحسن يا عثمان إلى زوجتك، فإنك لا تصنع بها شيئا إلا جاء عمر بن أوس، فقال عثمان: هل تأتي الأموات أخبار الأحياء ؟ قال : نعم، ما من أحد له حميم إلا وتأتيه أخبار أقاربه ، فإن كان خيرا سر به وفرح وهنئ به ، وإن كان شرا ابتأس به وحزن اهـ وكانت زوجة عثمان بن عبد الله ابنة عمر بن أوس ، فالمعنى أن أباها يعلم ما صنعت بها من سوء، ويتأذى به فاحسن إليها، انتهى ماذكره السيوطي في ((شرح الصدور)) والقرطبي في

((التذكرة)) . وفي ((التذكرة)) أيضا ما لفظه روي عن عروة قال: وقع رجل في علي رضي الله عنه عند عمر بن الخطاب : فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك قبحك الله لقد آذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره. ففي هذا أن الميت يتأذى بإيذاء أقاربه وأولاده. وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ج٤ص٤٧٣: روى ابن شاهين في كتاب الجنائز من طريق عبيد الله بن عدي بن الخيار عن أبيه وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظمونه أنه لما احتضر قال : يابني أذكرك الله أن لا تعمل بعدي عملا يمعّر وجهي ، فإن عمل الأبناء يعرض على الآباء اهـــ. قوله يمعّر أي يغير وجهي، وعدي بن الخيار كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر القرطبي في ((التذكرة)) ما لفظه: روي من حديث ابن لهيعة عن بكير بن الأشج عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته. قيل: يجوز أن يكون الميت يبلغ من أفعال الأحياء وأقوالهم ما يؤذيه في قبره بلطيفة يحدثها الله لهم من ملك يبلغ أوعلامة أودليل أوماشاء الله، وهو القادر على مايشاء.

تكملة

اعلم أن الميت كما يتأذى بما ذكر كذلك قد يؤذي هو من أذاه، فقد أخرج الطبراني والحاكم عن عمارة بن حزم قال: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على قبر فقال: يا صاحب القبر انزل مِنْ على القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك . ذكر ذلك السيوطي بـــهذا اللفظ في ((شرح الصدور)) ص٣٠٠ في باب تأذي الميت بسائر وجوه الأذى.

ومثله في ((مجمع الزوائد)) ج٣ص٦١. ثم قال الهيثمي: رواه الطبراني في ((الكبير))، وفيه ابن لَهِيْعَة وفيه كلام، وقد وُثّقَ اهـــ ومثله أيضا في ((بذل المجهود شرح أبي داود)) ج١٤ص ١٩٣: وفيه انزل عن القبر اهـــ.

وفي ((خلاصة الأحكام)) للإمام النووي ج٢ص١٠٢٧ ما لفظه رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم متكأ على قبر، فقال: لا تؤذِ صاحب هذا القبر ولا يؤذِك رواه أحمد اهـــ

وقد ثبت أن الميت كما قديؤذي الأحياء كذلك قدينفعهم بالدعاء لهم ويحسن إليهم بالترحيب فقدروى مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :عَرَجَ بناإلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقدبعث إليه؟ قال: قدبعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم

فرحب بي ودعالي بخير، ثم ذكر أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه عليهما دعوا له بخير، ثم يوسف وإدريس وهارون وموسى، دعا كل منهم له صلى الله عليه وسلم بخير. وقوله فرحب بي: فيه ترحيب الأموات بالأحياء. ومما يؤخذمن هذا الحديث كما قاله النووي في شرح مسلم ج٢ص٢١٢: استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم وإن كانوا أفضل من الداعي .

وفي ((التذكرة)) للقرطبي ص ٦٣ أخرج الترمذي الحكيم في ((نوادر الأصول)) قال: حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا قبيصة عن سفيان عن أبان بن أبي عياش عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى ، فإن كان خيرا استبشروا ، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تـــهديهم لما هديتنا. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أرواحكم تعرض إذا مات أحدكم على عشائركم وموتاكم ، فيقول بعضهم لبعض : دعوه يستريح فإنه كان في كرب ، ثم يسألونه : ما عمل فلان ؟ وما عملت فلانة؟ فإن ذكروا خيرا حمدوا الله واستبشروا، وإن كان شرا قالوا: اللهم اغفر له، حتى إنـــهم ليسألون هل تزوج فلان هل تزوجت فلانة ؟ قال: فيسألونه عن رجل مات قبله ، فيقول: ذاك مات قبلي أما مَرَّ بكم ؟ فيقولون: لا والله، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية، حتى إنـــهم ليسألون عن هر البيت ذكره الثعلبي. وروى ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه يسألونه، ويقول بعضهم لبعض : انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت ؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول : إنه هلك، فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية، قال: فتعرض عليهم أعماله، فإن رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شرا قالوا: اللهم راجع بعبدك .

تنبيه

لقد ذكرنا بعضا من أحاديث عرض أعمال الأحياء على الأموات، واختلف العلماء في رتبتها فقال بعضهم: إنـــها صحيحة باعتبار مجموعها، وقيل: ضعيفة وقيل: إن رتبتها رتبة الحسن.

وقد أشبع القول في ذلك الشيخ محمود سعيد ممدوح في ((رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة)) من ص١٢٢- ١٣٣ وذكر فيه بما لا مزيد على حسنه فيما علمت، ويقتنع به كل

من له إلمام بصناعة الحديث، ومما قال فيه: روى البزار بسنده عن عبد الله يعني ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم، قال الحافظ العراقي في ((طرح التـــثريب)) ج ٣ ص٢٩٧: إسناده جيد، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائـــد))ج٩ص٢٤: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وصححه السيوطي في ((الخصائص الكبرى))، وذكر العلامة ممدوح: أن لشيخه السيد عبد الله بن الصديق الغماري في هذا الحديث جزء مفيدا مطبوعا اسمه ((نـــهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال)) ثم قال بعد كلام طويل: والحاصل أن هذا الحديث صحيح بلا ريب اهـــ ورمز له السيوطي في ((الجامع الصغير)) علامة الحسن .

فائدة في تلقين الأموات

عقد الإمام النووي بابا في تلقين الميّت في كتابه ((تلخيص الأحكام))ج٢ ص١٠٢٩ فقال: هذا التلقين المعتاد لأهل الشام وغيرهم مستحب عند أصحابنا اهـــ

وقال أيضا في ((المجموع))ج٥ص١٩٥: وممن نصّ على استحباب التلقين القاضي حسين والمتولي والشيخ نصر المقدسي والرافعي وغيرهم، ونقله القاضي حسين عن أصحابنا مطلقا، وقال ابن الصلاح: التلقين هو الذي نختاره ونعمل به، قال: وروينا فيه حديثا من حديث أبي أمامة ليس إسناده بالقائم، لكنّه اعتضد بشواهد وبعمل أهل الشام قديما. ثم قال النووي: وإن كان هذا الحديث ضعيفا فيُستأنس به، وقد اتفق علماء المحدثين وغيرهم على المسامحة في أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب، وقد اعتضد بشواهد من الأحاديث كحديث واسئلوا له التثبيت، ووصية عمرو بن العاص وهما صحيحان. ولم يزل أهل الشام على العمل بـــهذا في زَمَنِ مَن يُقتدى به إلى الآن اهـــ و ذكر القرطبي في ((التذكرة)) ص١١٩: حديث أبي أمامة المشهور، ثم قال: حديث غريب خرّجه الثقفي في الأربعين له، ثم قال القرطبي: قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: ينبغي أن يرشد الميت في قبره إلى جواب السؤال، فيقال له: قل: الله ربي والإسلام ديني ومحمد رسولي، فإنه عن ذلك يسأل، كما جاءت به الأخبار، وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك اهـــ

وعقد ابن القيم في كتابه ((الروح)) ص٧٠-٧١ فصلا في سماع الموتى. فمما قال فيه: ويدل على سماع الموتى ما جرى عليه عمل الناس قديما وإلى الآن مِن تلقين الميت في قبره، ولو لا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة، وكان عبثا، وقد سئل عنه الإمام أحمد فاستحسنه

واحتج عليه بالعمل . ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني من حديث أبي أمامة. ثم قال ابن القيم: هذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف في العمل به. وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمة طبَّقت مشارقَ الأرض ومغاربـــها وهي أكمل الأمم عقولا وأوفرها معارف تُطبِق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك ولا ينكره منها منكر، بل سنّه الأول للآخر ويقتدي فيه الآخر بالأول اهـــ

ومما يدل على مشروعية خطاب الأموات الذي ذكره ابن القيم قوله تعالى حكاية عن صالح نبي الله عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: "يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين، وعن شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة و السلام: لقد أبلغتكم رسالات ربي" الآية. فإن الخطاب والنداء لقومهما كان بعد هلاكهم كما في ((تفسير ابن كثير)) وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فجعل يقول: يا أباجهل بن هشام يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة ويا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا، فقال له عمر: يا رسول الله ما تكلم من أقوام قد جيفوا؟ فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون اهـــ

وقال الحافظ العسقلاني في ((تلخيص الحبير)): إسناد حديث أبي أمامة صالح وقد قوّاه الضياء في أحكامه، وأخرجه عبد العزيز في ((الشافي))، ورواه سعيد بن منصور من طريق راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وغيرهما، فقالوا: إذا سُوّي على الميت قبره وانصرف الناس عنه كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات، قل: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، ثم ينصرف اهـــ وقال السيوطي في ((شرح الصدور))ص١٠٥ بعد ذكر حديث أبي أمامة: أخرجه الطبراني وابن منده . وقال السيوطي أيضا في كتابه ((جمع الشتات في إثبات سؤالات الأموات)):

قـــد أمر النبي بالتلقيـــن من بعد شَنِّ التُرب للمدفون

وقيل قبل أن يـــهال التُرب وإن يُعـــد ثلاثـــةً فنـــدب

وقال ابن حجر الهيتمي في ((تحفة المحتاج)): ويستحب تلقين بالغ عاقل أو مجنون سبق له تكليف بعد تمام الدفن لخبر فيه، وضُعفه اعتضد بشواهد على أنه من الفضائل فاندفع قول ابن عبد السلام: إنه بدعة، وترجيح ابن الصلاح أنه قبل إهالة التراب مردود بما في خبر الصحيحين فإذا انصرفوا أتاه ملكان فتأخيره بعد تمامه أقرب إلى سؤالهما اهـــ

وفي ((مغني المحتاج)) للخطيب الشربيني أنه يسن تلقين الميت المكلف بعد الدفن، واستدل هو وغيره على ذلك بقوله تعالى: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين. وذهب إلى استحباب التلقين أيضا خلائق لا يحصون من أكابر الفقهاء وأئمتهم منهم: الأردبيلي في ((الأنوار)) والمُلَيْبَاري في ((فتح المعين)) والسيد البكري في ((إعانة الطالبين)) والرملي في ((نــــهاية المحتاج)).

قلت: قول الحافظ العسقلاني في حديث التلقين: - صالح – معناه أنه صالح للاحتجاج به والعمل، وهو بين الصحيح والحسن، كالثابت والجيّد والمجوَّد. وأما قولهم: هذا الحديث يشبه أن يكون حسنا فالمراد منه أنه قريب منه، قال الحافظ السيوطي في ألفية المصطلح ما لفظه:

وللقبـــول يُطلقـــون جيِّـــدا   والثابتَ الصالِـــحَ والمجـــوَّدَا

وهــــذه بين الصحيح والحسن   وقرّبوا مشبَّـــهات من حسن

وهل يُخصُّ بالصحيح الثابـــتُ   أو يشمل الحسنْ نزاع ثابـــت

وقال الحافظ العراقي في ((فتح المغيث))ص٦١: الحديث الصالح قد يكون صحيحا وقد يكون حسنا اهــ

والكلام في التلقين يطول، وفيما ذكرناه مَقنع، والله الموفق .

تتمة في عجائب ظهرت من بعض الأموات

منها ميت يقاتل ويجاهد في سبيل الله

قال الحافظ السيوطي في ((شرح الصدور)) ص ٢٢٢ : أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عبد الله الشامي قال: غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون أثر العدو ، فانفرد منهم رجلان ، قال أحدهما: فبينا نحن كذلك إذ لقينا شيخا من الروم فقال: أبرزوا، فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل صاحبي فرجعت أريد أصحابي فبينا أنا راجع إذ قلت لنفسي ثكلتك أمك سبقني صاحبي إلى الجنة، وأرجع أنا هاربا إلى أصحابي؟ ! فراجعت إليه فضربته وأخطأته، فحملني فضرب بي الأرض وجلس على صدري وتناول شيئا معه ليقتلني، فجاء صاحبي المقتول فأخذ بشعر قفاه فألقاه عني وأعانني على قتله فقتلناه جميعا ، وجعل صاحبي يمشي ويحدثني حتى انتهينا إلى شجرة فاضطجع مقتولا كما كان ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتـــهم.

ومنها ميت يوصي فتنفذ وصيته

وفي ((تــــهذيب الأسماء واللغات)) ج١ص١٤٧ أن ثابت بن قيس بن شماس بن مالك الصحابي رضي الله عنه أستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة إحدى عشرة، ومشهور في كتب المغازي أنه لما استشهد كان عليه درع نفيسة فأخذها رجل، فرأى رجل

ثابتا في منامه، فقال له ثابت: إني أريد أن أوصيك وصية ، فإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، إني قتلت أمس، فمر بي رجل فأخذ درعي ومنـــزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طِوَلِهِ، وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالدا فمره فليبعث فليأخذها، فإذا قدمت المدينة فقل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : إن عليّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي حر وفلان ، فأتى الرجل خالدا فبعث إلى الدرع فأتي بـــها على ما وصف، وأخبر أبابكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته، قالوا: ولانعلم أحدا أوصى بعد موته فأجيزت وصيته غير ثابت رضي الله عنه . وذكرها الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) ج٩ص٣٢٢، وقال: رواه الطبراني، وفي سنده بنت ثابت بن قيس ولم أعرفها وبقية رجاله رجال الصحيح. والطاهر أن بنت ثابت صحابية والله أعلم اهـــ.

ورواه الهيثمي عن أنس وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح اهـــ. وفي تعليق على ((سير أعلام النبلاء)) ج١ص٣١٢ أن الحاكم أخرجه وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ في ((المطالب العالية)) اهــــ.

ومنها ميت يقري الضيوف

ففي ((البداية والنهاية))ج٢ص٢١٧ روى أبوبكر الخرائطي بسنده عن المحرر مولى أبي هريرة قال: مرّ نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيئ فنـــزلوا قريبا منه، فقام إليه بعضهم يقال له : أبو الخيبري فجعل يركض قبره برجله، ويقول: ياأبا جعد أقرنا، فقال له بعض أصحابه : ما تخاطب من رمة وقد بليت، وأجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فزعا يقول: يا قوم عليكم بمطيكم فإن حاتما أتاني في النوم وأنشدني شعرا وقد حفظته يقول :

أبا الخـــيبري وأنت امـــرؤ ... ظلـــوم العشيرة شتامـــها

أتيت بصحبك تبغي القرى ... لدى حفرة قد صدت هامها

أتبغي لي الذنب عند المبيتْ ... وحـــولك طَيّئٌ وأنعامـــها

قال: وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيرا، فنحروها وقاموا يشتوون ويأكلون، وقالوا: والله لقد أضافنا حاتم حيا وميتا قال: وأصبح القوم وأردفوا صاحبهم وساروا فإذا رجل ينوه بـــهم راكبا جملا ويقود آخر ويقول: أيكم أبو الخيبري ؟ قال: أنا، قال: إن حاتما أتاني في النوم فأخبرني أنه قرى أصحابك ناقتك وأمرني أن أحملك وهذا بعير فخذه، ودفعه إليه اهـــ

وذكر هذه القصة أيضا الشيخ عبد القادر بدران في ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) للحافظ ابن عساكر ج٣ص ٤٣١ باختلاف يسير في بعض الألفاظ .

وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ج٢ص٣٥٠ ذكر الزبير في ((الموفقيّات)) أن الصحابي الخيبري بن النعمان رضي الله عنه نزل على حاتم الطائي بعد أن مات، وطلب منه القرى، فرآه في المنام وأنشده أبياتا، والقصة مشهورة. ومثله في ((أسد الغابة)) ج٢ص١٢٨. قوله " تكوس عقيرا " أي تصرع ففي ((المقاييس))كاسه يكوسه إذا صرعه، ومنه كاست الناقة إذا عقرت فقامت على ثلاث، وإنما قيل لها ذلك لأنـــها قد قاربت أن تصرع اهـــ وعَقْرُ البعيرِ معروف وهو قطع إحدى قوائمه ليسقط. وقوله "ينوّه بـــهم " أي يرفع ذكرهم ويعظمهم .
والعجائب التي ظهرت من الأموات كثيرة جدا ونقتصر على ما ذكرناه .

الخلاصة

لقد تبين مما ذكرناه أن الميت ينتفع بمجاورة الصالحين ويتأذى بمجاورة الفسقة والمبتدعة ونحوهم، وأنه يؤذي الأحياء وينفعهم، وتعرض عليه أعمالهم فيستبشر إذا كانت حسنة، ويتأذى بـــها ويحزن إذا كانت سيئة، ثم يدعو لهم، وأن الأموات ترحب الأحياء ويتلقون من مات فيسئلونه عن أهليهم في الدنيا وأحوالهم، وأن الغرائب والأمور النادرة تصدر منهم .
وهذا كله يدل على أن للأموات تصرفات في برازخهم وأنـــهم قد ينفعون الأحياء ومن جاورهم من الأموات وينتفعون بـــهم، فبهذا تحقق أن التبرك بمجاورة الصالحين من الأموات ثابت شرعا واقع فعلا، وأنه لا مانع منه شرعا وعقلا، فلتطمئن بذلك القلوب التي تخيلت أن الأموات كالجمادات، وأن الخطاب معها والنداء لها كخطاب الأحجار وندائها وليقتنعوا بالحجج النقلية والنقول السمعية وأقوال الأئمة . والله الهادي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

باب التبرك بأول مطر السنة

قال الله تعالى: ونزّلنا من السماء ماء مباركا. وقال النووي رحمه الله في ((المنهاج)) في باب الاستسقاء : ويسن أن يبرز لأول مطر السنة، ويكشف غير عورته ليصيبه، قال الخطيب في شرحه : أي ليصيبه شيء من المطر تبركا اهـــ.
وقال النووي أيضا في ((المجموع)) ج ٥ ص ٩٣: قال سليم الرازي والشيخ نصر المقدسي وصاحب ((العدة)) : يستحب إذا جاء المطر في أول السنة أن يخرج إليه الإنسان، ويكشف ما عدا عورته ليصيبه منه ، وذكر الشافعي في ((الأم)) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لغلامه وقد مطرت السماء: أخرج فراشي ورحلي يصيبه المطر، فقيل له: لم تفعل هذا ؟ فقال: أما تقرأ كتاب الله تعالى: ونزلنا من السماء ماء مباركا، فأحب أن تصيب البركة فراشي ورحلي اهـــ .

وفي ((المغني)) لابن قدامة الحنبلي ج٢ص٤٤٠: ويستحب أن يقف في أول المطر، ويخرج رحله ليصيبه المطر، ثم استدل بحديث البخاري الآتي وبالحديث الموقوف على ابن عباس المذكور.
وفي ((إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين)) لمرتضى الزبيدي ج٦ص ٥٦٩ أنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول: حديث عهد بربه .
وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال: حسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه المطر، قلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه. وروى البخاري في ((الأدب المفرد)) مثله.

قال النووي في شرح مسلم ج٦ص ١٩٥: ومعنى حديث عهد بربه أي بتكوين ربه إياه، ومعناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بـــها ، وفي هذا الحديث دليل لقول أصحابنا أنه يستحب عند أول المطر أن يكشف غير عورته ليناله المطر واستدلوا بـــهذا اهـــ.
وقال الحافظ العسقلاني: قال العلماء: معناه قريب العهد بتكوين ربه. وعقد البخاري بابا لهذه المسئلة فقال في صحيحه: باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته ثم ذكر حديث الأعرابي القائل: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة ، قال: فثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينـــزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته- الحديث. قال الحافظ العسقلاني في ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) ج٢ ص ٥١٩-٥٢٠ عند شرحه لهذا الباب: قوله تمطر: بتشديد الطاء أي تعرض لوقوع المطر، ولعل البخاري أشار إلى ما أخرجه مسلم عن أنس قال: حسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه إلى آخر الحديث المذكور، فكأن البخاري لما ترجم بقوله باب من تمطر أراد أن يبين أن تحادر المطر على لحيته صلى الله عليه وسلم لم يكن اتفاقا وإنما كان قصدا اهـــ. أي فإذا كان صلى الله عليه وسلم تعرض لنـــزول المطر عليه قصدا فكذلك نقصد ونتعرض لنـــزوله علينا اتباعا له صلى الله عليه وسلم وأسوة به ،فمؤدى الحديثين واحد، وهو سنية التبرز للمطر اتباعا له صلى الله عليه وسلم ، وظاهر أن المطر الذي في رواية البخاري كان أول مطر السنة، وأما رواية مسلم المطلقة فيحتمل أنـــها محمولة على رواية البخاري المقيدة وهذا هوالظاهر ، والله أعلم. قوله حسر ثوبه: أي كشفه، وقوله قزعة: بفتح القاف والزاي القطعة من السحاب.
وفي ((المغنى)) للخطيب يسن عند أول كل مطر كما قال الزركشي لظاهر خبر رواه الحاكم ولكنه في الأول آكد اهـــ .

فائدة

وفي ((الأذكار)) للنووي روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر، وفي رواية لمسلم أيضا: بركة مع بركة، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان، وفي رواية الترمذي : أصغر وليد يراه، وفي رواية لابن السني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بباكورة وضعها على عينيه ثم على شفتيه، وقال: اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره، ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان. قال ابن علان في شرحه على ((الأذكار)) ج٦ص٢٣٦ : قوله وضعها على عينيه أي لقرب عهدها بتكوين الله تعالى كما كان يخرج يغتسل من ماء المطر ويقول: إنه قريب عهد بربه أي بتكوينه اهـ .

فائدة أخرى

روى البخاري في باب من اغتسل عريانا من كتاب الغسل، وفي كتاب الأنبياء وكتاب التوحيد من صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا أيوب – عليه السلام- يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك اهـ .

وقال الحافظ في ((الفتح)) ج٦ص٤٢١: وفي هذا الحديث تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة، وجواز الحرص على الإستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه.

وقال ابن علان في ((دليل الفالحين شرح رياض الصالحين)) ج٢ص ٤٥٨: قوله يحثي في ثوبه: يعني استكثارا من البركة لكونه قريب عهد بتكوين من الله سبحانه.

التبرك بلحم الأضحية والهدي

قال الفقهاء رحمهم الله تعالى: الأفضل التصدق بكل الأضحية والهدي إذا كانا تطوعا إلا لقما يتبرك بها، قال الإمام النووي في ((الروضة)) ج ٣ ص ٢٢٣: الأفضل والأحسن في هدي التطوع وأضحيته التصدق بالجميع إلا لقمة أولقما يتبرك بأكلها فإنها مسنونة انتهى.

تتمة في ذكر عدد من أكابر الأئمة الذين يتبرك بـــهم

١- فمنهم أبو داود السجستاني

ففي ((الأذكار)) للنووي ص٢٣٥-٢٣٦ عن سهل بن عبد الله التستري السيد الجليل أحد أفراد زهاد الأمة وعبادها رضي الله عنه أنه كان يأتي أبا داود السجستاني ويقول : أخرج لي لسانك الذي تحدث به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقبّله فقبّله اهـــ .

٢- وسعد بن علي بن محمد الزنجاني الصوفي

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٨ص٣٨٦: كان الإمام العلامة الحافظ القدوة العابد شيخ الحرم أبو القاسم سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني الصوفي كثير العبادة، ورعا صاحب كرامات وآيات، وإذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود . ولد سنة ٣٨٠ تقريبا. وتوفي سنة ٤٧١ وله ٩٠ عاما، وكان متقنا ثقة . وذكر في ((تذكرة الحفاظ)) ص١١٧٥ مثله .

وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١٢ص١٢٠: كان سعد بن علي الزنجاني إماما حافظا متعبدا، وكان الناس يتبركون به. قال ابن الجوزي: ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود.

وفي ((شذرات الذهب)) ج٣ص ٣٤٠ أنه كان صاحب كرامات وآيات، يزدحم الناس عليه عند الطواف كازدحامهم على الحجر اهـــ .

٣- وأبو العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل الشافعي

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٥٧: كان ابن عجيل إذا دخل مكة وأراد أن يطوف أقبل الناس عليه يقبلون يده ويتبركون به ويشتغلون به من كل شيء ، وكان يقول لهم: أنتم في بيت الله تعالى ومحل كرامته وأنا مخلوق مثلكم، فلا يزدادون إلا إقبالا عليه وملازمة له.

٤- وأبو عبد الله البوشنجي

ففي ((طبقات الشافعية)) لابن هداية الله ص٣٣ أن أبا عبد الله البوشنجي محمد بن إبراهيم كان فقيها أديبا شيخا لأهل الحديث في زمانه وكان العلماء يعظمونه ويتبركون به .

وقال الذهبي في ((تذكرة الحفاظ)) ص ٦٥٨: قال أبو زكريا العنبري : شهدت جنازة الحسين القباني فصلى عليه أبو عبد الله البوشنجي، فلما أراد الإنصراف قدمت دابته فأخذ الحافظ أبو عمرو الخفاف بلجامه وأخذ الإمام ابن خزيمة بركابه ، وإبراهيم بن أبي طالب والجارودي يسويان ثيابه فلم يمنعهم من ذلك .

ولد البوشنجي سنة ٢٠٤ ، ومات سنة ٢٩٠ بنيسابور .

٥- والإمام البخاري

ففي ((إرشاد الساري شرح صحيح البخاري)) للحافظ القسطلاني ج١ص١٣٥ أن الإمام مسلما جاء إلي محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله .

ومثلها في ((مرقاة المفاتيح)) لعلي بن سلطان قاري ج١ص١٤ .

٦- والعارف بالله الشبلي

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في ((بستان الواعظين ورياض السامعين))ص٣٩٣-٣٩٥: حكي عن بعضهم أنه قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالسا إذ أقبل الشبلي، فقام أبو بكر إليه وقبّل بين عينيه، فقلت: يا سيدي تفعل هذا بالشبلي؟ وأهل بغداد يقولون عنه: إنه مجنون، وقال: قد فعلت به كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل به، وذلك أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد أقبل الشبلي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فعانقه وقبّله بين عينيه، فقلت له يا رسول الله: تفعل هذا بالشبلي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: نعم، لأنه يقرأ في آخر كل صلاة :" لقد جاءكم رسول من أنفسكم" الآية، ثم يتبعها بالصلاة عليّ . وفي ((القول البديع)) ص١٦٧ ذكر الحافظ أبو موسي المديني وغيره حكاية ساقها ابن بشكوال وأبو موسي المديني وعبد الغني وابن سعد بسندهم إلى أبي بكر بن محمد بن عمر قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد فجاء الشبلي فقام إليه أبو بكر بن مجاهد فعانقه وقبّل بين عينيه، فقلت له: ياسيدي تفعل بالشبلي هكذا وأنت وجميع من ببغداد يتصورون أو قال: يقولون: إنه مجنون، فقال لي: فعلت كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل به، وذلك أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد أقبل الشبلي فقام إليه وقبّل بين عينيه، فقلت: يارسول الله أتفعل هذا بالشبلي؟ فقال: هذا يقرأ بعد صلاته: لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة ويتبعها بالصلاة عليّ، وفي رواية أنه لم يصل صلاة فريضة إلا ويقرأ: لقد جاءكم رسول من أنفسكم الأية، ويقول ثلاث مرات: صلى الله عليك يا محمد، صلى الله عليك يا محمد، صلى الله عليك يا محمد، قال: فلما دخل الشبلي سألته عما يذكر في الصلاة فذكر مثله، وهي عند ابن بشكوال من طريق أبي القاسم الخفاف.قال: كنت يوما أقرأ القرآن على رجل يكنى أبا بكر وكان وليا لله فإذا بأبي بكر الشبلي قد جاء إلى رجل يكنى بأبي الطيب كان من أهل العلم فذكر قصة طويلة وقال في آخرها: ومشى الشبلي إلى مسجد أبي بكر بن مجاهد فدخل عليه فقام إليه فتحدث أصحاب ابن مجاهد بحديثهما وقالوا له: أنت لم تقم لعلي ابن عيسى الوزير

وتقوم للشبلي، فقال: ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله عليه وسلم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة فإذا جاءك فأكرمه قال ابن مجاهد: فلما كان بعد ذلك بليلتين أو أكثر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلا من أهل الجنة، فقلت: يا رسول الله لم استحق الشبلي هذا منك؟ فقال: هذا رجل يصلي خمس صلوات يذكر في أثر كل صلاة ويقرأ: لقد جاءكم رسول من أنفسكم الأية، يقول ذلك منذ ثمانين سنة أفلا أكرم من يفعل هذا ؟.

٧- واسماعيل بن محمد الحضرمي

وفي ((شذرات الذهب)) و((طبقات الخواص)) أن بعض الصلحاء رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال له : من قبّل قدم الحضرمي دخل الجنة . فبلغ ذلك بعض العلماء فقصدوا إليه وقبّلوا قدميه، منهم الإمام العلامة محب الدين الطبري، وستأتي القصة بكمالها في التبرك بقبر الحضرمي إن شاء الله تعالى اهـــ.

خاتمة

لقد ذكرنا طرفا من التبرك بالصالحين وما يلحق بذلك، والصالح كما في ((شرح مسلم)) للنووي ج٤ص١١٧هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد. وفي ((بستان العارفين)) للنووي أيضا ص٨٦ أنه ينطلق على النبي والولي قال الله تعالى: وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصالحين، وأدخلناهم في رحمتنا إنـــهم من الصالحين، وقال تعالى: أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عبد الله بن عمر: إنه رجل صالح .

وقال الإمام أبو اسحاق الزجاج في كتابه((معاني القرآن)) وأبو اسحاق ابن قرقول صاحب ((مطالع الأنوار)): هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد اهـــ.

إلى هنا انتهى الكلام في المقصد الثاني بالتبرك بالصالحين ونتبعه المقصد الثالث في التبرك بقبور الصالحين، فإنه وإن كان داخلا فيما قبله إلا أنا أفردنا له بالترجمة لكثرة النـــزاع والخلاف المنتشر فيه بـــهذا العصر .

المقصد الثالث في التبرك بقبورالصالحين

المقصد الثالث في التبرك بقبورالصالحين

لما ذكرنا التبرك بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نتبع ذلك ذكر شيء من بركات قبور الأولياء والصالحين، واستجابة الدعاء عندها وحصول الأمداد لزوارها، وغير ذلك مما يشابـــهها،وقد ذكرنا أن حرمته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كحرمته في حياته، وكذلك الأموات كلها، فحرمة كل إنسان بعد مماته كحرمته في حال حياته، فيكون شرف أصحاب القبور وضده مترتبا على ما كانوا عليه قبل الممات من المحاسن أو غيرها، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشرف الخلائق وأعلاهم منـــزلة عند رب العالمين، وقبورهم أشرف القبور وأعظمها حرمة، فالتبرك بـــها أقرب إلى التعرض لاستنـــزال الرحمات والبركات الإلهية، قال الإمام السبكي رحمه الله في ((شفاء السقام)) ص ١٣٠: إن من المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين، فكيف بالانبياء والمرسلين، ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمرا عظيما نقطع ببطلانه وخطئه فيه، وفيه حط لدرجة النبي صلى الله عليه وسلم إلى درجة من سواه من المسلمين، وذلك كفر متعين، فإن من حط رتبة النبي صلى الله عليه وسلم عما يجب له فقد كفر اهـــ.

وفي ((مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)) ج١ص ١٥٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله وسلم ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن ((يسألونك عن الشهر الحرام، ويسألونك عن الخمر والميسر ، ويسألونك عن اليتامى، ويسألونك عن المحيض ، ويسألونك عن الأنفال، ويسألونك ما ذا ينفقون)) ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم، قال : وأول من طاف بالبيت الملائكة، وإن ما بين الحجر إلى الركن اليماني لقبور من قبور الأنبياء، كان النبي إذا آذاه قومه خرج من بين أظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت . رواه الطبراني في ((الكبير)) وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله ثقات اهـــ. وقوله كان النبي: يعني أن بعض الأنبياء إذا آذاه قومه كان يخرج من بين أظهرهم إلخ، والله أعلم .

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصحاب الجاه عند خالق الأرض والسموات، فلا يخيب من لاذ بـــهم وتعلق بأذيالهم، فإنـــهم الواسطة بين الخالق جل جلاله وبين خلقه، وأمناء وحيه ورسالاته، والشفعاء عند الله في عرصات القيامة، فكم من إمام جليل ركب في زيارة مقابرهم المشقات، وقطع في ذلك المفاوز والفلوات، واصطبر على مفارقة الأوطان والأهالي والأولاد

والأحباب، كي ينال بالوقوف بين أيديهم محو الخطيئات والزلات، ويبلغ بذلك عند الله الدرجات العاليات.

وقد قسم العلماء زيارة القبور إلى أقسام، ففي ((شفاء السقام)) للإمام السبكي ص ٨٦-٨٨: اعلم أن زيارة القبور على أقسام الأول: أن يكون لمجرد تذكر الموت والآخرة وهذا يكفي فيه رؤية القبور من غير معرفة بأصحابـــها ولا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم ولا من التبرك بـــهم ولا من أداء حقوقهم، وهو مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم: زوروا القبور فإنـــها تذكركم الآخرة، الثاني: زيارتـــها للدعاء لأهلها كما ثبت من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع ، وهذا مستحب في حق كل ميت من المسلمين.

الثالث: التبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح والخير وهي مشروعة .

الرابع: لأداء حقوقهم فإن من كان له حق على الشخص فينبغي له بره في حياته وبعد موته، وزيارته من جملة البر لما فيها من الإكرام، ويدخل في هذا المعنى الزيارة رحمة للميت ورقة له وتأنيسا، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا اهـــ. ومثله في ((دليل الفالحين شرح رياض الصالحين)) ج٣ص١٨، ومثله أيضا في ((حاشية عبد الحميد الشرواني على تحفة المحتاج)) ج٣ص٢١٩ وقالا في قسم الزيارة للتبرك ما نصه: تسن "أي الزيارة" لأهل الخير لأن لهم في برازخهم تصرفات وبركات لا يحصى مددها، وفيهما: إذا رأى من يحبه بدل إذا زاره قال ابن حجر في مبحث الزيارة من ((تحفة المحتاج بشرح المنهاج)) ما حاصله: إن القصد من زيارة نحو العلماء تعظيمهم باحياء مشاهدهم، وأيضا فزوارهم يعود عليهم مدد أخروي لا ينكره إلا المحرومون اهـــ.

فاتضح مما ذكرناه أن المقصود من زيارة القبور مختلف، فمنه الدعاء والاستغفار للميت، ومنه الرحمة والتأنيس له، ومنه الانتفاع بزيارته، ومنه التذكر والاتعاظ به، ومن القبور قبور لا تقصد إلى زيارتـــها ولا ترغب مجاورتـــها بل تكره النفوس رؤيتها كقبر أبي رغال الثقفي الذي يرجم قبره، ففي ((شرح ابن علان على الأذكار))ج٤ص٢١٤ قال الحافظ العسقلاني: لما مر أصحاب الفيل بالطائف خرج إليهم ناس من ثقيف فقالوا: إن البيت الذي تريدون هدمه ليس عندنا ولكن نبعث معكم رجلا يدلكم على الطريق، فبعثوا أبا رغال فسار حتى أنزلهم في ((المغمس)) فمات أبو رغال هناك، فهو الذي يرجم قبره اليوم، وفيه يقول الشاعر :

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

وروى ابن عمر أن عمر قال لرجل طلق نساءه: لترجعن نساءك وإلا فإن مت لأرجمن قبرك كما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال. وأبو رغال بكسر الراء والمغمس بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الميم الثانية المشددة أو كسرها مكان في طريق الذاهب إلى الطائف من مكة اهـــ.

وفي ((البداية والنهاية)) ج ١ ص ١٣٧: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبي رغال فقال: أتدرون من هذا ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: هذا قبر أبي رغال رجل من ثمود، كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا، ودفن معه غصن من ذهب، فنـــزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن اهـــ.

قلت: ولا يخفى ما بين الروايتين من التعارض فالله أعلم بأيهما أصح .

وكذلك قبور سائر الكفار فلا تقصد إلا للتذكر والاعتبار، بل اختلفوا في حكم زيارتـــها لذلك، فمنعها بعضهم وأباحها آخرون. فشتان ما بين قبر يرجم وبين قبر يتبرك به .

وقال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) ج ١ص ١٢١: أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري الضرير قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور، قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت عبد الله بن موسى الطلحي يقول: سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت أن يخسف بأهلها فقال: ارجع ولا تخف، فإن فيها قبورا أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا. قلت: من هم؟ قال: هم الإمام أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي ، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار، فرجعت وزرت القبور و لم أخرج تلك السنة، ثم قال الشيخ أبو بكر الخطيب: أما قبر معروف فهو في مقبرة باب الدير، وأما الثلاثة الآخرون فقبورهم بباب حرب اهـــ. وهذا يشهد ما ذكروه من أن لأهل الخير تصرفات وبركات في برازخهم، وروى الخطيب أيضا ج١ص١٢٣ أن في بغداد مقابر مخصوصة بالعلماء والزهاد ، منها مقابر "باب البردان" وفيها جماعة من أهل الفضل ، وعند المصلى بصلاة العيد قبر يعرف بقبر النذور يتبرك الناس بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته. حدثني القاضي أبو القاسم على ابن المحسّن التنوخي قال: حدثني أبي قال: كنت جالسا بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد من مدينة السلام "بغداد" نريد الخروج معه إلى همذان، فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور ، فقال لي: ما هذا البناء ؟ فقلت: هذا مشهد النذور ، يقال: إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال: إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وإن بعض الخلفاء أراد قتله خفيّا ، فجعل له هنالك زبية وسيّر عليها وهو لا يعلم ، فوقع فيها وهيل عليه التراب حيا، وإنما شهر بقبر النذور لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح ، وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر ، وأنا أحد من نذر له مرارا لا أحصيها كثرة نذورا على أمور متعذرة، فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبل عضد الدولة هذا القول، وتكلم بما دل أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقا فيتسوق العوام بأضعافه ويسيّرون الأحاديث الباطلة فيه فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع ، فدخله وزار القبر، وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد. ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أياما ، ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان ، فبلغناها وأقمنا فيها معه شهورا ، فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي : ألست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى ! فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتمادا لإحسان عشرتك ، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمُدَيْدَةٍ طرقني أمر خشيت أن يقع، وأعملت فكري في الاحتيال لزواله، فلم أجد لذلك فيه مذهبا، فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور، فقلت : لم لا أجرب ذلك ؟ فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاح، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف يعني كاتبه أن يكتب إلى أبي الريان وكان خليفته ببغداد يحملها إلى المشهد ثم التفت إلى عبد العزيز وكان حاضرا فقال له عبد العزيز : قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب.

ثم ذكر الخطيب طريقين آخرين حكى فيهما أن صاحب قبر النذور هو عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وليس هو بعبيد الله بن محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب اهـ. والزبية كما في القاموس حفرة تحفر للأسد اهـ .

قلت : كان علي بن المحسن من مشايخ الخطيب البغدادي ، وقال فيه الخطيب : كان محتاطا صدوقا في الحديث ومات سنة ٤٤٧هـ وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٧ص ٦٤٩: كان أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي عالما معمرا وروى شيئا كثيرا اهـ.

وأما أبوه محسن بن على قال فيه الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٦ ص ٥٢٤: كان قاضيا علامة أديبا صاحب تصانيف وكان سماعه صحيحا. توفي سنة ٣٨٤ هـ انتهى، وترجم له ابن

العماد في ((شذرات الذهب)) ترجمة حسنة. فيعلم بما ذكرناه درجة هذا الإسناد الذي روى به الخطيب البغدادي بقصة قبر النذور.

وقال الحافظ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي في ((صفة الصفوة)) ج٤ص ١٦: عن مالك بن دينار قال: احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوما بعد يوم نستسقي فلم نر أثرًا لإجابة، فخرجت أنا وعطاء السليمي وثابت البُناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرون حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثرا لإجابة ، وانصرف الناس، وبقيت أنا وثابت في المصلى، فلما أظلم الليل إذًا بأسود دقيق الساقين، فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء فقال : سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لاينقصك، أقسمت عليك بحبك لي إلا ماسقيتنا غيثك الساعة الساعة، فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القِرَب، فماخرجنا حتى خضنا الماء، فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت: أما تستحيي مما قلت ؟ قال: وما قلت ؟ قلت: قولك: بحبك لي، وما يدريك أنه يحبك ؟ قال: تنح عن همتي يامن اشتغل عنه بنفسه أين كنتُ أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته؟ أتراه بدأني بذلك إلا لمحبته لي؟ ثم بادر يسعى فقلت: أرفق بنا قال: أنا مملوك عليّ فرض من طاعة مالكي الصغير، فدخل دار نخّاس فلما أصبحنا أتيت النخّاس فقلت له: عندك غلام تبيعنيه للخدمة؟ قال: نعم، عندي مائة غلام، فجعل يخرج إليّ واحدا بعد واحد وأنا أقول غير هذا إلى أن قال: مابقي عندي أحد، فلما خرجنا إذا الأسود قائم في حجرة خربة فقلت: بعني هذا قال: هذا غلام مشؤوم لاهمة له إلا البكاء، فقلت: ولذلك أريده فدعاه وقال لي: خذه بماشئت بعد أن تبرئني من عيوبه، فاشتريته بعشرين دينارا، فلما خرجنا قال: يامولاي لماذا اشتريتني؟ قلت: لنخدمك نحن قال: ولم ذاك ؟ قلت: أليس أنت صاحبنا البارحة في المصلى؟ قال: وقد اطلعت على ذلك؟ فجعل يمشي حتي دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال: إلهي وسيدي سِرّ كان بيني وبينك أظهرتَه للمخلوقين، أقسمت عليك إلا قبضت روحي الساعة. فإذا هو ميّت، فبقبره نستسقي ونطلب الحوائج إلى يومنا هذا، انتهى بحذف يسير.

وكم من إمام جليل وعالم نبيل وسائح في مشارق الأرض ومغاربها ذكر في كتبه كثيرا من القبور المباركة كالحافظ الكبير ابن عساكر، فإنه عقد بابا ذكر فيه فضل مقابر دمشق في كتابه ((تاريخ دمشق)) كما ذكره الشيخ عبد القادر بدران في ((تهذيب تاريخه))، فمما قال فيه: إن في الشام قبورا كثيرة من قبور الانبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال: يروى عن عبد الله بن سلام أنه كان يقول: إن بالشام من قبور الأنبياء ألفي قبر وسبعمائة قبر . وقال ابن عباس : من

أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون فليأت مقبرة الفراديس، وهي مقبرة دمشق، وفيها قبور جماعة من الصحابة الأخيار، ثم ذكر ما جاء في فضل المقابر التي بدمشق من الأخبار، ومَدَحَ الأمير أبو الفضل إسماعيل بن الامير أبي العساكر سطان بن علي بن منقذ الكناني بلدة ((دمشق)) بقصيدة طويلة ذكر فيها محاسنها مفصلة. فمما قال فيها :

ذو ربوة جاء القران بذكرها ومساجد بركاتـــها لـــن تجهلا

ومدارس لم تأتـــها في مشكل إلا وجدت فتى يـــحل المشكلا

وأئمة تلقي الدروس وسادة تشفي النفوس وداؤها قد أعضلا

وقبور قوم من دعا في مطلب متعسر أضـــحى بـــها متسهلا

من صالحين وتابعين وزمرة شهداء شاهـــدت النبي المرسلا

وعقد جمال الدين محمد جار الله بن محمد في الجامع اللطيف ص ٣٤٧ بابا للمقابر المباركة التي تزار بمكة وقربـــها فقال: منها مقبرة المعلاة لما قد حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين وأفضل شعابـــها الشعب الذي يقال: إن فيه قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها و لم يرد ما يعتمد عليه في ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: نعم الشعب ونعم المقبرة أخرجه الأزرقي .

وری أبو سعد بن السمعاني في تاريخه عن أبي نصر محمد بن إبراهيم الاصبهاني أنه رأى في المنام كأن إنسانا مدفونا في المعلاة أستُخْرِجَ ومرّوا به إلى موضع آخر قال: فسألت عن حاله فقالوا: هذه المقبرة منـــزهة عن أهل البدعة لا تقبل أرضها مبتدعا .

ونقل عن الشيخ خليل المالكي رحمه الله أن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن، بالمعلاة عند قبور سماسرة الخير وعند قبر الشولي وعند قبر إمام الحرمين عبد المحسن بن أبي عبد الحميد أقول: قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التي يقصّر منها القصارون الثياب الآن وقبر الشولي وإمام الحرمين معروفان اهـــ

وذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة كثيرا من القبور المباركة . فقد عقد بابا للمشاهد المباركة بالبصرة ص ١٨٣ ثم قال: منها مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة ، وعليه قبة ومسجد وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر ، وأهل البصرة يعظمونه تعظيما شديدا وحق له .

ومنها مشهد زبير بن العوام رضي الله عنه وهو بخارج البصرة ، وله مسجد وزاوية فيها طعام لأبناء السبيل.

ومنها قبر حليمة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .

ومنها قبر أبي بكرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قبة .

وعلى ستة أميال منها قبر أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها قبر الحسن بن أبي الحسن البصري سيد التابعين، وقبر محمد بن سيرين، وقبر محمد بن واسع وقبر عتبة الغلام وقبر مالك بن دينار وقبر حبيب العجمي وقبر سهل بن عبد الله التستري.

وعلى كل قبر منها مكتوب فيه اسم صاحب القبر ووفاته .

وبـــها سوى ذلك قبور الجم الغفير من الصحابة والتابعين.

وقال ابن بطوطة أيضا في موضع آخر من ((رحلته)) ص ٢٠٧ : ومن مشاهد مدينة "شيراز" مشهد ابن موسى أخي علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهو مشهد معظم عند أهل شيراز يتبركون به ويتوسلون إلى الله تعالى بفضله ، والقراء يقرأون القرآن على التربة دائما، ويجتمع في هذا المشهد في كل ليلة إثنين القضاة والفقهاء والشرفاء.

وفيها مشهد الإمام القطب الولي أبي عبد الله بن خفيف المعروف عندهم "بالشيخ " وهو قدوة بلاد فارس كلها، ومشهده معظم عندهم يأتون إليه بكرة وعشيا فيتمسحون به، وقد رأيت القاضي مجد الدين أتاه زائرا واستلمه ، ويجتمع به القضاة والفقهاء، ويفعلون به كفعلهم في مشهد أحمد بن موسى، وقد حضرت الموضعين جميعا.

استحباب الدعاء عند القبور

قال النووي في ((الأذكار)): ويستحب للزائر الإكثار من قراءة القرآن والذكر والدعاء لأهل تلك المقبرة وسائر الموتى والمسلمين أجمعين.

قال أيضا في ((الأذكار)): يستحب الإكثار من الزيارة وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل، روينا في صحيح مسلم عن عائشة أنـــها قالت: كيف أقول يارسول الله تعني في زيارة القبور؟، قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم ومنّا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

قال ابن علان: قال في السلاح: ورواه النسائي، وزاد فيه أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون اللهم لاتحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم.

وقال النووي في ((الأذكار)) أيضا: روينا في صحيح مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية . وروينا في كتاب ابن السني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى البقيع فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تضلنا بعدهم اهـــ .

قال ابن علان: قال الحافظ: هذا حديث حسن أخرجه أحمد وابن ماجه .

ففي هذه الأحاديث استحباب دعاء الزائر لنفسه وللأموات وللمسلمين أجمعين .

إجابة الدعاء عند قبور الصالحين وفي بعض المواضع المباركة

قال إمام القراء الحافظ ابن الجزري في مبحث أماكن إجابة الدعاء من كتاب ((حصن الحصين من كلام سيد المرسلين)) ص٦: قال الحسن البصري رحمه الله في رسالته إلى أهل مكة : إن الدعاء يستجاب هناك في خمسة عشر موضعا في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي المسعى، وخلف المقام، وفي عرفات، والمزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاثة، قلت: وإن لم يُجَبِ الدعاءُ عند النبي صلى الله عليه وسلم ففي أي موضع؟!! انتهى بلفظه.

وقال الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) : إن الدعاء يستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين. وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في تبرك قبر ابن لال وقبر الأردستاني .

ويأتي إن شاء الله كثير من قبور الأولياء تنال بزيارتـــها الآمال، وتقصد إليها عند تراكم الهموم واشتداد الكروب، فيقضى الله سبحانه وتعالى حاجات القاصدين إليها، وتحصل لهم البركات والأمداد.

وفي ((المدخل)) لابن الحاج ج ١ ص٢٥٥ : وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر مشرقا ومغربا يتبركون بزيارة قبور الصالحين، ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى، وقد ذكرالشيخ الإمام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله في كتابه المسمى ((سفينة النجاء لأهل الالتجاء في كرامات الشيخ أبي النجاء)) في أثناء كلامه على ذلك ما لفظه : تحقق لذوي البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتـــهم كما كانت في حياتـــهم ، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بـــهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين اهـــ. وقال ابن الحاج أيضا في موضع آخر قبيل هذا بقليل : ويدعو الزائر عند هذه القبور يعني قبور الصالحين عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين، ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه وعنهم اهـــ .

قلت: وهذا ما رأيناه من العلماء والمشايخ الذين أدركناهم فقد كانوا يقصدون عند الشدائد والأزمات إلى قبور الصالحين، فيقرأون عندها ما تيسر من القرآن ويهدون ثوابه إليهم، ويسألون الله تعالى حوائجهم.

وقال إمام القراء الحافظ الشهير محمد بن محمد الجزري الشافعي في ((عدة حصن الحصين)) في فصل عقده لأماكن الإجابة التي هي المواضع المباركة : وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة .

وذكر أن الدعاء يستجاب أيضا عند رؤية الكعبة، وعند قبور الأنبياء عليهم السلام، وأنه لا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا صلى الله عليه وسلم بالإجماع ، وقبر إبراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين .

وقال أيضا: جرب إجابة الدعاء في مواضع كثيرة مشهورة كالمساجد الثلاثة، وبين الجلالتين من سورة الأنعام، وفي الطواف وغير ذلك اهـــ . وقال الشوكاني في ((تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين)) ص٧١- ٧٢: أقول: وجه ذلك-أي إجابة الدعاء عند قبور الصالحين- أنه يكون في هذه المواضع المباركة مزيد اختصاص، فقد يكون ما لها من الشرف والبركة مقتضيا

لعود بركتها على الداعي فيها، وفضل الله واسع وعطاؤه جم ، وقد تقدم حديث هم القوم لا يشقى بـــهم جليسهم، فجعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم، وإنما عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم، فلا يبعد أن تكون المواضع المباركة هكذا، فيصير الكائن فيها الداعي لربه عندها مشمولا بالبركة التي جعلها الله فيها، فلا يشقى حينئذ بعدم قبول دعائه اهـــ بلفظه.

وذكر الشوكاني أيضا ص٧٤ أن بركة المكان تسري على الداعي كما تسري بركة الصالحين الذاكرين الله سبحانه على من دخل فيهم ممن ليس هو منهم كما يفيده قوله صلى الله عليه وسلم"هم القوم لا يشقى بـــهم جليسهم" اهـــ .

وقال ابن الجزري في ((الحصن الحصين)) أيضا: يستجاب الدعاء بين الجلالتين في الأنعام،حفظنا ذلك مجربا عن غير واحد من أهل العلم، ونص عليه الحافظ عبد الرزاق في تفسيره عن الشيخ العماد المقدسي اهـــ .

وفي ((القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع)) للحافظ السخاوي ص١٢٣ : ويروى في بعض الأخبار مما حكاه أبو حفص عمر بن الحسين السمرقندي في كتابه ((رونق المجالس)) أنه كان بمدينة "بلخ" رجل تاجر كثير المال، وكان له ابنان، فتوفي الرجل وقسم ابناه المال بينهما نصفين، وكان في الميراث الذي خلفه أبوهما ثلاث شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فأخذ كل واحد منهما شعرة وبقيت شعرة واحدة بينهما فقال أكبرهما: نجعل الشعرة الباقية نصفين، فقال الآخر: لا، والله بل النبي صلى الله عليه وسلم أجل من أن يقطع شعره، فقال الكبير للأصغر: تأخذ هذه الثلاث شعرات بقسطك من الميراث ؟ فقال: نعم، فأخذ الكبير جميع المال وأخذ الصغير الشعرات فجعلها في جيبه، وصار يخرجها ويشاهدها ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويعيدها إلى جيبه، فلما كان بعد أيام فني مال الكبير وكثر مال الصغير فعاش أياما وتوفي، فرآه بعض الصالحين في النوم، ورأى النبي فقال له : قل للناس: من كانت له إلى الله حاجة فليأت قبر فلان هذا ويسأل الله قضاء حاجته، فكان الناس يقصدون قبره حتى بلغ إلى أن كل من عبر على قبره راكبا ينـــزل ويمشي راجلا اهـــ .

فإذا ثبت وتحقق أن في زيارة قبور الصالحين والأولياء خيرا كثيرا وأجرا جزيلا، أحببت أن أذكر بعض القبور التي يستجاب الدعاء عندها وتستنـــزل الرحمة بالوقوف لديها، وتنال الرغبات والمأمولات بزيارتـــها ، ليعلم أن طلب الحوائج من الله تعالى عند قبور الصالحين أمر شائع في جميع البلاد والأقطار من عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا القرن الخامس عشر الهجري،

وذلك إقناعا لمن ألقيت في قلوبـــهم الشكوك والأوهام الباطلة، وأرتبها بترتيب وَفَيَاْتِ أصحاب تلك القبور وعلى الله اعتمادي والتكلان .

التبرك بقبر نبي الله شعيب صلى الله على نبينا وعليه وسلم

قال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)): قال السمعاني في ((الأنساب)): قبر نبي الله شعيب صلى الله عليه وسلم في "حطّين" وهي قرية بساحل الشام. وهذا الذي قاله السمعاني مشهور معروف عند أهل بلادنا وعلى قبره بناء وعليه وقف ويقصده الناس من المواضع البعيدة للزيارة والتبرك اهـــ.

قال ((في معجم البلدان)): حطين بكسر أوله وثانيه وياء ساكنة ونون قرية بين أرسوف وقيسارية وبـــها قبر شعيب عليه السلام كذا قال الحافظان أبو القاسم الدمشقي وأبو سعد المروزي. وقال عز الدين بن الأثير في ((اللباب في تـــهذيب الأنساب)): إن حطّين التي بـــها قبر شعيب ليست بين "أرسوف" و"قيسارية"، إنما هي قرية بين "طبرية" و"عكا" .

قلت: ومقتضى كلام النووي رحمه الله أن قبر نبي الله شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام معروف بعينه، وهذا مخالف لما تقدم آنفا من ابن الجزري، وما قاله الحافظ الجزري هو المشهور الراجح المعتمد، فقد قال الإمام السبكي في ((شفاء السقام)) ص١٣٢: ليس لنا قبر مقطوع به إلا قبره صلى الله عليه وسلم اهـــ أي ليس لنا قبر من قبور الأنبياء يقطع بموضعه ويعرف بعينه. ونسبوا إلى الشيخ ابن حجر الهيتمي أنه قال:

و لم تعلم مقابرهم بأرض يقينا غير ما سكن الرسول

يعني لم يعلم يقينا قبر نبي من قبور الأنبياء بعينه إلا قبر نبينا صلى الله عليه وسلم والله أعلم .

التبرك بقبور بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم

التبرك بقبر أم حرام بنت ملحان

وفي ((فتح الباري)) ج١١ص٧٦ أخرج الطبري من طريق الواقدي أن معاوية رضي الله عنه صالحهم بعد فتح "قبرس" على سبعة آلاف دينار في كل سنة، فلما أرادوا الخروج منها قربت لأم حرام دابة لتركبها فسقطت فماتت، وكان ذلك سنة ٢٨ على الأصح فقبرها هناك يستسقون به ويقولون: قبر المرأة الصالحة اهـــ .

وفي كتاب ((التأمل في حقيقة التوسل)) ص٣٥٩ روى ابن عساكر عن أبي نعيم الحافظ قال: أم حرام بنت ملحان الأنصارية خالة أنس بن مالك كانت تحت عبادة بن الصامت، وخرجت معه

في بعض غزوات البحر وماتت بالشام وقبرت "بقبرس"، وقَصَتْهَا بغلتها فماتت، وأهل الشام يستسقون بـــها يقولون: قبر المرأة الصالحة اهـــ

التبرك بقبر أبي أيوب الأنصاري

وفي ((أسد الغابة)) لابن الأثير ج٢ص٨٢ و ((شذرات الذهب)) لابن العماد الحنبلي ج١ص٥٧ عند ترجمة أبي أيوب الأنصاري: توفي أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد سنة ٥١- أو٥٢ بالقسطنطينية، وهم محاصرون لها، وقبره تحت سورها يستسقى به ويتبرك . واللفظ لابن العماد.

التبرك بقبر الحسين بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته

قال الإمام النووي رحمه الله في ((تـــهذيب الأسماء واللـــغـــات)) ج١ص١٦٦: ولد الحسين رضي الله عنه لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، قال الزبير بن بكار وغيره: قال جعفر بن محمد: لم يكن بين الحمل بالحسين وولادة الحسن إلا طهر واحد . وقال الزبير بن بكار: حدثني مصعب قال: حج الحسين خمسا وعشرين حجة ماشيا قالوا : وكان الحسين رضي الله عنه فاضلا كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها . قتل رضي الله عنه يوم الجمعة وقيل : يوم السبت يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق ، وقبره مشهور يزار ويتبرك به .

التبرك بقبر سلمان بن ربيعة

ذكر الشيخ عبد القادر بدران في ((تـــهـــذيب تاريـــخ دمشـــق الكبـــير)) للحافظ ابن عساكر ج٦ص٢١٢: أن سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو أبا عبد الله الباهلي شهد فتوح الشام ثم سكن العراق، وولاّه عمر رضي الله عنه قضاء الكوفة ثم ولي غزو أرمينية في خلافة عثمان فقتل بـــ"بلنجر" سنة ٢٩ ويقال ٣٠ ويقال ٣١ ويقال: إن له صحبة، وقال أبو حاتم: كانت له صحبة ، وعده ابن سعد من الصحابة مرة ومن التابعين مرة ثانية، قال يحيى بن معين: هو تابعي من أهل الكوفة ، وقال ابن إسحاق: ذكره البخاري في الصحابة ولا يصح ، وكان فارس البأس يوم القادسية، قال العجلي: سلمان بن ربيعة كوفي ثقة تابعي وكان من كبار التابعين ، ثم ذكر الشيخ بدران أن قبره بـــ"بلنجر" وأن الناس يستسقون به وفي ذلك يقول ابن جمانة الباهلي:

وإن لـــنـــا قـــبرين قبرَ بَلَنْجـــَرٍ   وقبرا بأعلى الصين يا لك من قبر

والقبر الذي بالصين قبر قتيبة بن مسلم بفرغانة فجعله الشاعر بالصين، وبلنجر بلد بأرمينية.

وفي ((اللباب)) البلنجري بفتح الموحدة واللام والنون الساكنة والجيم المفتوحة وفي آخرها الراء.

التبرك بقبر سعيد بن جبير التابعي الجليل

وفي ((شذرات الذهب)) لابن العماد الحنبلي ج ١ ص ١١٠ أن الحجاج قتل سعيد بن جبير سنة ٩٥ هـــ وعمره ٤٩ سنة ، وقبره بواسط يتبرك به.

التبرك بقبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

قال الإمام النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) ج ٢ ص ٣٣٧: ولد عمر بن عبد العزيز بمصر سنة إحدى وستين، وتوفي يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة، وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، وقبره بـــ"دير سمعان" مشهور يزار ويتبرك، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر نحو خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وأوصى عمر بن عبد العزيز أن يدفن معه شيء كان عنده من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وأظفار من أظفاره، وقال: إذا مت فاجعلوه في كفني، ففعلوا ذلك. وأجمعوا أن أمه أم عاصم صفية بنت العا صم بن عمر ابن الخطاب، وقال سفيان الثوري الخلفاء خمسة وهم الأربعة المعروفة وعمر بن عبد العزيز وهو مجدد الدين في المائة الأولى.

وفي ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) أيضا أن مجدد المائة الثانية الإمام الشافعي ، والثالثة ابن سريج أو أبو الحسن الأشعري والرابعة أبو الطيب سهل الصعلوكي، وقيل ابن الباقلاني، وقيل أبو حامد الإسفراييني، وفي الخامسة أبو حامد الغزالي اهـــ . وقد ذكرنا ذلك أطول من هذا في باب التبرك بمجالسة الصالحين .

وفي ((التهذيب)) أيضا : عن يوسف بن ما هك قال: بينما نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز سقط علينا رق من السماء، مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر ابن عبد العزيز من النار اهـــ .

وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج٥ص ١٣٧ قال مكحول: لو حلفت أني ما رأيت أزهد ولا أخوف من عمر بن عبد العزيز لصدقت.

وكان عمر بن عبد العزيز عظيم المحبة والتوقير والإحترام لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان كثير البكاء، من خشية الله عز وجل ، ففي (سير أعلام النبلاء) ج٥ص ١٤١ و (صيد الخاطر)) لابن الجوزي ص٣٧٢ أن عمر بن عبد العزيز قيل له: تدفن في الحجرة الشريفة، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إليّ من أن أرى نفسي أهلا لذلك. وفي ((سير أعلام النبلاء)) أيضاج٥ص١٣٧ كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده ثم يرفع يديه فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه يفعل ذلك ليله أجمع .

وفي ((تنبيه المغترين)) ص٦٧ كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله إذا غلبه النوم يقوم فيجول في الدار وينشد قوله :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المحلين تنـــزل .

وكان رحمه الله يتمثل بـــهذه الأبيات كما في ((صفة الصفوة)) ج٢ص١٢٤-١٢٥ :

أيقـــظان أنت اليـــوم أم أنت نائم وكيف يطـــيق النوم حيران هائم

فلـــو كنت يقـــظان الـــغداة لحَرّقت مدامـــعَ عينيك الدموعُ السواجم

بلِ اصْبحتَ في النوم الطويل وقد دنت إليك أمـــور مفظعات عـــظائم

نـــهارك يا مغـــرور سهو وغـــفـــلة وليلك نـــوم والـــردى لك لازم

يغـــرك مـــا يفـــنى وتُشْغـــَلُ بالمنى كما غُرَّ في اللذات في النوم حالم

وتُشغَـــلُ فيمـــا سوف تكـــره غِبَّه كذلك في الدنيا تعيش البـــهائم

التبرك بقبر زيد بن علي

قال الشيخ محمد بن علي الصبان في ((إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى)) ص ٢٤٤ في ترجمة زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: قال بعضهم: الدعاء عند قبره مستجاب والأنوار ترى عليه. وفي ((الخطط)) للمقريزي ما يوافقه. وتوفي رحمه الله كما في ((سير أعلام النبلاء)) سنة ١٢٢هـــ.

التبرك بقبر أبي حنيفة رحمه الله

قال الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) : أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري قال: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال: نبأنا مكرم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم، قال: نبأنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرا، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى.

وذكر الشيخ أحمد بن محمد ابن محمد بن علي بن حجر شهاب الدين أبو العباس المشهور بابن حجر الهيتمي في كتابه ((الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان))ص٩٤ أن الإمام الشافعي تبرك بقبر الإمام أبي حنيفة رحمهما الله، وعبارته: الفصل الخامس والثلاثون في تأدب الأئمة مع أبي حنيفة في مماته كما هو في حياته وأن قبره يزار لقضاء الحوائج: اعلم أنه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك. منهم الإمام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد، فإنه جاء عنه أنه قال: إني لأتبرك بأبي حنيفة

وأجيء إلى قبره فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا، وتأتي عبارته بكمالها في باب التوسل.
وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٦ ص٤٠٣: توفي الإمام أبو حنيفة سنة ١٥٠هـ وله سبعون سنة وعليه قبة فاخرة ومشهد فاخر ببغداد. وقال ابن بطوطة في ((رحلته)): على قبر أبي حنيفة قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للصادر والوارد، وليس ببغداد اليوم زاوية فيها الطعام ما عدا هذه الزاوية.

التبرك بقبر موسى الكاظم

وفي ((الأنوار السنية على الوظيفة الزورقية)) ص ٢٣٩ للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن زيد العياشي ما لفظه: قال الشافعي رحمه الله تعالى: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب. قلت: هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) وابن الجوزي في ((صفة الصفوة)): توفي رحمه الله سنة ١٨٣هـ وفي ((نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار)) للشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن ص ١٦٤: أن الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله القاطع نهاره صائما موسى الكاظم، كان معروفا عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به .
وفي ((إسعاف الراغبين)) لمحمد بن على الصبان ص٢٤٦: أن موسى الكاظم كان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله. وقال ابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) ج٥ص٣١٠: وقبره مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم فيه القناديل والفرش .

التبرك بقبر أبي محفوظ بن الفيرزان وقيل: الفيروز وقيل: الفيروزان الكرخي

قال الحافظ ابن الجوزي والحافظ الذهبي والحافظ أبو عبد الرحمن السلمي في ((طبقات الصوفية)) ص ٨٥ وابن خلكان وغيرهم: إن قبر معروف الكرخي يتبرك به وهو الترياق المجرب، وقال الخطيب في ((تاريخ بغداد)) ج ١- ١٢٢- ١٢٣ : أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري قال: أنبأنا محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا علي الصفار يقول: سمعت إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرب. وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي قال: نبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري قال سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ويقال :إنه من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته. حدثنا أبو عبد الله

محمد بن علي بن عبد الله الصوري قال: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن جميع يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه اهـــ.

وفي ((تاريخ بغداد)) أيضا ج١٣ص ١٩٩-٢٠٩ : كان أبو محفوظ معروف الكرخي أحد المشتهرين بالزهد، يتبرك بلقائه العارفون، وكان يوصف بأنه مجاب الدعوة.

وعن إسمعيل بن شداد قال: قال لنا سفيان بن عيينة: من أين أنتم؟ قلنا: من أهل بغداد، قال: ما فعل ذاك الحبر الذي فيكم ؟ قلنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف، قال: قلنا: بخير، قال: لايزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم. والصحيح أنه مات في سنة ٢٠٠ ، وقيل: سنة ٢٠٤ وقبره ظاهر معروف ويزار اهـــ.

وفي ((صفة الصفوة)) ج٢ص٣٢٣ قال أحمد بن الفتح: رأيت بشر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت له : يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأباحني الجنة باسرها، وقال لي: كل من جميع ثمارها واشرب من أنـــهارها وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا، فقلت له : فأين أخوك أحمد بن حنبل قال: هو قائم على باب الجنة ليشفع لأهل السنة ممن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقلت له: فما فعل معروف الكرخي فحرك رأسه ثم قال لي: هيهات، حالت بيننا وبينه الحجب إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولا خوفا من ناره وإنما عبده شوقا إليه، فرفعه الله إلى الرفيق الأعلى، ورفع الحجب بينه وبينه، ذاك الترياق المقدس المجرب، فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع فإنه يستجاب له إن شاء الله تعالى اهـــ.

وذكر أيضا رؤيا أحمد بن الفتح الحافظ ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)). كما في ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) ج٣ص٢٤٥ وقال الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٩ ص٣٤٣: وعن إبراهيم الحربي قال: قبر معروف الترياق المجرب. قلت: وإبراهيم الحربي حافظ صدوق ورع زاهد إمام في علوم كثيرة مثل الفقه والحديث واللغة والأدب، وسيأتي إن شاء الله قريبا شيء يسير من ترجمته .

وفي ((وفيات الأعيان)) ج ٥ ص ٢٣٢: كان معروف مشهورا بإجابة الدعوة وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون: قبر معروف ترياق مجرب، وقال يوما لتلميذه السري السقطي: إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى فاقسم عليه بي. والترياق بكسر التاء الدواء كما في ((القاموس)).

وقال الشعراني في ((الطبقات الكبرى)) ج١ص٦١: كان معروف مجاب الدعوة وقبره ظاهر يزار ليلا ونـــهارا ويستسقى به اهــ .

فالحاصل أن الحفاظ الخمسة إبراهيم الحربي، وأبا عبد الرحمن السلمي، والخطيب البغدادي، وابن الجوزي، والذهبي، والشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، متفقون كلهم على أن ضريح معروف الكرخي ترياق مجرب، وأنه يزار ويتبرك به، وذكر مثل هذا أيضا المرتضى الزبيدي في شرح ((الإحياء)). وقد كان معروف إماما معظما وسيدا مبجلا ، قال الغزالي في ((الإحياء)): كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يترددان إليه، ولم يكن في علم الظاهر بمنـــزلتهما، وكانا يسألانه. وقال الخطيب في ((تاريخ بغداد)) والذهبي في ((سير أعلام النبلاء)): ذكر معروف الكرخي عند الإمام أحمد فقيل: قصير العلم ، فقال: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف. وقال الزبيدي في ((شرح الإحياء)) نقلا عن صاحب ((قوت القلوب)): إن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: بلغني أنك تختلف إلى معروف أكان عنده حديث؟ فقال: يا بني عنده رأس الأمر تقوى الله عز وجل اهــ. ومثله في ((تاريخ بغداد)) للخطيب .

التبرك بقبر السيدة نفيسة رضي الله عنها

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٠ص١٠٦-١٠٧: إن السيدة نفيسة هي المكرمة الصالحة ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن السيد سبط النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما، قيل: كانت السيدة نفيسة من الصالحات العوابد، والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين، وفي المشاهد ، وعرفة، ومزدلفة، وفي السفر المباح، وفي الصلاة، وفي السحر، ومن الأبوين، ومن الغائب لأخيه، ومن المضطر ، توفيت بمصر في شهر رمضان سنة ٢٠٨هــ. وفي ((الزرقاني شرح المواهب اللدنية)) ج ٤ص ٣٤٠ لما ماتت السيدة نفيسة بمصر أراد زوجها إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين نقلها ودفنها بالبقيع، فسأله أهل مصر في تركها للتبرك، ويقال : بل رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال له: يا إسحاق لا تعارض أهل مصر في نفيسة فإن الرحمة تنـــزل عليهم ببركتها اهــ. و في ((طبقات الشعراني)) ج ١ص ٥٨ لما دخل الإمام الشافعي مصر كان يتردد إليها ويصلي بـــها التراويح في رمضان بمسجدها.

وقال الشيخ محمد الصبان في ((إسعاف الراغبين)): قبر السيدة نفيسة معروف بإجابة الدعاء. وقال ابن خلكان في((وفيات الأعيان)) ج ٥ ص ٤٢٤: وقبر السيدة نفيسة معروف بإجابة

الدعاء عنده ، وهو مجرب توفيت سنة ٢٠٨هـــ ولما توفي الإمام الشافعي رضي الله عنه أدخلت جنازته إليها، وصلت عليه في دارها اهـــ.

التبرك بقبر الإمام البخاري رحمه الله تعالى

وفي ((سير أعلام النبـــلاء)) ج ١٢ ص٤٦٩ للحافظ الذهبي، و((طبقـــات الشافعية)) لابن السبكي ج٢ص١٥ و((إرشاد الساري شرح صحيح البخاري)) للحافظ القسطلاني وغيرهم أن الناس قحطوا فخرجوا إلى قبر الإمام البخاري فاستسقوا عنده وتشفعوا به فسقاهم الله ، وعبارة الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) قال أبو علي الغساني: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السمرقندي قدم علينا "بَلَنْسِية" عام أربعة وستين وأربعمائة قال : قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام فاستسقى الناس مرارا فلم يسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند فقال له: إني رأيت رأيا أعرض عليك قال : وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وقبره بـــ"خرتنك" ونستسقي عنده فعسى الله أن يسقينا، قال القاضي: نعم ما رأيت ، فخرج القاضي والناس معه واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين خرتنك وسمرقند نحو ثلاثة أميال اهـــ. وخرتنك بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الفوقية وسكون النون بعدها كاف. و"بلنسية" بفتح الباء واللام وسكون النون بلدة شرقي الأندلس من بلاد المغرب اهـــ كما في ((اللباب لابن الأثير)) وفي ((سير أعلام النبلاء)) و((طبقات الشافعية)) أن محمد بن أبي حاتم قال: سمعت أبا منصور غالب بن جبريل، وهو الذي نزل عليه البخاري، أن أبا عبد الله البخاري أقام عندنا أياما فمرض واشتد به المرض وتوفي، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك فدام ذلك أياما، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره فجعل الناس يختلفون ويتعجبون، وأما التراب فإنـــهم كانوا يرفعون على القبر حتى ظهر القبر، ولم يكن يقدر على حفظ القبر بالحراس، وغلبنا على أنفسنا فنصبنا على القبر خشبا وشبكا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر، فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب ولم يكونوا يخلصون إلى القبر، وأما الريح الطيبة فإنـــها تداوم أياما كثيرة حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخرج بعضهم إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة اهـــ. ومثله في ((المرقاة)) و((إرشاد الساري)) وعبارة ((المرقاة)) ج١ص١٥-١٦: ولما وضع البخاري في حفرته فاح من تراب قبره رائحة

طيبة كالمسك، وجعل الناس يختلفون إلى قبره يأخذون من تراب قبره ويتعجبون من ذلك. ونص عبارة ((إرشاد الساري)) ج١ص١٣٩: ولما صلي على الإمام البخاري ووضع على حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أياما وجعل الناس يختلفون إلى قبره مدة يأخذون منه.

وذكر الحافظ العسقلاني أخذ تراب قبر البخاري أيضا في مقدمة الفتح ص٤٩٣

وقال الذهبي: أوصى غالب بن جبريل أن يدفن إلى جنب البخاري ولم يعش بعده إلا قليلا، توفي الإمام البخاري رحمه الله تعالى ليلة السبت ليلة الفطر سنة ٢٥٦هـــ .

قلت: قوله سواري بيض: كذا في نسخ بإثبات الياء ، والذي في ((القاموس)) : السارية السحاب يسري ليلا وجمعه سوار، وفي ((المصباح)) السارية السحابة تأتي ليلا، وهي اسم فاعل، والسارية الأسطوانة والجمع سوار مثل جارية وجوار .

التبرك بقبر الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله

وفي ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للشيخ ملا على بن سلطان القارئ ج ١ص ١٨: قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح المسمى بـــ((تصحيح المصابيح)): إني زرت قبر الإمام مسلم بنيسابور وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن والتبرك عند قبره، ورأيت آثار البركة ورجاء الإجابة في تربته، وتوفي رحمه الله سنة ٢٦١. وفي ((الجرداني شرح الأربعين النووية)) أن قبر الإمام مسلم يزار ويتبرك به اهـــ.

التبرك بقبر بكار بن قتيبة بن أسد رحمه الله

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٢ ص ٦٠٣: قال ابن خلكان : كان بكار بن قتيبة تاليا للقرآن بكاء صالحا دينا، وقبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده ، توفي رحمه الله سنة ٢٧٠ هـــ وعاش ٨٩ سنة، وكان فقيها محدثا علامة حنفيا، وكان قاضي القضاة بمصر.

التبرك بقبر الإمام أبي إسحاق إبراهيم الحربي

قال ابن الجوزي في ((صفة الصفوة)) ج ٢ ص ٤١٠: توفي أبو إسحاق إبراهيم الحربي ببغداد سنة ٢٨٥هـــ وقبره ظاهر يتبرك الناس به رحمه الله تعالى، وكانت ولادته سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان إماما في جميع العلوم زاهدا في الدنيا، وعن محمد بن صالح الأنماطي قال: لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب والحديث والفقه والزهد ، وقال أبو الحسن العتكي: سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه، وقال كل واحد

منهم: شيئا فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، وإن نـــهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى شيء من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه. وأطال في ترجمته الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) في نحو ١٦ صفحة، وقال: هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام، روى عن كثير من المشايخ منهم الإمام أحمدبن حنبل، وروى عنه خلائق، قال الدارقطني: كان يقاس بابن حنبل في زهده وعلمه وورعه، وكان إماما بارعا في كل علم صدوقا، توفي سنة ٢٨٥، وله من العمر نَيِّف وثمانون سنة، وقبره يزار ببغداد اهـــ. إلى هنا تم ما ذكرناه ممن يتبرك بقبورهم من السلف خير القرون ، ثم نذكر إن شاء الله عددا آخر من الخلف يتبرك بقبورهم رحمهم الله تعالى .

التبرك بقبر صالح بن أحمد

قال الذهبي في ((تذكرة الحفاظ)) ص ٩٨٦: إن الدعاء يستجاب عند قبر صالح بن أحمد، وقال في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٦ ص ٥١٩: يستجاب الدعاء عند قبر صالح بن أحمد بن عبد الله ابن قيس بن هذيل بن يزيد بن عباس بن أحنف بن قيس، الإمام العالم الحافظ الثبت، أبي الفضل التميمي الهمذاني، قال الحافظ شيرويه الديلمي: كان ركنا من أركان الحديث ثقة حافظا دينا ورعا صدوقا، لا يخاف في الله لومة لائم، وله مصنفات غزيرة وكان مولده سنة ٣٠٣ ومات لثمان بقين من شعبان سنة ٣٨٤ اهــ.

التبرك بقبر عبد الصمد

قال الحافظ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في ((صفة الصفوة)) ج ٢ ص ٤٨٢: قبر عبد الصمد بن عمر اليوم ظاهر يتبرك به بمقبرة الإمام أحمد، وكان من أهل الزهد والصلاح الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكان يحرض أصحابه على الجد، ويقول: هيه قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتنكم الآخرة، وتوفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٣٩٧هـــ.

التبرك بقبر ابن لال

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٧ص ٧٦: قال شيرويه: الدعاء عند قبر أبي بكر أحمد ابن علي بن أحمد بن محمد بن الفرج بن لال الهمذاني الشافعي مستجاب . ثم قال الذهبي: والدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعي وخشوعه وابتهاله، وبلا ريب في البقعة المباركة ، وكان ابن لال إماما فقيها محدثا.
قال شيرويه: كان ثقة أوحد زمانه مفتي البلد ، وله مصنفات في علوم الحديث غير أنه كان مشهورا بالفقه . ولد ابن لال سنة ٣٠٨ وتوفي سنة ٣٩٨هـــ.

التبرك بقبر القاضي الباقلاني

قال حافظ الدنيا الإمام ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري)) ص ٢٢٣: إن القاضي أبا بكر بن الطيب بن الباقلاني البصري الأشعري دفن في تربة بقرب قبر الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله، ويزار قبر ابن الباقلاني ويستسقى ويتبرك به . وتوفي رحمه الله سنة ٤٠٣هـ .

التبرك بقبر الإمام محمد بن الحسن بن فورك الأشعري الأصبهاني بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء

نقل الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٧ ص ٢١٥: عن ابن خلكان وعبد الغافر أن قبر ابن فورك يزار ويستسقى به ويستجاب الدعاء عنده . وقال الحافظ ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري)) ص ٢٣٣: ودفن ابن فورك بـ"الحيرة" ومشهده اليوم ظاهر يستسقى به ويستجاب الدعاء عنده ، وهو الأديب المتكلم الأصولي الواعظ النحوي، بلغت تصانيفه في أصول الفقه وأصول الدين ومعاني القرآن قريبا من مائة، ومات سنة أربعمائة وست اهـ. ونقل ابن السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج ٣ ص ٥٣: عن عبد الغافر أنه يستسقى بقبره ويستجاب الدعاء عنده. وقال ابن قاضي شهبة في ((طبقات الشافعية)) ج ١ ص ١٩٤ : قال ابن خلكان ومشهده بالحيرة ظاهر يزار ويستجاب الدعاء عنده .

قلت: ولفظ ابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) ج ٤ ص ٢٧٢ : ودفن بالحيرة ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعاء عنده.

فانظر رحمك الله اتفاق هؤلاء الأئمة على استجابة الدعاء عند قبر ابن فورك والاستسقاء عنده فهل ترى أنهم يجهلون عن حكم مثل هذه القضية، فيقعون لجهلهم على ما يؤدي إلى الإشراك بالله؟! كلا بل هم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملة الشريعة المبلغون عنه صلى الله عليه وسلم إلينا فلا يسعنا إلا اتباعهم والإقتداء بهم والله الموفق .

التبرك بقبر الحافظ عبد الملك بن محمد النيسابوري الشافعي الأشعري الخركوشي

قال العلامة المحدث الكبير تقي الدين أبو بكر الحصني في ((دفع شبه من شبّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد)) ص١١٠- ١١١: إن الحافظ أبا سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري توفي سنة ست وأربعمائة بنيسابور ، وقبره بها مشهور ويتبرك به اهـ .

قلت: ترجم له كثير ممن صنف في التراجم والطبقات كالحافظ ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري)) ص٢٣٣ والحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٧ص٢٥٦، وابن

العماد في ((الشذرات)) وغيرهم. واختلفوا في كنيته وسنة وفاته ، فقال أكثرهم: توفي سنة ٤٠٧ ذكر ذلك الذهبي وغيره وابن عساكر في إحدى روايتين له، وفي الأخرى أنه توفي سنة ٤٠٦هـــ كما ذكرنا عن التقي الحصني ، وأما كنيته فذكر أكثرهم أنـــها أبو سعد ، وذكر الذهبي في ((التذكرة)) أنـــها أبو سعيد كما تقدم عن التقي الحصني اهـــ وذكرت في باب التبرك بذكر الصالحين ضبط الخركوشي وبعض من روى عن هذا الشيخ رحمه الله.

التبرك بقبر السلطان محمود بن سُبُكْتكِين

قال ابن العماد الحنبلي في ((شذرات الذهب)) ج٣ص٢٢٠-٢٢١: توفي السلطان محمود بغزنة سنة ٤٢١هـــ وقبره بـــها يزار ويدعى عنده، وكان ذا عزم وصدق في الجهاد. قال عبد الغافر الفارسي: كان صادق النية في إعلاء كلمة الله ذكيا. وذكر إمام الحرمين أن السلطان كان حنفيا ثم صار شافعيا وله مناقب كثيرة اهـــ. قال ابن خلكان وسبكتكين بضم السين المهملة والباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوق والكاف الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها. وفي ((طقبات الشافعية الكبرى)) لابن السبكي ج٤ ص ١٣ أن السلطان محمود بن سبكتكين كان إماما عادلا شجاعا فقيها سمحا جوادا مؤيدا. وقد اعتبرت فوجدت أربعة لا خامس لهم في العدل بعد عمر بن العزيز رضي الله عنهم، وهم هذا السلطان والوزير نظام الملك والسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس والملك نور الدين بن زنكي الشهيد.

قصة مليحة وقعت بحضرة السلطان محمود بن سبكتكين

وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج١٧ص ٤٨٦. و((وفيات الأعيان)) لابن خلكان ج٥ ص١٨٠ ماحاصله: ذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني في كتابه الذي سماه ((مغيث الخلق في اختيار الأحق)) أن محمود بن سبكتكين كان حنفيا يحب الحديث، فوجد كثيرا منه يخالف مذهبه، فجمع الفقهاء بمرو، وأمر بالبحث في أيما أقوى مذهب أبي حنيفة أو الشافعي، قال: فوقع الإتفاق على أن يصلوا ركعتين بين يديه على المذهبين، فصلى أبوبكر القفال المروزي بوضوء مسبغ وسترة وطهارة وقبلة وتمام أركان لايجوِّز الشافعي دونـــها، ثم صلى صلاة على ما يجوِّزه أبوحنيفة، فلبس جلد كلب مدبوغا قد لُطِخ رُبُعُه بنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر، فاجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان وضوءه منكسا منعكسا، ثم كبر بالفارسية ونقر ولم يطمئن ولارفع من الركوع، وتشهد، وضرط بلاسلام. فقال له السلطان: إن لم تكن هذه الصلاة

يجيزها الإمام أبوحنيفة قتلتك، فأنكره الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة، فوجد كذلك، فتحول محمود شافعيا . انتهى ما نقلته من ((وفيات الأعيان)) و((سير أعلام النبلاء)) ملفقا منهما .

وذكر الحافظ ابن كثير في (طبقات الفقهاء الشافعيين) ج١ص٣٤٨ هذه المناظرة، ثم قال ابن كثير: وفي صحة هذا نظر، لأن القفال رحمه الله أجل قدرا أن يصدر عنه مثل هذا أو قريب منه، والله أعلم اهـ. قلت: والقلب يميل إلى ما قاله ابن كثير، والعلم عند الله تعالى .

التبرك بقبر الأردستاني

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٧ ص ٤٢٨: قال شيرويه : سمعت عدة يقولون : ما من رجل له حاجة من أمر الدينا والآخرة يزور قبر محمد بن إبراهيم بن أحمد الأردستاني ويدعو إلا استجاب الله له، وقال شيرويه: وجربت أنا ذلك ، وكان الأردستاني إماما حافظا جوالا صالحا عابدا، مات سنة ٤٢٤هـ.

وقال الخطيب في ((تاريخ بغداد)) ج١ص٤١٧: إن الأردستاني كان رجلا صالحا يكثر السفر إلى مكة ويحج ماشيا، كتبت عنه وكان ثقة توفي سنة ٤٢٧ هـ.

فانظر إلى قول الإمام الحافظ شيرويه: وجربت أنا ذلك، وكان شيرويه كما في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٩ص٢٩٤ و((تذكرة الحفاظ)) ص١٢٥٩ محدثا حافظا عالما مؤرخا، مصنف كتاب((الفردوس)) و((تاريخ همذان)). ولد سنة ٤٤٥هـ وتوفي في تاسع رجب سنة ٥٠٩ وله ٦٤سنة. وشيرويه هو ابن شهردار بن شيرويه بن فناخسرة اهـ. وكان شافعيا، وينتسب إلى الضحاك بن فيروز الديلمي كما في الطبقات الكبرى لابن السبكي .

التبرك بقبر عبد الله بن عبدان- تثنية عبد- بن محمد بن عبدان

قال ابن قاضي شهبة في ((طبقات الشافعية)) ج١ص ٢١٣: مات ابن عبدان سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وقبره يزار ويتبرك به، وكان شافعيا أشعريا .

التبرك بقبر أحمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي القديم

قال ابن السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٣ص٣٥-٣٦: قبر هذا الغزالي القديم مشهور بمقبرة "طوس" وجرب من أَمْرِه أنه من كان به هم ودعا عند قبره استجيب له. قال ابن الصلاح: أذعن له فقهاء الفريقين وأقر بفضله فضلاء المشرقين والمغربين ، وله تصانيف في الخلافيات والجدل ورؤوس المسائل والمذاهب.

وقال ابن قاضي شهبة في ((طبقات الشافعية)) ج ١ ص ٢٠٩: توفي الغزالي القديم سنة ٤٣٥وهو عم الغزالي حجة الإسلام.

التبرك بقبر محمد بن سلامة الشافعي القاضي

وفي ((طبقات المفسرين)) للحافظ الداودي ج٢ص١٥٧-١٥٩: أن الشيخ محمد بن سلامة كان فقيها على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله متفننا في عدة علوم وصنف وحدث، وله تآليف مفيدة منها ((تفسير القرآن العظيم)) في نحو أربعين مجلدا و((دستور الحكم)) و((منثور الكلم من كلام علي بن أبي طالب كرم اللـــه وجهـــه)) وقال ابن عساكر: ثقة أمين قدم إلى دمشق رسولا من صاحب مصر، وتوفي بمصر سنة ٤٥٤، ودفن على شفير الخندق وقبره يزار ويتبرك به اهـــ.

التبرك بقبر ابن زيرك

قال الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٨ص ٤٣٤ : قال شيرويه : قبر ابن زيرك يزار ويتبرك به، وكان ثقة صدوقا له شأن وحشمة ويد في التفسير، فقيها أديبا متعبدا مات في ربيع الآخر سنة ٤٧١ هـــ.

التبرك بقبر أبي إسحاق القرشي الهاشمي إبراهيم بن إسماعيل بن سعد

قال المناوي في ((الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية)) ج ١ ص ٦٠: مات إبراهيم بن إسماعيل سنة ٤٨٦هـــ ودفن بـــ"القرافة"وقبره معروف بإجابة الدعاء عنده.

التبرك بقبر أبي الفرج الحنبلي

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٩ص ٥٣: بعد ذكر ترجمة هذا الإمام: دفن أبو الفرج الحنبلي عبد الواحد بن محمد بمقبرة "باب الصغير"وقبره مشهور يزار ويدعى عنده، وكان إماما قدوة فقيها حنبليا واعظا من كبار أئمة الإسلام . ويقال:إنه اجتمع بالخضر عليه السلام مرتين، وكان يتكلم في عدة أوقات على الخواطر، كما كان يتكلم ببغداد أبو الحسن بن القزويني الزاهد. توفي في ذي الحجة سنة ٤٨٦ .

التبرك بقبر نصر المقدسي

قال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) ج٢ص ٤٢٦: وابن السبكي في ((طبقات الشافعية)): إن الشيخ نصرا المقدسي أقاموا على قبره بعد دفنه سبع ليال، يقرأ كل ليلة ٢٠ختمة، ويكثر الناس زيارته والدعاءَ عنده، وسمعنا الشيوخ يقولون : الدعاء عند قبره يوم

السبت مستجاب، نفعنا الله تعالى به آمين. وقبره معروف في "باب الصغير" بجنب قبر معاوية رضي الله تعالى عنه. وتوفي سنة ٤٩٠ بدمشق في يوم الثلاثاء تاسع المحرم .

التبرك بقبر علي بن حسن بن الحسين الخلعي قاضي الجن والإنس

قال الذهبي في((سـير أعـلام النبـلاء))ج١٩ص٧٤-٧٨: قال الأنـماطي: قبر علي بن الحسن الخلعي بـ"القرافة" يعرف بقبر قاضي الجن والإنس، يعرف بإجابة الدعاء عنده، وكان إماما قدوة فقيها مسند الديار المصرية، مات الخلعي بمصر في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٩٢.

التبرك بقبر أسامة زيد بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي

وفي ((طبقات الخواص)) للشرجي الزبيدي ص ١٣٨: أن المترجم له كان إماما كبيرا عالما ورعا زاهدا، بلغ أصحابه نحو ثلاثمائة متفقه، وكان يقوم بغالبهم قوتا وكسوة وغير ذلك، وكان متورعا عن صحبة الملوك ومخالطة الولاة كثير العبادة، وظهرت له كرامات كثيرة، توفي رحمه الله سنة ٥١٤ وقبره مشهور مقصود للزيارة والتبرك، قال الجندي: لم أر في اليمن تربة يكثر زوارها كتربة الفقيه زيد بن عبد الله، ولا تكاد تربته تخلو من زائر، وقلّما قصدها ذو حاجة إلا قضيت حاجته اهـ.

التبرك بقبري أبي عبد الله محمد بن عبدويه وولده عبد الله

قال الشيخ عمر بن علي بن سمرة الجعدي في ((طبقات فقهاء اليمن)) ص ١٤٤-١٤٩: كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبدويه النهرواني تفقه بالإمام أبي إسحاق الشيرازي بكتاب ((المهذب)) وبـ ((مسائل الخلاف)) وسكن عدن مدة ثم انتقل إلى زبيد ، وكان كثير المال، وكان التجار يأتون للسلام عليه، فيقبلون رأسه وهو قاعد، وكان كثير التقوى والزهد والورع، وكان غزير العلم فارتحل إليه الناس، وكبار فقهاء اليمن لكثرة علمه وجودة إتقانه وفهمه، وتفقه به خلق كثير، وكان قد ابتلي بالعمى فرد الله عليه بصره، وكان له تصنيف مليح في أصول الفقه، سماه ((الإرشاد)) وكان له ولد عالم بعلم الكلام والأصول والفقه يسمى عبد الله تفقه بأبيه، ومات قبله سنة ٥٢٣هـ، ومات الشيخ رحمه الله تعالى سنة ٥٢٥هـ، وله ثمان وثمانون سنة، وقبرا هما يزورهما الصالحون ويتبرك بقبريهما. ثم ذكر مؤلف ((طبقات فقهاء اليمن)) أنه تبرك بزيارة قبر الشيخ المترجم له وقبر ولده عبد الله وآثاريهما، ومواضع تدريسهما.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٧٧- ٢٧٨ أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عبدويه كان يقصد للزيارة والتبرك في حال حياته، ويطلب منه الدعاء، وتوفي سنة ٥٢٥، ودفن إلى جنب

مسجده، وتربته مشهورة الفضل، وآثاره وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك، وهو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين والظاهرين اهـــ .

التبرك بقبر علي بن مرزوق بن عبد الله الشيخ أبي الحسن الرديني

وفي ((طبقات المفسرين)) للحافظ الداودي ج١ص ٤٣٧ -٤٣٨: أن الشيخ علي بن مرزوق حفظ القرآن العظيم وسمع الحديث، وكان فقيها عارفا بالتفسير متخليا للعبادة وتوفي سنة ٥٤٠ودفن بـــ "القرافة" وعرف قبره بإجابة الدعاء وجرب ذلك. وفي كتاب ((مصباح الدياجي)) أن معن بن زيد بن سليمان نام عند قبر الرديني، وكان عليه دين مبلغه عشرة آلاف درهم، فرآه في النوم فشكا إليه ذلك فقال: قل: اللهم بما كان بينك وبين عبدك الرديني إلا ما قضيت ديني، فاستيقظ وسأل الله ذلك فأتاه شخص وقال: أنت الذي شكوت للشيخ ثقل الدين ؟ قال : نعم، فدفع إليه عشرة آلاف درهم.

التبرك بقبر أبي الحسن يحيى بن أبي الخير العمراني

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٣٦٣- ٣٦٥: كان إمام عصره ووحيد دهره، سارت بشهرته الركبان، وانتشرت علومه في سائر البلدان، وكان الشيخ يحيى يحفظ ((المهذب)) عن ظهر الغيب وغيره من الكتب، كـــ((اللمع)) و((إرشاد ابن عبد الله)) وكان زاهدا عابدا ناسكا، وكان إذا مر عليه وقت بغير ذكر الله تعالى أو مذاكرة العلم حوقل واستغفر، وقال: ضيعنا الوقت، وكانت وفاته ٥٥٨، وقبره هناك من القبور المشهورة في اليمن المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج، ويتوجهون به في مهماتـــهم ويستغيثون به في ضروراتـــهم، وهو كذلك وفوق ذلك رحمه الله ونفع به، وقد زرته في سنة ٨٥٥، فرأيت أثر النور والبركة عليه ظاهرا، ودعوت الله عند قبره فرأيت أثر الإجابة والحمد الله، نفع الله به وبسائر عباده الصالحين.

التبرك بقبر الملك العادل محمود بن زنكي

قال ابن العماد في ((شذرات الذهـــب)) ج٤ص ٢٢٨-٢٣١: كان مولده في سنة ٥١١ وتوفي سنة ٥٦٩، يروى أن الدعاء عند قبره مستجاب، ويقال: دفن معه ثلاث شعرات من شعر لحيته صلى الله عليه وسلم، فينبغي لمن زاره أن يقصد زيارة شيء منه صلى الله عليه وسلم، وذكر المطري في كتابه ((تاريخ المدينة)) أن السلطان محمود رأى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ثلاث مرات وهو يقول له في كل واحدة منها: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين لشخصين أشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح فأخبره، فقال له: هذا أمر حدث في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ليس له غيرك، فَتَجَهَّزَ وخرج على عجل بمقدار ألف

راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة، فلما زار طلب الناس عامة للصدقة وقال: لا يبقى بالمدينة أحد إلا جاء فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم من خارج المسجد عند دار آل عمر ابن الخطاب التي تعرف اليوم بدار العشرة رضي الله عنهم، قالا نحن في كفاية، فجدّ في طلبهما حتى جيء بــهما، فلما رآهما قال للوزير: هما هذان فسألهما عن حالهما وما جاء بــهما، فقالا: لمجاورة النبي صلى الله عليه وسلم فكرر السؤال عليهما حتى أفضى إلى العقوبة، فأقرا أنــهما من النصارى وصلا لكي ينقلا النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الحجرة الشريفة، ووجدهما قد حفرا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي يجعلان التراب في بئر عندهما في البيت، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة النبي صلى الله عليه وسلم خارج المسجد ثم أحرقا اهـــ.

قلت: ونُقِلَ مثل قصة الرجلين النصرانيين المذكورين عن السلطان مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي كوجك بن بكتكين أيضا، وأنكر بعضهم وقوع هذا الحادث العظيم منهما أو من أحدهما ونفاه من أصله وأطال في الاستدلال على إنكاره،لكن لاتدل أدلته بما ادعاه، والظاهر أن إنكاره ليس بصواب، فقد ذكر هذه القصة أيضا النبهاني بأطول مما ذكرناه في ((جواهر البحار)) ج٤ص ٦٠-٦٢ نقلا عن السيد السمهودي.

وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١٢ص٢٨٤: توفي السلطان نور الدين محمود بن زنكي يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة ٥٦٩ وقبره يزار ويطيب ويتبرك به كل مار فيقول: قبر نور الدين الشهيد. وقال اليافعي أيضا في ((مرآة الجنان)) ج ٣ ص ٣٨٩: روي عن جماعة أن الدعاء مستجاب عند قبر الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين بن زنكي.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن أبي الخير المعروف بالصياد

قال الشرجي في ((طبـــقـــات الخـــواص)) ص٦٤-٦٨: كان أبو العباس الصياد حنفي المذهب وليا مشارا إليه صاحب الأحوال العظيمة والمواهب الجسيمة. توفي رحمه الله في شوال سنة ٥٧٩هـــ وقبره بمقبرة "باب سهام" من مدينة "زبيد" وهو معروف مشهور، وفوق القبر تابوت حسن، وهو من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك ، أثر النور عليه ظاهر ، وكان الفقيه إسماعيل الحضرمي كثيرا ما يزوره ويتكرر إلى قبره اهـــ .

التبرك بقبر الإمام أبي القاسم الشاطبي المقرئ الضرير

قال ابن السبكي في ((طبقات الشافعية)) ج ٤ ص ٢٩٧ : الصحيح أن اسمه القاسم، ومنهم من جعل كنيته أبا القاسم ولم يجعل له اسما سواها ، وكان فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا متوقدا ذكاء. قال السخاوي: أقطع بأنه كان مكاشفا، توفي ١٨ من جمادى الآخرة عن اثنين وخمسين سنة ٥٩٠هـــ وقال الشيخ ملا علي بن سلطان القارئ في آخر ((المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية)): دفن الشاطبي يوم الاثنين، وقبره بمصر يزار ويتبرك به اهـــ

وفي ((طبقات المفسرين)) ج ٢ ص ٤٤-٤٥ للحافظ الداودي: أن الشاطبي كان إماما ، علامة ذكيا كثير الفنون، منقطع القرين، رأسا في القراءات والتفسير، حافظا للحديث، بصيرا بالعربية واللغة، واسع العلم، وظهرت عليه كرامات الصالحين توفي سنة ٥٩٠هـــ وقبره يزار ويرجى استجابة الدعاء عنده اهــــ.

التبرك بقبر عبد الرحيم بن أحمد

قال المناوي في ((الكواكب الدرية)) ج١ص٩١-٩٢: كان عبد الرحيم بن أحمد بن مجون الشريف الحسيب النسيب صاحب كرامات وخوارق وقبول تام بين العام والخاص، وقد جمع الله له بين الحقيقة والشريعة، وقد ذكره الحافظ المنذري في تاريخه، فقال: كان أوحد زمانه، أحد الزهاد المشهورين من أعيان الصالحين، وكان مالكيا مات سنة ٥٩٢ هــ ودفن بــ"قنا" من صعيد مصر، وقد جربوا إجابة الدعاء عند قبره يوم الأربعاء.

التبرك بقبر علي بن نصر الإربلي

قال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج ١٢ص ٢٨٧ : ترجمه ابن خلكان في ((الوفيات)) وقال: قبر علي بن نصر يزار، وقد زرته غير مرة، ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به، وتوفي سنة 569هـــ. ثم قال ابن كثير : وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور.

قلت: هذا عجيب من الحافظ ابن كثير ، فإنه لا يخفى على مثله مشروعية الزيارة والتبرك بقبور الصالحين، وقد ذكرنا آنفا أنه قال في ((البداية والنهاية)): يزار قبر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ويتبرك به كل مار فيقول: قبر نور الدين الشهيد. وذكر أيضا في ((البداية والنهاية)): أنه لما توفي شيخه ابن تيمية حضر جمع كثير فأذن لهم في الدخول عليه، وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، وألقى ناس على نعشه

مناديلهم وثيابـــهم، واشتروا بخيط في عنقه وطاقيته بمبلغ عظيم، فكل هذا يدل على أن ابن كثير يذهب إلى جواز التبرك بالأموات فكيف ينكر هنا ذلك ؟!!.

التبرك بقبر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي

قال ابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) ج ٤ص ٣٠٥ : كان الشيخ أبو عبد الله القرشي عابدا زاهدا صالحا، كانت له كرامات ظاهرة، وكان من السادات الأكابر والطراز الأول، وهو مغربي، ولما وصل إلى مصر انتفع به من صحبه أو شاهده، ومات رحمه الله تعالى في سنة ٥٩٩ وهو ابن ٥٥سنة ، وقبره ظاهر يقصد للزيارة والتبرك به اهـــ.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمدبن عبد الله المقيبعي

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٣٠٣: كان المذكور فقيها عالما عاملا ورعا زاهدا، وكان حنفي المذهب، وكان يكره الشهرة ويؤثر الخمول والسترة، توفي بـــ"زبيد" على رأس ٦٠٠وقبره بمقبرة "باب سهام" منها مشهور يزار ويتبرك به اهـــ.

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن قاسم العليف الحكمي

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٢٠٧- ٢٠٨: كان إماما كبيرا عالما عاملا، تفقه ببلده مدينة "حرض" بفتح الحاء المهملة والراء وآخره ضاد معجمة ، لزم الفقيه محمد بن يوسف الضرير ، وانتفع به في كثير من الفنون حتى صار إماما من أئمة المسلمين المنتفع بـــهم علما وصلاحا، وبه انتفع جمع كثير ونشروا عنه العلم في البلدان، قال الجندي: أخبرني الثقة أنه خرج من مدرسته ستون مدرسا، وكان يقال له: الشافعي الصغير، وله مصنفات في فنون من العلوم مفيدة مباركة، وكان ذا زهد وورع وكرامات، وكان الفقيه المذكور كثير التلاوة لكتاب الله تعالى، يقال: إن راتبه كان في كل يوم سبع القرآن، أخذ ذلك عن شيخه الفقيه إبراهيم بن زكريا، وكانت وفاته سنة ٦٠٤ وقبره مشهور يزار ويتبرك به اهـــ.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحكمي

قال الشرجي في ((طبقات الخواص))ص٢٦٤-٢٦٧: كان شيخا كبيرا من أشهر مشايخ الصوفية، صاحب تربية وأحوال، كان كثير العبادة، حصلت له فتوحات ربانية، توفي سنة٦١٧وتربة الشيخ من الترب المعظمة المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة اهـــ.

التبرك بقبر أبي أحمد مدافع بن أحمد المعيني

قال في ((طبقات الخواص)) ص٣٣٠-٣٣٦: كان الشيخ من أكابر أرباب الأحوال والكرامات والمكاشفات، وكان من عادة الشيخ إذا صلى الصبح أن يقعد إلى صلاة الضحى مشتغلا بالذكر والتلاوة والصلاة وغير ذلك، ولا يدخل عليه أحد ولا يخرج إلى أحد، توفي سنة ٦١٨هـ . وقبره مشهور يقصد للزيارة والتبرك وتستنجح عنده الحوائج اهـ .

التبرك بقبر أبي محمد مرزوق بن حسن بن علي الصريفي

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٣٣٦-٣٣٩: كان نفع الله به من أجل كبار المشايخ أرباب الكرامات الظاهرات، والمكاشفات الباهرات، صاحب خلق وتربية ، يقال: إن أصحابه بلغوا نحو الخمسمائة، كانت وفاته سنة ٦١٩هـ ، وقبره بمقبرة "باب سهام" من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، قلّما قصده ذو حاجة إلا وقضيت حاجته اهـ .

التبرك بقبر أبي محمد عبد الله بن علي الأسدي

قال في ((طبقات الخواص)) ص ١٧٩: كان أبو محمد الأسدي بفتح الهمزة وسكون السين وكسر الدال المهملتين من كبار الصالحين، صحب الشيخ عبد القادر الجيلاني وسمع عليه شيئا من الحديث النبوي، وصحب الشيخ الصياد، والشيخ علي الحداد، والشيخ علي بن أفلح، وكانوا يجتمعون على عبادة الله، وعُمِّرَ عمرا طويلا حتى جاوز المائة، بل يقال: إنه عُمِّرَ مائة وثمانين سنة، منها ستون سنة في السياحة، وكان منه ما كان من ظهور الكرامات، وتواتر البركات، وتوفي سنة ٦٢٠هـ وقبره مشهور مقصود للزيارة والتبرك اهـ.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن حسين البجلي

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٦٧-٢٦٩: أن الشيخ محمد بن حسين البجلي كان إماما فقيها، عالما محققا، عارفا جامعا بين الشريعة والحقيقة، سالكا في ذلك أحسن طريقة،اح□ آيات وإفادات، وكرامات ومكاشفات، ومن كلامه : لولا وجود خواص الله مع عوام الله فيما هم فيه من معاصي الله لعجل الله عقوبة من عصاه، قال الله تعالى: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض. وقال: همة تحول حول العرش، وهمة تحول حول الحش، فمن كان همه ما يدخل كان قيمته ما يخرج. قلت: الظاهر أنه يريد من كان همه ما يدخل بطنه فقط كان قيمته ما يخرج منه من الفضلات والله أعلم .توفي سنة ٦٢١، وقبره إلى جنب قبر صاحبه الشيخ محمد الحكمي تستنجح بـهما الحوائج وتستنـزل بـهما القطر نفع الله بـهما آمين اهـ.

التبرك بقبر جعفر بن عبد الله

قال الحافظ الذهبي في ((معرفة القراء الكبار)) ج ٢ص ٦٠٨-٦٠٩ : كان جعفر بن عبد الله ابن سيد بونة أبو أحمد الأندلسي المقرئ العابد شيخَ الصوفية في وقته ، وعلا ذكره وبعد صيته في العبادة. توفي في ذي القعدة سنة ٦٢٤ عن سن عالية تقارب المائة، وشيعه بشر كثير، وانتاب الناس زيارة قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته اهـــ.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد الصُرَيْدِح بضم الصاد المهملة وفتح الراء وسكون الياء وكسر الدال

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٨٢ -٨٣: كان فقيها عالما مباركا ورعا زاهدا، غلب عليه النسك والعبادة مع جودة العلم، وكان مبارك التدريس كثير النقل، تخرج به جماعة من الأكابر، وكان مقصودا للزيارة والتبرك، مؤلفا للأصحاب مؤانسا للوافدين، مرضي السيرة حسن السريرة، قليل المثل في أبناء جنسه وأهل زمانه، وكانت وفاته سنة ٦٢٥ تقريبا، وقبره وقبور أهله مشهورة ومقصودة بالزيارة والتبرك نفع الله بـــهم أجمعين اهـــ.

التبرك بقبر أبي محمد سالم بن محمد العامري

قال في ((طبقات الخواص)) ص ١٤١- ١٤٢: كان أبو محمد فقيها كبيرا محدثا ، غلب عليه علم الحديث وعرف به، وكان مع ذلك ورعا زاهدا، وانتفع به خلق كثير، وكان على قدم كامل من العلم والعمل، شريف النفس عالي الهمة، صاحب كرامات وإفادات، وكانت وفاة الفقيه سالم سنة ٦٣٠، وقبره عند مسجد الرباط مشهور يزار ويتبرك به ، ولم تزل إمامة المسجد المذكور إليه وإلى ذريته برهة من الزمان، وهو مسجد مشهور الفضل ، يقال: إنه أول مسجد بني في الإسلام في تلك الناحية اهـــ.

التبرك بقبر ابن الصلاح الشافعي

قال ابن السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٥ص١٣٧: توفي عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر أبو عمرو بن الصلاح سحر يوم الأربعاء ١٥ من ربيع الاول سنة ٦٤٣، وازدحم عليه الخلق فصلى عليه، وشيعوا إلى باب الفجر فدفنوه بطرف مقابر الصوفية، وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار ويتبرك به، قيل: والدعاء عنده مستجاب، وكان شيخا علامة أحد أئمة المسلمين علما ودينا، فقيها محدثا زاهدا ورعا، قال ابن خلكان: كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه ، وذكر غيره أن ابن الصلاح قال: ما فعلت صغيرة في عمري قط!! وهذا فضل من الله عليه عظيم اهـــ

وفي ((سير أعلام النبلاء))ج٢٣ص ١٤٠: كان تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الموصلي الشافعي إماما حافظا علامة شيخ الإسلام أفتى وألّف، وكان من كبار الأئمة عديم النظير في زمانه. توفي سنة ٦٤٣هـــ وحمل على الرؤوس وازدحم الخلق على سريره ودفنوه بمقابر الصوفية وقبره ظاهر يزار اهـــ.

التبرك بقبر أبي بكر بن محمد بن ناصر الحميري

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٣٩٧: كان فقيها عارفا مجتهدا ورعا زاهدا متقللا من الدنيا، وكان من شدة الورع لا يأكل إلا ما تحقق حله، وكان له قطعة أرض ورثها من أهله، لا يأكل إلا غلتها، ولا يلبس إلا ما يغزله نساؤه من عطب. وكان إذا أقبل إلى المسجد أنار المسجد، حتى إن المطالع في الكتاب يجد النور على كتابه فيرفع رأسه فلا يرى إلا ظهور الفقيه، وكان مبارك التدريس، انتفع به جماعة من الأعيان وغيرهم ، توفي سنة ٦٤٦هـــ ، وقبره معروف يزار ويتبرك به اهـــ والعطب بالضم وبضمتين القطن كما في القاموس .

التبرك بقبر سيف الدين أبي الحسن علي بن يوسف

قال ابن العماد في ((شذرات الذهب)) ج٥ص٢٦١: كان سيف الدين من جلة الأمراء وأبطالهم المذكورين، وصلحائهم المشهورين، توفي بـــ"ـــنابلس" سنة ٦٥٣ والدعاء عند قبره مستجاب اهـــ.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن محمد الطوسي المعروف بالشكيل بضم الشين المعجمة

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٨١: كان فقيها عالما عاملا ذا عبادة وزهادة ودعوة مستجابة، تفقه بجماعة من العلماء ، وجمع كتبا كثيرة معظمها بخطه، ووقفها على طلبة العلم ببلده، وكانت له كرامات كثيرة، منها : ما يروى أنه يسمع صوته من قبره كل ليلة جمعة واثنين يقرأ القرآن، وقبره مشهور يقصد للزيارة والتبرك، وكانت وفاته سنة ٦٥٤. وكان له ولد يقال له مسعود كان عالما عابدا زاهدا لم تعرف له صبوة، يحكى أنه تذاكر عنده جماعة من أصحابه النساءَ فقال: أما تستحيون من الله تعالى من نظرهن. توفي في حياة أبيه وعمره ٢٥ سنة اهـــ .

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن الحسين الأصابي

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٢١٢-٢١٣: كان فقيها عالما كاملا فاضلا، تفنن في كثير من العلوم حتى صار صاحب الوقت المشار إليه، توفي سنة ٦٥٧هـــ ، وقبره مشهور يزار ويتبرك به، ويوجد منه رائحة المسك خصوصا ليلة الجمعة اهـــ .

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن أحمد الرميمة بضم الراء وفتح الميمين وسكون المثناة بينهما

قال في ((طبقـــات الخـــواص)) ص ٢١١: كان الفقيه المذكور شيخا كبيرا كاملا، كثير المكاشفات والكرامات، وكان متقللا من الدنيا خصوصا في أمر المأكل والمشرب إلى غاية، حتى إن الذي يأكله في سنة قدر ما يأكله غيره في شهر، وكانت وفاته سنة ٦٦٣، وقبره مشهور مقصود للزيارة والتبرك، وله ذرية أخيار مباركون، لهم حرمة وجلالة ببركته نفع الله به آمين اهـــ .

التبرك بقبر أبي محمد عيسى بن حجاج العامري

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٥٢-٢٥٤: أن الشيخ أبا محمد عيسى كان صاحب أحوال وأقوال، وتربية وعلم غزير من علوم القوم، وله في ذلك كلام حسن مدون متداول. ومن كلامه: بسم الله نقول، وبالله التوفيق، إنه من أدب نفسه بترك الهواء كان من العابدين، ومن أدب عقله بمتابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم كان من المحبين. وكانت وفاته سنة ٦٦٤هـــ بمدينة "بيت حسين" وقبره هنالك مشهور مقصود للزيارة والتبرك نفعنا الله به اهـــ.

التبرك بقبر الفقيه أبي بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري المعروف بابن حنكاس بكسر الحاء المهملة وسكون النون وآخره سين مهلمة

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٧٧-٣٧٨: أن الفقيه أبا بكر عيسى كان إماما فاضلا كاملا، فقيها كبيرا من كبار فقهاء الحنفية ، وعنه انتشر مذهب الإمام أبي حنيفة انتشارا كليا، وكان قد اندرس حتى قيل: لو لم يكن الفقيه أبو بكر المذكور في ذلك العصر لفقد المذهب في اليمن، وكان كثير الاجتهاد في الاشتغال بالعلم، وكان مع كمال العلم عابدا زاهدا ، أجمع على صلاحه المؤالف والمخالف، وتوفي سنة ٦٦٤هـــ ودفن بمقبرة "باب سهام" من مدينة "زبيد" وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به، ويروى: أن من قرأ عند قبره سورة "يس" إحدى وأربعين مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت، وقد جرب وصح اهـــ.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن الحسين المعروف بابن الحطاب بالحاء المهملة

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٠٧-٣٠٨: كان ابن الحطاب فقيها عالما عارفا محققا لعلوم كثيرة، وفاق على فقهاء عصره، توفي سنة ٦٦٥هـــ ودفن بمقبرة "باب سهام" وقبره هناك مشهور يزار ويتبرك به.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن علوان الصوفي

وفي ((طبقـــات الـــخواص)) ص ٦٩-٧١: أن الشيخ أحمد بن علوان كان شيخا كبيرا مشهورا وليا عارفا، ومن كلامه نفع الله به: العلم دعوى، والعالم مدع، والعمل شاهد، فمن ثبتت بينة دعواه صحت للمسلمين فتواه، وله كرامات كثيرة مشهورة، وكانت وفاته في شهر رجب سنة ٦٦٥هـــ ودفن في قريته قرية "يفرس" بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الفاء وضم الراء وآخره سين مهملة، وقبره بـــها ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب.

التبرك بقبر أبي عيسى سعيد بن عيسى العمودي الحضرمي

وفي ((طبقات الخواص)) ص ١٤٥-١٤٦: أنه كان أحد كبار مشايخ حضرموت، وكان مشهورا بالولاية الكاملة، والكرامات المتعددة، وكان شيخا كبيرا كاملا مربيا، تخرج به جماعة من كبار الصالحين، وكانت وفاته فيما بين الستين والسبعين وستمائة، وتربته من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك نفع الله به آمين.

التبرك بقبر أبي العباس أحمدبن محمد بن أسعد الضبعي

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٧٩-٨٠: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد كان فقيها عالما عاملا، ورعا زاهدا متعففا، رضيا في دينه، قليل الكلام إلا في مذاكرة العلم، وتوفي رحمه الله في شعبان سنة ٦٧٠هـــ ودفن عند والده بقرية "سهفنة" بفتح السين المهملة وسكون الهاء وفتح الفاء والنون وآخره هاء تأنيث، وكان والده من الأخيار أيضا، وقبراهما هنالك مشهوران مقصودان للزيارة والتبرك نفع الله بـــهما آمين.

التبرك بقبر أبي يوسف يعقوب بن محمد التربي منسوب إلى الترب قرية من قرى الوادي

و((في طبقات الخواص))ص٣٦٧: أن الشيخ أبا يوسف يعقوب بن محمد كان فقيها عالما عابدا زاهدا ورعا، يحب الخلوة ويكره الشهرة، وكان له ولد اسمه عبد الله، تفقه بأبيه ثم غلبت عليه العبادة، وكان عابدا زاهدا، ثم توفي وَقُبِرَ إلى جنب أبيه، وتربتهما في مقبرة "موزع" مشهورة تزار ويتبرك بـــها، وكان انتقال الشيخ أبي يوسف التربي إلى رحمة الله تعالى على رأس ٦٨٠.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل الشافعي

و((في طبقات الخواص)) ص ٥٧: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى كان إماما عالما كبيرا، وقطبا عارفا شهيرا، مجمعا على ولايته وفضله، وجلالته وانفراده على أقرانه، وكان عارفا بالفقه والأصول والحديث والنحو والفرائض وغير ذلك ، وكانت له كرامات كثيرة تظهر عليه من

غير قصد، وكان أشد الناس كتمانا لذلك، ولم يزل رحمه الله ينشر العلم ويدرسه مع كمال العبادة والورع والزهد والتقلل من الدنيا إلى حد الغاية، حتى توفي رحمه الله ونفع به يوم الثلاثاء ٢٥ من شهر ربيع الأول سنة ٦٩٠، وتربته من الترب المباركة المشهورة في اليمن، المقصودة للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، ومن استجار به سلم من جميع المخاوف، بل من وصل إلى قريته لم يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه، وليس للملوك وغيرهم تصرف على أهل قريته ولا ولاية، كل ذلك ببركته.

وترجم له ابن السبكي في ((طبقات الشافعية))ج٥ص١٧-١٨: وسماه أحمد بن عيسى بن عجيل. وفي ((طبقات الشافعية)) لابن شهبة ج٢ص٢٥: أحمد بن موسى بن علي بن عجيل اليمني الذوالي بضم الذال المعجمة، و"ذوال" ناحية على نصف يوم من زبيد، الإمام العالم العامل الزاهد العارف، صاحب الأحوال والكرامات، ومن المشهور أن بعض فقهاء اليمن الصالحين سمعه يقرأ في قبره سورة النور، وتوفي رحمه الله سنة ٦٨٤ اهـــ. قلت: وفي هذه الكتب الثلاثة أن بعض الناس جاء إليه وفي يده سلعة فقال له: ادع الله أن يزيل عني هذه السلعة وإلا ما بقيت أحسن ظني بأحد من الصالحين ، فقال له: لا حول ولا قوة إلا بالله ، ومسح على يده وربط عليه خرقة وقال له: لا تفتحها حتى تصل إلى منـــزلك، فخرج من عنده فلما كان في بعض الطريق أراد أن يتغذى ففتح يده ليأكل ، وكانت في كفه اليمنى فلم ير لها أثرا، وذهبت عنه بالكلية، وكان الشيخ ستر الكرامة بالخرقة لئلا تظهر في الحال اهـــ .

والعبارة لابن السبكي وابن شهبة، وفي ((طقبات الخواص)): أنه يحكى عنه أنه حضر يوما عند مصروع فقرأ عليه قوله تعالى: قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون ، فصرخ شيطانه وقال: لا والله لا والله، ثم زال عنه ولم يعد إليه مدة حياة الفقيه، فلما توفي رجع إليه كعادته، وكان بعض الناس حاضرا حين قرأ الفقيه عليه الآية فقال: أنا أقرأ عليه، فجاءه فقرأ عليه الآية، بعينها، فضحك ذلك الشيطان منه ، وقال : الآية الآية والرجل غير الرجل .

فائدة

لقد وقع مثل هذه الكرامة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ففي ((غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول)) ج ٥ ص ٢٣٥: نقلا عن ((آكام المرجان)) أن الإمام أحمدبن حنبل كان جالسا في مسجده إذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل فقال له : إن في بيت أمير المؤمنين جارية بـــها صرع، وقد أرسلني إليك لتدعو الله لها بالعافية، فأعطاه الإمام أحمد نعلين من الخشب وقال : اذهب إلى دار أمير المؤمنين واجلس عند رأس الجارية، وقل للجني: قال لك

أحمد: أيما أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع بـــهذه النعل سبعين، فذهب الرجل ومعه النعل إلى الجارية وجلس عند رأسها، وقال كما قال له الإمام أحمد، فقال المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة لأحمد ، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه، إنه أطاع الله، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء، ثم خرج من الجارية فهدأت ورزقت أولادا، فلما مات الإمام أحمد عاد لها المارد فاستدعى لها الأمير صاحبا من أصحاب أحمد، فحضر ومعه ذلك النعل، وقال للمارد : اخرج وإلا ضربتك بـــهذه النعل، فقال المارد: لاأطيعك ولا أخرج ، أما أحمد ابن حنبل فإنه أطاع الله فأمرنا بطاعته انتهى.

قلت: إن هذه الكرامة ونحوها قد ورثها العلماء الصالحون من سيد الخلق وحبيب رب العالمين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد قالوا : كرامات الأولياء من معجزات الأنبياء ، قال البوصيري في أواخر همزيته :

والكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الأولياء

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج الماردين من الجن عن كثير من المصابين، ففي ((غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول)) ج٥ص٢٣٤ روى الإمام أحمد عن أم أبان بنت الوازع عن أبيها عن جدها قالت: انطلق جدي إلى النبي صلى الله وسلم بابن له أو ابن أخت له، وقال: يا رسول الله إن هذا مجنون أتيتك به لتدعو الله له، قال: قربه مني واجعل ظهره لي، قال: ففعل، فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله ، فجعل يضرب ظهره ويقول: اخرج عدو الله، فصار المريض ينظر نظره الصحيح لا نظره الأول، ثم حول وجهه نحوه ودعا بماء فمسح به وجهه ودعا له ، قال جدي: فلم يكن في الوفد بعد هذا أفضل ولا أحسن منه. وروى الإمام أحمد أيضا عن يعلى بن مرة قال: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فلما كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة ومعها صبي لها، فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء، فإنه يصرع في اليوم أكثر من مرة، قال: ناولينيه، فأعطته له ففتح فمه فنفث فيه ثلاثا وقال: بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله ، وفي بعض الروايات: اخرج عدو الله أنا رسول الله، ثم أعطاه للمرأة وقال: تنتظريننا هنا ونحن راجعون فتخبريننا بما فعل، قال يعلى: فذهبنا ثم عدنا إلى هذا المكان فوجدناها ومعها ثلاث شياه، فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل صبيك ؟ قالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه شيئا إلى هذه الساعة، وخذ من هذه الشياه، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: انزل فخذ منها واحدة ورد لها البقية اهـــ

واعلم أن إخراج المارد الجني بالأمر وامتثاله بذلك يختص بأكابر الصالحين والعلماء العاملين بعلمهم المتمسكين بسنته صلى الله عليه وسلم الصادقين في ذلك.

التبرك بقبر أبي الخطاب عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي "أصله من القد س الشريف"

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٤٥ أن أبا الخطاب أدرك الشيخ نجم الدين الأخضر من ذرية الشيخ أحمد الرفاعي، فأخذ عنه الخرقة وتربى بين يديه، ثم أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالك، وتوفي رحمه الله سنة ٦٨٨هــ بعد أن شهرت الخرقة الرفاعية في اليمن، وانتشرت عنه انتشارا كليا، وقبره مشهور يزار ويتبرك به رحمه الله تعالى.

التبرك بقبر أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن إسماعيل بن أحمد ابن ميمون الحضرمي

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٩٥ -١٠١: أن الشيخ إسماعيل كان إماما كبيرا عارفا بالله تعالى، قدوة الفريقين وعمدة أهل الطريقين، وكان ملقبا بقطب الدين، اشتغل بالعلم حتى برع فيه، وكان تفقهه بوالده ثم بعمه علي بن إسماعيل حتى صار فقيها محققا نقالا لدقائق الفقه، وله عدة مصنفات، منها: ((شرح المهذب)) ، ومنها: ((مختصر مسلم)) وغير ذلك ، وكان توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة ٦٩٦هــ ودفن في قرية "الضحي" بفتح الضاد المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها ياء نسب، وقبره هنالك مشهور مقصود للزيارة والتبرك من جميع أنحاء اليمن، رحمه الله تعالى ونفع به وبسائر عباده الصالحين اهــ .

قلت: وفي ((طبقات الشافعية الكبرى)) لابن السبكي و((طبقات الشافعية)) لابن قاضي شهبة: أنه توفي في حدود سنة ست أو سبع وسبعين وستمائة، وفي ((شذرات الذهب)) سنة ثمان وسبعين وستمائة، ومن خوارقه وكراماته كما ((في شذرات الذهب)) و((طقبات الخواص)): أن بعض الصلحاء رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال له: من قبل قدم الحضرمي دخل الجنة، فبلغ ذلك مفتي زبيد أحمد بن سليمان الحكمي، فقال: لما سمعت ذلك وقع في نفسي منه شيء، ثم اتفق أني قصدت زيارته فلما دخلت عليه قال: مرحبا بك جئت لتقبل قدمي، ثم مد رجليه فقبلتهما، وممن قبل قدمه الإمام العلامة محب الدين الطبري، وقال اليافعي: كان الجلة من العلماء يقبلون قدمه. انتهى ملخصا. وذكر ابن حجر الهيتمي هذه القصة في ((الفتــاوي الحــديثيــة)) ص٢٧١ وأنــها متواترة عنه، وقال: لم يزل يقبل قدم الحضرمي كل زائر وإن جلت مرتبته. واشتهر أن الشمس وقفت له، قال الإمام المحقق تاج الدين بن السبكي في ((طبقاته الكبــرى)) ج٥ص٥٠-٥١: إن الشيخ إسماعيل الحضرمي قال يوما لخادمه وهو في

سفر: قل للشمس: تقف حتى نصل إلى المنـــزل، وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبـــها ، فقال لها الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل: قفي فوقفت حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب فغربت وأظلم الليل في الحال، وذكر ذلك أيضا ابن العماد الحنبلي في ((شذراته)) والشرجي الزبيدي في ((طبقات الخواص)) والشيخ ابن حجر الهيتمي في ((الفتاوي الحديثية)) ص ٢٧١ وأشار إليها اليافعي في ((مرآة الجنان)) ج٤ص٤١٢.

التبرك بقبر أبي محمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن الخطيب

وفي ((طبقـــات الـــخواص)) ص١٨٠-١٨٢: أن الشيخ أبا محمد بن عبد الله، كان فقيها كبيرا عالما عاملا عارفا كاملا، صاحب كرامات وأحوال، كان أصله من قرية يقال لها "الطرية" وقرأ القرآن هنالك ثم خرج قاصدا لطلب العلم، فوصل إلى الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي، فقرأ عليه مدة ، ثم لزم مجلس ابنه الشيخ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل فتفقه به وتخرج وانتفع به نفعا كليا ظاهرا وباطنا، فاستغرق في العبادات، وظهرت له كرامات، وكانت وفاته نفع الله به سنة ٦٩٧ هـــ ولما دنت وفاته قال يوم السبت لأصحابه: يكون يوم الثلاثاء جلبة عظيمة، فتوفي يوم الثلاثاء من ذلك الأسبوع، وقبره مشهور يزار ويتبرك به، وله بـــها ذرية أخيار مباركون، الغالب عليهم الاشتغال بالعلم والصلاح، نفع الله بـــهم وبسلفهم آمين اهـــ .

التبرك بقبر أبي عمرو عثمان بن هاشم الجحري بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة وكسر الراء وآخره ياء نسب

وفي ((طبقات الخواص)) ص ١٩٢-١٩٣: أن الشيخ أبا عمر كان متصوفا فقيها عالما كاملا ، وصحب الشيخ عيسى بن الحجاج والشيخ عليا الشنيني ، وتوفي سنة ٧٠٣، وقبره مشهور يزار ويتبرك به رحمه الله تعالى ونفع به آمين اهـــ .

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي الهاشمي الملقب بسلطان العارفين.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٧٤-٧٧: أن الشيخ أبا العباس كان من كبار عباد الله الصالحين، والأولياء المقربين، ومن أعظمهم مجاهدة وعبادة وزهادة، وكان له مع ذلك معرفة تامة في العلوم لا سيما علم الحقائق، وله فيه مصنف حسن سماه ((كتاب ثمرة الحقيقة ومرشد السالكين إلى أوضح الطريقة))، وكان يختلي في مواضع متعددة، وكان يمر عليه الخمسة الأشهر والستة الأشهر ما يرى مضطجعا، وكان يمكث الأيام العديدة لا يأكل ولا يشرب، بل لا يزال مستغرقا في العبادة والذكر، ثم فتح عليه بعد ذلك ونال مرتبة ، وأقبل عليه الناس من كل ناحية، وكان لا يشتغل بشيء من أمور الدينا ولا يكتسب ، ولا يطلب من أحد شيئا، وإذا

علم بأحد من أصحابه يطلب من الناس طرده ، وكان إذا فتح عليه بشيء من غير طلب أنفقه على الفقراء والوافدين، وكانت وفاته سنة ٧٠٤، وقبره مقصود بالزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، ومن استجار في القرية فضلا عن التربة لا يقدر أحد أن يتعرض له بما يكره من أرباب الدولة وغيرهم بلطف الله تعالى ثم ببركته نفع الله به انتهى.

التبرك بقبر أحمد بن عطاء الله السكندري

قال الحافظ الدوادي في ((طبقات المفسرين)) ج ١ ص ٧٧: إن الشيخ أحمد بن عطاء الله توفي سنة ٧٠٩ في "القاهرة" ودفن في "القرافة" وتردد الناس لزيارة قبره تبركا به، وعملوا عند قبره في كل ليلة حادي عشر من جمادى الآخرة من كل سنة مجتمعا يقرأون فيه القرآن ويطعمون الطعام. وترجم لابن عطاء الله شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في ((الدرر الكامنة)) والسيوطي في ((حسن المحاضرة)) وابن العماد في ((شذرات الذهب)) والشوكاني في ((البدر الطالع)) وغيرهم .

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن أحمد بن حشيبر بضم الحاء المهملة وفتح الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وكسر الباء الموحدة قبل الراء .

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٧٠-٢٧٤: كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر فقيها عالما عاملا عارفا كاملا، وكانت له كرامات مشهورة وإشارات مذكورة ، كان في بدايته يختلي في موضع يقال له: "محرمل" بضم الميم وفتح الحاء وسكون الراء وكسر الميم الثانية وآخره لام، وهو موضع مشهور بالفضل والبركة، يقصده العباد ويعتكفون فيه ويفتح لهم فيه، ويخبرون أنـــهم يرون فيه رجال الغيب والملائكة، فأقام هناك الشيخ محمد خمسة وثلاثين يوما، قال الشيخ: فما تم لي أربعون يوما إلا وكلي عين ناظرة، ويحكى عنه أنه ذهب به والده إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل يلتمس منه الدعاء والبركة وهو إذ ذاك صبي، فكشف له أن للشيخ أبي الغيث عينين يبصر بـــهما من وراءه، فأعلم والده بذلك ووالده أعلم الشيخ، فقال الشيخ والله: يا ولدي ما رآهما أحد غيرك ثم نَوَّهَ باسمه وعظمه، وتوفي آخر سنة ٧١٨هـــ وقبره وقبور ذريته وأهله مشهورة مقصودة للزيارة والتبرك نفع الله بـــهم آمين.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن حسن بن مرزوق

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٠٤-٣٠٥: أن الشيخ محمد بن حسن كان من كبار المشايخ الأولياء، أصحاب الأحوال والمكاشفات، ولم يكن له نظير في زمانه، وكانت له كرامات

كثيرة، وتوفي رحمه الله سنة ٧٢١هـــ ودفن في المقبرة المعروفة بـــ"المرزوقية" وقبر الشيخ هنالك مشهور يزار ويتبرك به اهـــ .

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد الحضرمي.

وفي ((طبقات الخواص)) ص٣١١: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عمر كان شيخا كبيرا عارفا كاملا، كثير العبادة، شديد المجاهدة ، وكانت له كرامات ظاهرة وأخبار سائرة، ومما يحكى من مجاهدة الشيخ محمد أنه كان يطوي عشرة أيام وخمسة عشر يوما، لا يأكل فيها إلا ما يزيل تحريم الوصال المنهي عنه شرعا ، وكان كثير الصمت والفكر، يؤثر الخمول ويكره الشهرة، كثير الذكر، وكان يسبح كل يوم ٣٥٠٠٠ تسبيحة، وتوفي سنة ٧٢١هـــ وقبره مع قبور أهله بمدينة "شبام" من بلاد حضرموت مقصود للزيارة والتبرك اهـــ .

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن موسى النهاري

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٨٣-٢٨٦: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عمر كان أوحد أهل زمانه علما وعملا، وكان صاحب كرامات خارقات، ومكاشفات باهرات، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٧٤٧، ودفن برباطه المشهور المقصود للزيارة والتبرك من ناحية "ريمه" بفتح الراء والميم وبينهما ياء مثناة من تحت ساكنة وآخره هاء تأنيث، وتربة الشيخ هنالك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه اهـــ .

التبرك بقبر عبد الله المغربي المنوفي

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الدرر الكامنة)) ج٢ص٣١٢: كان الشيخ عبد الله المغربي الأصل ثم المصري المشهور بالمنوفي، ولد في قرية من قرى مصر يقال لها "سابور" في سنة ٦٨٦هـــ وكان فقيها مالكيا يشتغل في العربية والأصول لكن في الفقه أكثر، وتقلل من متاع الدنيا، وامتنع من الاجتماع بالسلطان، واشتهر بالصلاح والعبادة والزهادة، وحكيت منه الكرامات الكثيرة، وكان يصوم الدهر لكنه يفطر إذا دعي إلى وليمة، وكان إذا تكلم يخرج من فيه نور، توفي رحمه الله في رمضان سنة ٧٤٩هـــ وقبره مشهور يتبرك بزيارته، سأله الشيخ علاء الدين القونوي أن ينـــزله بخانقاه "سعيد السعداء" فامتنع فألح عليه وقال : إنه مكان مبارك وفيه جماعة من أهل الخير ، فقال: نعم ولكن شرط الواقف أن يكون المنـــزل بـــها صوفيا وأنا والله لست بصوفي اهـــ.

التبرك بقبر أبي محمد سعد بن محمد بن أحمد العرضي بضم العين المهملة وسكون الراء وكسر الضاد المعجمة.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ١٤٣-١٤٤: أن الشيخ أبا محمد سعد بن محمد كان شيخا كبيرا صالحا، صاحب كرامات مشهورة، ويحكى أنه كان يتهجد بالليل بالقرآن ويبكي، وربما علا صوته حتى يسمع من بعيد، وكانت وفاة الفقيه سعد سنة ٧٥٠هـ، وقبره مشهور يقصد للزيارة والتبرك اهـ .

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن نوح بن علي بن محمد بن سليمان الأبوي بضم الهمزة وفتح الموحدة وكسر الواو.

قال في ((طبقات الخواص)) ص ٢٢٦: كان أبو الحسن علي بن نوح إماما كبيرا عالما عارفا بالأصول والفروع، نقالا للحديث، وكان مع كماله في العلم صاحب عبادة وزهادة وصلاح وولاية، وكانت له كرامات ظاهرة، وتوفي رحمه الله سنة ٧٥١، وقبره مشهور يزار ويتبرك به اهـ.

التبرك بقبر أبي بكر بن أحمد بن علي بن عبد الله بن محمد دعسين بفتح الدال وسكون العين وفتح السين المهملة وسكون المثناة من تحت.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٩٠-٣٩١ : أن أبا بكر المذكور كان فقيها عالما عارفا محققا كثير الفنون، عابدا زاهدا ورعا قانعا من الدنيا باليسير، متواضعا باذلا نفسه للطلبة، وكان رئيس المفتين بمدينة "زبيد"، وكان قد شرح ((سنن أبي داود)) في نحو أربعة مجلدات، وكان مائلا إلى طريقة التصوف كثير الصيام والقيام، يحب الخلوة والانفراد، جامعا بين فضيلتي العلم والعمل، وكانت وفاته رحمه الله سنة ٧٥٢هـ ودفن بمقبرة "باب سهام" عند قبور الفقهاء، وقبره هناك معروف يزار ويتبرك به اهـ.

التبرك بقبر أبي محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ الفقيه المقدم

قال الشيخ محمد بن أبي بكر الشلي في ((المشرع الروي)) ج ١ص ٣٧٣-٣٧٥: كان الشيخ محمد بن علوي إمام العلماء العارفين، وشيخ الأئمة المجتهدين، وحامل لواء المتأخرين ، توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٦٧هـ، وقبره معروف يزار ويتبرك به اهـ .

التبرك بقبر أبي محمد الحسن بن عبد الله بن أبي سرور.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ١٢٤-١٢٥: أن أبا محمد كان شيخا كبير القدر، مشهور الذكر، صاحب علوم ومكاشفات، يقال : إنه بلغ رتبة القطبية، وكان له مع كمال الولاية معرفة تامة

بالعلوم الشرعية والتدريس،وكانت وفاته رحمه الله لنحو ٧٧٠هـ تقريبا، وقبره مقصود للزيارة والتبرك اهـ .

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن شداد.

قال الشرجي الزبيدي في ((طبقات الخواص)) ص ٢٣١-٢٣٢ : كان أبو الحسن علي بن أبي بكر إماما فقيها محدثا مقرئا، عابدا ناسكا ورعا زاهدا، وكانت الرحلة إليه من سائر أقطار اليمن في علمي القرآن والحديث، ولم يكن له نظير في عصره ، وكان مبارك التدريس، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع. وتوفي سنة ٧٧١هـ وقبره بمقبرة "باب سهام" مشهور يزار ويتبرك به اهـ

التبرك بقبر أبي عفان عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ١٩٤-١٩٥: أن الشيخ عثمان بن أبي القاسم كان فقيها عالما عاملا، ورعا زاهدا متقللا من الدنيا غير ملتفت إليها، وله كرامات كثيرة، من ذلك: ما يروى أنه قدم قريته رجل من أهل العراق، فلما وقع بصره على الفقيه قال لبعض الدرسة – جمع دارس– هل حج الفقيه في هذه السنة؟ فقال له: لا، فقال له: والله لقد رأيته يصلي في الحرم الأوقات الخمسة في هذه السنة، ثم أكب على الفقيه يقبله ويسأله الدعاء ، وكانت وفاته سنة ٧٧٦هـ . ولما بلغ نبأ وفاته إلى "زبيد" خرج الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي هائما على وجهه، وهو يقول: يا بقية البقايا ، وقبره مشهور يزار ويتبرك به.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن يوسف المكدش بضم الميم وسكون الكاف وكسر الدال المهملة .

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٩٤-٢٩٥: أن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل كان من كبار الصالحين ، ذوي الأحوال الظاهرة والكرامات الباهرة، وكان كثير الذكر مستغرقا فيه، وبنو "مكدش" قوم أخيار صالحون، شهر منهم جماعة بالولاية التامة، وظهور الكرامات، وقبور أكابرهم مقصودة بالزيارة والتبرك نفعنا الله بهم، وكانت وفاة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل سنة ٧٧٨هـ .

التبرك بقبر أبي محمد طلحة بن عيسى بن إبرهيم بن أبي بكر بن الشيخ الكبير عيسى بن إقبال الهتار

و((في طبقات الخواص)) ص ١٦٢-١٦٦: أن الشيخ أبا محمد طلحة بن عيسى كان وليا كبيرا عارفا بالله، صاحب كرامات خارقة، كان في بدايته قد اشتغل بالعلم ونقل التنبيه عن ظهر الغيب، وكان يختم القرآن في كل يوم ختمة ويقوم بالليل بأخرى، ثم فتح الله عليه بفتوحات

جليلة، وظهرت كراماته وتوالت كشوفاته، وكان الشيخ نفع الله به قد لزم في آخر عمره الصيام والقيام والذكر والتلاوة، وأقام كذلك خمس عشرة سنة لا يفطر إلا أيام العيد، ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة، وكان لا ينام إلا قليلا جدا ، ولا يأكل إلا قليلا جدا، وكان يقول: انقطعت عني شهوة الطعام منذ سنين، وما آكل إلا اقتداء بصاحب الشريعة المطهرة صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: إن كثرة الأكل تخل بالواصل فكيف بالسالك ؟ وكان قد شهر عنه أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم في حالة اليقظة، وكانت وفاته سنة ٧٨٠هـ ودفن شرقي مقبرة "باب سهام" وتربته هنالك من أشهر الترب وأكثرها قصدا للزيارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه اهـ.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن شبيح بضم الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٣٢: أن الشيخ المذكور كان فقيها عالما صالحا، عابدا زاهدا متجردا عن الدنيا، وكانت وفاة الفقيه أبي محمد بن أبي بكر سنة ٧٩٨هـ ، وقبره مشهور يزار ويتبرك به اهـ .

التبرك بقبر أبي بكر علي بن محمد الحداد

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٩١-٣٩٣: أنه كان نفع الله به فقيها عالما كبيرا عابدا ورعا زاهدا، كثير الاجتهاد في العلم والعمل، متواضعا متقللا في مطعمه ومشربه وملبسه مع الورع التام، وكان مبارك التدريس كثير الطلبة صبورا عليهم، وكان يقرأ في اليوم والليلة نحو خمسة عشر درسا، لا يضجر ولا يتبرم، وله في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مصنفات جليلة، لم يصنف أحد من علماء الحنفية في اليمن منذ زمن الإسلام إلى عصرنا مثلها كثرة وإفادة، منها: شرحان على مختصر القدوري كبير وصغير، ومنها: ((شرح المنظومة النسفية)) و((شرح المنظومة الهاملية)) و((شرح قيد الأوابد)) وغير ذلك، وتبلغ مصنفاته نحو عشرين مجلدا في المذهب، وله تفسير حسن مفيد، هذا مع الاشتغال بالعبادة والصيام والقيام والتدريس وغير ذلك، توفي رحمه الله سنة ٨٠٠هـ وقبره مشهور يزار ويتبرك به، وتستنجح عنده الحوائج، ورأيت كثيرا من الناس يقصدون زيارته ويذكرون أنهم لا يلازمون في حاجة إلا تقضى، وأنا ممن وجد ذلك مرارا والحمد لله رب العالمين اهـ .

التبرك بقبر أبي بكر بن محمد بن حسان المضري نسبة إلى مضر بن نزار بن زكريا.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٨٧-٣٩٠: كان الشيخ أبو بكر بن محمد كبيرا عارفا ربانيا مربيا، صاحب رياضات ومجاهدات، يقال: إنه كان راتبه كل يوم ألف ركعة، وكان يختم كل يوم ثلاث ختمات من القرآن الكريم، وكان كثير الصيام، وكان رحمه الله متخليا عن الدنيا بالكلية، ما ملك قط دابة ولا ثوبا حسنا، وما كان يلبس إلا مرقعة اختيارا منه وزهدا وقهرا للنفس، وكانت تعرض عليه الدنيا فيكرهها، وكانت وفاة الشيخ أبي بكر سنة ٨٠٢هـ، وقبره مشهور مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، قلما قصده ذو حاجة إلا وقضيت حاجته رحمه الله ونفع به اهـ .

التبرك بقبر إبراهيم بن موسى بن أيوب القاهري المقسي الشافعي الفقيه

وفي ((الضوء اللامع)) ج١ص١٧٢-١٧٥: أن الشيخ إبراهيم حفظ القرآن وهو شاب وكُتُبا، وتفقه بالأسنوي وولي الدين الملوي وغيرهما في الفقه والعربية والأصول، وأجازه جماعة وتصدى للإفتاء والتدريس، ودرس بمدرسة السلطان حسن وغيرها، وولي مشيخة "سعيد السعداء" مدة، وكان يحسن إلى الطلبة ويجمعهم على التفقه ويرتب لهم ما يأكلون، ووقف بها كتبا جليلة، وممن أخذ عنه الولي العراقي، والجمال بن ظهيرة، وابن الجزري، وذكره العثماني في الطبقات، فقال: الورع المحقق مفتي المسلمين شيخ الشيوخ بالديار المصرية، ومدرس الجامع الأزهر، له مصنفات يألفه الصالحون وتحبه الأكابر، وفضله معروف، وقال المقريزي: إنه صنف في الفقه والحديث والنحو وحج كثيرا، وجاور مرة وحدث هناك وأقرأ ثم رجع فمات في الطريق سنة ٨٠٢ فغسل وكفن وصلي عليه ودفن في "عيون القصب" وقبره بها يتبرك به الحجيج وعملت له قبة اهـ .

التبرك بقبر أبي بكر بن داود

قال ابن العماد الحنبلي في ((شذرات الذهب)) ج ٧ ص ٥٨ : كان الشيخ أبو بكر بن داود وليا كبيرا شهيرا عارفا بالله تعالى، مسلكا مخلصا فقيها حنبليا معدودا في الصالحين، وله زاوية حسنة فوق جامع الحنابلة ، وله تصانيف نافعة، قال الشيخ إبراهيم بن الأحدب : الدعاء عند قبر أبي بكر بن داود مستجاب، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٨٠٦هـ .

التبرك بقبر علي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد المصري الشافعي.

وفي ((الضوء اللامع)) للسخاوي ج ٥ ص ١٦٣-١٦٤ : أن الشيخ علي بن أحمد تفقه بالولي الملوي وتأدب بآدابه، واشتغل كثيرا عليه وعلى غيره كالتاج السبكي أخذ عنه مصنفه ((جمع

الجوامع)) تحقيقا، وكذا الكثير من ((منع الموانع)) و((التنبيه)) ، و((المنهاج)) و((التسهيل))، وأخذ القراءات السبعة عن المجد إسماعيل الكفتي، وكان عالما بالفقه والتفسير وآداب الصوفية، حسن العقيدة، وكان يتكلم على الناس مع شدة الخوف والمراقبة بجامع عمرو ، ثم تحول إلى القاهرة، وسكن جوار الأزهر، ومات في يوم الثلاثاء سنة ٨١٣هـ وصلي عليه بالأزهر ثم بالقرافة، ودفن بـها بالقرب من تربة التاج ابن عطاء الله، وتأسف الناس عليه، ويقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب اهـ .

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن عمر بن إبراهيم القرشي الصوفي الشاذلي.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٢٣٣: أن الشيخ أبا الحسن علي بن عمر كان شيخا كبير القدر مشهور الذكر، اشتغل في بدايته بالعلم حتى أتقن فنونا كثيرة خصوصا في الفرائض ، ثم سلك طريق التصوف، وحج إلى بيت الله الحرام، وكانت وفاة الشيخ علي سنة ٨٢١هـ ، وقبره في قرية "المخا" بفتح الميم والخاء المعجمة مقصود للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج، ومن استجار به أمن مما يخاف، وله هنالك ذرية أخيار مباركون نفع الله بـهم أجمعين.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن شوعان بفتح الشين المعجمة وسكون الواو

و((في طبقات الخواص)) ص ٣٢٩-٣٣٠: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عمر كان رحمه الله فقيها عالما عارفا كاملا، ورعا زاهدا تاركا للدنيا مقبلا على الآخرة ، وكان مع كمال العبادة والزهادة متضلعا من علوم شتى، كالفقه والحديث والأصول والتفسير والقراءات والنحو واللغة وغير ذلك، وكان يدرس جميع هذه العلوم ، وكانت وفاته سنة ٨٢٢هـ ودفن بمقبرة "باب سهام"، وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به رحمه الله تعالى ونفع به آمين اهـ

التبرك بقبر أبي يعقوب يوسف بن علي الأشكل

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٧٠-٣٧٣: أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن علي كان من كبار الصالحين، صاحب كرامات ومكاشفات، خرج متجردا للعبادة، فأقام مدة في كهف من جبل الظاهر المعروف بـ"ظاهر نبهان"، فاتفق أن حصل على أهل تلك الناحية قحط عظيم وتطاول عليهم، فجاءوا إليه وسألوه الدعاء، فدعا لهم فمطروا سريعا وزرعوا وأخصبوا، فارتحل عنهم إلى موضع آخر ليتخلى للعبادة، وتوفي سنة بضع وعشرين وثمانمائة، ودفن مع أهله وقبورهم مشهورة تقصد للزيارة والتبرك نفع الله بـهم أجمعين اهـ.

التبرك بقبر أبي يعقوب يوسف بن عمر المعتب

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٧٣-٣٧٤: أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن عمر كان من كبار مشايخ الصوفية، عابدا زاهدا صواما قواما، وكان صاحب كرامات ومكاشفات، ومن كراماته: أنه كشف له عن حرب الشيخ أبي القاسم الجبيلي مع المشايخ بني فيروز، ورآهم وهم يقتتلون، وجعل يخبر الناس بما يرى فورد الخبر كما ذكره ، وقال: لما رأيت الشيخ الجبيلي سقط رأيت نورا ارتفع منه فملأ ما بين السماء والارض، وكانت وفاة الشيخ يوسف المعتب سنة ٨٢٧هـ عن نحو تسعين سنة، وله ذرية أخيار، وقبورهم يزار ويتبرك بها، ولهم مسامحات لا يعارضون فيها، ومن عارضهم لا يفلح اهـ .

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن محمد الرديني الشريف السني

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٨٤-٨٥: أن الشيخ أبا العباس أحمد كان شيخا جليل القدر، مشهور الذكر، صاحب أحوال وكرامات، اشتغل في بدايته بالعلم وحصل منه طرفا صالحا، وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، متنـزها عن الأخذ من أيدي الناس ، لا يأكل إلا ما يزرعه، توفي سنة ٨٢٧هـ، ودفن بساحل البحر من ناحية "حلى" بقرية يقال لها: "عازب"، وقبره هنالك مشهور مقصود للزيارة والتبرك اهـ .

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن محمد المزجاجي

وفي ((طبقات الخواص))ص٣٣٢- ٣٣٣: أن الشيخ أبا عبد الله كان شيخا كبير القدر صالحا عابدا صواما قواما، كثير الذكر والتلاوة لكتاب الله تعالى، مواظبا على الأوراد، يؤثر الخلوة والعزلة، وكان يحب العلماء ويجلهم ويقوم بكفاية الجماعة منهم، وكانت وفاته سنة ٨٢٩، ودفن بمقبرة "باب سهام" قريبا من تربة شيخه ، وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به اهـ .

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي مليكة بضم الميم على التصغير

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٣٠٠-٣٠١: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبي مليكة كان على قدم كامل من العبادة والمجاهدة، وله ذرية أخيار صالحون، وكانت وفاته سنة ٨٣٣ هـ، وقبور مشايخ بني مليكة هنالك مشهورة مقصودة للزيارة والتبرك نفع الله بهم اهـ .

التبرك بقبر أبي القاسم بن عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ١٩٤-١٩٥: أن أبا القاسم كان من كبار الصالحين، العلماء العاملين، وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة ٨٣٧هـ وقبره يزار ويتبرك به اهـ .

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن يحيى المساوى بضم الميم وفتح السين المهملة وبعد الألف واو مفتوحة ثم ياء آخر الحروف.

وفي ((طبقات الخواص)) ص ٩٤-٩٥: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن يحيى كان شيخا كبير القدر ومشهور الذكر، صاحب أحوال وكرامات، وكان شريفا سنيا، وكان محببا إلى الناس، معتقدا عندهم، له صيت عظيم، ومحل جسيم، وكان في بعض الأوقات يحمل زنبيلا ، ويجعل فيه شيئا من كسر الخبز، وكان الناس يستوهبون منه ذلك ويتبركون به. توفي سنة ٨٤١، ودفن بزاويته من ناحية مدينة "حرض" وقبره هنالك مشهور مقصود للزيارة والتبرك اهـ .

التبرك بقبر الشيخ علي المعروف بخروعة

وفي ((الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)) للسخاوي ج٦ص٦١: أن الشيخ علي المشهور "بخروعه" كان شيخا صالحا مجذوبا، وتحكى له كرامات، ومات بمكة في سلخ رمضان سنة ٨٤٤ وحمل نعشه على الرؤوس، وبني قبره وصار مقصودا للتبرك والزيارة اهـ .

التبرك بقبر أبي القاسم بن أبي بكر بن محمد العسلقي بضم العين وسكون السين المهملتين وضم اللام وآخره قاف.

وفي ((طبقات الخواص)) ص٤٠٠-٤٠١: نشأ أبو القاسم من صغره نشأ حسنا صالحا، واشتغل بالعلم اشتغالا حسنا بلغ في الفقه إلى رتبة التدريس والفتوى، وكان مبارك التدريس، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع به، وكان كثير الصيام والقيام والذكر والتلاوة، توفي رحمه الله سنة ٨٤٥، وقبره ظاهر معروف يزار ويتبرك به اهـ .

الخلاصة

لقد ذكرنا أن كثيرا من الأئمة الأجلاء صرحوا بمشروعية تبرك قبور الصالحين، وذكروا ذلك وهم يستحسنونه بل فعل بعضهم ذلك كالإمام الشافعي، فقد روى الحافظ الجليل الخطيب البغدادي بسند صحيح كما قاله الكوثري أنه تبرك قبر الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وذكر ذلك ابن حجر الهيتمي أيضا في ((الخيرات الحسان)) وذكرنا أن الشافعي قال : قبر موسى الكاظم الترياق المجرب.

وممن ذكر تبرك قبور الصالحين على وجه الاستحسان الإمام الحافظ إبراهيم الحربي، فقد سبق أنه قال : قبر معروف الترياق المجرب، وتبعه على ذلك الحافظ أبو عبد الرحمن السلمي والحافظ ابن الجوزي والحافظ الذهبي والمرتضى الزبيدي وغيرهم.

وقال حافظ الدنيا ابن عساكر: يتبرك قبر ابن الباقلاني ويستسقى به، وصرح الإمام النووي رحمه الله بأنه يتبرك قبر عمر بن عبد العزيز . وذكر الحافظ أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي مؤلف ((التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح)) قبورا كثيرة يتبرك بـــها ، وممن ذكر ذلك التاج عبد الوهاب بن الإمام تقي الدين السبكي ، والقسطلاني صاحب ((إرشاد الساري شرح صحيح البخاري)) والفقيه الشافعي المؤرخ القاضي ابن شهبة، والحافظ الداودي تلميذ الحافظ السيوطي، وابن خلكان، وعمر بن علي الجعدي صاحب ((طبقات فقهاء اليمن))، والمحدث الشهير ملا علي بن سلطان قارئ، والشعراني، وخلائق آخرون لا تحصى كثرتـــهم ممن لم نذكرهم أو ذكرناهم سابقا من المفسرين والمحدثين والفقهاء والصوفية الذين لا يشك أحد أنـــهم هداة الأمة وحملة الشريعة وورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنـــهم ممن قال الله فيهم : فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وقال فيهم: فاسئل به خبيرا، وقد اتفقوا كلهم وهم أهل الذكر والخبرة بدقائق الشريعة وجلياتـــها على مشروعية التبرك بقبور الصالحين .

فالحق أنه لا يسعنا إلا متابعتهم واقتفاء نـــهجهم، فإنـــهم كانوا بلا شك أعلم منا وأتقى لله وأحرص على الخير منا بل لا نبلغ معشار عشرهم في ذلك وغيره من خصال الخير.

فهل يتصور أحد بعد ذلك أن هؤلاء المذكورين وأمثالهم ممن لم نذكرهم أخطأوا كلهم في هذه المسألة، وأن فاعلي التبرك بالقبور كالإمام الشافعي وغيره مخطئون بفعلهم ذلك؟! وهل يستطيع مؤمن بالله واليوم الآخر أن ينسب إلىهؤلاء العلماء ما ينسب بعض المعاصرين إلى المتبركين بالقبور في زماننا من الشرك وعبادة الأوثان ؟! ولو بحث منكر التبرك بحثا خاليا عن التعصب والتعسف والعناد لانجلى له الحق وظهر له اليقين، وعلم قلة المنكرين له المنسوبين إليهم العلم بحيث يعدّ بـــهم بالأصابع ، وأعظم من هذا تبرك المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم مقبرة البقيع التي قيل: إن فيها عشرة آلاف صحابي، ومقبرة المعلى بمكة المكرمة إلى قرننا الخامس عشر الهجري، و لم ينقل عن أحد إنكار ذلك ، بل أعظم من ذلك كله ما أجمعت عليه الأمة المحمدية من التبرك بقبره الشريف صلى الله عليه وسلم، فمتى تغيرت الأمور وتبدلت الأحكام وانقلبت المطلوبات المستحسنة شرعا إلى شركيات؟!! وإن قال قائل: إن التبرك بقبور الصالحين عبادة لها كما يزعمه بعض المنكرين فلا يكون مشروعا بل يكون شركا قلنا: إذا كان تبرك القبور عبادة لها فكذلك تبرك الأحياء عبادة لها، ولا قائل بـــهذا اتفاقا، فقد تواترت

الأحاديث الصحيحة بتبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وقد ذكرنا كثيرا منها ، وثبت كذلك تبرك الأحياء من الصحابة رضي الله عنهم والصالحين من بعدهم .

ومن العجيب الغريب أن يتخيل متخيل وجود الفرق بين هذين التبركين، فيزعم أن تبرك الأحياء مشروع لقدرتـــهم واستطاعتهم فيستحقون بذلك التبرك بـــهم، وقد فرضنا أن التبرك عبادة كما يزعمه المنكرون، فتكون النتيجة إذن أن عبادة الأحياء مشروعة دون الأموات ولا يقول بـــهذا عاقل فضلا عن عالم، ولا شك أن من يطالع كتب التراجم والتواريخ يعلم أن جواز التبرك بقبور الصالحين من البديهيات المعلومة بالضرورة، وتزول عنه الشكوك والأوهام التي انشترت في بعض البلاد في السنوات الأخيرة ، فعلى من يهتم بسلامة دينه ونجاة نفسه لدى وقوفه أمام ربه أن لا يتساهل بتحقيق هذه المسألة، ويبتعد عن العجلة في تكفير المتبركين بقبور الصالحين بادعائه أنـــهم يعبدونـــها كما تعبد الأوثان، ولا يخفى عمن له أدنى معرفة وفهم في العلم أن بين التبرك والعبادة فرقا كبيرا وبونا عظيما، فهما كماقال القائل :

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب

واعلم أن الخوارج كانوا يكفرون المسلمين بارتكاب الكبائر لا بالصغائر، فالعجب ممن يكفر الناس بما ليس بصغيرة فضلا عن كونه كبيرة بل لم يختلف على جوازه الأئمة من السلف والخلف، ولا عبرة بمن شذ وانفرد وصار فريسة السباع والذئاب كالشاة القاصية من الغنم، فقد صدق من قال:

وليس كل خلاف جاء معتبرا   إلا خلاف له حظ من النظر

وقد أدى هذا الخلاف إلى مفاسد كثيرة بين المسلمين، مثل التباغض والتنافر وانقسامهم شيعا متعادية، والجدال والتنازع المشؤوم الذي قال الله فيه: وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، بل قد يسبب القتال كما وقع قديما بين سيدنا علي كرم الله وجهه وبين الخوارج أو بين طوائف من أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة المبطلين. أعاذنا الله من فتنة الشيطان وتسويلاته وإشعاله نار الحرب بين المسلمين.

وإنما أطلت الكلام في تبرك قبور الصاحلين وأكثرت فيها النقول وإن كانت من البديهيات التي لا تخفى عن العوام فضلا عن العلماء بذلا للنصيحة لمن تشبثوا في هذه الأزمنة بالإنكار والجحود بمشروعيته، وإقناعا لهم لعل الله أن يهدي بذلك أقواما منهم فيسلموا من ورطة هذا الاعتقاد الخطير، وأرجو من الله أن ينتفع بما ذكرته كل من ألقى إليه سمعه وهو شهيد

أو تأمل فيه بعين الإنصاف، وأما المتعسف المتعصب المتصمم عن سماع كل شيء يأتي إليه من غير طائفته فلا كلام لنا معه إذ لا تنفعه الأدلة والبراهين .

المقصد الرابع في التوسل والاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالصالحين

المقصد الرابع في التوسل والاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالصالحين

لقد ذكرنا أن من آداب زيارته صلى الله عليه وسلم التوسل والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم، وقد انتشر في عصرنا منع ذلك وعده من المحرمات والشركيات، ورأيت كتبا كثيرة ألفت في ذلك، ولقيت من يعتقد ذلك ويدعو الناس إلى رأيه هذا، فأحببت أن ألحق بباب التبرك بزيارة قبور الصالحين بابا بجواز التوسل والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، وذلك إقناعا للمنصفين من هؤلاء المنكرين، وإفحاما للمتعسفين المتعصبين إلى أفكار أحزابـــهم وأهوائهم، وتحذيرا لمن قد تقرع بأسماعه هذه الادعاءات والتقولات فيتأثر بذلك قلبه، فإني رأيت بعض الشبان ممن ينسب إليه العلم قد انخدع بذلك واغتر به، فقلت وعلى الله التكلان والاعتماد، وبه التوفيق والاستناد :

باب بجواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء وسائر الصالحين

واعلم أن الاستغاثة والتوسل والتشفع والاستنصار والاستمداد والاستفتاح والتوجه والالتجاء واللياذ والتوجه ألفاظ متقاربة، يراد منها في هذا الباب معنى واحد، وكذلك التبرك أيضا في بعض أحواله.

والمقصود من ذلك كله كما يؤخد مما قاله السبكي في ((شفاء السقام)) وغيره هو سؤال العبد ربه بمن يقطع أن له عند الله قدرا ومرتبة، والتوسل والاستغاثة بالصالحين جائز، ولم يمنع ذلك أحد من العلماء من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى القرن الثامن الهجري، فالسلف الصالح رضي الله عنهم ومن بعدهم من المتأخرين مضوا على هذا الجواز قولا وفعلا، وهذا هو المشهور والمعلوم عند كل من له اطلاع في علوم الشريعة وتاريخ العلماء، وقد ألفت في ذلك مصنفات كثيرة مختصرة ومطولة، وفيها الكفاية لمن شاء الله له الهداية، فلهذا لا أطيل في ذكر الأدلة، وإنما أذكر إن شاء الله قليلا منها وأعقد في ذلك فصولا .

الفصل الأول : في أن مسألة التوسل فقهية لا اعتقادية.

الفصل الثاني : في أول من منع التوسل من هذه الأمة.

الفصل الثالث: في ثبوت مشروعية التوسل وجوازه بالأدلة والحجج النقلية.

الفصل الرابع: في ذكر عدد من القائلين بجواز التوسل والاستغاثة ونحوهما.

الفصل الخامس: في المتوسلين من الأنبياء عليهم السلام.

الفصل السادس: في المتوسلين من الصحابة رضوان الله عليهم.

الفصل السابع: في المتوسلين من التابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء العاملين .

الفصل الأول في أن مسألة التوسل من مسائل الفروع الفقهية

اعلم أن مسألة التوسل من مسائل الفروع التي تبحث في كتب الفقه، ويذكرها الفقهاء في مناسك الحج، وليس لها تعلق أصلا بفن العقيدة والتوحيد ، فإن علماء هذا الفن إنما يتكلمون عما يجب لله وما يجوز في حقه تعالى وما يستحيل عليه جل جلاله، وعن مثل ذلك لرسله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وما يشبه ذلك من أصول الدين وأمور البرزخ والآخرة ويقررون ذلك بقواطع البراهين النقلية والعقلية كما لا يخفى على من له أدنى معرفة بالعلوم الدينية وفنونـــها .

ولا يخفى أن أدلة الفقه ظنية، فيكتفى فيه أحاديث الآحاد والقياس، واختلاف الأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية أمر معلوم مشهور لا يخفى عن العوام فضلا عن العلماء، وهو اختلاف جائز لا يضر بل هو رحمة للأمة، وكل من المختلفين منهم في ذلك مثاب مأجور، لكن الاختلاف في العقائد خطير ، فقد قال الإمام الشافعي ما معناه: يقال لمن أخطأ في الفروع : أخطأت، وفي العقائد كفرت، فمن العجيب إلحاق التوسل بباب العقائد وعده من مسائل فن التوحيد!! ويظهر أنـــهم إنما فعلوا ذلك للتمكن من نسبة الكفر والشرك إلى كل من خالف هواهم بادعاء أن من خالفهم في تُرَّهاتـــهم يكون مخطئا في الاعتقاديات، والخطأ فيها قد يوجب الوقوع في الشرك فيستبيحون بذلك الحكم على مخالفيهم بالكفر. وهكذا فعلوا في النذر وغيره فنقلوه من الفقه إلى العقائد ، وفي ذلك تلبيس وتضليل للعوام.وفي ((رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة)) للشيخ محمود سعيد ممدوح : الخلاف في مسألة التوسل هو خلاف في الفروع ومثله لا يصح أن يشنع به أخ على أخيه أو يعيبه به، فالخلاف في الفروع لا يحتمل هذا الإفراط اهـــ.

الفصل الثاني: في أول من منع التوسل من هذه الأمة

قال الإمام الحافظ السبكي في كتابه ((شفاء السقام)) ص ١٦٠: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء والأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار. ثم قال بعد ذلك: إن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله، وسار به بين أهل الإسلام مُثْلَةً. وقال في موضع آخر منه ص ١٧٢: وهذا التوسل شيء لم ينكره مسلم بل ولا متدين بملة من الملل. وقال العلامة الفقيه المحدث أحمد بن

حجر الهيتمي في كتابه ((الجوهر المنظم)) ص٦١: من خرافات ابن تيمية التي لم يقلها عالم قبله وصار بـــها بين أهل الإسلام مثلة أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك كما أفتى، بل التوسل به حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في الدنيا والآخرة. وقال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في ((شواهد الحق)) ص١٤٣ لا يخفى على أحد من المسلمين بل وغير المسلمين عنده أدنى إلمام بمعرفة هذا الدين المبين، وأحوال من اتبعه من المؤمنين، أن جمهور الأمة المحمدية من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية وغيرهم من الخواص والعوام من جميع مذاهب الإسلام متفقون بالقول والفعل على استحسان الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، واستحباب شد الرحال والسفر لزيارته صلى الله عليه وسلم من الأقطار البعيدة والقريبة ، حتى صار ذلك عندهم بمنـــزلة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، بحيث لا يجهله ولا يتصور خلافه أحد ، بل ولا يجوزون أنه يوجد مخالف من المسلمين في استحسان ذلك ، وما زالت الأمة بحمد الله كذلك يتلقاه المتأخرون عن المتقدمين، ويعتقدون كما هو الواقع أن ذلك من أفضل الطاعات وأكمل القربات إلى أن شذ عنهم أقل من القليل من بعض العلماء أشهرهم في ذلك ابن تيمية وتلميذاه يعني ابن القيم وابن عبد الهادي.

وقال مفتي الحرمين الشريفين السيد أحمد زيني دحلان في كتابه ((الدرر السنية في الرد على الوهابية)) ص٣١: من تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شئيا كثيرا في التوسل، ولم ينكره عليهم أحد في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون، ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الأمة في التوسل لامتلأت بذلك الصحف، والتوسل من الأسباب العادية التي لا تأثير لها، والمؤثر هو الله تعالى وحده لا شريك له، فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري، والمؤثر هو الله تعالى، جعل التوسل بالأخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات، وليس في ذلك كفر ولا إشراك اهـــ.

وفي موضع آخر منه ص٣٠: هذا الأمر أعني التوسل لم ينكره أحد قط من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون.

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري في كتابه ((محق التقول)) ص ١٨: وقد جرى عمل الأمة على التوسل والزيارة إلى أن ابتدع إنكار ذلك الحراني ابن تيمية، فرد أهلُ العلم كيدَه في نحره، ودامت فتنته عند جاهلي بلاياه.

وتكلم الشيخ المعاصر محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه ((فقه السيرة)) ص٣٢٥-٣٢٧ عن التوسل به صلى الله عليه وسلم، واستدل لمشروعيته بأدلة كثيرة ، ثم قال: إن ذلك أي التوسل به صلى الله عليه وسلم مما أجمع عليه جمهور الأمة والفقهاء بما فيهم الشوكاني وابن قدامة الحنبلي والصنعاني وغيرهم، والفرق بعد هذا بين حياته صلى الله عليه وسلم وموته خلط عجيب وغريب في البحث لا مسوّغ له.

وقال المحدث العلامة محمود سعيد ممدوح في ((رفع المنارة)) ص ١٨ ما معناه: إن من التوسل نوعا اختلف فيه وهو السؤال بالنبي أو بالولي أو بالحق أو بالجاه أو بالحرمة أو بالذات وما في معنى ذلك، والخلاف فيه ضعيف ومبتدع، وهذا النوع لم ير المتبصر في أقوال السلف من قال بحرمته، أو أنه بدعة ضلالة، أو شدد فيه وجعله من موضوعات العقائد كما نرى الآن ، ولم يقع هذا التشدد إلا في القرن السابع وما بعده، وقد نقل من السلف توسل من هذا القبيل.

وفي ((الدرر الكامنة)) لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ج١ص ١٥٥ : ومن العلماء من ينسب إلى ابن تيمية الزندقة لقوله : إن النبي صلى الله عليه لا يستغاث به، وإن في ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث في مشروعية التوسل

لقد ذكرنا أن كثيرا من العلماء استدلوا على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم بقول الله سبحانه وتعالى: ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما. واستدل كثير منهم بقوله تعالى: ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

وفي ((المفاهيم)) ص٥١: قال القرطبي في ((تفسيره)): قال ابن عباس : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت اليهود فدعت اليهود بـــهذا الدعاء ، وقالوا: إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان أن تنصرنا عليهم، قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بـــهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا، فأنزل الله تعالى: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي بك يا محمد إلى قوله : فلعنة الله على الكافرين.

وفي ((رفع المنارة)) ص ١٣٣- ١٣٥: روى ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول لله صلى الله عليه وسلم : من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني

أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه ويستغفر له سبعون ألف ملك. ورواه أحمد في ((المسند)) وابن خزيمة في ((التوحيد)) والطبراني في ((الدعاء)) وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) والبيهقي في ((الدعوات الكبير)) وابن أبي شيبة في ((المصنف)) وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن ، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم : الحافظ الدمياطي في ((المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح)) والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في ((الترغيب والترهيب)) والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، والحافظ ابن حجر العسقلاني في ((أمالي الأذكار))، وقال الحافظ البوصيري في ((مصباح الزجاجة)): رواه ابن خزيمة في صحيحه فهو صحيح عنده .

فهؤلاء خمسة من الحفاظ رحمهم الله صححوا أو حسنوا الحديث، وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والإذعان له.

ومن أدلة التوسل:

١- حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره فقال يا رسول الله: ليس لي قائد وقد شق علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي، فيجلي لي عن بصري، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر، رواه الترمذي في آخر السنن في أبواب الدعوات وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفي ((محق التقول في مسألة التوسل)) إن هذا الحديث أخرجه البخاري في تاريخه الكبير، وابن ماجه في صلاة الحاجة من سننه، وفيه نص على صحة الحديث، ورواه النسائي في ((عمل اليوم والليلة)) وأبو نعيم في ((معرفة الصحابة)) والبيهقي في ((دلائل النبوة)) وغيرهم على خلاف يسير في غير موضع الاستشهاد، وصححه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم خمسة عشر حافظا، فمنهم سوى المتأخرين: الترمذي، وابن حبان ، والحاكم، والطبراني وأبو نعيم، والبيهقي والمنذري اهـ .

قلت: قال في ((الرد المحكم المتين)) ص ١٥٠: وممن وافق على تصحيح هذا الحديث الإمام النووي رحمه الله في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب ((الأذكار)) ، والحافظ العسقلاني في ((أمالي الأذكار)) والحافظ السيوطي في ((الخصائص الكبرى)) وابن تيمية في غير موضع من كتبه، والحافظ الهيثمي في باب صلاة الحاجة من ((مجمع الزوائد)) اهـ .

وقال السبكي في ((شفاء السقام)) ص ١٦٧: روى الطبراني في ((المعجم الكبير)) بسنده عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه إليك إلى ربك فيقضي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم أن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، وقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله عليه وسلم وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أو تصبر؟ فقال يا رسول الله: إنه ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بـهذه الدعوات، فقال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان لم يكن به ضرر قط اهـ

قلت: وحنيف والد عثمان بضم الحاء كزبير كما في ((القاموس)) .

٢- ومما يصرح بجواز التوسل والاستنصار بذوات الصالحين ما قدمناه في باب التبرك برؤيته صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشيخان، ولفظه عند مسلم : عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث ، فيقولون : انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به ، ثم يبعث البعث الثاني فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيفتح لهم به – إلى آخر الحديث .

٣- وفي ((رفع المنارة)) ص ١٨٧- ١٨٩: روى أبو يعلى الموصلي في مسنده ج٤ ص١٣٢ عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال : هل فيكم أحد صحب محمدا فتستنصرون به ؟ فتنصروا، ثم يقال: هل فيكم من صحب محمدا، فيقال: لا، فمن صحب أصحابه؟ فيقال: لا، فيقال: من رأى من صحب أصحابه، فلوا سمعوا به من وراء البحر لأتوه. قال في ((رفع المنارة)): إسناده صحيح. ورواه أبو يعلى أيضا في مسنده ج ٤ص٢٠٠ بلفظ مقارب وهو: عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يبعث بعث فيقال لهم: هل فيكم أحد صحب محمدا ؟ فيقال: نعم، فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم ، ثم يبعث بعث فيقال: هل فيكم من رأى أصحاب محمد؟ فيلتمس فلا يوجد حتى لو كان من وراء البحر لأتيتموه، ثم يبقى قوم يقرأون القرآن لا يدرون ما هو. قال في ((رفع المنارة)): وسنده صحيح .

وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) ج١٠ص١٨ رواه أبو يعلى من طريقين، ورجالهما رجال الصحيح اهـــ.

وهذا الحديث الصحيح فيه استحباب التوسل بذوات الصالحين .

تنبيه

وكما يُنتصر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ينتصر بالأبدال.

ففي ((الحاوي للفتاوي)) للحافظ السيوطي ج٢ص ٤٥٦ قال الإمام أحمد بن حنبل في ((مسنده)): حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد قال: ذُكِرَ أهل الشام عند علي ابن أبي طالب وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يُسقَى بـــهم الغيثُ وينتصر بـــهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بـــهم العذاب. ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة. ورمز له السيوطي في ((الجامع الصغير)) علامة الحسن .

وروى ابن عساكر في ((تاريخه)) بسنده عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: ذُكِر أهلُ الشام عند علي بن أبي طالب، فقالوا: يا أمير المؤمنين العنهم، فقال: لا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الأبدال بالشام يكونون، وهم أربعون رجلا بـــهم تُسقَون الغيث وبـــهم تنتصرون على أعدائكم ويُصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق. قال ابن عساكر هذا منقطع بين شريح وعلي فإنه لم يلقه اهـــ.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض: اختلف العلماء في الناس المدفوع بـــهم الفساد فقيل: هم الأبدال، وهم أربعون رجلا كلما مات واحد بدّله الله آخر، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم، وروي عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا،يسقي بـــهم الغيث وينصر بـــهم على الأعداء، ويصرف بـــهم عن أهل الأرض البلاء، ذكره الترمذي الحكيم في ((نوادر الأصول)).
وخرّج أيضا عن أبي الدرداء قال: إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانـــهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم: الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة، فهم خلفاء الأنبياء،قوم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صديقا منهم ثلاثون رجلا على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن يدفع الله بـــهم المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس، وبـــهم يمطرون ويرزقون، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه.
وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض: روى ابن مردويه بسنده عن ثوبان حديثا مرفوعا قال : لا يزال فيكم سبعة بـــهم تنصرون وبـــهم تمطرون، وبـــهم ترزقون حتى يأتي أمر الله .
وروى ابن مردويه أيضا بسنده عن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبدال في أمتي ثلاثون، بـــهم ترزقون، وبـــهم تمطرون، وبـــهم تنصرون. قال قتادة: إني لأرجو أن يكون الحسن منهم اهـــ يعني الحسن البصري .
وفي ((الجامع الصغير)) ج١ص ١٢٢: روى أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبـــهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا. ورمز له علامة الصحة. وقال المناوي في ((فيض القدير)): قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير عبد الواحد بن قيس، وقد وثقه العجلي وأبو زرعة، وضعفه غيرهما. وقال السيوطي في ((الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة)): إنه حسن، وله شواهد كثيرة بينتها في ((التعقبات على الموضوعات)) اهـــ .
وفي ((كشف الخفا)) للعجلوني ج ١ ص ٢٥: قال الزركشي: إنه حسن.

وفي ((الجامع الصغير)) أيضا: روى الطبراني عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأبدال في أمتي ثلاثون، بـــهم تقوم الأرض، وبـــهم تمطرون، وبـــهم تنصرون. ورمز له علامة الصحة أيضا. وروى الطبراني أيضا عن عوف بن مالك: الأبدال في أهل الشام، وبـــهم ينصرون، وبـــهم يرزقون . ورمز له علامة الحسن . وروى الخلال في ((كرامات الأولياء)) والديلمي في ((مسند الفردوس)) عن أنس: الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانـــها امرأة اهـــ.

وفي ((الفتاوي الحديثية)) ص٢٧٨ روى ابن أبي الدنيا مرسلا، علامة أبدال أمتي أنـــهم لا يلعنون شيئا أبدا. وروى البيهقي: إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بأعمالهم، ولكن إنما دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدر ورحمة لجميع المسلمين. وروى ابن عدي في ((كامله)) الأبدال أربعون، اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر في العراق، كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم، فعند ذلك تقوم الساعة. وروى أبو نعيم في ((الحلية)) ج٤ص١٧٣: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال أربعون رجلا من أمتي قلوبـــهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بـــهم عن أهل الأرض، يقال لهم: الأبدال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنـــهم لم يدركوها بصلاة ولا بصيام ولا بصدقة، قالوا يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين. حديث غريب اهـــ. وقال المناوي في ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)): طعن ابن الجوزي أحاديث الأبدال واحدا واحدا، وتعقبه المصنف "أي السيوطي" بأن خبر الأبدال صحيح، وإن شئت قلت: متواتر. وقال الحافظ ابن حجر في فتاويه: وردت في الأبدال عدة أخبار، منها ما يصح وما لا . ثم قال المناوي: وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها لكن لا ينكر تقوّي الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه إلا جاهل بالصناعة الحديثية أو معاند متعصب اهـــ.

وقال العجلوني في ((كشف الخفا)): أقول يتقوى حديث الأبدال بتعدد طرقه الكثيرة اهـــ. وألف في الأبدال السخاوي كتابا سماه ((نظم اللآل)). وألف الحافظ السيوطي جزءا بنحو ثمانية عشر صفحة فيهم وفي غيرهم، وسماه ((الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال)) فمما قال فيه: قد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار مااشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالا ونقباء ونجباء وأوتادا وأقطابا . وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك، فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد ولا يعوّل على أنكار أهل العناد. ثم قال: ورد ذلك مرفوعا وموقوفا من حديث عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأنس وحذيفة بن اليمان

وعبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعوف بن مالك ومعاذ ابن جبل وواثلة بن الأسقع وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي الدرداء وأم سلمة رضي الله عنهم. ومن مرسل الحسن وعطاء وبكر بن خنيس، ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم مالا يحصى اهـــ.

ولا يخفي أن عدد الأبدال في الأحاديث المذكورة مختلفة، وتكلم في توجيه ذلك ابن حجر الهيتمي في ((الفتاوي الحديثية)) فارجع إليه إن شئت.

وقد ثبت بما ذكرناه أن لله عبادا ينـــزل المطر ببركتهم وبجاههم، وبـــهم يرزق الخلق، وبـــهم ينصر للمسلمين على أعدائهم، فتحقق بذلك الانتفاع ببركة الصالحين وجاههم عند الله تعالى وبطل ادعاء ما يخالف ذلك والله الموفق .

الفصل الرابع في القائلين بجواز التوسل والاستغاثة ونحوهما

لقد ذكرنا بعض الأحاديث الواردة في جواز ذلك، ويأتي بعضها إن شاء الله، فالنبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى هو الذي بيّن لنا جواز ذلك، وهو المقتدى به في ذلك، وفي كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من امتثال مأمور به أو ترك منهي عنه، وقد ذكرنا أيضا أن الخلاف في التوسل حدث في القرن السابع، وقبله كان أهل العلم متفقين على الجواز، فمنهم من صرح ذلك في تآليفه، ومنهم من لم يتكلم عنه، فنذكر قليلا ممن صرحوا بجواز التوسل واستحسانه، ثم نذكر إن شاء الله بعض المتوسلين من الأنبياء والصحابة ومن بعدهم، فأقول:

منهم سيدنا باب العلم أبو تراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

روى الحافظ ابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) ص ١٦٩ في باب ما يقول إذا خاف السباع بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: إذا كنت بواد تخاف فيه السباع فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد اهـــ.

وفي ((البداية والنهاية)) لابن كثير ج ٢ ص ٣٤٤ ما لفظه: روى الخرائطي من طريق إبراهيم ابن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي قال: إذا كنت بواد تخاف السبع فقل: أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد اهـــ.

وفي ((البداية والنهاية)) أيضا ج ٢ ص ٤١: قال ابن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن عبد الله حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت في يد ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتما، نقش فصه أسدان، بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل، قال أبو بردة: هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال، أخذه

أبو موسى يوم دفنه، قال أبو بردة: فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم، فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم، فقالوا له: إنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعور ملكك ويفسده، فقال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته، إلا أنـــهم أخذوا دانيال فألقوه في أجمة الأسد، فبات الأسد ولبوته يلحسانه و لم يضراه، فجاءت أمه فوجدتـــهما يلحسانه، فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ، قال أبو بردة: قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك، ثم قال الحافظ ابن كثير: هذا إسناد حسن.

وفي ((البداية والنهاية)) أيضا: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني قال: إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان فحدثني بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندي عن عبدالله ابن أبي الهذيل قال: ضرا بختنصر أسدين فألقاهما في جب، وجاء بدانيال فألقاه عليهما، فلم يهيجاه فمكث ما شاء الله اهـــ. وقوله يعور ملكك: أي يفسده فعطف يفسده عليه عطف تفسير، أو يجعل فيه الخلل أو يقبحه كما يؤخذ من شرح ((القاموس)) وقوله: ضرا بختنصر أسدين أي أغراهما، ففي ((القاموس)) وشرحه ضراه تضرية: عوده وألهجه وأغراه، وفيهما أيضا ألهج أغري به وأولع فثابر عليه واعتاده. قلت: كأن الحكمة في التعوذ بدانيال عليه السلام – والله أعلم– هي تلك العلاقة والصحبة التي جرت بينه وبين الأسد، فكأن الله ألهم الأسد أن يرعى حق تلك الصحبة ولا يضر من استعاذ به منه احتراما للصحبة القديمة، ووفاء للعهود المنعقدة بلسان الحال بينهما، وقد يوجه أيضا بأن الله تعالى شرف دانيال عليه السلام بحفظ من استعاذ به من الأسد فلا تستطيع الأسود بضر من استعاذ به لصبره لصبره بما امتحن به من إلقائه في جب فيه أسدان وفي أجمة الأسد، فجازاه الله بذلك لتكون آثار صبره باقية خالدة، فيكون نظير ابتلاء أم اسماعيل وصبرها لما تركها نبي الله إبراهيم الخليل هي وابنها عند الكعبة المشرفة وحيدين لا أنيس لديهما ولا معين لهما، فسعت وتكررت مهمومة بين الصفا والمروة سبع مرات، فسن الله السعي بينهما، وجعله ركنا من أركان الحج والعمرة إبقاء لجميل صنيعها، وتذكيرا لعظيم صبرها بمن يأتي بعدها إلى الأبد، ويحتمل غير ذلك من الحكم والأسرار، والله تعالى وحده أعلم بالسر في ذلك.

ومنهم: سيدتنا زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها

عقد الحافظ ابن الجوزي بابا في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم فقال في كتاب ((الوفا بأحوال المصطفى)): الباب التاسع والثلاثون في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم وعن أبي

الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا ، فشكوا إلى عائشة فقالت : انظروا قبر رسول صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى فتقت فسمي عام الفتق اهـ. قال في ((الرد المحكم المتين)) : فهذه عائشة أمرتهم أن يلجأوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قبره، ويجعلوا من قبره كوى إلى السماء مبالغة في الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم ، وبالضرورة كان بالمدينة إذ ذاك صحابة وتابعون، فلم ينقل عن أحد منهم أنه أنكر عليها ذلك. وروى هذا الحديث الدارمي في سننه، ورجال سنده لا بأس بهم، وسعيد بن زيد وإن كان متكلما فيه فهو من رجال مسلم، وقد وثقه ابن معين وغيره انتهى. فلا يخفى أن عائشة رضي الله عنها لم تأمرهم بذلك إلا وهي تعتقد بجوازه ومشروعيته، فهي إذن من القائلين بجواز التوسل .والكوى جمع كوة ، ففي ((المصباح المنير)): الكوة تفتح وتضم: الثقبة في الحائط، وجمع المفتوح كوات مثل حبة وحبات، وجمع المضموم كوى بالضم والقصر مثل مدية ومدى .

ومنهم الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة

روى القاضي عياض في ((الشفاء)) بسنده في فصل واعلم أن حرمته صلى الله عليه وسلم بعد موته لازم كما كان حال حياته: أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك بن أنس : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال تعالى: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك الآية. قال الشهاب الخفاجي في شرحه ((نسيم الرياض)) ج ٣ ص ٣٩٨: وسند القاضي عياض على هذه القصة صحيح، والقصة فيها طول.

ومنهم الإمام أحمد

وفي كتاب ((مفاهيم يجب أن تصحح)) ص ٥٨ ما نصه: قال ابن تيمية في فتاويه ج١ص١٤٠: قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي صاحبه: إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه، ولكن غير أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به ولا يقسم على الله بمخلوق، وأحمد في إحدى الروايتين قد جوز القسم به فلذلك جوز التوسل به اهـ. ومثله في ((الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين)) ص٥٢.

وقد قال الشيخ محمود سعيد ممدوح في ((رفع المنارة)) ص ١٥: قال الإمام أحمد بن حنبل في ((منسك المروزي)) بعد كلام ما نصه: وسل الله حاجتك متوسلا إليه بنبيه صلى الله عليه

وسلم تقض من الله عز وجل اهـ. ثم قال ممدوح: هكذا ذكره ابن تيمية في ((الرد على الأخنائي)) ص ١٦٨.

ومنهم الإمام الغزالي

فقد قال في كتابه ((إحياء علوم الدين)) ج١ص٢٦٦ في باب زيارة المدينة وآدابها : يقول زائر قبره صلى الله عليه وسلم: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، إلى أن قال: ثم يقول: اللهم إنك قد قلت وقولك الحق : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك- الآية، اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا فتب اللهم علينا وشفع بنبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك اهـ.

ومنهم أبو الحسن الشاذلي

ففي ((الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية)) للمناوي ج٢ص ١٠٢ و((شواهد الحق)) للنبهاني ص ١٦٦ أن العارف بالله الشيخ أبا الحسن الشاذلي قال: من كانت له إلى الله حاجة فليتوسل إلى الله بالغزالي . وقال ابن العماد في ((شذرات الذهب)) ج ٤ ص١٢ بعد كلام نقلا عن الأسنوي: انتقل الغزالي إلى رحمة الله وهو قطب الوجود، وبركته الشاملة لكل موجود، يتقرب إلى الله تعالى به كل صديق، ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق اهـ .

ومنهم الحافظ البيهقي

فقد ذكرنا أنه ذكر في ((دلائل النبوة)) استنصار خالد بن الوليد بشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا يدل على أنه من القائلين بمشروعية التوسل واستحسانه.

ومنهم ابن الحاج

قال في ((المدخل)) ج١ص٢٦٠: من جاءه صلى الله عليه وسلم ووقف ببابه وتوسل به وجد الله توابا رحيما . وقال في موضع آخر: من توسل به صلى الله عليه وسلم أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، اهـ. وقد ذكرت عبارته بكمالها في آداب زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنهم الإمام السبكي

قال الإمام الحافظ تقي الدين علي بن عبد الكافي في كتابه ((شفاء السقام)) ص ١٦٠ :اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وقد ذكرنا عبارته في الفصل الثاني. وسيأتي أنه توسل به صلى الله عليه وسلم .

ومنهم ابن قدامة الحنبلي

فقد ذكر مستحسنا في كتابه ((المغني)) قصة العتبي رحمه الله تعالى ج٣ص٥٥٦ -٥٥٨، وفيه أيضا ٥٥٨: ثم تأتي القبر فتولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه، وتقول: السلام عليك أيها النبي إلخ، وذكر في جملة ما يقول الزائر قد أتيتك مستغفرا من ذنوبي، مستشفعا بك إلى ربي إلخ.

ومنهم الإمام النووي

فقد قال في كتابه ((الإيضاح في مناسك الحج)) : ويتوسل به صلى الله عليه وسلم الزائر في حق نفسه ويتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول : ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما، وقد جئتك مستغفرا من ذنبي متشفعا بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمـــه   فطاب من طيبهن القـــاع والأكم

نفسي الفداء لـــقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكـــرم

أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته   على الصراط إذا مـــا زلت القدم

وصاحباك فلا أنساهما أبـــدا   مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال: ثم انصرف، فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له اهـــ .وذكر النووي قصة العتبي أيضا في ((الأذكار)) ص ١٨٥ .

وقال الحافظ القسطلاني في ((المـــواهـــب اللدنـــيـــة)) في الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف : حكى جماعة الحكاية المشهورة عن العتبي رحمه الله منهم: الإمام أبو نصر ابن الصباغ في ((الشـــامـــل)) وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي وتوفي العتبي في سنة ٢٢٨هـــ واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب اهـــ ما في ((المواهب)) .

والعتبي بضم العين وسكون التاء كما في ((الزرقاني شرح المواهب اللدنية)) ج١٢ص١٩٨.

وفي ((اللباب)) لابن الأثير أن اسمه محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر إلخ حدث عن أبيه وابن عيينة وحدث عنه أبو حاتم السجستاني اهـــ ما في ((اللباب)) وقال الهيتمي في ((الجوهر المنظم)): عده بعضهم في مشايخ الشافعي رحمه الله تعالى.

ومنهم الحافظ القسطلاني

فقد ذكر في مواضع من ((المواهب اللدنية)) جواز التوسل والاستغاثة والتشفع به صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا بعض عباراته في آداب الزيارة. والقُسْطُلاني بضم القاف والطاء وسكون السين وتشديد اللام كما في ((منتهى السول على وسائل الوصول)) للعلامة عبد الله بن سعيد اللحجي ج١ص ٨١ .

وفي ((القاموس)) قَسْطَلَةٌ وَقَسْطِيْلِية بلدة بالأندلس، وفي ((تاج العروس)): أو هي من إقليم إفريقية، والنسبة قَسطلاني قاله ابن فرحون، وقال القطب الحلبي: في ((تاريخ مصر)) القَسْطَلاني كأنه منسوب إلى قُسْطِيْلَة بضم القاف من أعمال إفريقية بالمغرب اهـــ.

قلت: وقد سمعت من بعض مشايخنا أن الحافظ القسطلاني كان يكنى - بابن حجر- كما يكنى بذلك شيخ الإسلام الحافظ العسقلاني والعلامة الهيتمي، وأيضا رأيت في كتاب ((السنة قبل التدوين)) للشيخ محمد عجاج الخطيب ص ٤٤٨ تكنيته بابن حجر، لكني لم أرها في غيره مما لديّ من الكتب التي ترجمت له. وسمعت أن بعضهم ينكر ذلك و لم أقف لإنكاره على مستند فالله أعلم.

ومنهم شهاب الدين الخفاجي

قال في كتابه ((نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض)) ج٣ ص٥١٧: يستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم أن يدعو ويستشفع به ويتضرع .

ومنهم العلامة المحقق سعد الدين التفتازاني

نقل الزاهد الكوثري في ((محق التقول)) ص ٨ :أن التفتازاني قال في شرح ((المقاصد)) بعد كلام: ينتفع بزيارة القبور والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات، في استنـــزال الخيرات واستدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقا ما بالبدن وبالتربة التي دفن فيها، فإذا زار الحي تلك التربة وتوجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقات وإفاضات.

ومنهم شمس الدين محمد الرملي

ففي ((فتاويه)) المطبوع على هامش ((الفتاوى الفقهية الكبرى)) للهيتمي ج ٣ص٣٨٢ سئل - أي الشيخ الرملي- عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين، فهل ذلك جائز أم لا ؟ فأجاب بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة ، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتـــهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع

بموتـــهم ،أما الأنبياء فلأنـــهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار ، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، والشهداء أيضا أحياء شوهدوا نـــهارا جهارا يقاتلون الكفار، وأما الأولياء فهي كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة، يجريها الله تعالى بسببهم، والدليل على جوازها أنـــها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع، وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتي من عند الله على ما نطق به التنـــزيل، وقصة أبي بكر وأضيافه كما في الصحيح، وجريان النيل بكتاب عمر ، ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بـــ"نـــهاوند" حتى قال لأمير الجيش: يا سارية – الجبل– محذرا له من وراء الجبل لكمين العدو هناك، وسماع سارية كلامه ، وبينهما مسافة شهرين، وشرب خالد السم من غير التضرر به. وقد جرت خوارق على أيدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها. وبالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، لا فارق بينهما إلا التحدي .

ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري

فقد ذكر ذلك في ((شرح المنهج)) في كتاب الحج وعبارته : ويتوسل به صلى الله عليه وسلم الزائر في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه.وقد ذكرنا ذلك في آداب الزيارة. وكذلك تلاميذه الخطيب الشربيني والرملي والهيتمي، ذكروا كلهم ذلك في شروحهم على ((منهاج الطالبين)) في كتاب الحج. وقد ذكرنا أيضا عبارة ابن حجر الهيتمي في ((الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم)).

ومنهم: الإمام المحلي

ذكر ذلك أيضا ((في شرحه على المنهاج)) في كتاب الحج .

ومنهم : الإمام الحافظ السخاوي

قال في ((القول البديع)) ص ٢٩: من تشفع بجاهه صلى الله عليه وسلم وتوسل بالصلاة عليه بلغ مراده وأنجح قصده، ولو قيل: إن إجابة المتوسلين بجاهه عقب توسلهم يتضمن معجزات كثيرة بعدد توسلاتـــهم لكان أحسن. وحسبك قصة المهاجرة التي مات ولدها ثم أحياه الله عز وجل لها لما توسلت بجنابه الكريم اهـــ .

ومنهم: الحافظ عماد الدين ابن كثير

فقد ذكر في ((البداية والنهاية)) ج١ص ٨١ نقلا عن الحاكم والبيهقي وابن عساكر قصة توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر أيضا في ج ٧ ص ٩١ قصة الرجل الذي جاء إلى قبر

النبي صلى الله عليه وسلم وتوسل به، وقال : إسنادها صحيح، وذكر أيضا أن شعار المسلمين في قتال مسيلمة يا محمداه كما في ج٦ص٣٢٤ اهـ .

قلت: وذكر عقب تفسير قوله تعالى: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله – الآية قصة العتبي مع الأعرابي ، ونص عبارته: وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه ((الشامل)) الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما، وقد جئتك مستغفرا لذنبي، متشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له اهـ .

تنبيه

وفي ((شواهد الحق)) ص١٦١ قال السيد السمهودي في ((خلاصة الوفاء)): ليس محل الاستدلال برؤيا العتبي، فإن الأحكام لا تثبت بالرؤيا، وإنما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الإتيان بما قاله الأعرابي . وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك قصة الأعرابي والعتبي عند ذكرهم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: ومن أحسن ما يقول الزائر ما جاء عن العتبي إلخ اهـ .

قلت: بل ما زال المتقدمون والمتأخرون يستحسنون تلك الأبيات إلى عصرنا هذا ، فإني رأيت مرارا أبيات ذلك الأعرابي مكتوبة في جدار الحجرة الشريفة النبوية صلى الله على ساكنها وسلم، وكان أول ما رأيت مكتوبة بنحاس صيغ أو نحوها، ثم رأيت بعد ذلك مكتوبة بخط واضح حسن جدا، وكان آخر ذلك سنة ١٤١٨هـ .

ومنهم كما في ((المفاهيم)) ص ٧٦ الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم في كتابه ((المستدرك))، فقد ذكر فيه حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم وصححه.

ومنهم إمام القراء الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزري

فقد قال في كتابه ((عدة الحصن الحصين)) في فصل آداب الدعاء: ويسأل الله بأسمائه العظام الحسنى، ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين اهـ .

ومنهم الحافظ العسقلاني

ذكر في ((فتح الباري)) ج٢ ص٤٩٥ قصة الذي جاء إلى قبره صلى الله عليه وسلم وتوسل به وصحح سندها .

ومنهم الإمام المفسر القرطبي

فقد ذكر في تفسير قوله تعالى : ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم. الآية. قصةَ الأعرابي الذي قدم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبره صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه. وقد ذكرناها بكمالها في" آداب زُوَارِ ضريحه صلى الله عليه وسلم" اهـــ

ومنهم الماوردي

ذكر الإمام أقضى القضاة الماوردي قصة العتبي في كتابه ((الأحكام السلطانية)) ص ١٢٤

ومنهم : نابت بن إسماعيل بن علي بن محمد المكي الشافعي

ففي ((الضوء اللامع)) للسخاوي ج ١٠ص١٩٥: أن له نظما كثيرا منه قوله:

تشفع يا مسيء بذي المعالي   إمـــام الرسل خير الأنبياء

كريم الأصل طـــه من أتاه   يروم الأمن حُلَّ عن الشقاء

عليه صلاة ربي كـــل حين   وسلم في الصباح وفي المساء

وكان الشيخ نابت بن إسماعيل قد حفظ القرآن والبهجة والإرشاد ، وقرأ على الخطيب أبي الفضل النويري البخاري وغيره . توفي رحمه الله سنة ٨٨٧ هـــ .

ومنهم الشيخ العلوي بن السقاف

وقال العلامة عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن عمر المشهور با علوي مفتي الديار الحضرمية في ((بغية المسترشدين)) ص ٢٩٧ نقلا عن الشيخ العلوي بن السقاف بن محمد الجعفري ما نصه: التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتـــهم وبعد وفاتـــهم مباح شرعا، كما وردت به السنة الصحيحة كحديث آدم عليه السلام حين عصى، وحديث من اشتكى عينيه، وأحاديث الشفاعة، والذي تلقيناه عن مشايخنا وهم عن مشايخهم وهلم جرا أن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد، وكفى بـــهم أسوة، وهم الناقلون لنا الشريعة، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا، فلو قدرنا أن المتقدمين كفروا كما يزعمه هؤلاء الأغبياء لبطلت الشريعة المحمدية . وقول الشخص المؤمن يا فلان عند وقوعه في شدة داخل في التوسل بالمدعو إلى الله تعالى، وصرف النداء إليه مجاز لا حقيقة، والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربي أن يقيل عثرتي أو يرد غائبي مثلا، فالمسؤول في الحقيقة هو الله تعالى، وإنما أطلق الاستعانة بالنبي أو الولي مجازا، والعلاقة بينهما أن قصد

الشخص التوسلَ بنحو النبي صار كالسبب، وإطلاقه على المسبب جائز شرعا وعرفا، وارد في القرآن والسنة كما هو مقرر في علم المعاني والبيان، نعم ينبغي تنبيه العوام على الفاظ تصدر منهم، تدل على القدح في توحيدهم، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى، لا يملك غيره لنفسه ضرا ولا نفعا إلا بإرادة الله تعالى، وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا. "**فائدة" سئل السيد عمر البصري عن قول الشخص"** شي لله يا فلان" إلخ فأجاب: قول العامة يا فلان شي لله غير عربية، لكنها من مولدات أهل العرف، ولم يحفظ لأحد من الأئمة نص في النهي عنها، وليس المراد بـــها في إطلاقهم شيئا يستدعي مفسدة الحرام أو المكروه، لأنـــهم إنما يذكرونـــها استمدادا أو تعظيما لمن يحسنون فيه الظن اهـــ.

الفصل الخامس في المتوسلين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

توسل أبينا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

وفي ((شفاء السقام)) للإمام السبكي ص١٦١- ١٦٢: و((الجوهر المنظم)) للهيتمي ص٦١: أن الحاكم أبا عبد الله بن البَيِّع روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما اقترف آدم عليه السلام بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وفي نسخة: لما اعترف آدم عليه السلام ، ورواه البيهقي أيضا في ((دلائل النبوة)) وذكره الطبراني وزاد فيه :وهو آخر الأنبياء من ذريتك.

واعلم أن هذا الحديث روي مرفوعا وموقوفا بطرق كثيرة، واختلفت أقوال العلماء في درجته، فصححه الحاكم كما مر، وحسنه بعضهم وضفعه آخرون، بل قال بعضهم: إنه باطل موضوع، وقالوا تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واتـــهموه بالوضع .

وقال الشيخ محمود سعيد ممدوح في ((رفع المنارة)) ص ٢٤٧- ٢٤٩: وجدت لهذا الحديث شاهدا قويا، فقد أخرج الحافظ أبو الحسن بن بشران قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح حدثنا محمد بن صالح ثنا محمد بن سنان العوقي ثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة قال: قلت يا رسول الله: متى

كنت نبيا ؟ قال: لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، وخلق العرش كتب على ساق العرش : محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه وأخرجه ابن الجوزي في ((الوفا بفضائل المصطفى)) ونقله عنه ابن تيمية في ((الفتاوي)) ج٢ص١٥٠ مستشهدا به، وذكره شيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري نور الله مرقده في ((الرد المحكم المتين)) ص١٣٩ وقال: إسناد هذا الحديث قوي، وهو أقوى شاهد وقفت عليه لحديث عبد الرحمن بن زيد اهـ ثم قال الشيخ محمود سعيد ممدوح: إسناد هذا الحديث مسلسل بالثقات ما خلا راو واحد صدوق . فالصواب أن إسناد هذا الحديث من شرط الحسن على الأقل انتهى باختصار. وما نقلناه من ((رفع المنارة)) محذوف من بعض النسخ، فتنبه لذلك.

فعلم مما ذكرناه ثبوت توسل أبينا آدم بنبينا محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام، وتبين أن من جعل هذا الحديث موضوعا لا يعوّل على قوله هذا وإن كان إماما فاضلا، فإن الله يظهر الحق على لسان من شاء من عباده والحق أحق أن يتبع .

توسل سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

وفي ((الرد المحكم المتين)) أن الطبراني روى في معجميه ((الكبير)) و((الأوسط)) بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت الأسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثا ثلاثا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل فيه رسول صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه وقال: الله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت الأسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعا، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في ((مجمع الزوائد)): رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح، وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف، وقد أطال الشيخ محمود سعيد ممدوح الكلام في روح ابن صلاح ثم قال في آخر كلامه : وحاصل ما تقدم أن روح بن صلاح صدوق والحديث حسن الإسناد، فانظر كتابه ((رفع المنارة)) ص ١٤٧- ١٥٥ ففيه ما يقتنع به طالب الحق المنصف إذا كانت له أدنى معرفة بعلم الجرح والتعديل والله الموفق .

وفي ((الرد المحكم المتين)) ص ١٩٧ أن الطبراني روى عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المسلمين. قال الحافظ المنذري :رواته رواة الصحيح وهو مرسل اهـ.

وفي ((رفع المنارة)) لمحمود سعيد ممدوح ص ٢٣٣ أن الطبراني روى بعدة طرق ما لفظه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين، وأن الحافظ الهيثمي قال: في ((مجمع الزوائد))ج١٠ص٢٦٢ رواه الطبراني ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح اهـ.

وفي ((الجامع الصغير)) كان صلى الله عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين رواه ابن أبي شيبة والطبراني في ((الكبير))

وفي ((رياض الصالحين)) ص ١٣٩ عن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم. رواه أبو داود بإسناد جيد اهـ. وقوله ابغوني: أي اطلبو لي صعاليك المسلمين أستعين بـهم على أعدائكم. فثبت بما ذكرناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توسل بحق ذاته الشريفة والأنبياء من قبله، وأنه استنصر بصعاليك المسلمين والمهاجرين، وبذلك انحلت عقدة الخلاف والنـزاع في جواز التوسل ومنعه إذا لا يقول مؤمن بالله واليوم الآخر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ في ذلك التوسل لاجماع الأمة على عصمته، وأنه القدوة والأسوة. فليقتنع المنصف بذلك وليتحرر عن التعصب، وليختر لنفسه ما ينفعه لدى وقوفه أمام ربه .

وقد رودت أحاديث أخرى في أن النصر والرزق بضعفاء المسلمين، ففي ((رياض الصالحين)) أيضا روى البخاري في صحيحه مرسلا عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال: رأى سعد أنّ له فضلا على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم . ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني في صحيحه متصلا عن مصعب عن أبيه رضي الله عنه .

وذكر البخاري هذا الحديث في كتاب الجهاد في باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، وقال الحافظ العسقلاني في ((فتح الباري)) ج٦ص ٨٨: أي استعان ببركتهم ودعائهم، وفي رواية النسائي إنما نصر الله هذه الأمة بضعفتهم بدعواتـــهم وصلاتـــهم وإخلاصهم، وفي رواية أخرى ينصر المسلمون بدعاء المستضعفين. وأخرجه أبو نعيم في الحلية اهـــ.

وقال ابن علان في ((دليل الفالحين شرح رياض الصالحين)) ج٢ص٧٥ قوله ترزقون: أي ترزقون المطر والفيء وغيرهما مما تنتفعون به، وقوله وتنصرون بضعفائكم: أي ببركة وجود صعاليك المسلمين ودعائهم لكم اهـــ .

الفصل السادس في المتوسلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إناكنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا قال: فيسقون. وفي ((فتح الباري)) ج٢ص٤٩٧: أخرج الزبير بن بكار عن ابن عمر قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فذكر الحديث، وفيه فخطب الناس عمر فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله. وذكر ابن سعد وغيره أن عام الرمادة كان سنة ١٨.

ومنهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((تلخيص الحبير)): روى أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح أن معاوية استسقى بيزيد بن الأسود. ورواه أيضا أبو القاسم اللالكائي في ((السنة)) في كرامات الأولياء منه. وروى ابن الجوزي في ((صفة الصفوة)) ج٤ص٢٠٢: عن سليم بن عامر الخبائري أن الشام قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس فأقبل يتخطى، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنـــها ترس، وهبت لها ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم. وذكر توسل معاوية بيزيد بن الأسود الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٤ص١٣٧ باختلاف يسير في اللفظ. وقال الحافظ العسقلاني في ((تلخيص الحبير)) روى الإمام أحمد في الزهد أن معاوية استسقى

بأبي مسلم الخولاني. وقال الرافعي رحمه الله في ((فتح العزيز بشرح الوجيز)) في باب الاستسقاء: من آداب الاستسقاء أن يستسقى بالأكابر وأهل الصلاح سيما من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم، استسقى عمر بالعباس ومعاوية بيزيد بن الأسود.

ومنهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول رضي الله عنه

فقد سبق في باب التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم أن البيهقي عقد بابا لاستنصار خالد يوم اليرموك بشعر ناصيته صلى الله عليه وسلم. وقال ابن كثير ((في البداية والنهاية))ج٧ص١١٣: وقد روي أن خالدا سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب، فجعل يستحث في طلبها فعوتب في ذلك، فقال: إن فيها شيئا من شعر ناصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنـــها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بـــها اهـــ. وقال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)): كان في قلنسوة خالد شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به ويتبرك به فلا يزال منصورا اهـــ

ومنهم بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه

روى الإمام السبكي في ((شفاء السقام)) بسنده عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنـــهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله في المنام فقال: ائت عمر فاقرأه السلام وأخبره أنـــهم مسقون، وقل له: عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه. والكيس الرفق، ففي ((تاج العروس)) الكيس في الأمور يجري مجرى الرفق فيها. وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج٧ص٩١: روى الحافظ أبو بكر البيهقي بسنده عن مالك أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنـــهم قد هلكوا. ثم قال الحافظ ابن كثير: وهذا إسناد صحيح. وقال الحافظ العسقلاني في ((فتح الباري))ج٢ص٤٩٥-٤٩٦: روى هذا الحديث ابن أبي شيبة بإسناد صحيح. والذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة اهـــ. وقال المحدث محمد زاهد الكوثري في كتابه ((محق التقول)) ص١١-١٢: أخرج هذا الحديث البخاري في تاريخه مختصرا، وأخرجه ابن أبي خيثمة مطولا. وقال الكوثري أيضا: وهذا الحديث نص على عمل الصحابة في الاستسقاء به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حيث لم ينكر على بلال أحد منهم مع بلوغ الخبر إليهم وما يرفع إلى أمير المؤمنين يذيع ويشيع فهذا يقطع ألسنة المتقولين.

وقال السبكي أيضا في ((شفاء السقام)) ص١٧٤: ومحل الاستشهاد من هذا الأثر طلب بلال ابن الحارث المزني الاستسقاء من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في مدة البرزخ، ولا مانع من ذلك فإن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع اهـ.

وفي ((تهذيب الأسماء واللغات)) أن عقبة بن عامر الصحابي رضي الله عنه شهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح دمشق، ووصل المدينة في سبعة أيام ورجع منها إلى الشام في يومين ونصف بدعائه عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشفعه به في تقريب طريقه. توفي رضي الله عنه بمصر سنة ٥٨ ثمان وخمسين اهـ .

ومنهم الحارث بن حسان الصحابي ويقال: الحارث بن يزيد البكري

وفي ((البداية والنهاية)) ج١ص١٢٧-١٢٨ ماحاصله: أن الإمام أحمد روى بسنده عن أبي وائل أن الحارث بن حسان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمر بالربذة فإذا عجوز من بني تميم، فقالت له: يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغي إليه؟ فحملها فأتى المدينة، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها، قال: فجلست فاستأذنت عليه، فأذن لي فدخلت وسلمت، فقال: هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟ فقلت: نعم، وكانت لنا الدبرة عليهم، ومررتُ بعجوز من بني تميم فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب، فأذن لها فدخلت، ثم خاصمته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في "الدهناء"، تَدَّعِي أنها لبني تميم قبيلتها، ويدعي هو أنها لعشيرته، قال الحارث : فقلت: إن مثلي ما قال الأُوَلُ "معزاء حملت حتفها" حملتُ هذه الأمة ولا أشعر أنها كانت لي خصما، أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال: هيه وما وافد عاد ؟ قلت: إن عادا قحطوا فبعثوا وافدا لهم يقال له: "قيل" فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر ويغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة، فقال : اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود، فنودي منها اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رمادا رمددا، لا تبقي من عاد أحدا، قال أبو وائل : وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدا لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد. وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وأورد هذا الحديث غير واحد من المفسرين كابن جرير وغيره، انتهى ما في ((البداية والنهاية)) بمعناه وحذف يسير .

قوله وجها يعني جهة وناحية كما في ((معجم الوسيط))، وقوله الدَبْرَةُ في ((معجم الوسيط)) الدبرة الظفر والنصرة، وفي ((القاموس)) وشرحه ((تاج العروس)) يقال: جعل الله عليهم الدبرة أي الهزيمة في القتال، وقوله رمادا رمددا في ((القاموس)) وشرحه ((تاج العروس)) رمادا رِمدَدا كزِبْرِج ودرهم أي كثير دقيق جدا. وقال ابن الأثير في ((النهاية)) : الرِّمدِد بالكسر المتناهي في الإحتراق والدقة. وفي ((القاموس)) "الدهناء" موضع لتميم بنجد، ويقصر، و"الدهناء" أيضا موضع أمام ينبع . وفي ((معجم البلدان)) الدهناء بفتح أوله وسكون ثانيه قال أبو منصور: "الدهناء" من ديار بني تميم معروفة، تقصر وتمدّ، قال: وهي سبعة أجبل، وقال الهيثم بن عدي: الوادي الذي في بلاد بني تميم ببادية البصرة في أرض بني سعد يسمونه الدهناء .

وذكر ابن كثير أيضا هذا الحديث في تفسير سورة الأحقاف من تفسيره المشهور .

وقال الحافظ في ((فتح الباري)) ج٨ ص ٥٧٨-٥٧٩: أخرج أحمد بإسناد حسن عن الحارث ابن الحسان البكري قال: خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- الحديث ، وفيه فقلت : أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال: وما وافد عاد؟الخ اهـ.

قلت: روى الإمام أحمد هذا الحديث بطريقين في مسنده ج٣ ص٥٨٥، ورواه أيضا كما في ((أسد الغابة)) أبو بكر بن أبي شيبة .

فاستعاذة الحارث الصحابي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع تقرير النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك نصّ صريح في جواز الاستعاذة برسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث حسن كما صرح به أبو الفضل الحافظ العسقلاني. فليقتنع بهذا النص المنكرون على جواز التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم. والله الهادي إلى الصراط المستقيم.

ومنهم عبد الله بن الزبير

وفي ((وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)) لا بن خلكان ج٣ص٢٩: حكى سفيان الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال: لقد رأيت عجبا، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القوم بعد ما فرغوا من صلاتهم: ليقم رجل منكم فليأخذ الركن اليماني وليسأل الله حاجته فإنه يعطي من ساعته، قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود في الهجرة، فقام وأخذ بالركن اليماني، ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه الصلاة والسلام أن لا تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم عليّ بالخلافة، وجاء حتى جلس، فقال: قم يا مصعب، فقام حتى أخذ الركن اليماني، فقال: اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء

أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين، وجاء حتى جلس فقال: قم يا عبد الملك، فقام وأخذ بالركن اليماني وقال : اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض ذات القفر، أسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الأرض ومغربـــها ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء حتى جلس فقال: قم يا عبد الله بن عمر فقام حتى أخذ بالركن اليماني، ثم قال: اللهم إنك رحمن رحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت لكل رجل ما سأل، وبشر عبد الله بن عمر بالجنة ورؤيت له اهـــ.

الخلاصة

لقد ذكرنا من الصحابة المتوسلين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ومعاوية بن أبي سفيان، وسيف الله خالد بن الوليد، وبلال بن الحارث المزني، وعقبة بن عامر، والحارث بن حسان رضي الله عنهم أجمعين. فهؤلاء الصحابة ثبت عنهم التوسل بنقل العدول الثقات من أعيان العلماء الراسخين في العلم وأئمة المسلمين وقادتـــهم من الحفاظ والفقهاء والمفسرين كالإمام البخاري، والبيهقي، والإمام السبكي، والإمام النووي، وشيخ الإسلام الحافظ بن حجر العسقلاني، والحافظ ابن كثير، وأبي القاسم اللالكائي، وأبي زرعة الدمشقي، وغيرهم ممن ذكرناهم أو لم نذكرهم، أفيرى منكرو التوسل بذوات الصالحين أن هؤلاء الأئمة تواطئوا واتفقوا على اختلاق الكذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبتهم إلى ما هم بريئون منه من التوسل بذوات الصالحين افتراء عليهم، أو يعتقد المنكرون أن الأئمة صدقوا في نسبة التوسل إلى الصحابة لكنهم رضي الله عنهم أخطأوا في ذلك وابتدعوا وارتكبوا في ذلك الفسق والشرك، كلا، إن المسلم ليستحيي أن يتفوّه بمثل هذا أو يعتقده في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هؤلاء الأئمة، فإذا انتفى هذان أعني كذب هؤلاء الحفاظ والأئمة وابتداع الصحابة وارتكابـــهم المعاصي في التوسل لم يبق حينئذ إلا الانقياد للحق، والاعتراف به، وهو جواز التوسل وإباحته، وكيف لا يكون مشروعا وقد ثبت أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يتوسلون بذوات الصالحين كما ذكرناه آنفا.

الفصل السابع في المتوسلين من التابعين ومن بعدهم

اعلم أن المتوسلين من التابعين فمن بعدهم لا يحصيهم إلا الله تعالى.

منهم الإمام أبو حنيفة

ففي الرسالة المسماة ((هل نحتفل لمولد الرسول)) نقل الإمام الجليل الكمال بن الهمام الحنفي صاحب ((فتح القدير في مناسك الفارسي)) و((شرح المختار من السادة الأحناف)) لما زار أبو حنيفة المدينة وقف أمام القبر الشريف وقال:

يا أكرم الثقلين يا كنـــز الورى   جد لي بجودك وارضني برضاك

أنا طامع في الجود منك و لم يكن   لأبي حنيفـــة في الأنام سواك

ومنهم الضحاك بن قيس المعروف بالأحنف

وفي ((تلخيص الحبير)) للحافظ العسقلاني: روى ابن بشكوال عن ابن أبي حلمة قال: أصاب الناس قحط بدمشق فخرج الضحاك بن قيس يستسقي فقال: أين يزيد بن الأسود؟ فقام وعليه برنس ثم حمد الله وأنثى عليه ثم قال : أي رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم، قال: فما انصرفوا إلا وهم يخوضون في الماء.

وروى ابن الجوزي في ((صفة الصفوة)) ج٤ص٢٠٢-٢٠٣: عن علي بن أبي جُملة قال: أصاب الناس قحط بدمشق وعلى الناس الضحاك بن قيس الفهري، فخرج بالناس يستسقي فقال: أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ فلم يجبه أحد، ثم قال أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ عزمت عليه إن كان يسمع كلامي إلا قام، فقام وعليه برنس فاستقبل الناس بوجهه ورفع جانبي برنسه على عاتقيه، ثم رفع يديه ثم قال: اللهم يا رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم، قال: فانصرف الناس وهم يخوضون الماء، فقال: اللهم إنه قد شهرني فأرحني منه، قال: فما أتت عليه إلا جمعة حتى قتل الضحاك . قال الحافظ الذهبي ((في سير أعلام النبلاء)) ج٤ص١٣٧: قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: استسقى الضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود فما برحوا حتى سقوا.

وفي ((الإصابة)) للحافظ العسقلاني ج ٦ص ٦٩٨ أن الضحاك بن قيس خرج يستسقي بالناس فقال ليزيد بن الأسود: قم يا بكاء اهـــ. والبرنس بضم الباء والنون وإسكان الراء قلنسوة طويلة والجمع البرانس .

نبذة يسيرة من ترجمة يزيد بن الاسود

لقد ذكرنا أن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والضحاك بن قيس المشهور بالأحنف بن قيس توسلا بيزيد بن الأسود، فنذكر طرفا يسيرا من ترجمته رحمه الله، قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج ٤ص١٣٦: إن يزيد بن الأسود الجرشي من سادة التابعين بالشام يسكن بالغوطة بقرية "زبدين" أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه أيضا: روى الحسن بن محمد بن بكار عن عبد الله بن يزيد قال: حدثني بعض المشيخة أن يزيد بن الأسود الجرشي كان يسير في أرض الروم هو ورجل فسمع هاتفا يقول: يا يزيد إنك لمن المقربين، وإن صاحبك لمن العابدين، وما كنا بكاذبين.

وقال ابن عساكر: بلغني أنه كان يصلي العشاء الآخرة بمسجد دمشق، ويخرج إلى "زبدين" فتضيء إبـــهامه اليمنى حتى يمشي في ضوئها إلى القرية اهـــ.

وفي ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ج ٦ص٦٩٨: أخرج ابن أبي الدنيا من طريق هشام بن الغار قال: قال لي حبان بن النضر: قال لي واثلة بن الأسقع: قدمني إلى يزيد بن الأسود، فدخل عليه فمد يده فجعل يمس بـــها، ويمرها على صدره مرة وعلى وجهه لموضع كف واثلة من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى باختصار. وقد ذكرنا هذه القصة في باب التبرك بيد من مسّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلا عن ((حلية الأولياء)) لأبي نعيم . وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج٨ص٣٢٤ : إن يزيد بن الأسود مختلف في صحبته، وله روايات عن الصحابة، وكان أهل الشام يستسقون به إذا قحطوا، وقد استسقى به معاوية والضحاك بن قيس، وكان يجلسه معه على المنبر. وذكروا أنه لم يَدَعْ شجرة في قرية "زبدين" إلا صلى عندها ركعتين ومات عام٧١.

قلت: ويشبه ما ذكرته من استسقاء الضحاك بيزيد بن الأسود ما في ((طبقات الشافعية الكبري))ج ٣ص٢٨٣ من أن الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن الحسين الدسكري حج وأنفق مالا صالحا على المجاورين الفقراء بالحرمين، وحكي أن الحجاج عطشوا في تلك السنة فسألوه أن يستسقي لهم فتقدم وقال: اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة ، ثم استسقي فسقي الناس، قال ابن السمعاني: كان فقيها صالحا دينا ورعا برع في الفقه وكانت له معرفة بالأدب وارتقت درجته وارتفعت ، مات سنة ست وثمانين وأربعمائة .

نبذة عن حياة الضحاك بن قيس المتوسل بيزيد بن الأسود

وفي ((تـــهذيب تاريخ ابن عساكر)) و((سير أعلام النبلاء)) و((الإصابة في تمييز الصحابة)): أن الأحنف بن قيس أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره فليس بصحابي وإن كان قد أسلم في حياته صلى الله عليه وسلم لعدم اجتماعه به صلى الله عليه وسلم ، وقد قال علي بن المديني: الأحنف ليس له صحبة. ودعا له صلى الله عليه وسلم.

ففي ((سير أعلام النبلاء)) ج ٤ص٨٨: روى الإمام أحمد في مسنده عن الأحنف بن قيس قال: بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان إذ لقيني رجل من بني ليث فأخذ بيدي فقال: ألا أبشرك؟ قلت بلى، قال: أما تذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومك بني سعد أدعوهم إلى الإسلام فجعلت أخبرهم وأعرض عليهم ، فقلتَ: إنه يدعو إلى خير وما أسمع إلا حسنا، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم اغفر للأحنف، فكان أحنف يقول: فما شيء أرجى عندي من ذلك. قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٤ص٨٧-٩٦: اسمه ضحاك وقيل: صخر، وشهر بالأحنف بن قيس لحنف رجليه وهو العوج والميل، كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ووفد على عمر، وروى قتادة عن الحسن قال : ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف، وقال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه. وقيل للأحنف: إنك كبير والصوم يضعفك قال : إني أعده لسفر طويل. وقيل: كانت عامة صلاة الأحنف بالليل، وكان يضع أصبعه على المصباح ثم يقول: حس ويقول: ما حملك يا أحنف على أن صنعت كذا يوم كذا ؟ وقال عبد الله بن بكر المزني عن مولى الأصفر: سمع الأحنف يقول: اللهم إن تغفر لي فأنت أهل ذلك، وإن تعذبني فأنا أهل ذلك. وقوله "حس" أي اشعر بحرارة المصباح، وحواس الإنسان مشاعره الخمسة. وروى مسلم ابن إبراهيم حدثنا أبو كعب صاحب الحرير حدثنا أبو الأصفر أن الأحنف استعمل على خراسان، فأجنب في ليلة باردة فلم يوقظ غلمانه وكسر ثلجا واغتسل. وقال مغيرة: ذهبت عين الأحنف فقال: ذهبت من أربعين سنة ما شكوتـــها إلى أحد. وروى ابن عون عن الحسن قال: ذكروا عند معاوية شيئا فتكلموا والأحنف ساكت فقال: يا أبا بحر مالك لا تتكلم ؟ قال: أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت. وقال الأحنف: عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر. وروى هشام عن الحسن قال: رأى الأحنف في يد رجل درهما فقال: لمن هذا ؟ قال: لي، قال: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر وتمثل:

أنت للمال إذا أمسكته   وإذا أنفقته فالمال لك

وروى عبد الرحمن بن القاسم المصري الفقيه عن أبي شريح المغافري عن عبد الرحمن بن عمارة ابن عقبة قال: حضرت جنازة الأحنف بالكوفة، فكنت فيمن نزل في قبره، فلما سويته رأيته قد فسح له مد بصري، فأخبرت بذلك أصحابي فلم يروا ما رأيت.

وفي ((تـــهذيب تاريخ دمشق)) : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال في الأحنف: هذا والله السيد. وقيل: بم سدت قومك ؟ فقال: لو عاب الناس الماء لم أشربه. وقال سفيان : ما وزن عقل الأحنف بعقل أحد إلا وزنه، وكان عامة صلاته الدعاء، وكان من دعائه : اللهم هب لي يقينا تـــهون به عليّ مصيبات الدنيا، وكان كثير النظر في المصحف، وشتمه رجل فقام إلى منـــزله فتبعه الرجل يسبه ويشتمه حتى بلغ منـــزله، فالتفت إليه الأحنف وقال له: حسبك الآن ثم دخل، وقال: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وجاءه رجل فشتمه فسكت عنه فأعاد عليه وألح والأحنف ساكت ، فقال الرجل: والهفاه ما يمنعه من الرد إلا هواني عليه. وقال: لست بحليم ولكني أتحالم. وقال: قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل. وقال: خير القول ما صدقه الفعل. وقال : ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة، شريف من دنيئ، وبر من فاجر، وحليم من أحمق، وقال: الأخ الموافق خير من الولد المخالف. وقال العتاب مفتاح التقالي، والعتاب خير من الحقد. قال يعقوب بن شيبة: كان الأحنف سيدا جوادا حليما. وقال هشام بن عتبة أخو ذي الرمة الشاعر: شهدت الأحنف وقد جاء إلى قوم في دم وقد طلبوا بدل الدية الواحدة ديتين، فتكلم فقال: احتكموا، فقالوا: نحكم بديتين، فقال:ذلك لكم، فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم غير أني قائل لكم شيئا: إن الله عز وجل قضى بدية واحدة، وإن النبي قضي بدية واحدة، وإن العرب تتعاطى بينها دية واحدة، وأنتم اليوم تطالبون ، وأخشى أن تكونوا غدا مطلوبين، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما شئتم على أنفسكم، فقالوا: فردها إلى دية واحدة. ولما مات الأحنف مشى مصعب بن الزبير في جنازته متقلدا سيفا ليس عليه رداء وهو يقول: ذهب اليوم الحزم والرأي اهـــ ملفقا. توفي سنة تسع وستين أو سبع وستين أو ثنتين وسبعين .

ومنهم التابعي الجليل محمد بن المنكدر الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني

قال الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٥ص٣٥٨: قال مصعب بن عبد الله حدثنا إسماعيل بن يعقوب التيمي كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه فكان يصيبه صمات، فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع، فعوتب في ذلك فقال: إنه يصيبني خطر فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبي صلى الله عليه وسلم. ولد ابن المنكدر

سنة بضع وثلاثين، وحدث عن عائشة وأبي هريرة وابن عمر وجابر وابن عباس وابن الزبير وخلائق من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، مات ابن المنكدر سنة ثلاثين ومائة أو إحدى وثلاثين هـــ .

المتوسلون من أتباع التابعين فمن بعدهم

والمتوسلون من أتباع التابعين فمن بعدهم كثيرون جدا، لكننا نذكر قليلا منهم على ترتيب **حروف المعجم ونبدأ تبركا بِمن اسمه محمد**

فمنهم الإمام الشافعي

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي في كتابه ((الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان)) ص٩٤: اعلم أنه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره، ويتوسلون عنده في قضاء حوائجهم، ويرون نجح ذلك، منهم الإمام الشافعي رحمه الله لما كان ببغداد، فإنه جاء عنه أنه قال: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا.

وذكر بعض المتكلمين على ((منهاج النووي)) أن الشافعي صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له: لم؟ قال: تأدبا مع صاحب هذا القبر، وذكر ذلك غيره أيضا وزاد أنه لم يجهر بالبسملة، ولا إشكال في ذلك خلافا لمن ظنه، لأنه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها، ولا شك أن الإعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد، وأنه عند الاحتياج إليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه، ولأن نفعه متعد ونفع ذينك قاصر، ولا شك أيضا أن الإمام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم، وسعوا في قتله تلك القتلة الشنيعة، ولا شك أيضا أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول، لأن دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية، وهي يتصور فيها التخلف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية إذ الدلالة على كرم زيد بفعله للكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله إني كريم، وإذا تمهدت هذه الدواعي اتضح أن فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر إظهارا لمزيد التأدب مع هذا الإمام، ولمزيد شرفه وعلوه وأنه من أئمة المسلمين الذين يقتدى بـــهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم، وأنه ممن يستحى منه ويتأدب معه من أن يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف في حياته اهـــ.

وفي ((تاريخ بغداد)) للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ج ١ص١٢٣: أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري قال: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال:

نبأنا مكرم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم قال: نبأنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرا، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عنى حتى تقضى. وقال العلامة المحدث محمد زاهد الكوثري المتوفى ١٣٧١هـــ في كتابه ((محق التقول في مسألة التوسل)) ص٥: إن توسل الإمام الشافعي بأبي حنيفة مذكور في ((تاريخ بغداد)) للخطيب بسند صحيح.

وذكر الحافظ البيهقي في كتابه ((مناقب الإمام الشافعي)) والعلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه ((الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة)) أن الإمام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت حيث قال:

آل النبي ذريعتي وهمو إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي

ومنهم الكلاباذي

وهو الشيخ تاج الاسلام محمد بن إسحاق البخاري الحنفي الكلاباذي، قال في كتابه ((التعرف لمذهب أهل التصوف)) ما لفظه: وبالله أستعين وعليه أتوكل، وعلى نبيه أصلي وبه أتوسل اهـــ

ومنهم ابن كبّن

قال الحافظ السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج٧ص ٢٥٠-٢٥٣ إن محمد بن سعيد بن علي بن محمد بن كبّن - بفتح الكاف ثم موحدة مشددة وآخره نون- القرشي الطبري الأصل اليماني العدني الشافعي القاضي ربيب القاضي محب الدين الطبري ويعرف بابن كبّن، ولد سنة ٧٧٦ بـــ"عدن" من اليمن ونشأ بـــها ، وقرأ فنونا شتى حتى صار إماما عالما فاضلا مشاركا في علوم كثيرة، ومهر في الفقه وتصدى للتدريس والإفتاء، وصنف ((الدر النظيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم)) و((الفخاوي)) وهو نكت على ((الحاوي الصغير)) مفيد، إلى غيرهما من نظم ونثر، وكان مجتهدا في خدمة العلم بحيث لا ينام من الليل إلا قليلا، وكان معتقدا في بلاد اليمن بأسره في التدريس والفتوى والحديث، شديد التحرز في النقل جيد القريحة، مات رحمه الله تعالى سنة ٨٤٢ اهـــ . بعدن في اليمن ومن نظمه:

ما لي سوى جاه النبي محمد جاه به أحمى وأبلغ مقصدي
فلكم به زال العنا عني وقد أعدمت في ظن العذول المعتدي
ولكم به نلت المنا من كل ما أبغيه من نيل العلى والسودد

يا عين كفى الدمـــع لا تذرينه من ذا الأوان واحبسي بل اجمُدي
يا نفس لا تأسي أسا وتأسفـــا فلنعـــم وصـــف الصابر المتجلد
يا قلب لا تجزع وكن خير امرئ أضحى يرجي غارة مـــن أحـــمد
فعسى توافـــيك الغـــوائر ممسيا ولـــعـــلّ تأتيك البشائر في غـــد

قال السخاوي: وحكي لي عن صاحب الترجمة أنه ورد إلى القاضي وجيه الدين عبد الرحمن ابن جميع قاصد من جهة المنصور عبد الله بن الناصر أحمد بن إسماعيل بالقبض عليّ، ويؤخذ مني ألف دينار ، ثم ضيق عليّ في طلب المال فالتجأت إلى الله وأنا متوجه إلى القبلة ونظمت هذه الأبيات يعني المذكورة آنفا، قال صاحب الترجمة: لما فرغت من نظمها والورقة في يدي ألقي علي نوم غالب، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وقد دخلا عليّ، فقبلت يد النبي صلى الله عليه وسلم اليمنى فرفع بيده اليمنى رأسي من تحت ذقني وأطرقت، ثم قال وهو قائم: قد جئناك مغيرين، والزم الصلاة علي في كل ليلة ألف مرة. فانتبهت فرحا مسرورا، فما مضى النهار حتى وصل أن المنصور أمر الحكام بالثغر بإطلاق المحبوسين ظلما، وفرج الله عني ببركة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يلبث المنصور أن مات بعد ثلاثة أيام أو نحوها اهـــ باختصار وتصرف يسير. قوله في الأبيات غارة وغوائر: الغارة النصر والغوث والإعطاء والنفع، والغوائر جمعها، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في المنام مغيرين أي مغيثين ناصرين هذا ما ظهر ففي ((القاموس)) اللهم غرنا بغيث أغثنا به وغارهم الله تعالى ويغيرهم أصابـــهم بخصب ومطر، وغارهم بخير أعطاهم وغار فلانا نفعه .

ومنهم الشيخ محمد بن سليمان الكردي الإربلي الشافعي

فقد قال في آخر كتابه ((تنوير القلوب)): نسأله تعالى الحياة على السنة السنية، والوفاة على هذه الملة المرضية، بجاه أفضل الخلق عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتم تحية .

ومنهم العلامة محمد بن سليمان حسب الله الفقيه الشافعي

فقد قال في آخر كتابه ((الرياض البديعة)): ونسأله سبحانه وتعالى ونتوسل إليه بجاه أكرم خلقه عليه أن يعاملنا برضاه عنا في الدنيا والآخرة اهـــ .

ومنهم الزرقاني

العلامة المحدث محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري المتوفي ١١٢٢هـــ الأزهري المالكي، فإنه قال في آخر شرحه على ((المواهب اللدنية)): منّ الله سبحانه عليّ مع عجزي وضعفي بإتمام هذا الشرح سنة ١١١٧هـــ ، والله أسأل من فضله متوسلا إليه بأشرف

رسله أن يجعله لوجهه خالصا اهـ بمعناه. وقال أيضا في أول ((شرح الموطأ)) لإمام دار الهجرة مالك بن أنس: والله أسأل من فضله العظيم، متوسلا إليه بحبيبه الكريم، أن يجعله خالصا لوجهه. وقال أيضا في آخر هذا الشرح : أسألك من فضلك، متوسلا إليك بأشرف رسلك، أن تجعله خالصا لوجهك اهـ . وله تآليف كثيرة منها: شرحه الكبير على ((المواهب اللدنية))، وشرح على موطأ مالك وشرح ((المنظومة البيقونية)) ، و((مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة)).

ومنهم ابن علان

فقد قال وهو المحدث الكبير محمد بن علان الصديقي الشافعي في آخر كتابه ((دليل الفالحين شرح رياض الصالحين)) ما حاصله: اللهم إنا نسألك خفي لطفك، ودوام جودك، وامتنانك وغفرانك، بجاه نبيك سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم انتهى المراد منه.

ومنهم محمد بن علي الشنواني

فإنه قال في آخر حاشيته على ((مختصر ابن أبي جمرة)): اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة، واجعلنا من الذين لهم الحسنى وزيادة، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنهم القاهري

قال السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج٨ ص٢٦٧: إن محمد بن عمر بن محمد القاهري الشافعي ولد سنة ٧٦٣هـ وكان قد حفظ ((التنبيه)) وعرضه على البلقيني وابن الملقن وأجازا له، واشتغل في الفقه على النور بن قبيلة وغيره، وسمع من الزين العراقي ومن الهيثمي، وأخذ الفرائض والحساب عن عمه الفخر عثمان، واجتمع في اليمن بالمجد الفيروزابادي، ولقي بمكة التاج عبد الوهاب بن العفيف اليافعي، وحمل عنه أشياء من تصانيف أبيه كـ((روض الرياحين)) وغيرها، وكان محبا في العلم، وكان ذا نظم متوسط بارعا في الفرائض والحساب، محبا في لقاء الصالحين، راغبا في التبرك بآثارهم بحيث كانت عنده طاقية يذكر أنها لأبي بكر الشاذلي، وسجادة للشهاب أحمد الزاهد، مع كثرة العبادة والاحتياط في الطهارة ومن نظمه:

ياسيدي يا رسول الله خذ بيدي ... وانظر بفضلك في أمري وفي ألمي

إلى أن قال:

جرائمي عظمت أجرامها ولقد ... أربت على الراسيات الصم في العظم

وتوفي رحمه الله سنة ٨٥٥هـ .

ومنهم محمد بن عمر نووي الجاوي

فقد قال في آخر كتابه ((كاشفة السجا)): والله أسأل وبنبيه أتوسل أن أحل محل القبول، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول. وقال أيضا في زيادته في آخر ((سفينة النجا)) ما لفظه: نسأل الله الكريم، بجاه نبيه الوسيم، أن يخرجني من الدنيا مسلما.

ومنهم عواد

الشيخ محمد عواد، فقال في آخر كتابه ((حياة الإسلام)): أسألك اللهم حسن الختام بجاه سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام.

ومنهم محمد بن قاسم بن محمد بن محمد أبو عبد الله شمس الدين الغزي

فقد قال في آخر كتابه ((فتح القريب المجيب)): نسأل الله الكريم المنان الموت على الإسلام والإيمان، بجاه نبيه سيد المرسلين، وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. و" غزة " بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبـــها قبره، وولد فيها الإمام الشافعي . ذكر ذلك الحموي في ((معجم البلدان)) وقال ابن الأثير في ((اللباب في تـــهذيب الأنساب)) الغزي بفتح أولها و لم يذكر حركة ثانيها .

ومنهم الترمسي

العلامة محمد بن محفوظ بن عبد الله الترمسي، فقد قال في خطبة ((منهج ذوي النظر في شرح منظومة علم الأثر)) للحافظ السيوطي: أسأل الله الكريم، بجاه النبي العظيم الرؤوف الرحيم، أن يوفقني لإتمامه مع الصواب وأن يجعله خالصا لوجهه .

ومنهم المدني المالكي

قال الحافظ السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج٩ص١١٥: قال محمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم المدني المالكي : نظما وقال فيه:

بجـــاه النبي المصطـــفى أتـــوسل إلى الله فيما أبتغي وأؤمـــل

وأقصـــد باب الهاشمي محـــمـــد وفي كل حاجتي عليه أعول

حللت حمى من لا يـــضام نزيله فعنه مدى ما دمت لا أتحول

إذا مسنى ضيم أنـــوه باســـمـــه فيدفع ذاك الضيم عني وينقل

أقول حبيبي يا محـــمـــد سيدي ملاذي عياذي من به أتوسل

عسى نفحة يا سيد الخلق أهتدي بـــها من ضلالي إنني متعطل

ولد هذا الشيخ بالمدينة في سنة ٨٥٩ وحفظ بـــها القرآن وعدة رسائل ومات سنة ٨٨٥ اهـــ وعمره ست وعشرون سنة فقط .

ومنهم أبو عبد الله المغربي

قال السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج٩ص٢٠٣ –٢٠٤: إن الشيخ محمد بن محمد ابن إسماعيل أبا عبد الله المغربي الأندلسي القاهري المالكي ولد بـــ"غرناطة" من بلاد الأندلس في سنة ٧٨٢تقريبا، ونشأ بـــها وأخذ العلم عن مشايخ منهم أبو جعفر أحمد بن إدريس بن سعيد الأندلسي، أخذ عنه الفقه وأصوله والعربية. وأجاز له أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي وقاسم بن سعيد العقباني وآخرون من المغرب والمشرق، ودخل القاهرة في سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها، وتصدى للإقراء فانتفع به الناس طبقة بعد طبقة لا سيما في العربية، وشرح كلا من ((الألفية)) و((الجرومية)) و((القواعد)) وغيرها مما حمله عنه الفضلاء ، وأنشد قبيل موته بشهر في حال صحته بعض أصحابه من نظمه:

أفكر في موتي وبعـــد فضيحتي فيحزن قلبي من عظيم خطيئتي
وتبكي دما عيني وحق لها البكا على سوء أفعالي وقلة حيلتي
وقد ذاب أكبادي عناء وحسرة على بعد أوطاني وفقد أحبتي
فما لى إلا الله أرجـــوه دائما ولا سيما عند اقتراب منيتي
فنسأل ربي في وفاتي مـــؤمنا بجاه رسول الله خير البرية

وتوفي رحمه الله سنة ٨٥٣ اهـــ.

ومنهم محمد بن محمد الملقب في الشام بالشمس ابن الشمس الدمشقي المولود سنة ٨٣٨

قال الحافظ السخاوي في ((الضوء اللامع)) ج٩ ص ٢٤٥: قال محمد بن محمد بن علي مادحا الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام :

كل قـــلب بك يا نشر الصبا عاش بعد الموت فيهم وصبا
ونسيم القـــرب نادى منشدا إن تكن من حيهم يا مرحبا
إن أمت في حبهم وجدا بـــهم يرقص الكون لموتي طـــربا
سادة سيدهـــم لا غـــرو أن جمـــع السؤدد فهو المجتبى
أشرف الـــخلـــق إلى الله بـــه وصل القـــوم وكان السببا
يا رسول الله يا مـــن مدحـــه أعجزالعـــجم وأعياالعـــربا

غث خطيبا لك في حان الوفا   بشراب الأنس ينشى الخطبا

ومنهم ابن الحاج محمد بن محمد

فقد قال في ((المدخل)) ج١ص ٢٦٤: اللهم لا تحرمنا شفاعته، صلى الله عليه وسلم ولا عنايته، في الدنيا والآخرة بجاهه عندك، فإن جاهه عندك عظيم اهـ . وذكرنا عبارته بكمالها في التبرك بزيارة قبره صلى الله عليه وسلم .

ومنهم سبط المارديني

الشيخ محمد بن محمد سبط المارديني، قال في آخر شرحه على ((الرحبية)): نسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة وأن يعفو عنا وأن يعاملنا بجميل إحسانه، وأن يدخلنا الجنة بفضله وامتنانه، من غير سابقة عذاب ولا عتاب، بجاه سيدنا محمد والآل والأصحاب اهـ بلفظه.

ومنهم الحافظ مرتضى الزبيدي

قال الكتاني في ((فهرس الفهارس)): إن نقش خاتم الشيخ الإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحنفي :

محمد مرتضى يرجو الأمان غدا   بجده وهو أوفى الخلق بالذمم

ومنهم الشيخ محمد بن محمود الشهير بأبي ريمة

فقد قال في خطبة كتابه ((هداية المستفيد في أحكام التجويد)): والله الكريم أسأل، و بجاه النبي الكريم أتوسل، أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

ومنهم السنوسي

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسني السنوسي في خطبة شرحه على ((أم البراهين)): هذا أوان الشروع في هذا الشرح المبارك بفضل الله الكريم الوهاب، نسأله سبحانه وتعالى أن يعينني على الصواب، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقال أيضا في آخر هذا الشرح: نتوسل إليك يا مولانا في هذه المطالب كلها بذاتك العلية، ثم بنبيك ورسولك سيدنا ومولانا محمد ذي النفس الزكية، والشفيع المشفع. وذكر السنوسي التوسل بالنبي صلى الله في موضع آخر من هذا الشرح.

حرف الهمزة

ومنهم الباجوري العلامة إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري

قال في آخر حاشيته على ((شرح العلامة ابن القاسم الغزي)) ما نصه: نسأله سبحانه حسن الختام، بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . ثم قال مستمدا من رسول الله ومن أهل بيته: مددك يا رسول الله ثلاث مرات، ثم قال: مددك يا أهل البيت رضي الله عنكم ثلاث مرات. وتوسل به صلى الله عليه وسلم في أول حاشيته على ((السلم في فن المنطق)) .

ومنهم أبوبكر البكري

وهو العلامة الفاضل الصالح الكامل السيد أبو بكر المشهور بالسيد البكري فقد قال في أول كتابه ((إعانة الطالبين)): اللهم إنا نسألك بالطاهر النسب، الكريم الحسب، خير العجم والعرب، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، أن تمحو من صحائفنا ما زل به البنان، وأحل به البيان. وقال في آخره: أرجو من الله الكريم المنان، بجاه سيدنا محمد سيد ولد عدنان، أن يرزقنا رضاه، وأن يصحح منا ما أفسدناه اهـ وقال أيضا في ((كفاية الأتقياء شرح هداية الأذكياء)): اللهم إني أسألك وأتوسل إليك وأتشفع عندك بنبيك الطاهر الكريم الحسب – إلخ.

ومنهم الحافظ الشرجي

وهو الإمام الحافظ الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الشرجي مؤلف ((التجريد الصريح مختصر صحيح البخاري)) فقد قال في آخر كتابه ((طبقات الخواص)): أتوسل إلى الله بالسادة المذكورين في هذا الكتاب أن ينفعنا بهم وبحبهم في الدينا والآخرة، وأن يلحقنا بهم في عافية، وأن يعيد علينا من بركات أنفاسهم الزكية بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه اهـ بمعناه.

ومنهم الجاوي

الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الجاوي الشافعي، فإنه قال في ختام حاشيته ((النفحات على شرح الورقات)) ما حاصله: قد تم تسويد هذه الحاشية المباركة في اليوم الخامس والعشرين من سنة ١٣٠٦هـ وأنا الفقير إلى الله المجيب، المرتجي منه العفو والغفران بجاه رسوله الحبيب، صلى الله عليه وسلم.

ومنهم المرادي أحمد بن عبد الله المرادي الحنبلي

فإنه قال في آخر كتابه ((اللآلي البهية شرح لامية ابن تيمية)) ما لفظه: نسأل الله العظيم باسمه العظيم، وبجاه نبيه الكريم، أن يسلك بنا صراطه المستقيم. ثم قال : فرغت من جمع هذا الشرح

وتعليقه ضحوة الثلاثاء نـــهار ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٢٦٣هـــ من الهجرة على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام اهـــ .

ومنهم أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري

وهو العلامة أحمد الدمنهوري، فقد قال في آخر ((شرح الجوهر المكنون)): نسأله سبحانه وتعالى أن يحسن عاقبتنا في الأموركلها، وأن يدخلنا دار كرامته ومحبينا، من غير محنة بجاه حبيبه لديه، تفضلا منه لا وجوبا عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ومنهم الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني

وفي ((شواهد الحـــق)) ص٣٥٢، و((الإغاثة بأدلة الإستغاثـــة)) للشيخ حسن بن علي السقاف ص٢١و٢٩ أن الحافظ ابن حجر العسقلاني قال كما في ديوانه بخط القلم:

نبي اللـــه يا خـــير الـــبرايا   بجاهك أتقي فصل القـــضاء

وأرجو يا كريم العـــفو عما   جـــنته يداى يا رب الحباء

فقل يا أحمد بن علي اذهب   إلى دار النـــعيم بلا شقاء

عليك سلام رب الناس يتلو   صلاة في الصباح وفي المساء

وفي تعليق على كتاب ((الإغاثة)) المذكور ما نصه: وعلى أولئك الذين ينتقدون أبيات البردة للإمام البوصيري أن ينتقدوا بعد اليوم أبيات الحافظ ابن حجر وغيره من الحفاظ الذين يقولون مثل ما يقول البوصيري، بل أكثر من ذلك اهـــ .

ومنهم أحمد بن عمر بن محمد بن السيفي المعروف بالمزجد

وفي ((النور السافر عن أخبار القرن العاشر))ص ١٣٨ أن الإمام أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي الشهير بالمُزَجَّد مؤلف ((العباب)) قال في وصف كتابه هذا :

ألا إن العباب أجـــل سفـــر   من الكتب القديمة والجديدة

كتاب قد تعبت عليه دهـــرا   وخضت لجمعه كتبا عديدة

وقـــربت القـــصي لـــطالبيه   وقـــد كانت مسافته بعيدة

وغصت على الخبايا في الزوايا   فها هـــي فيه بارزة عتيدة

إلى أن قال:

إلهي اجعله لي ذخرا وضاعف   ثوابي مـــن عطاياك الحميدة

وجد بقبوله واجـــعل جزائي   رضاك وجنة الخلد المشيدة

بجاه محـــمـــد خـــير البرايا   وتنقذهم من الكرب الشديدة

وصل مسلـــما أبدا عـــلـــيه وعـــم جميع عـــترته السعيدة

قلت : قوله وتنقذهم كذا في نسختي ولعله وتنقذني .

قال في ((النور السافر)) : توفي شيخ الإسلام العلامة ذو التصانيف المفيدة، والفتاوي السديدة، المجمع على جلالته وتحرّيه وورعه، أوحد عباد الله الصالحين، أبو السرور أحمد بن عمر المزجد سنة ٩٣٠هـــ، وكان من العلماء المشهورين، وأحد المحققين المعتمدين ، ولم يخلف بعده مثله ، ومن مصنفاته ((العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب)) و((تحفة الطلاب)) و((منظومة الإرشاد)) في خمسة آلاف وثمانمائة وأربعين بيتا، وزاد على الإرشاد كثيرا من المسائل والقيود، وفتاوي جمعها ولده حسين بن أحمد، وله غير ذلك، وتفقه به خلائق كثيرون، منهم أبو العباس الطنبداوي، وابن زياد، والحافظ الديبع، ومحمد بن عمر بحرق، وغيرهم، وله شعر حسن منه:

قلت للفقر أين أنت مقيم قال لي في محابر العلماء

أن بيني وبينهم لإخـــاء وعزيز عليّ قطع الإخاء

وقوله : المزجد بميم مضمومةثم زاي مفتوحة ثم جيم مشددة مفتوحة ودال مهملة اهـــ .

ومنهم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل

وفي كتاب ((حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة))ص٥١ و((الدرر السنية في الرد على الوهابية)) ص٣٠: قد ثبت أن الإمام أحمد بن حنبل توسل بالإمام الشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله فقال له الإمام أحمد: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن .

ومنهم الحافظ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني

قال في ((المواهب اللدينة))ج ٤ص ٥٩٥: لقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٩٣ بمكة زادها الله شرفا، ومنّ عليّ بالعودة في عافية بلا محنة، فبينما أنا نائم جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئا مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم. ووقع لي أيضا في سنة ٨٨٥ هـــ في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزال الحبشة، واستمر بـــها أياما فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأتاني آت في مناني ومعه الجني الصارع لـــها فقال: لقد أرسله لك النبي صلى الله

عليه وسلم، فعاتبته وحلّفته أن لا يعود إليها، ثم استيقظت وليس بـــها قلبة كأنما نشطت من عقال، ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة ٨٩٤هـــ والحمد لله رب العالمين. والقلبة داء وتعب كما في ((القاموس)).

ومنهم الصاوي

الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، فقد قال في خطبة حاشيته على ((شرح الخريدة البهية في علم التوحيد)) ما حاصله: شرعت الآن في هذه الحاشية راجيا من الله بلوغ المطالب، في حصول المآرب، متوسلا بأستاذي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالنبي إلى الله تعالى .

حرف الخاء

ومنهم شيخ الحنابلة الخلال

قال الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه ((تاريخ بغداد)) أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذي قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله به تعالى ما أحب اهـــ . وهذا السند يصح الاحتجاج به، فقد قال الخطيب في ((تاريخ بغداد)) ج٧ص٣٠٠: وكان أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذي صدوقا فاضلا صالحا، ومن مشايخه القطيعي، وكان يفهم الكلام على مذهب الأشعري، والفقه على مذهب الإمام الشافعي، مات سنة ٤١٢ببغداد اهـــ وذكره ابن السبكي في ((طبقاته الكبرى)) ج ٣ص١٣٣ فنقل عبارة الخطيب المذكورة، وزاد أنه سافر الكثير ولقي شيوخ الصوفية. وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)): ج١٢ص١١: نزل بغداد وحدث بـــها عن الإسماعيلي وغيره كان شافعيا كبيرا فاضلا صالحا.

وأما القطيعي فهو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك أبو بكر القطيعي، كان يسكن "قطيعة الدقيق" فإليها نسب، ولد في سنة ٢٧٤ وتوفي سنة ٣٦٨.

قال الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ج٤ص٧٣ كان كثير الحديث روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ((المسند)) و((الزهد)) و((التاريخ)) و((المناسك)) و((المسائل)) وغير ذلك، وكان بعض كتبه غرق واستحدث نسخها من كتاب لم يكن فيه سماع، فغمزه الناس إلا أنا لم نر أحدا امتنع من الرواية عنه ولا ترك الاحتجاج به. وعن أبي الحسن بن أبي الفرات قال: كان ابن مالك القطيعي منورا مستورا صاحب سنة كثير السماع إلا أنه اختلط في آخر عمره، وكف بعده وخرق حتى كان لا يعرف شيئا مما يقرأ عليه. وقال محمد بن أبي الفوارس: ولم

يكن في الحديث بذاك، سمعت أبا بكر البرقاني وسئل عن ابن مالك: فقال كان شيخا صالحا غرقت قطعة من كتبه فنسخها من كتاب ذكروا أنه لم يكن فيه سماعه فغمزوه لأجل ذلك وإلا فهو ثقة. وحدثني البرقاني قال: كنت شديد التنفير عن حال ابن مالك حتى ثبت عندي أنه صدوق لا يشك في سماعه، وإنما فيه بله، ولما اجتمعت مع الحاكم أبي عبد الله ابن البيع بنيسابور ذكرت له ابن مالك وليّنتُه فأنكر علي وحسن حاله أو كما قال انتهى ما لخصته من ((تاريخ بغداد)). وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج ١٦ ص ٢١٠ كان أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي شيخا عالما محدثا مسند الوقت. وقال السلمي سألت الدارقطني عنه فقال: ثقة زاهد قديم، سمعت أنه مجاب الدعوة. وقال الحافظ السخاوي في ((فتح المغيث)) ج ٣ ص٢٩٠: قال الحاكم: إنه ثقة مأمون. وقال الذهبي: إنه صدوق في نفسه مقبول. وما ذكره أبو الحسن بن الفرات غلو وإسراف، وقد كان أبو بكر أسند أهل زمانه.

قال السيوطي في ((تدريب الراوي)) ج٢ص٣٨٠: قال العراقي: وما ذكره ابن الفرات لم يثبت إسناده إليه اهـــ . وقال الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١١ص ٢٩٣: كان أحمد بن جعفر القطيعي ثقة كثير الحديث، حدث عنه الدارقطني وابن شاهين والبرقاني وأبو نعيم والحاكم ولم يمتنع أحد من الرواية عنه، ولا التفتوا إلى ما طعن عليه بعضهم وتكلم فيه بسبب غرق كتبه فاستحدث بعضها من نسخ أخرى، وهذا ليس بشيء اهـــ . فاتضح مما ذكرناه أن هذا السند صالح للاحتجاج به. فثبت وتحقق بذلك توسل الإمام أبي علي الخلال، وهو المحدث الحافظ شيخ الخطيب والبيهقي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيرهم الذي وصفه الخطيب بأنه كان أشعريا صدوقا، ونقل عن أبي القاسم الأزهري أنه أوثق من برأ الله في الحديث، ومن أبي الحسن بن زرقوبه أنه ثقة.

وقال الخطيب أيضا في ((تاريخ بغداد)): حدثنا محمد بن يحيى الكرماني قال: كنا يوما بحضرة أبي علي بن شاذان يعني الخلال، فدخل علينا رجل شاب لا يعرفه منا أحد فسلم ثم قال: أيكم أبو علي بن شاذان ؟ فأشرنا له إليه فقال له: أيها الشيخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي: سل عن أبي علي بن شاذان فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ثم انصرف الشاب، فبكى أبو علي: وقال لا أعرف لي عملا أستحق به هذا، اللهم إلا أن يكون صبري على قراءة الحديث عليّ، وتكرير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما جاء ذكره. فإذا علمت توسل هذا الإمام الجليل علمت يقينا مشروعية التوسل، إذ لو لم يكن مشروعا بل حراما أو شركا كما يدعيه المانعون لما تجاسر عليه، فإن من اجترأ على فعل الحرام فضلا عن الشرك

تسقط عدالته، وقد علمت أنـــهم وصفوه بالعدالة والثقة، ولما كتب الأئمة المذكورون وغيرهم عنه الحديث كما لا يخفى على من له أدنى إلمام بالصناعة الحديثية.

ومنهم حمزة بن القاسم

قال الشيخ الإمام علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي في ((شفاء السقام في زيارة خير الأنام)) ص١٧٢ ما نصه: استسقى حمزة بن القاسم الهاشمي ببغداد فقال: اللهم أنا من ولد ذلك الرجل الذي استسقى بشيبته عمر بن الخطاب فسقوا، فما زال يتوسل بـــهذه الوسيلة حتى سقوا اهـــ . ونقل هذه القصة الحافظ الذهبي في سيره ج ١٥ص٣٧٥ عن الخطيب البغدادي، وقال: قال الخطيب البغدادي : كان – حمزة – ثقة مشهورا بالصلاح ، استسقى للناس فقال: اللهم إن عمر بن الخطاب استسقى بشيبة العباس وسقي وهو أبي ، وأنا أستسقي به، قال: فأخذ يحول رداءه، فجاء المطر وهو على المنبر ، توفي حمزة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة اهـــ . وذكر الخطيب ذلك في ((تاريخ بغداد)) ج ٨ ص ١٨١-١٨٢.

ومنهم نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري

قال في أواخر تفسير ((غرائب القرآن ورغائب الفرقان)) : وإني أرجو من فضل الله العظيم، وأتوسل إليه بوجهه الكريم، ثم بنبيه القرشي الأبطحي، ووليه المعظم العلي، وسائر أهله الغر الكرام، وأصحابه الزهر العظام، وبكل من له عنده مكان، ولديه قبول وشأن أن يمتعني بتلاوة كتابه في كل حين وأوان .

حرف الدال

ومنهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن السلطان بن عيسى

قال الحافظ الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٢٣ص٣٨١: إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المفاخر داود بن السلطان الملك المعظم عيسى العادل حج وتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم منشدا قصيدة، وكان السلطان داود فقيها حنفيا ذكيا مناظرا أديبا شاعرا بديع النظم مشاركا في علوم وتوفي سنة ٦٥٦هـــ

حرف السين

ومنهم الحفاظ الثلاثة سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني وابن المقرئ وأبو الشيخ

فقد صرح كثير من العلماء بأنـــهم استغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أصابـــهم الجوع في حرم المدينة، ففي ((تذكرة الحفاظ)) للذهبي كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء

حضرت القبر وقلت: يا رسول الله الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي، ففتحنا له فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير وقال: شكوتموني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، رأيته في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم اهـ ص ٩٧٤ اهـ ومثله في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٦ص٤٠٠. وقال الحافظ ابن الجوزي في ((الوفا بأحوال المصطفى)): أن الإمام الحافظ الثقة أبا بكر محمد بن إبرهيم بن علي بن عاصم بن زادان المشهور بابن المقرئ: قال كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول اللله صلى الله عليه وسلم وكنا على حالة، فأثر فينا الجوع فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر رسول صلى الله عليه وسلم وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع وانصرفت، فقال لي أبو الشيخ: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، قال أبو بكر: فنمت أنا وأبو الشيخ والطبراني جالس ينتظر في شيء فحضر بالباب علوي فدق الباب فإذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيل كبير فيه شيء كثير، فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقي يأخذه الغلام، فولى وترك عندنا الباقي، فلما فرغنا من الطعام، قال العلوي : يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم اهـ.

وقد كان الإمام الطبراني إماما حافظا ثقة رحالا محدث الإسلام، وهو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة ((المعجم الكبير)) و((المعجم الأوسط)) و ((المعجم الصغير)) وأطال في ترجمته الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) وقال: كان مولده سنة ٢٦٠هـ وتوفي سنة ٣٦٠هـ . واستكمل مائة عام وعشرة أشهر، ومن تصانيفه أيضا ((كتاب السنة)) و((كتاب الدعاء)) و((كتاب التفسير)) كبير جدا و((دلائل النبوة)) و((كتاب النوادر)) وغيرها. وحدث الطبراني عن ألف شيخ أو يزيدون.

وأما أبو الشيخ ابن حيان فهو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني، ولد سنة ٢٧٤، وتوفي سنة ٣٦٩، قال فيه الذهبي: كان إماما حافظا صادقا من العلماء العاملين صاحب التصانيف، وقال: قال أبو بكر الخطيب كان أبو الشيخ حافظا ثبتا متقنا، وقال السيوطي في ((طبقات الحفاظ)): كان أبو الشيخ أحد الأعلام صالحا خيرا قانتا صدوقا مأمونا ثقة متقنا، حافظ أصبهان ومسند زمانه اهـ صنف أبو الشيخ التفسير والكتب الكثيرة في الأحكام وغيرها منها كتاب ((العظمة)) و((السنن)) و((ثواب الأعمال)) في خمس مجلدات .

وأما ابن المقرئ فقد ترجم له ابن الأثير في ((اللباب)) والسيوطي في ((طبقات الحفاظ)) وابن العماد في ((شذرات الذهب)) وقالوا كلهم: كان ابن المقرئ حافظا ثقة، وقال الذهبي: قيل

للصاحب بن عباد: أنت رجل معتزلي وابن المقرئ محدث وأنت تحبه؟ قال: لأنه كان صديق والدي، وقيل: مودة الآباء قرابة الأبناء ، ولأني كنت نائما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول لي: أنت نائم وولي من أولياء الله على بابك، فانتبهت فدعوت البواب وقلت: من بالباب؟ قال: أبو بكر بن المقرئ اهـ.

وقال ابن الأثير: المقرئ بضم الميم وسكون القاف وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى قراءة القرآن وإقرائه. توفي الحافظ ابن المقرئ سنة ٣٨١، وعمره ٩٦ سنة

ومنهم الجمل

وهو الشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، فقد قال في آخر ((الفتوحات الأحمدية في المنح المحمدية حاشية الهمزية)) للبوصيري ما حاصله: وافق الفراغ من جمع هذه الحواشي سنة ١١٨٨هـ تجاه القطب البدوي أمدنا الله من مدده، وأعاد علينا من نفحاته وعلى المسلمين اهـ .

حرف العين

ومنهم عبد الحميد بن محمد

وهو الشيخ عبد الحميد بن محمد علي قدس بن عبد القادر الخطيب، فقدقال في خطبة شرحه ((الأنوار السنية)): أسأل الله تعالى بجاه النبي الأمين، أن يسرني به – أي بشرحه – دنيا والدين، وأن يمنحنا جميعا في الدارين السعادة ، وقال في موضع آخر: وليس لي فيما أرجوه من الله تعالى من الأوطار، وسيلة إلا الشفيع المختار ، وقال أيضا في آخر شرحه المذكور : أبتهل إلى الله عز سلطانه وجل شأنه أن يمن علينا بحسن الختام، بجاهه عليه الصلاة والسلام.

ومنهم العلامة عبد الحميد الشرواني

قال في آخر حاشيته على ((التحفة)): ونسأل الله حسن الختام، بجاه سيدنا محمد عليه وآله وصحبه الصلاة والسلام .

ومنهم الحافظ السيوطي

فقد ذكر في ((حسن المحاضرة)) ج١ص٦٠٣ أنه كان في عصره أمير يقال له ازدمر الطويل، اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم يعني الحاكم الجبار الذي ادعى الربوبية، وكان يروم أن يتولى المملكة، فلو قدر الله له بذلك فعل نحو ما فعله الحاكم ،وقد أطلعني على ما في ضميره وطلب مني أن أكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة، فيقوم بالخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده، فضِقْتُ بذلك ذرعا ، وما زلت أتضرع الى الله تعالى في هلاكه، وأن

لايوليه على المسلمين، وأستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسأل فيه أرباب الأحوال حتى قتله الله، فلله الحمد على ذلك اهـــ. وقال السيوطي أيضا في ختام كتابه ((تاريخ الخلفاء)): أسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة بجاه محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

ومنهم الحافظ ابن الجوزي

وهو الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، فقد قال في كتابه ((التـــذكـــرة في الوعـــظ)) ص١٦٢ ما لفظه: لا قوة لنا على إقامة هذا الدين المتين، فالواجب علينا أن نستغيث بمراحم العزيز الرحيم ، ونستشفع إليه بجاه نبيه الكريم، الذي أذن له في إخراج الناس من الظلمات إلى النور .

ومنهم قاضي القضاة عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر

قال ابن السبكي في ((طبقات الشافعية)) ج ٥ص٦٤-٦٥ : إن قاضي القضاة عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر جرت له محنة حاصلها: أن وزير السلطان الملك الأشرف عزله وحبسه ظلما، ثم أخرج من الحبس وأقام بالقرافة مدة، ثم توجه إلى الحجاز ومدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة دالية منها :

ما في قوى الأذهان حصر صفاتك الـــ ـــعليا وما لك من كريم المحتد

وتفاوت المــــداح فيك بقـــدر مـــا بصروا به مـــن نورك المتوقد

وسمعت من يقول : إن هذا القاضي كشف رأسه ووقف بين يدي الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، واستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأقسم عليه أن لا يصل إلى موطنه إلا وقد عاد إلى منصبه، فلم يصل إلى القاهرة إلا والسلطان الأشرف قد قتل وكذلك وزيره، فأعيد إلى القضاء، ووصل إليه الخبر بالعود قبل وصوله إلى القاهرة. روى عن الحافظين المنذري والعطار وكتب عنه الحافظ الدمياطي وأبو حيان، وكان فقيها نحويا أديبا دينا من أحسن القضاة سيرة، جمع بين القضاء والوزارة ، وولي خطابة جامع الأزهر، وتدريس المشهد الحسيني وغيره، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٩٥هـــ انـــتهى باختصار .

ومنهم الحافظ الديبعي وجيه الدين أبو محمد عبد الرحمن بن علي الزبيدي الشافعي

فقد قال في آخر مولده: اللهم بحرمة هذا النبي الكريم، وآله وأصحابه السالكين علىنـــهجه القويم، اجعلنا من خيار أمته، واسترنا بذيل حرمته، وفي مكان آخر قال: واغفر اللهم بجاهه صلى الله عليه وسلم لنا ولوالدينا .

وقال ابن العماد الحنبلي في ((شذرات الذهب)) ج ٨ ص ٢٥٥-٢٥٦ والشوكاني في ((البدر الطالع)) ج١ص٣٣٥-٣٣٦: هو الإمام الحافظ الحجة المتقن شيخ الإسلام علامة الأنام الجهبذ الإمام مسند الدنيا أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين، خاتمة المحققين، ملحق الأواخر بالأوائل، وكان ثقة صالحا حافظا للأخبار والآثار متواضعا، تقصده الطلبة من نواحي الأرض ، أخذ عمن لا يحصى، وأخذ عنه الأكابر كالعلامة ابن زياد، والسيد الحافظ الطاهر بن الحسين الأهدل والشيخ أحمد بن المزجاجي وغيرهم. ومن مصنفاته ((تيسير الوصول إلى جامع الأصول)) و ((مصباح المشكاة)) و((بغية المستفيد)) و ((المولد الشريف النبوي)) وغير ذلك ولد في سنة ٨٦٦هـــ ومات ٩٤٤هـــ .

ومنهم البحراني الشافعي العلامة عبد الغني بن أحمد البحراني

قال في آخر كتابه ((قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين)): والله المسؤول أن يشملنا جميعا بالعفو وحسن الختام، ويجعلنا جميعا بجوار سيد الأنام، بحق سيدنا محمد وآله هداة دار السلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهى تحريره ليلة الاثنين في شهر شوال سنة ١١٧٤هـــ

ومنهم الحافظ عبد الغني المقدسي

وفي ((محق التقول)) للمحدث محمد زاهد الكوثري: أن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي تمسح بقبر أحمد للاستشفاء لدمل أعيا الأطباء كما ذكره الحافظ الضياء المقدسي الحنبلي في كتاب ((الحكايات المنثورة)) .

ومنهم المناوي

قال الشيخ عبد الرؤف المناوي في آخر شرحه على ((الجامع الصغير)): أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، ويعم النفع ببركة النبي العظيم .

ومنهم الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي

لقد توسل السيخ اليافعي كثيرا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالصالحين من أمته.

فمما قال في قصيدته العينية الطويلة التي ختم بـــها كتابه ((روض الرياحين في حكايات الصالحين)) بعدكلام يتعلق بزيارته صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب نفسه:

فبالله قَبِّل لي ثري أرض ربعه　　　وسلم وقل بعد البكا والتضرع

عبيدك ذاك اليافعي مؤمـــل　　　نداك الذي قد عم للخلق أجمع

وقال في آخر كتابه ((مرآة الجنان)): نسأل الله الكريم بالآيات والذكر الحكيم، وبرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، أن يجمع بيننا وبين أحبابنا في جنات النعيم اهـــ.

وللشيخ اليافعي قصيدة طويلة تبلغ ٧٧ بيتا تسمي الغوثية، مطبوعة في آخر كتابه ((مرآة الجنان)) أطال فيها التوسل والاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعترته وأزواجه، وبكثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وببعض رؤساء الملائكة عليهم السلام، وبالعشرة المبشرين لهم بالجنة، وبأئمة المذاهب الأربعة، وبالقراء السبعة ، وبكثير من الأولياء العارفين وأكابر الصالحين، وبالعرش والكرسي واللوح والقلم، وبالكعبة المشرفة ومكة المكرمة ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحجر إسماعيل والحجر الأسود وعرفة وغيرها من مواضع النسك، وبالصلوات وشهر الصيام وليلة القدر والعيدين والأشهر الحرم وغير ذلك من مواضع الخيرات وأوقاتـــها، ومن أبيات تلك القصيدة وهي من بحر البسيط:

ياسيد العـــرب العـــرباء قاطـــبـــة	وخيرة الخلق من عـــرب ومـــن عجم
إني بجاهـــك أدعـــو اللـــه متثقـــا	أن الإجـــابة تأتي قـــبل نطـــق فمي
بصاحبيك أبي بكـــر وصاحـــبـــه	أبـــر بـــر وأقـــوى بطـــش منتقـــم
بـــحـــق صهريك عثمـــان وحيدرة	الحائزين لفـــضـــل مـــنك مـــكتتـــم
بحـــق سبطيك من قد شاع فضلهما	في الناس أشهر مـــن نار عـــلى علـــم
بطلـــحـــة بزبير بابن عـــوفـــهـــم	وبالأمـــين ابـــن جـــراح وسعدهـــم
بإبـــن زيد بعـــباس بحـــمزتـــهـــم	بالصالحـــين بني الـــزهـــرا بأمـــهـــم
بجعـــفـــر ببـــنيه بـــل بباقـــرهـــم	بابن الحـــسين عـــليّ بل بزيـــدهـــم
بالكاظمي بالرضا بالفاطـــمي فلهم	حب جرى حيث يجري في العروق دمي
أستشفع اللـــه بالهـــادي وعـــتـــرته	والأنبياء فيـــا طـــوبى لـــذكـــرهـــم
بـــآدم ثم شيـــث ثم نـــوحـــهـــم	بالأنبياء جمـــيـــعا ثم صـــحبـــهـــم
بحق عيسى بيحيى بل بـــوارثـــهـــم	أعـــني سليمان رب الملك والـــكـــرم
بفتية الكهف بالكهف الذي نزلـــوا	بدانيال ولقـــمـــان بخـــضـــرهـــم
بمـــريم ابنت عـــمـــران بآســـيـــة	بفاطم بخـــديـــج أفـــضـــل الحـــرم
بـــعـــائش ثم أزواج الـــنبي ومـــن	بايعنه ببنات المصـــطـــفـــي الحـــرم
واذكـــر نفيسة واستشفع برابـــعـــة	وكـــل صالحـــة مـــن سائر الأمـــم
ببيت لحـــم ببيت الـــقـــدس بل بقبا	بمسجد لـــرسول اللـــه مـــحـــترم
ببكة بل ببطـــحـــاها بغـــار حـــرا	بالطـــور بالتين بالـــزيتون بالقـــسم
بالحِجْر بالحـــجر الأسود ثم بـــمـــن	يلـــوذ مـــن طائف منهـــم ومستلـــم

بموقف الناس يوم الحج بل بـــهـــم   بمـــروة بالصفا بالبيت والـــحـــرم
بليلة القدر مع شهر الصيام وبالــ   ــعيدين مـــع جُمـــَع والأشهر الحرم
بحـــق عـــرش وأمـــلاك ثمانية   بالروح باللـــوح بالكرسي بالقـــلم
بحق فـــرقان ألذكر الحكيم وبالــ   ــسبع المثاني ومـــا فيها مـــن الحكم
بنافع بأبي عمرو بحـــمـــزتـــهم   بعـــاصم ثم عبـــد الله بعـــدهـــم

يعني عبد الله بن كثير مقرئ مكة وأحد القراء السبعة .

بحق فضل الكسائي بابن عامرهم   ومـــن روى لـــهم والمقتدِي بـــهم
بالشافعي بنعـــمـــان ومـــالكهم   بأحمـــد بل بأهل الرأي كـــلـــهم
بالتابعين فلا تـــهـــمل أو يسافما   للـــنائبات كـــمـــولانا أويسهـــم
بحق قطب وأبدال همُ أمـــلـــي   وهم لدى الخطب بعد الله معتصمي
بالبيهقي بأصحاب الحديث معا   بمن بـــه منهم الدين الحنيف حـــُمي
بحق شيخي وأشياخ لـــه فـــهم   غوثي وعوني ومقصودي ومعتصمي
بذي "سفال" حماها الله من بلد   وبل مـــنـــها الحيا والقاع والأكـــم
وفي "ظفار" رجال يستغاث بـــهم   ويستعان بـــهم بالدفع في النـــقـــم

قال ياقوت الحموي في ((معجم البلدان)) : "سفال" بفتح أوله ويكسر ، بلدة من قرى اليمن. و"ظفار" بفتح أوله والبناء على الكسر مثل قطام وحذار مدينة باليمن اهـــ.

ثم قال في أواخرها:

حوائجي إقضها واقـــض الديـــون ولا   ألجأْ بجاهك من خصمي إلى لزم
وأســـبـــل الستر ياربي عـــلـــيّ إذا   ماجئت يارب كن حصني من الألم
واغفر لأهلـــي وأولادي وما ولـــدوا   والآل مني وأصحابي وذي الرحم
ووسع الفضل للجيـــران إن لـــهـــم   حقا علـــيّ وأنت الواسع الكـــرم
جـــيران بيتي وجـــيراني بِمقبرتي   يامن يقـــابل ذا الأرحـــام بالنعم

وقال ابن السبكي في ((الطبقات الكبري)) : اليافعي هو الرجل الصالح صاحب المصنفات الكثيرة والنظم الكثير، اجتمعت به في منى سنة ٧٤٧ وتوفي بمكة سنة ٧٦٧ في جمادى الأولى منها اهـــ. وقال ابن شهبة في ((طبقات الشافعية)) ج٢ص ٢٤٦ : عبد الله بن أسعد بن علي ابن سليمان بن فلاح الشيخ الإمام القدوة العارف الفقيه العالم شيخ الحجاز عفيف الدين أبو محمد اليافعي، كان من صغره ملازما لبيته، تاركا لما يشتغل به الأطفال من اللعب، فلما رأى

والده آثار الفلاح عليه بعث به إلى " عدن " فاشتغل بالعلم ولزمه، وحفظ ((الحاوي الصغير)) و((الجمل)) للزجاجي، وسمع الحديث، وقال فيه الأسنوي في طبقاته : كان إماما يسترشد بعلومه ويقتدى، وعلما يستضاء بأنواره ويهتدى، صنف تصانيف كثيرة إلا أن غالبها صغير الحجم، وكثير من تصانيفه نظم، فإنه كان يقول الشعر الحسن الكثير بغير كلفة، ومن تصانيفه قصيدة مشتملة على قريب من عشرين علما، وقال ابن رافع: اشتهر ذكره وبعد صيته في التصوف وأصول الدين، وكان يتعصب للأشعري، وله كلام في ذم ابن تيمية، ولذلك غمزه بعض من تعصب لابن تيمية من الحنابلة وغيرهم. توفي سنة ٧٦٨ اهـــ ، وترجم له شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الدرر الكامنة)) ج ٢ ص٢٤٨ فمما قال فيه: ولد اليافعي قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث، ونشأ على خير وصلاح، ولم يكن في صباه يشتغل بغير القرآن والعلم، وجاور مكة من سنة ٧١٨ ولازم مشايخ العلم، وسمع الحديث من الرضى الطبري ثم فارق ذلك، وتجرد عشر سنين يتردد فيها بين الحرمين، ورحل إلى القدس ودخل دمشق ثم دخل مصر وزار الشافعي، أثنى عليه الأسنوي في طبقاته. وكان اليافعي كثير الإيثار للفقراء، كثير التواضع مترفعا عن الأغنياء، معرضا عما بأيدهم نحيفا ربعة كثير الإحسان للطلبة، وكان منقطع القرين في الزهد انتهى باختصار .

وقال الحافظ العسقلاني في ((الإصابة)) ج ٢ ص ٣٣٥: وذكر لي الحافظ أبو الفضل العراقي ابن الحسين شيخنا أن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي كان يعتقد أن الخضر حيّ، قال: فذكرت له ما نقل عن البخاري والحربي وغيرهما من إنكار ذلك فغضب وقال: من قال: إنه مات غضبت عليه، قال: فقلنا: رجعنا عن اعتقاد موته اهـــ. وذكر ترجمته الشرجي في ((طبقات الخواص)) ص١٧٢ فمما قال فيه: شهرته تغني عن إقامة البرهان، كالشمس لا يحتاج واصفها إلى بيان، شيخ الطريقين وإمام الفريقين، وأطال في ذكر أحواله ومحاسنه .وذكر ابن العماد في ((شذرات الذهب)) أنه صنف كتبا منها ((مرهم العلل المعضلة في أصول الدين)) و((الإرشاد)) و((التطريز)) في التصوف، وكتاب ((نشر المحاسن))، وكتاب ((نشر الروض العطر في حياة سيدنا أبي العباس الخضر))، وغير ذلك اهـــ .

ملاحظة

لقد علمتَ مما ذكرناه أن اليافعي من أساطين العلم وأئمة المسلمين، وأن كثيرا من حفاظ الحديث والفقهاء أثنوا عليه، واتفقوا على تزكيته وتعديله، وشهدوا على تقدمه في العلم والعمل الصالح، بل قال بعض علماء الشافعية فيه: الحمد لله الذي ابتدأ مذهبنا بالشافعي واختتمها

باليافعي، وعلمت أيضا هيبة الحافظ العراقي منه حتى رجع حالا من اعتقاده، ووافقه في حياة الخضر عليه السلام.وهذا كله بينة شاهدة على جلالته وإمامته، وقد علمت إطالته ومبالغته في التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين، بل وبالأماكن المقدسة والأزمان المشرفة، أفيليق بعد اتفاق هولاء على تزكيته وتعديله أن يعتقد مسلم فيه وفي أمثاله من المستغيثين المتوسلين اعتقادا سيئا، فيظن أنـــهم من الجاهلين عن أصول الدين وفروعه، أو أنـــهم يرتكبون عمدا على ما يستحقون به مقت ربـــهم حاشاهم عن ذلك.

فليجتهد العاقل المسلم أن يعرف حقيقة هذه المسئلة ولا يلتبس عليه الحق بالباطل.

وينبغي لمن يوقن بوقوفه أمام ربه أن لايتساهل ذلك، فقد زلت فيه أقدام كثير من الناس، وتأثرت قلوبـــهم بما ألقى فيها الوسواس الخناس، فسموا من عند أنفسهم المتوسلين بأحباب الله أسماء اخترعوها، وألقابا ابتكروها، مثل الخرافي، والقبوري، وغير ذلك .

ومنهم عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة

وهو الشيخ العارف بالله أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي، فقد قال في آخر كتابه ((بـــهجة النفوس)) شرح مختصره المسمى ((جمع النهاية في بدء الخير والغاية)) ما لفظه: أتوسل إليك بجاه من على رسلك اصطفيته ، والمقامَ المحمودَ وعدته، أن تنعم علينا بما فيه رغبتنا إلخ

وتوفي رحمه الله سنة ٦٩٩ اهـــ .

ومنهم الشاذلي الأزهري

وهو الشيخ عبد الله بن الحسيني المالكي الشاذلي الأزهري من علماء القرن الرابع عشر، قال في آخر كتابه ((لقط الدرر شرح نخبة الفكر)): أسأل الله العظيم، متوسلا إليه بوجاهة وجه نبيه الفخيم، أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

ومنهم أبو الحسن عبد الله بن محمد الفقيه

وفي ((طبقات الشافعية الكبرى)) لابن السبكي: قال الحاكم: سمعت أبا الحسن عبد الله بن محمد الفقيه يقول: ما وقعت على ورطة قط ولا وقع لي أمر مهم فقصدت قبر أبي الوليد وتوسلت به إلى الله تعالى إلا استجاب الله لي. وأبو الوليد هو الإمام الجليل أحد أئمة الدينا، حسان بن محمد بن أحمد بن هارون القرشي الشافعي توفي سنة ٣٤٩ بنيسابور اهـــ وقال الذهبي في ((تذكرة الحفاظ)): توفي أبو الوليد سنة ٣٤٤ هـــ عن ٧٢ سنة. و لم أقف على تاريخ وفاة أبي الحسن عبد الله بن محمد الفقيه.

ومنهم العلامة تاج الدين السبكي

وهو الإمام العلامة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي. ففي ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٢ص٢٦٤-٢٦٥ أنه قال في قصيدة نونية جمع فيها المسائل الاعتقادية التي اختلف فيها الأشاعرة وأبو حنيفة رضي الله عنهم أجمعين:

ونبـيـنا خـير الخلائـق أحمـد   ذو الجاه عـند الله ذي السلطان

وله الشفاعة والـوسيلة والفـضيـ   ـلة واللواء وكـوثر الظمـآن

فاسئل إلـهـك بالنبي مـحمـد   متوسلا تظـفر بكـل أمـان

لا خلق أفـضل منـه لا بشر ولا   ملك ولا كـون مـن الاكوان

ما العرش ما الكرسي ما هذي السما   عند النبي المصطفى العـدنان

ثم قال في أواخرها:

فأجارنا الرحـمن بالهـادي النبـ   ـي محـمد من ناره بأمـان

وهذه القصيدة طويلة مفيدة جدا. قال مؤلفها ابن السبكي: قد ولع كثير من الناس بحفظها.

وقال العلامة مرتضى الزبيدي في ((إتحاف السادة المتقين)) ج٢ص١٠: هذه القصيدة على وزان قصيدة لابن زفيل وهي ستة آلاف بيت ردّ فيها على الأشعري وغيره من أئمة السنة وجعلهم جهمية تارة وكفارا أخرى، وقد ردّ عليها شيخ الاسلام التقي السبكي في كتاب سماه ((السيف الصقيل)) . وما أظن ولده التاج أراد في قوله:

كذب ابن فاعلة يقول بجهلـه   اللـه جسم ليس كالجسمان

إلا هذا الرجل وإن لم يصرح به .

قلت: والاحتياج إلى حفظها أشد في عصرنا مما كان في عصره، فإننا في زمان انتشر فيه الجهل والعناد والافتراء على الأئمة، خصوصا على رئيسهم وحامل رايتهم في العقيدة أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري، واغترّ كثير من الشبان بما في قصيدة ابن زفيل وما يماثلها فأحببت أن أنبه على أن الأشاعرة والمأتريدية هما أهل السنة والجماعة، وأن الخلاف بينهما قليل.

مهمة

قد بين ابن السبكي رحمه الله أنه لا خلاف بين الأشاعرة وبين المأتريدية أصحاب أبي حنيفة إلا ثلاثة عشر مسألة ست منها خلافها معنوي، والباقي لفظي، وهذه المخالفة لا تقتضي تكفيرا ولا تبديعا بينهما ، فمما قال فيها :

يا صاح إن عقيدة النعمان   والأشعريّ حقـيقـة الإتقان

فكلاهما والله صاحب سنة　　بهدى نبي الله مقتديان
لا ذا يبدع ذا ولا هذا وإن　　تحسب سواه وهمت في الحسبان
من قال إن أبا حنيفة مُبْدِع　　رأيا فذلك قائل الهذيان
أو ظن أن الأشعري مُبَدَّعٌ　　فلقد أساء وباء بالخسران
والخلف بينهما قليل أمره　　سهل بلا بدع ولا كفران اهـ

ومن أشهر كتب الحنفية التي ألفت في العقيدة كتاب الإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي المتوفى سنة ٣٢١هـ المعروف بالعقيدة الطحاوية. وكل ما فيه من المسائل الاعتقادية موافق لمعتقد الإمام أبي الحسن إلا ثلاثة مسائل فقط كما حققه التاج السبكي ، وعبارته: سمعت الشيخ الإمام الوالد رحمه الله يقول: ما تضمنته العقيدة الطحاوية هو ما يعتقده الأشعري لا يخالفه إلا في ثلاث مسائل اهـ . وأذكر المسائل الثلاث عشرة مسردة، وهي: تعذيب المطيع وإثابة العاصي، ومعرفته تعالى، وصفات الأفعال، والمكتوب في المصحف الشريف، وتكليف ما لا يستطاع، ووقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكسب العبد واختياره، والسعيد والشقيّ، ونعمة الكافر، وقول الشخص: أنا مؤمن إن شاء الله ، وانقطاع الرسالة بالموت، واتحاد الإرادة والرضا، وإيمان المقلد، وهذه المسائل الثلاث عشرة منقسمة إلى معنوية ولفظية، فالمعنوية ستة واللفظية سبعة. والستة المعنوية منقسمة إلى ما ليس فيه خلاف بين كل فرقة من الفرقتين وإلى مافيه خلاف بين كل منهما، فالقسم الأول ثلاثة، الأول أن تعذيب المطيع وإثابة العاصي جائز في حقه تعالى كما قالته الأشاعرة وخالفتهم الحنفية فقالوا : بعدم جواز ذلك في حقه تعالى وقالوا: يجب تعذيب العاصي وإثابة المطيع ويمتنع العكس، الثاني قالت الأشاعرة : إن وجوب معرفته تعالى تثبت بالشرع لا بالعقل، وقالت الحنفية: بوجوب معرفة الله بالعقل قال ابن السبكي:

ووجوب معرفة الإله الأشعر　　ي يقول ذاك بشرعة الدّيّان
والعقل ليس بحاكم لكن له الـ　　ـإدارك لا حكم على الحيوان
وقضوا بأن العقل يوجبها وفي　　كتب الفروع لصحبنا وجهان

الثالث قالت الأشاعرة : إن صفات الأفعال حادثة وعند الحنفية قديمة، قال في بدء الآمال:

صفات الذات والأفعال طرا　　قديمات مصونات الزوال

والقسم الثاني ثلاثة أيضا، الأولى منها: منعت الحنفية تكليف ما لا يطاق، ووافقهم في ذلك من الأشاعرة الشيخ أبو حامد الإسفراييني شيخ العراقيين، وحجة الإسلام الغزالي، وشيخ الإسلام

المجتهد محمد بن علي بن دقيق العيد، وأما غيرهم من الأشاعرة فيقول بجواز تكليف ما لا يستطاع.

الثانية: اختلفوا في قوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمنعت ذلك الحنفية وعند الأشاعرة قولان، فالإمام الأشعري وكثير من أتباعه قالوا: بجواز وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن خالفهم الأستاذ، والقاضي عياض، والتقي السبكي، وابنه التاج عبد الوهاب، فوافقوا الحنفية، ورجح ذلك ابن السبكي في طبقاته فقال:

قالوا وتمتنع الصغائر من نبـــ	ـــي للإله وعـــندنا قـــولان
والمنع مروي عن الأستاذ والـــ	ـــقاضي عياض وهو ذو رجحان
وبه أقول وكان مذهب والدي	رفـــعـــا لرتبتهم عـــن النقصان
والأشعري إمـــامـــنا لكـــننا	في ذا نخالـــفـــه بـــكـــل لسان
ونقول نحن على طريقته ولـــ	ـــكـــن صحبه في ذاك طائفتان
بل قال بعض الأشعرية إنـــهم	برآء معصـــومـــون مـــن نسيان
والكل معـــدودون من أتباعه	لا يخرجون بذا عـــن الإذعـــان
وأبو حنيفة هكذا مع شيخنا	لا شيء بينهما مـــن النكـــران
متناصران وذا اختلاف هين	عـــار عـــن التبديع والخـــذلان

الثالث: قالت الحنفية: إن المكتوب في المصاحف عين كلام الله، وخالفتهم في ذلك الأشاعرة فقالوا :إن المكتوب في المصاحف كلام الله تعالى والفريقان متفقان في أن كلام الله قديم خلافا للمعتزلة لكن بعض الحنفية أنكر ما نسب إلى الإمام أبي حنيفة. ومسئلة الكلام من أصعب مسائل هذا الفن فليحذر الخائض فيها من الوقوع في الأخطار فإنه زلت فيها أقدام رجال.

وهذه هي المسائل الستة التي اختلفت فيها الأشاعرة والمأتريدية اختلافا حقيقيا معنويا، وقد علمت أن بعض الحنفية أنكروا نسبة المسئلة السادسة إلى إمامهم أبي حنيفة، فيكون ما اختلفوا فيه على هذا خمسة مسائل فقط ، وقد علمت أيضا أن بعض الأشاعرة موافق للحنفية في مسئلتي تكليف ما لا يستطاع، ووقوع الصغائر من الأنبياء، فالباقي بعد إسقاط هذين أيضا ثلاثة مسائل فقط.

فبهذا يتضح لك أيضا أن الخلاف المعنوي بين هذين الطائفتين الذين هما أهل السنة والجماعة قليل، وأما المسائل السبعة التي خلافها لفظي فهي:

١- كسب العبد واختياره فقد اتفقت الأشاعرة على أن للعبد كسبا في أعماله الاختيارية ، واتفقت الحنفية على أن له اختيارا فيها والخلاف بينهما لفظي

٢- الأشعري يقول: السعيد من كتب في بطن أمه سعيدا، والشقي من كتب في بطن أمه شقيا لا يتبدلان. وأبو حنيفة يقول: قد يكون سعيدا ثم ينقلب والعياذ بالله شقيا وبالعكس، والخلاف بينهما لفظي لا يترتب عليه فائدة، فهاتان المسألتان اتفقت فيها أصحاب كل فرقة منهما فيما بينها.

٣- يقول الأشعري: ليس على الكافر نعمة، وكل ما يتقلب فيه استدراج وأبو حنيفة يقول : عليه نعمة، ووافقه من الأشاعرة القاضي أبو بكر الباقلاني فهو مع الحنفية في هذه.

٤- قول الشخص: أنا مؤمن إن شاء الله منعه أبو حنيفة وأجازته الأشاعرة، ووافقهم المأتريدي، فهو مع الأشاعرة في هذه المسئلة، والخلاف في هاتين المسئلتين لفظي أيضا لكن اختلفت فيهما كل فرقة فيما بينها.

٥- انقطاع الرسالة بالموت، فقد قيل: إن الأشعري يقول بانقطاع الرسالة بالموت وخالفه أبو حنيفة في ذلك، لكن نسبة ذلك إلى الإمام أبي الحسن الأشعري كذب وافتراء عليه، وكتبه وكتب أصحابه قد طبقت الأرض وليس فيها شيء من ذلك بل فيها خلافه، ومن عقائد الأشاعرة أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم، وقد أنكر نسبة هذه المسئلة إلي أبي الحسن الأستاذ أبو القاسم القشيري في كتابه ((شكاية أهل السنة))، وبين أنـــها مختلقة عليه، وكذلك بين ذلك غيره واشتد نكير الأشاعرة على من نسب هذا القول إلى الشيخ ، وقالوا : قد افترى عليه وبـــهته.

٦- والإرادة والرضا مفترقان عند الأشاعرة، فقد يريد تعالى ما لا يرضي به كالكفر والعياذ بالله منه، فإنه بإرادته تعالى وهو لا يرضى لعبادته الكفر، قال اللقاني من الأشاعرة في ((جوهرة التوحيد)) :

فقدرة إرادة وغايرت   أمرا وعلما والرضا كما ثبت

ونسبوا إلى الإمام أبي حنيفة أن الإدارة والرضا متحدان لكن لم يثبت هذا عنه بل هو افتراء عليه.

٧- إيمان المقلد، قال أبو حنيفة: يصح، ونسبوا إلى الإمام أبي الحسن الأشعري أن إيمان المقلد لا يصح وهو افتراء عليه، وممن صرح ذلك الأستاذ أبو القاسم القشري في كتابه ((شكاية أهل

السنة بحكاية ما نالهم من المحنة))، فقد قال فيه: وأما ما قالوه من أن الأشعري يقول بتكفير العوام فهو كذب وزور، وقصد من يتعنت بذلك تحريش الجهلة والذين لاتحصيل لهم عليه.

فقد علمت أن المسائل الثلاثة لم تثبت عن الإمامين، وأن نسبة ذلك إليهما بـــهتان وافتراء عليهما، فيسقط من المسائل السبعة هذه الثلاثة ويكون الباقي من المسائل اللفظية أربعة فقط، ومعلوم أن الخلاف اللفظي لا معنى له، فلا يعد خلافا في الحقيقة فتسقط على هذا الأربعة الباقية من السبعة أيضا.

فالحاصل مما ذكرناه أن ما اتفقت فيه كل فرقة من الأشاعرة والمأتريدية فيما بينها وخالفت فيه الفرقة الأخرى خلافا حقيقيا معنويا ثلاث مسائل فقط، وهذا خلاف يسير لا يقتضي التبديع والتكفير، كما أن الخلاف بين الأشاعرة في بعض المسائل لا يقتضي التقاطع والتناكر، ولا شك أن بينهم خلافا في كثير من المسائل، وقد سبق لنا بعضه قال ابن السبكي في طبقاته:

الأشـــعـــرية بينهـــم خلـــف إذا ... عـــدت مسائلـــه عـــلى الإنسان

بلـــغت مئين وكلـــهم ذو سنـــة ... أخذت عن المبعوث مـــن عدنان

وغدا ينادي كـــلـــنا من جملة الا ... تبـــاع للأســـلاف بالإحـــسان

والأشعري أمـــامـــنا والسنة الـــ ... ـــغـــراء سنتنا مـــدى الأزمـــان

وكذاك أهل الرأي مع أهل الحديـــ ... ـــث في الاعتقاد الحـــق متفقان

ما إن يكـــفر بعـــضهم بعضا ولا ... أزرى عـــليه وسامـــه بـــهوان

إلا الذين تمعزلوا منـــهـــم فـــهم ... فـــيـــه تنحت عـــنهـــم الفئتان

وقوله تمعزلوا أي صاروا معتزلة ثم قال:

هـــذا الصواب فلا تظنن غـــيره ... واعـــقـــد عليه بخـــنصر وبنان

هذا صراط الله فاتبعـــه تـــجـــد ... في القـــلـــب برد حلاوة الإيمان

وتـــراه يـــوم الحشر أبيض واضحا ... يهـــدي إليك رسائل الغـــفران

وعليه كـــان السابقون عـــليـــهم ... حـــلل الثناء وملبس الـــرضوان

والشافعي ومـــالك وأبـــو حنيـــ ... ـــفة وابن حنبل الكبير الشأن

درجـــوا علـــيه وخلفونا إثرهم ... إن نتبعـــهـــم نجتمـــع بـــجنان

أو نبتدع فلسوف نصلى النار مذ ... مـــومين مـــأخـــوذين بالعصيان

والكـــفر منفي فلست مكـــفـــرا ... ذا بدعـــة شنعـــاء فـــي النيران

هذا ما لخصناه مما ذكره التاج السبكي في طبقاته الكبرى مع زيادات قليلة.

وذكر الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي في كتاب ((التعرف في الأصلين والتصوف)) أن المسائل التي اختلفت فيها الأشاعرة والمأتريدية نحو عشرين مسألة. وقال مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء ج٢ص١٢: ما ذكره التاج السبكي من أن الاختلاف بين الفريقين ثلاثة عشر مسألة باعتبار الإجمال، وأما بالتفصيل فهي تبلغ إلى خمسين مسألة كما ذكره العلامة ابن البياضي في كتابه ((إشارات المنام))، ثم ذكرها الزبيدي تفصيلا اهـــ

والحامل على إطالة الكلام هنا في الخلاف بين طائفتي أهل السنة والجماعة مع كونه خارجا عن موضوع الكتاب مسيس الحاجة إلى تبيين ذلك في عصرنا هذا، لظن بعض أهل الاهواء أن بينهما خلافا كبيرا، وعدوانا عظيما، بحيث يبدع بعضهم بعضا أو يكفره، ولقد كثر في عصرنا تزيين الباطل وتزييف الحق وتشويهه، وكثرت فيه الدعاوي والأماني والتخيلات الوهمية، فترى من يتكلم بما سولت له نفسه وإن خالف فيه الأئمة الأربعة بل والإجماع، وترى أحدهم لا يستحي أن يطعن أئمة الإسلام وحراس العقيدة . ولقد رأيت في المسجد النبوي الشريف من يدرس في حلقة كبيرة، ويلقي إلى طلبته ما لا أستجيز بكتابته من طعن إمام فن التوحيد أبي الحسن الأشعري رحمه الله، ولو علم المتفوهون بتمزيق أعراض الأشاعرة ما كتبه العلماء من تراجمهم وأحوالهم من جميع الأمصار والبلاد من المشرق إلى المغرب من زمان أبي الحسن إلى هذا القرن الخامس عشر الهجري لما تجاسروا على ما يرمون به عليه من الافتراء والبهتان.

وقد قال التاج السبكي في طبقاته: أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني أحدا، والشافعية غالبهم أشاعرة ما أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به، والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم. والحنفية أكثرهم أشاعرة أعني يعتقدون عقد الأشعرية لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة. ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ومنتسب إليه وراض بحميد سعيه في دين الله مثن بكثرة العلم عليه غير شرذمة قليلة، تضمرالتشبيه وتعادي كل موحد يعتقد التنـــزيه. وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدة أبي الحسن الأشعري اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري. انتهى مانقلته من ((طبقات الشافعية الكبري)) ملخصا.

وفي عصرنا شرذمة في بعض البلاد الإسلامية دأبـــهم التنقيص والإزدراء والعدوان لأبي الحسن، وبلغ بـــهم الحسد والبغض للإمام أن أحرقوا كتاب ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) كما أخبرني بذلك من أثق به، وما نقموا عليه إلا أن مؤلفه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني كان أشعريا، ومحوا من بعض الكتب ما يخالف أهواءهم، حتى إنـــهم حذفوا التوسل في الطبعات الأخيرة من كتاب ((هداية المستفيد في علم التجويد)) وحرفوا وغيروا وبدلوا من كتاب الأذكار للنووي أحرفا . وقدكانت هذه الخيانة العظمى في أسلافهم أيضا، وهي بلية كبيرة، فإنـــها تؤدي إلى الشك وعدم الثقة بكتب الأئمة المؤلفة في العلوم الشرعية، فيترتب من ذلك إبطال الشريعة من أصلها. وقد قال التاج السبكي في ((الطبقات الكبرى)) ج ١ص ١٩٥وقد وصل حال بعض المجسمة في زماننا إلى أن كتب شرح صحيح مسلم للشيخ النووي وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات، فإن النووي أشعري العقيدة، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنفه مصنفه، وهذا عندي من كبائر الذنوب، فإنه تحريف للشريعة، وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس، وما في أيديهم من المصنفات، فقبح الله فاعله وأخزاه اهـــ.

ونتبرك بسرد أسماء بعض أكابر الأشاعرة وأعيانـــهم اقناعا لمن تطرقت إليهم الشكوك، وإعلاما لهم بأن أكابر علماء الأمة المحمدية وأئمتهم كانوا أشاعرة، ونصيحة لمن سولت له نفسه طعن الأشاعرة وبغضها.

فمن الطبقة الأولى المعاصرين لأبي الحسن: الأستاذ أبو سهل الصعلوكي، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، والشيخ أبو بكر القفال، والشيخ أبو زيد المروزي، والأستاذ أبو عبد الله بن خفيف، والزاهر بن أحمد السرخسي، والحافظ أبو بكر الجرجاني الإسماعيلي، والشيخ أبو بكر الأودني، والشيخ أبو محمد الطبري العراقي، وأبو الحسن عبد العزيز بن محمد بن إسحاق الطبري المعروف بالدملي، وأبو جعفر السلمي النقاش، وأبو عبد الله الأصبهاني الشافعي، وأبو محمد القرشي الزهري، وأبو منصور بن حمشاد، فكل هؤلاء عاصروا الإمام أبا الحسن الأشعري وتمذهبوا بمذهبه وقرأوا كتبه وأكثرهم جالسه ، وأخذ عنه شفاها.

ومن أخصهم بالشيخ أبي الحسن: ابن مجاهد، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي شيخ القاضي الباقلاني، وكان مالكي المذهب، وأبو الحسن الباهلي العبد الصالح شيخ الأستاذ أبي إسحاق، وخلائق غيرهم.

ومن الطبقة الثانية: سيف السنة أبوبكر الباقلاني، وأبو الطيب الصعلوكي، وأبو الحسن بن داود المقري الداراني، والأستاذ أبو بكر بن فورك، والأستاذ أبو علي الدقاق، والحاكم أبو عبد الله الحافظ، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني، وأبو حازم العبدوي الحافظ الأعرج، والشيخ أبو سعد الخركوشي، والقاضي أبو عمر البسطامي، وأبو القاسم البجلي ، والشريف أبو طالب المهتدي، وأبو معمر بن أبي سعد الإسماعيلي.

ومن الثالثة: الحافظ أبو بكر البيهقي، والحافظ أبو ذر الهروي، وقاضي الموصل أبو جعفر السمناني الحنفي، والأستاذ أبو القاسم عبد الجبار بن علي الإسفرايني، وأبو الحسن السكري ، وأبو منصور الأيوبي النيسابوري، والقاضي عبد الوهاب المالكي، والشيخ أبو محمد الجويني، وأبو حسن النعيمي، والأستاذ أبو منصور البغدادي، وأبو محمد الأصبهاني ابن اللبان، وأبو عبد الله الخبازي ، وأبو الفضل بن عمروس المالكي، وسليم الرازي، وأبو بكر بن الجرمي الزاهد، وأبو طاهر بن خراشة، ورشأ بن نظيف المقري .

ومن الرابعة: الحافظ الخطيب البغدادي، والأستاذ أبو القاسم القشيري، وأبو علي بن أبي حريصة الهمذاني، وأبو المظفر الإسفرايني، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين، ونصر المقدسي ، وأبو عبد الله الطبري .

ومن الخامسة: أبو المظفر الخوافي، والإمام الغزالي، وفخر الإسلام الشاشي، وأبو نصر القشيري، والشيخ أبو سعيد الميهني ، والشريف أبو عبد الله الديباجي، والقاضي أبو العباس الرطبي، وأبو عبد الله الفراوي، وأبو الوليد الباجي، والحافظ أبو عمرو بن عبد البر، والحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر، والحافظ أبو الحسن المرادي، والحافظ أبو سعد بن السمعاني، والحافظ أبو طاهر السلفي، والقاضي عياض بن محمد اليحصبي، والإمام أبو الفتح الشهرستاني، وعلي بن محمد بن علي إلكيا –بكسر الهمزة والكاف كما في ((شذرات الذهب))، وأبو الحسن السلمي، وأبو سعد بن أبي صالح المؤذن، ونصر الله المصيصي.

ومن السادسة: الإمام فخر الدين الرازي، وسيف الدين الآمدي، وشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، والشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي ، واالشيخ جمال الدين الخصري الحنفي.

ومن السابعة: شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ علاء الدين الباجي، والشيخ الإمام فخر الحفاظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، والشيخ صفي الدين الهندي ، والشيخ صدر الدين بن المرحل، وابن أخيه الشيخ زين الدين ، والشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي، والشيخ شمس الدين الجريري الخطيب ، والشيخ جمال الدين الزملكاني،

والقاضي جمال الدين بن جملة ، والشيخ شهاب الدين بن جميل ، وقاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي، والقاضي شمس الدين بن الحريري الحنفي، والقاضي عضد الدين الإيجي الشيرازي .

فهذا بعض ما ذكره حافظ الدنيا ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري)) والمحقق الفقيه الأصولي المحدث صاحب التآليف العديدة النافعة الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى))، وأضيف أنا إلى ذلك ممن لم يذكراه أو أتى بعدهما الإمام النووي مجدد القرن السابع كما قيل، فإنه كان أشعريا كما هو واضح في كتبه، وصرح به الحافظ السخاوي في ترجمته عنه، والحافظ إسماعيل بن كثير صاحب التفسير المشهور، فإنه وإن كان صاحب ابن تيمية وتلميذه كان أشعريا كما ذكره الحافظ العسقلاني في ((الدرر الكامنة)) ج١ ص٥٨. وقال ابن كثير في (طبقات الفقهاء الشافعيين) جـــ٢ص٤٢: قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في طبقات أصحاب الأشعري في آخر كتاب (تبيين كذب المفتري): رأيت بخط ثقات ما قول السادة الفقهاء في قوم اجتمعوا على لعن الأشعرية وتكفيرهم؟ وما الذي يجب عليهم؟ أفتونا، فأجاب جماعة فمن ذلك: "الأشعرية أعيان السنة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، ويجب على الناظر في أمر المسلمين تأديبه بما يرتدع به كل أحد، وكتب إبراهيم بن علي الفيروزابادي. ثم قال ابن كثير: أما طريقة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في الصفات بعد أن رجع عن الإعتزال بل وبعد أن قدم بغداد وأخذ عن أصحاب الحديث كزكريا الساجي وغيره فإنـــها من أصح الطرق، فإنه يثبت الصفات العقلية والخبرية ولا ينكر منها شيئا، ولا يكيّف منها شيئا، وهذه طريقة السلف والأئمة من أهل السنة والجماعة حشرنا الله في زمرتـــهم وأماتنا على اتباعهم ومحبتهم، إنه سميع الدعاء جواد كريم .

وعلى هذا المنوال جرى الأئمة من أصحاب الأشعري كأبي عبد الله بن مجاهد والقاضي أبي بكر الباقلاني وأضرابـــهم رحمهم الله، انتهى ما قاله الحافظ ابن كثير .

ومنهم الحافظ الكبير أبو الحجاج يوسف بن زكي المِزي عبد الرحمن بن يوسف، فإنه صرح وكتب أنه أشعري، كما ذكره تلميذه ابن السبكي في ((طبقاته)) ج ٦ص١٧١ في ترجمة والده السبكي. وشيخ الإسلام أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني، وشيخه الحافظ العراقي، والحافظان السخاوي، والسيوطي، والهيتمي، والتاج ابن السبكي، والقسطلاني، والسلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الفتوحات الكثيرة المشهورة، ففي ((غاية البيان في تنـــزيه الله عن الجهة والمكان)) ص٩٦: قال السيوطي في كتابه "الوسائل إلى مسامرة الأوائل" ص١٥: لما ولي صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين في وقت التسبيح أن يعلنوا العقيدة الأشعرية، فوظف المؤذنين على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا اهـــ أي وقت السوطي المتوفى ٩١١هـــ انتهى ما في غاية البيان .

وفي ((الفتوحات الربانية على الأذكار النووية)) ج٢ص١١٣: لما ولّي صلاح الدين بن أيوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب الأشعري أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة الأشعرية التي تعرف بالمرشدية فواظبوا على ذكرها كل ليلة اهـــ

فهؤلاء نيف ومائة من أكابر الأشاعرة في مختلف البلاد والأماكن والأعصار، من زمن الإمام أبي الحسن إلى أواخر القرن العاشر، فمن رمى الأشاعرة بالكفر كما يزعمه بعض الجهال من شبان عصرنا فقد كفّر هؤلاء المذكورين وأضعافا مضاعفة من أمثالهم، ويلزم من ذلك تكفير معظم علماء هذه الأمة المحمدية، فقد علمت ما قاله سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وغيره من أن المذاهب الأربعة مجتمعة على عقيدة أبي الحسن الأشعري إلا بعضا من الحنابلة .

واعلم أن كثيرا من الناس يظنون أن المذهب المنسوب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى مذهب اخترعه وابتكره، واعتقدوا أنه أنشأه وأسسه، وليس كذلك بل هو مذهب الصحابة والتابعين وأتباعهم، وإنما كان أبو الحسن مناضلا عن مذهبهم وناشرا له ومرتبا أدلته، كما صرح هو في كتابه ((الإبانة في أصول الديانة)) لما سئل عن ديانته التي بـــها يدين فقال : قولنا الذي به نقول وديانتنا التي ندين بـــها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين اهـــ ما في ((الإبانة)).

وقال التاج عبد الوهاب السبكي في ((طبقات الشافعية)) في ترجمة أبي الحسن الاشعري : اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأيا ولم ينشأ مذهبا، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقا وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدِى به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعريا .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي المايرقي : لم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره، وعلى نصرة مذهب معروف فزاد المذهب حجة وبيانا، و لم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به . ثم ذكر المايرقي رسالة الشيخ أبي الحسن القابسي المالكي التي يقول فيها: واعلموا أن أبا الحسن الأشعري لم يأت من علم الكلام إلا ما أراد به إيضاح السنن والتثبث عليها اهـــ ما في الطبقات.

ومن العجيب أن كثيرا من خصوم الإمام أبي الحسن وأعدائه يدّعي أنه على طريقة الإمام أحمد في الاعتقاد، ثم يتبجح بأنه مخالف للأشعري في المسائل الاعتقادية، وينسب إليه بما يشهد الله أنه بريء منه، وهذا ظلم على أبي الحسن وافتراء على الإمام أحمد، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ويتحسرون إذا كان الإمام أحمد خصمهم يوم القيامة وتبرأ منهم .

روى الحافظ ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري)) ص١٦٤ بسنده إلى أبي ذر عبد بن أحمد الهروي قال: سمعت ابن شاهين يقول: رجلان صالحان بليا بأصحاب سوء، جعفر بن محمد وأحمد بن حنبل .

والحاصل أن المراد من إطلاق لفظ "أهل السنة والجماعة" الأشاعرة و المأتريدية، هذا هو المعروف المشهور في سلف الأمة وخلفها. قال الزبيدي في ((إتحاف السادة المتقين)) شرح ((إحياء علوم الدين)) ج٢ص٦: إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بـــهم الأشاعرة والمأتريدية، قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد: الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام، وأكثر الأقطار في ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على المأتريدية أصحاب الإمام أبي منصور اهـــ والله الموفق .

ومنهم السقاف

وهو السيد علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، فقد قال في خطبة كتابه((سبعة الكتب المفيدة)): والله أسأل، وبنبيه أتوسل، أن ينفعني وإخواني والمسلمين بـــهذا الكتاب النفع الجليل.

ومنهم ابن حزم الظاهري

وهو الإمام الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الظاهري، فإنه قال في آخر كتابه ((جوامع السيرة النبوية)) ما لفظه : نسأل الله تعالى مستشفعين به صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى جل ثناؤه أن يجمع بيننا وبينه، وأن يحجبنا ببركة متابعته عن النار. وقال الحافظ الذهبي في ((تذكرة الحفاظ)): تصانيفه كثيرة منها: سيرة نبوية في مجلد.

ومنهم الإمام المجتهد تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي

قال ولده عبد الوهاب تاج الدين السبكي في ترجمة أبيه من كتابه ((طبقات الشافعية الكبرى)) بعد كلام حكاه عن والده: قال الوالد رحمه الله: أسأل الله خاتمة حسنة بمنه وكرمه وبمحمد صلى الله عليه وسلم، كتبه علي السبكي في يوم السبت مستهل جمادى الآخرة سنة ٧٥٣ بظاهر دمشق. هذا صورة خطه على حاشية كتاب ((الطبقات الوسطى)) انتهى ما نقلته من طبقات ابن السبكي . وقد ذكرنا أن الإمام السبكي من القائلين بجواز التوسل وحسنه، وذكرنا عبارته في الفصل الثاني.

ومنهم السيد بركات

وهو عمر بركات بن مرحوم السيد محمد بركات فقد قال في خطبة ((فيض الإله المالك شرح عمدة المسالك وعدة الناسك)): وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله لكافة العرب والعجم، وبظهوره اضمحل الكفر وانعدم، صلى الله عليه وسلم، وبجاهه نتوسل فنسلم ، وعلى آله وأصحابه الناصرين له في جميع الغزوات، وقال أيضا: ورزقنا اتباع أهل الشرف والإقبال، بجاه سيدنا محمد والآل، آمين آمين يا رب العالمين.

حرف الميم

منهم الحافظ محمود بن أحمد البدر العيني

وقال الشيخ محمود بن أحمد بن موسى البدر العيني الحنفي في أول شرحه الكبير "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" : فها نحن نشرع في المقصود بعون الملك المعبود، ونسأل الله الإعانة على الختام متوسلا بالنبي خير الأنام، وآله وصحبه الكرام.

وترجمه الحافظ السخاوي في "الضوء اللامع"ج١ص١٣١ ترجمة طويلة فمما قال فيه: هو محمود بن أحمد بن موسي البدر العيني الحنفي، ولد سنة ٧٦٢، وكان إماما عالما علامة لايملّ من المطالعة والكتابة، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا-يعني الحافظ ابن حجر العسقلاني- أكثر تصانيف منه، حدّث وأفتي وأخذ منه الأئمة من كل مذهب، وكنتُ ممن قرأ عليه أشياء وعلقّ شيخنا عنه من فوائده، بل سمع عليه ثلاثة أحاديث مع ما بينهما مما يكون بين المتعاصرين غالبا، وكذا كان هو يستفيد من شيخنا، مات في ليلة الثلثاء رابع ذي الحجة سنة ٨٥٥ ولم يخلف بعده في مجموعه مثله.

ومن تصانيفه شرح البخاري في إحدي وعشرين مجلدا، سماه عمدة القاري، وشرح معاني الآثار للطحاوي في عشر مجلدات وقطعة من سنن أبي داود في مجلدين، والدرر الزاهرة في شرح

"البحار الزاخرة في المذاهب الأربعة" و "طبقات الحنفية"، وزار البدر العيني بيت المقدس فلقي فيه العلاء أحمد بن محمد السيرامي الحنفي فلازمه واستقدمه معه القاهرة وقرّره صوفيا بالبرقوقية، ولبس الخرقة من ناصر الدين القرطي اهـ

وقد ذُكِر في مقدمة كتابه "عمدة القاري سبعةٌ وأربعون كتابا من تصانيفه منها: "البِنَاْيَة في شرح الهداية" في عشر مجلدات يتوسع فيه جدا في تخريج أحاديث الأحكام وبيان مذاهب علماء الأمصار، وعقد الجمان في تاريخ الزمان في خمسة وعشرين مجلدا.

وحكي العلامة ابن خلدون عن مشايخه أن شرح البخاري دَيْن علي الأمة لم يقم بوفائه أحد من العلماء حسب ما يجب، ولو عاش ابن خلدون إلى زمن ظهور شرحي العيني وابن حجر العسقلاني لربما حكم لهما بقضاء هذا الدَين علي حد سواء، ويميل السخاوي إلى أن القائم بقضاء هذا الدين هو شيخه ابن حجر، وصاحب "كشف الظنون" حكم لهما بوفاء الدين علي حد سواء اهـ

فالذي توسل برسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي قيل فيه: إنه أدى الدين عن الأمة المحمدية، وإن شرحه عمدة القاري مثل شرح الحافظ ابن حجر في التحقيق والتدقيق وتبيين المراد والمعاني الجلية والخفية وتوسيع البحث في ذلك، وإن كان كثير من العلماء يقدم شرح ابن حجر.

فهل يليق لمسلم أن يُبدّع أو يُفسّق أو يُكفّر على هذا الإمام الحافظ وأمثاله بتوسله إلى الله بنبيه الوسيم ذي الجاه العظيم عند ربه الكريم!!؟؟.

منهم مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني

العلامة المحقق سعد الدين التفتازاني، فإنه قال في آخر شرحه على ((التلخيص)):ختم الله تعالى بالحسنى، ويسر لنا الفوز بالذخر الأسنى، بحق النبي صلى الله عليه وسلم وآله اهـ .

واسم سعد الدين التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله، هذا هو المشهور، قال ابن حجر في كتابيه ((الدرر الكامنة)) و ((أنباء الغمر)): إن اسمه محمود بن عمر . ومن مليح شعره:

إذا خاض في بحر التفكر خاطري   على درة من معضلات المطالب

حقرت ملوك الأرض في نيل ما حووا   ونلت المنى بالكتب لا بالكتائب

توفي رحمه الله سنة ٧٩١ هـ

قلت: ويشبه ذلك ما قاله سميّه محمود بن عمر الزمخشري:

سهري لتنقيح العلـــوم ألذّ من لثم لغـــانية وطـــول عنـــاق
وأحب من نقـــر الفتاة لدفّها نقري لألقى الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لحـــل عويصة أشهى وأحلى من مدامة ساق
أأبيت سهران الدجى وتبيته نوما وتبغي بعد ذاك لحـــاقي

حرف الياء

منهم المناوي القاهري

قال الحافظ شمس الدين السخاوي في كتابه ((الضوء اللامع)) ج١٠ ص٢٥٤: إن يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد المناوي القاهري الشافعي ولد في العشر الأول من ذي الحجة سنة ٧٩٨هـــ ومات بداره ١٢ من جمادى الثاني سنة ٨٧١هـــ انتهى. وقال السيوطي في ((حسن المحاضرة)) ج١ص٤٤٥: وهذا الشيخ المناوي قاضي القضاة وتصدى للإقراء والإفتاء، وولى قضاء الديار المصرية وله تصانيف منها: شرح ((مختصر المزني)) وهو آخر علماء الشافعية ومحققيهم. اهـــ وقال الحافظ السخاوي في ((الضوء اللامع)): ومما قاله:

إلى الله أشكو مـــحنة أشغلت بالي فمن هَوْ لِهَا ربع اصطباري غَدَا بالي
وما لي مأمول سوى سيد الورى فإني بذاك الجـــاه علـــقت آمـــالي

إلى أن قال:

لقد ضاق ذرعي من أمـــور كثيرة وأنت مـــلاذي في تغـــير أحـــوالي
وإن كنت يا مولاي عبدا مقصرا فحلمك يا مـــولاي أعلى وأولى لي

ومنهم الأردبيلي:

قال الشيخ يوسف بن ابراهيم الأردبيلي في آخر خطبة ((الأنوار)) : جعله الله ذريعة –أي وسيلة– إلى دار القرار بالنبي وآله الأخيار اهـــ.

ولنقتصرعلى ذكر المتوسلين بمن ذكرناهم من الأنبياء وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وتابع التابعين ومن بعدهم من السلف والخلف رضوان الله عليهم أجمعين، فإن فيهم الكفاية لمن رزقه الله الهداية، وتلقاه بقلب سليم من التعصب والتعسف . والمتوسلون سلفا وخلفا كثيرون لا مطمع في حصرهم، ولا تسع لهم الدفاتر، ولو تتبعنا ذلك وأردنا إحصاءهم لعجز القلم عن حصرهم قبل أن يبلغ معشار عشرهم. وقد ألف في التوسل بخير الخلق الإمام القدوة أبو عبد الله بن النعمان محمد بن موسى التلمساني المالكي المتوفى ٦٨٣هـــ كتابا سماه

((مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام)) وفي ((هداية العارفين)) ج ٥ص٥٨٦ أن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ألف كتابا اسمه ((زوال الظما في ذكر من استغاث برسول الله من الشدة والعما)) وقد ذكر النبهاني كثيرا من المستغيثين به صلى الله عليه وسلم نظما أو نثرا في كتابه ((شواهد الحق في المستغيثين بسيد الخلق)) فممن ذكرهم من المستغيثين نثرا زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ محي الدين بن عربي، وإبراهيم الدسوقي، وأبو الحسن الشاذلي، وعبد العزيز الدريني، وأبو الحسن السخاوي، ومحمد الوفا، وابن عباد شارح الحكم، وأبو المواهب الشاذلي، وأبو العباس المشرعي اليمني، وخير الدين بن أبي السعود بن ظهيرة المكي، وعبد الجليل بن عطوم القيرواني صاحب ((تنبيه الأنام))، وناصر الدين بن سويدان، وأبو المكارم زين الدين عمر بن بيبرس سويدان، وزين العابدين بن محمد البكري، ومحمد بن عثمان المصري، ومحمد الذاكر المصري التازي صاحب الصلاة التازية المشهورة، ومحمد البركوي، ومحمد البديري الدمياطي، وعقيلة المكي.

وذكر من المستغيثين به صلى الله عليه وسلم نظما عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور، والإمام الغزالي، والإمام تقي الدين بن دقيق العيد، وأبو زكريا يحيى بن خلدون أخو صاحب التاريخ، والإمام شرف الدين البوصيري، والإمام يحيى الصرصري، والشيخ برهان الدين القيراطي المصري، وشمس الدين النواجي، وعبد الله بن زمرك الغرناطي، والإمام كمال الدين الزملكاني الشافعي، والشيخ القلقشندي المصري، والشهاب المنصوري المصري، والإمام عبد الرحمن المكودي، ولسان الدين الخطيب الأندلسي، ونجم الدين محمد بن سوار الشيباني الدمشقي، والشيخ يوسف بن محمد الحنبلي القدامي، والإمام أبو محمد عبد الله بن زكريا القراطيسي المغربي، وهبة الله بن البارزي، والإمام عمر ابن الوردي، وجمال الدين بن نباتة المصري، وعلاء الدين بن مليك الحموي، والقاضي محمد بهاء الدين الباعوني الدمشقي، وابن جابر الأندلسي، وأبو عبد الله محمد الشراف الأندلسي، والإمام عبد الرحيم البرعي اليمني، وعبد العزيز بن علي الزمزمي المكي، ومجد الدين الوتري البغدادي، وأبو الصفا الشيخ أيوب الخلوتي الدمشقي، وأبو القاسم محمد بن يحيى الغساني الأندلسي الغرناطي، والشيخ أحمد الصفدي، والشيخ عبد الله السبراوي المصري، وحسين الدجاني مفتي باقة، والشيخ عمر أفندي الأنسي البيروني، والإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الأندلسي القرشي، وعبد الكريم أفندي حمزة الحسيني الدمشقي، وحامد

أفندي العماري مفتي الشام ، وأبو الحسن علي بن الجياب الأنصاري الأندلسي، وفتح الله بن النحاس، وأبو مدين المغربي، والشيخ أحمد العروسي، وعبد العزيز بن علي الغرناطي، وعبد الحليم جلبي الدمشقي الشهير بالوجي، والشهاب أحمد المقرئ صاحب ((نفح الطيب))، ومحمد بن العفيق التلمساني المشهور بالشاب الظريف، والشيخ عبد الرحيم الشعراني، والشيخ محمد سعد العمر الدمشقي، وعبد الرحمن البهلول الدمشقي، والشهاب أحمد المنيني الدمشقي، والشيخ مصطفى العلواني نزيل دمشق، والشيخ محمد بن فرج البستي المغربي، وفتح الله البيروني الحلبي، وأبو السرور بن نور الدين الشعراوي، وابن معتوق والشهاب أحمد بن أبي القاسم الخلوف التونسي القيرواني، والإمام الحسن بن مسعود السوسي، وشمس الدين الصالحي الهلالي، والشيخ باعبود العلوي الحسيني المدني، وعبد العزيز الفشتالي الفاسي، وابن حبيب الأندلسي، وعائشة الباعوتية انتهى ما أردت نقله من ((شواهد الحق)) وقد أطال النبهاني رحمه الله في ذلك، فذكر من العلماء المستغيثين به صلى الله عليه وسلم ما يزيد على مائة شيخ، وذكر الصيغ التي استغاثوا بـــها، وتركتها خوفا من التطويل والملل، وقد ذكرنا قبل من المستغيثين والمتوسلين ومن القائلين بمشروعية ذلك ما يزيد على مائة أيضا، وفيهم الأنبياء والصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة والمفسرون والحفاظ والمحدثون حملة السنة النبوية المطهرة، والفقهاء والزهاد والصوفية و لم يختلف في ذلك إثنان من سلف هذه الأمة وخلفها ، وقد بين صلى الله عليه وسلم أنــــها لا تجتمع على ضلالة، ولما أتى ابن تيمية اخترع ما لم تسمعه الأوائل والأواخر قبله من منع التوسل والاستغاثة ونحوهما، وأتى بعجائب أخرى كتحريم السفر إلى زيارة القبور كلها حتى زيارة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، فقام العلماء المعاصرون له في رده وألفوا في ذلك الكتب، والله الموفق .

نصيحة

إذا لم تكن من أهل التبرك بأحباب الله تعالى والتوسل بجاههم إلى الله تعالى فالذي يجب عليك حتما أن تمسك لسانك عن الطعن فيهم، وتطهّر من قلبك الحقد والبغض لهم، وأن لا تكون من الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، فاستحقوا النكال والوبال وغضب الكبير المتعال، وأن تأخذ حذرك من تسويلات البطالين الذين يجعلون هتك أعراض العلماء العاملين غذاءهم وعشاءهم وسميرهم في ليلهم ونـــهارهم، فقد قال حافظ الدنيا ابن عساكر: لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب اهـــ .

وينبغي تأويل ما وقع من بعض العلماء مما يخالف ظاهره الشريعة وحمله بمحامل حسنة، فقد أمرنا بإقالة عثرات ذوي الهيئات، كما روى أبو نعيم في ((الحلية)) ج٩ص ٤٣ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أقيلوا ذوي الهيئات عثراتـــهم إلا من الحدود. وقال السيوطي في ((الجامع الصغير)): روى هذا الحديث أحمد في ((مسنده)) والبخاري في ((الأدب)) وأبو داود عن عائشة، ورمز له بالحسن .

وقال الإمام النووي في ((بستان العارفين)) ص ٩٦: يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالى، وقال: حكي عن إبراهيم الرُقي قال: قصدت أبا الخير التيناتي مسلّما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا، فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي، فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدتُ إليه وقلت: إن الأسد قصدني، فخرج وصاح على الأسد وقال: ألم أقل لك: لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت، فلما رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد .

ثم قال النووي: قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده أن صلاة أبي الخير هذا كانت فاسدة لقوله لم يقرأ الفاتحة مستويا، وهذه جهالة وغباوة ممن يتوهم ذلك، وجسارة منه على إرسال الظنون في أولياء الرحمن، فليحذر العاقل من التعرض لشيء من ذلك، بل حقه إذا لم يفهم حِكَمَهُم المستفادة ولطائفهم المستجادة أن يتفهمها ممن يعرفها، وكل شيء رأيته من هذا النوع مما يتوهم من لا تحقيق عنده أنه مخالف ليس بمخالف .

وجواب هذا من ثلاثة أوجه: أحدها أنه جرى منه لحن لا يخل بالمعنى، ومثل هذا لا يفسد الصلاة بالاتفاق، الثاني: أنه مغلوب على ذلك بخلل في لسانه فتصح صلاته بالاتفاق، الثالث:

أنه لو لم يكن له عذر فقراءة الفاتحة ليست بمتعينة عند أبي حنيفة وطائفة من العلماء، ولا يلزم هذا الولي أن يتقيد بمذهب من أوجبها انتهى ما نقلته من ((بستان العارفين)) .

وذكرابن حجر الهيتمي ما يفيد أنه ينبغي تأويل شطحات الأولياء فقال في ((الفتاوي الحديثية)) ص٢٦٨: للأئمة العلماء الذين منّ الله عليهم بالاعتقاد في أوليائه وحماهم من الانكار عليهم وبحمل ما صدر عنهم من الشطحات على أحسن المحامل وأقومها أجوبة مسكتة، وتحقيقات مبهتة، لا يهتدي إليها إلا الموفقون، ولا يعرض عنها إلا المخذولون .

فاحذر أن تكون ممن يتحسّى كأس سم الانكار فيهلك لوقته، وبادر إلى السلامة من غضب الله ومحاربته ومقته، فقد قال تعالى في الحديث القدسي: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب" أي أعلمته أني محارب له، قال الأئمة: و لم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه وآكلي الربا، ومن حاربه الله لا يفلح أبدا . ثم ذكر الهيتمي بعض الأجوبة فقال: إن تلك الشطحات وقعت منهم في حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء في المحبة، ألا ترى أن بعض الهموم أو الواردات الدنيوية إذا وردت على القلب أذهلته وأذهبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه في فكره، فإذا كان هذا في الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحق على القلوب ولواعج المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب، وذكر الهيتمي خمسة أجوبة أخرى .

وفي ((الفتاوي الحديثية)) للهيتمي أيضا ص٢٨٥ أن فقيها أنكر على شيخ قراءته، فقال له: إن كنتُ لحنتُ في قراءة القرآن فقد لحنتَ أنت في الإيمان، وذلك أنه لما أنكر عليه وخرج قصده السبع فخشي منه لضعف إيمانه وقلة يقينه بالله . وقال النووي في ((بستان العارفين)) ص٧٥: روينا عن الإمام مالك رضي الله عنه: تلقى الرجل وما يلحن حرفا، وعمله لحن كله اهـ.

ولا شك أن اللحن في العمل أشنع وأقبح بكثير من اللحن في اللسان، فإن أساس النجاة التقوى والعمل الصالح، وأما عدم اللحن اللساني فهو من الكماليات التي ينجو بدونـها الإنسان، وقال الهلال بن العلاء :

سيبلى لسان كان يعـرب لفظـه ... فيا ليته من وقفـة الحشر يسلم

وما ينفع الإعراب إذ لم تكن تقى ... وما ضر ذا تقوى لسان معـجم

وأوَّل الحافظ الذهبي ما نقل عن أبي يزيد البسطامي فقال في ((سير أعلام النبلاء))ج١٣ص٨٨: جاء عن أبي يزيد أشياء مشكلة، الشأن في ثبوتـها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو، فيطوى ولا يحتج بـها إذ ظاهرها إلحاد، مثل سبحاني اهـ، فتراه لم يَثْبُتْ ذلك

عنده، وعلى تقدير ثبوته فقد أوّله بأنه قالها في الغيبة والدهشة والمحو، ولا يخفي أنه لامؤاخذة في تلك الحالة لعدم التكليف فيها .

وسئل ابن حجر الهيتمي عن قول أبي يزيد : خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله؟ فقال: لم يصح هذا القول عنه وإن صح فمؤل، ثم ذكر بعض التأويلات التي استحسنها .

وعلى هذا التأويل جرى المحققون الراسخون في العلم .

والإغضاء من العثرات وتتبع العورات من أخلاق المؤمنين ودأب المتقين، وقد قال الشيخ عبد الله الحداد:

فسلم لأهل الله في كل مشكل　　　لديك لديهم واضح بالأدلة

وقال آخر:

وإذا لم تـــر الهلال فســلـــّم　　　لأناس رأوه بالأبصـــار

فمن قلة الحياء وعدم الإنصاف أن ترى عالما عاملا يخشى الله تعالى ويطيعه ويقوم ليله ويصوم نـــهاره وقد داوم على ذلك أزمنة طويلة ثم إذا علمت وقوع زلة منه تطلق لسانك على إفشائها بين الناس ونشرها كأنك تؤدي واجبا عليك وأنت لا تنظر إلى حالتك وكاسد بضاعتك وقلة عبادتك، ففي الحديث النبوي يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذ ع في عينه . رواه أبو نعيم في ((الحلية)) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد ظهر في زماننا طوائف يتمتعون بحطام الدنيا ويتبسطون بملاذها وينقادون لشهوات أنفسهم وينامون طيلة ليلهم، فإذا انتبهوا من سباتـــهم العميق ورأوا الزهاد والعبّاد الساهرين بحلق الذكر والأوراد يتغامزون وسلقوهم بألسنة حداد قائلين: إن هؤلاء لضالون، خرافيون قبوريون، فليتهم سكتوا إن لم يطيعوا ربـــهم و يعملوا مثل أعمالهم، إذ ما عليهم من حسابـــهم من شيء، وما أرسلوا عليهم حافظين .

فعلى اللبيب الفطن أن يعمل بما ينفع نفسه حالا ومآلا، ولا يصغي إلى أقوال هؤلاء البطالين الكسالى، ولا تضعف نيته باستهزائهم، ولا ينكسر خاطره بإيذائهم، وليكن ذا همة عالية وعزيمة قوية لا يثنيها شيء فقد قيل:

فكن رجلا رجله في الثرى　　　وهـــامـــة هـــمته فـــي الـــثُرَ يّا

وما أحسن ما قاله الإمام الحافظ عبد العظيم المنذري:

اعمل لنفسك صالـــحا لا تحتفـــل　　　بظهـــور قيل في الأنام وقـــال

والخلق لا يرجى اجتماع قلوبـــهم　　　لا بد مـــن مثن عـــليك وقال

وقوله لا تحتفل: أي لا تبال ولا تكترث ، ففي القاموس- وما احتفل به- أي ما بالي به .
رزقنا الله حسن الظن بالأولياء والتأدب معهم، وحسن الاعتقاد فيهم، وأعاذنا من الانتقاد والطعن فيهم.

خاتمة في ذكر نبذ من سير الصالحين وأحوالهم

لما ذكرنا التبرك بالصالحين رأيت أن أختتم ذلك بذكر شيء من محاسنهم وأوصافهم، فعسى أن يهدي الله بدلك أقواما، ويكون لهم موعظة واعتبارا، فيقتفوا آثارهم ويقتدوا بـــهديهم فيلحقوا بـــهم، وأن يكون سببا لمحبتهم، ومن أحب الصالحين يكون معهم، قال ابن حجر الهيتمي في ((الفتاوي الحديثية)): قال السيد الجليل شاه بن شجاع الكرماني: ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله. وقال ابن حبان في ((روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)) ص١٠٠: قال سفيان بن عيينة: من أحب رجلا صالحا فإنما يحب الله تبارك وتعالى، وأيضا قد التبس في هذا الزمان الطالح بالصالح وكثرت فيه الدعاوي والأماني، والتشبه بالصالحين في الزي والمظاهر لا بالمعاني والأخلاق، فاحتيج إلى تمييز اللب من القشر، والردئ من الجيّد بذكر بعض أحوالهم، والإشارة إلى معالي أخلاقهم، ومكابداتـــهم في ظلمات الليالي ومجاهداتـــهم على رفض شهوات أنفسهم ومخالفة أهوائها، وقوة عزيمتهم حتى اقتحموا العقبات وذللوا الصعوبات، فصرفوا ساعات عمرهم إلى ما يقربـــهم إلى مولاهم تبارك وتعالى، وذلك ليكون المتبرك على بصيرة وعلم، فيتبرك بمن تُرتجى منه البركةُ ويطمع من ساحته الفائدة والمنفعة، ولا يغترّ بتمويهات البطّالين وافتراءا ت المخادعين .

ومعلوم أن رغبة الراغبين في الطاعات مختلفة، ومنافسة العابدين فيها متنوعة، وطرق الخيرات كثيرة وسبلها متعددة، فقد قالوا: الطرق الموصلة إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، فمن الصالحين من يكثر القراءة والأوراد والأذكار ويديمها ويستغرق فيها أوقاته، ومنهم من يكثر الصلاة في ظلمات الليالي وحر الأيام .

ومنهم المجاهدون في سبيل الله تعالى الباذلون نفوسهم لله ابتغاء مرضاته، ومنهم المدرسون الناشرون للعلم، المجددون للأمة أمر دينها، المبلغون لها رسالة ربـــهم، القاسمون لهم ميراث رسولهم بالتعليم، ومنهم المهتمون بتدوين العلوم وتصنيف الكتب في أنواع الفنون، ومنهم الوعاظ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ومنهم الزاهدون الورعون، ومنهم أهل الكرم والسخاوة والإيثار، ومنهم من يحرسون ظاهرهم وباطنهم عن ارتكاب المعاصي فلا تصدر منهم كبيرة ولا صغيرة، ومنهم غير ذلك، فكل منهم يدخل من الباب الذي فتح له، ويشرب من الكأس الذي سقاه منه ربه، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، فهو المدبر الحكيم، واللطيف الخبير بأحوال عباده، وبما يناسب لكل امرئ منهم من أنواع طاعته .

وأبتدئ بذكر عدد قليل ممن جدّ واجتهد على تعلم العلم وحفظ الكتب المختصرة والمطوّلة من الفنون المختلفة، وصرف إلى ذلك نفائس أوقاته، و لم يتطرق إليه الفتور والملل حتى حاز قصب السبق واحتاجت إليه الأمة، ثم صنّف التصانيف الكثيرة وجمع أشتات العلوم في السطور بعد استحضارها في الصدور، وقصدي من ذلك رفع همة طلبة العلم وحثهم على أن يبذلوا قصارى جهدهم في تعلمه اقتداء بـــهؤلاء الأئمة، ثم أتبعهم بآخرين لم تعهد لهم صغيرة ولا كبيرة، ثم أذكر بعض من أحيا ليله كله، وصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة أو أكثر منها، ثم أذكر عددا ممن صلى كل يوم وليلة ألف ركعة، ثم أذكر آخرين ممن يكثر تلاوة القرآن الكريم، ثم أختم ذلك بذكر جماعة من المكثرين للعبادات المختلفة والطاعات المتنوعة. نسأل الله المنان أن يسلك بنا مسالك عباده الصالحين .

١- منهم الإمام الأعظم الشافعي

فقد ألف الإمام الشافعي مذهبه الجديد في أربع سنين فقط، مع كونه كثير الأمراض والآلام، فقد قال رحمه الله تعالى كما في ((الفتاوي الحديثية))ص٥٠ : فيما بين صدري وسرتي تسع أمراض مخوفة، كل منها لو انفرد كان قاتلا اهـــ .

وفي ((مناقب الشافعي)) للبيهقي ج٢ص ٢٩٢ أن يونس بن عبد الأعلى قال: ما رأيت أحدا لقي من السقم ما لقي الشافعي. وروى البيهقي بسنده عن علي بن بحر الوراق قال: كان الشافعي رحمه الله رجلا عطرا، وذلك أنه كان به باسور، وكان يجيء غلامه كل غداة بغالية فيمسح بـــها الأسطوانة التي يجلس عليها اهـــ. وهذا مع كثرة أعماله الأخرى، ووظائفه المتنوعة، فقد كان يقرأ كل يوم ختمة في غير رمضان وختمتين في رمضان، ويُدرّس فنون العلم المختلفة ويفتي ويناظر إلى غير ذلك، فهذا أعجب ما بلغنا وأغرب ما سمعناه، فإن تأسيس قواعد المذهب وتحرير مسائلها واستنباطاتـــها الدقيقة لا شك أن فيه صعوبة كبيرة وحرجا شديدا فيحتاج إلى فراغ وتمكين وصحة تامة .

نبذة من ترجمته رحمه الله تعالى

اعلم أن كثيرا من العلماء صنفوا في مناقبه رحمه الله منهم كما في ((طبقات الشافعية الكـــبرى)) ج١ص١٨٥: داود بن علي الأصفهاني، وزكريا بن يحيى الساجي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم الآبري ، والحاكم أبو عبد الله بن البَيِّع، وأبو علي الحسن بن الحسين بن حمكان، وأبو عبد الله بن أبي شاكر بن قطان، والإمام الزاهد اسمعيل

ابن محمد السرخسي، والأستاذ الجليل أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، والحافظ الكبير أبو بكر البيهقي، والحافظ الكبير أبو بكر الخطيب، والإمام فخر الدين الرازي.
وقد أطال كثيرون في ترجمته في كتبهم مثل أبي نعيم في ((الحلية)) والخطيب البغدادي، في ((تاريخ بغداد))، والذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) وغيرهم. ولد الإمام رحمه الله سنة ١٥٠ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ

وقد اختصه الله تعالى من بين أئمة المذاهب الثلاثة بخصال .

١- منها: شرف النسب، فقد قال أبو ثور: للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره من شرف نسبه وصحة دينه ومعتقده وسخاوة نفسه ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه وحفظه الكتاب والسنة، وحسن التصنيف وجودة الأصحاب والتلامذة مثل أحمد بن حنبل.
وقال النووي في ((تهذيب الأسماء واللغات)): شرف الله الإمام الشافعي بالنسب الطاهر، واجتماعه هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب غاية الشرف، ونهاية الحسب، وبشرف المولد والمنشإ فإنه ولد بالأرض المقدسة، ونشأ بمكة.
وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف اهـ.
وقد نظمه أبو القاسم الرافعي كما في ((القاموس)) فقال:

محمد إدريس عباس ومِن   بعدهمُ عثمان إبن شافع
وسائب إبن عبيد سابع   عبد يزيد ثامن والتاسع
هاشم المولود إبن المطلب   عبد مناف للجميع تابع

والأبيات من بحر الرجز. وهذا هو نسبه المشهور وهو الصحيح. وأمه أَزْدِيَةٌ، وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأزد أسد الله في الأرض يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان يقول الرجل: يا ليتني كنت أزديا ويا ليت أمي كانت أزدية، رواه الترمذي. وفي رواية للترمذي أيضا الأمانة في الأزد. وروى البيهقي بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الأزد أزد الله عز وجل في الأرض يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم. وفي رواية نعم الحي الأزد، والأشعريون، لا يفرون في القتال ولا يغلون، هم مني وأنا منهم.
٢- منها أنه كان أطولهم باعا في معرفة اللغة، قال المزني: قدم الشافعي مصر وبها عبد الملك ابن هشام النحوي صاحب ((المغازي)) وكان علاّمة أهل عصره في العربية والشعر، فذهب

إلى الشافعي ثم قال: ما ظننت أن الله خلق مثل الشافعي، ثم اتخذ قول الشافعي حجة في اللغة، وكان إذا شك في شيء من اللغة بعث إلى الشافعي فسأله عنه. وقال الأيوب بن سويد: خذوا عن الشافعي اللغة. وقال أبو عثمان المازني: الشافعي عندنا حجة في النحو. وقال الزعفراني: ما رأيت أفضل ولا أكرم ولا أتقى ولا أعلم من الشافعي، وما رأيت لحن قط، وما حمل أحد محبرة إلا وللشافعي عليه منة، ماكان الشافعي إلا بحرا .

وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج١٠ص ٨١: قال أحمد بن حنبل: الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء في اللغة واختلاف الناس والمعاني والفقه. والفيلسوف كما في ((المعجم الوسيط)) العالم الباحث .

وفي ((مناقب الشافعي)) للبيهقي قال ثعلب: الشافعي من بيت اللغة، يجب أن يؤخذ عنه، وقال ثعلب أيضا: إنما توحد الشافعي باللغة لأنه من أهلها، فأما أبو حنيفة فإنه منها على بعد، وقال أبو الوليد بن النجار: كان يقال: إن محمد بن إدريس لغة وحده يحتج به كما يحتج بالبطن من العرب. وقال أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله: قال أبي: سمعت عمي يقول: سمعت الشافعي يقول: أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتـــها وحفظت القراءة فما علمت أنه مرّ بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه والمراد منه ما خلا حرفين، قال أبي: حفظت أحدهما ونسيت الآخر، أحدهما " دساها " . وقال النووي: هو الإمام الحجة في لغة العرب، فقد اشتغل في العربية عشرين سنة .

٣- ومنها:أنه كان أشعر من الأئمة الثلاثة وآدبـــهم . قال المبرد: كان الشافعي من أشعر الناس وآدبـــهم وأعرفهم بالقراءات .

٤- ومنها: أنه كان معلم الأمة بناسخ الحديث ومنسوخه، قال النووي: وكان الشافعي مبرزا في الاستنباط من الكتاب والسنة، بارعا في معرفة الناسخ والمنسوخ، والمجمل والمبين، والخاص والعام وغيرها، فلم يسبقه أحد إلى فتح هذا الباب.

وقال ابن وارة: قدمت من مصر فأتيت أحمد بن حنبل، فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ قلت: لا، قال: فرطت، ما عرفنا العموم والخصوص وناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك على الرجوع إلى مصر فكتبتها .

٥- ومنها: اختراعه بفن أصول الفقه . قال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)): ابتكر الشافعي كتبا لم يسبق إليها، منها أصول الفقه، وكتاب القسامة، وكتاب الجزية، وكتاب قتال أهل البغي، وغيرها. وكان سبب تصنيفه لكتاب((الرسالة)) أن عبد الرحمن بن مهدي كتب له

وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبارفيه، وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب ((الرسالة)) فكان عبد الرحمن يقول: ما أصلي صلاة إلا وأدعو للشافعي.

وقال النووي أيضا: إنه أول من صنف أصول الفقه بلا اختلاف ولا ارتياب، وهو الذي لا يساوى بل لا يداني في معرفة كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وحكي عن الزعفراني قال: لما قرأ عبد الرحمن بن مهدي ((الرسالة)) قال: ما ظننت أن يكون في هذه الأمة اليوم مثل هذا الرجل، وأن الله عز وجل خلق مثل هذا الرجل، قال البيهقي: وعبد الرحمن بن مهدي بن حسان أحد أركان أهل العلم بالحديث. قال على بن المديني: والله لو أُخِذْتُ وَحُلِفْتُ بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي، ومات قبل الشافعي بسنتين . وقال المزني: إني قرأت كتاب ((الرسالة)) خمسمائة مرة ما من مرة منها إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى .

٦- ومنها أنه تفرع مذهبان من مذهبه، وهما مذهب أحمد بن حنبل ومذهب أبي ثور، وقد ذكرنا ذلك في التبرك بمجالسة الصالحين .

٧- ومنها أن أكثر المجددين لهذه الأمة أمر دينها كانوا منتسبين إلى مذهبه، وذكرنا ذلك أيضا في التبرك بمجالسة الصالحين .

فبهذه الفضائل السبعة امتاز عن الأئمة الثلاثة، فسبحان من خصه بـــهذه المزايا وفضله عليهم بـــهاتيك العطايا .

كونه من أعقل خلق الله.

قال المريسي: مع الشافعي نصف عقل أهل الدنيا، وما رأيت أعقل من الشافعي، وكان المريسي عدوا لدودا للشافعي، وقد قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء . وعن محمد بن إسحق بن راهويه قال: سمعت أبي وسئل كيف وضع الشافعي هذه الكتب ولم يكن بكبير السن؟ فقال: عجل الله له عقله لقلة عمره. وقال يحيى بن سعيد: ما رأيت أعقل من الشافعي أو أفقه منه. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما رأيت أحدا أعقل ولا أورع ولا أفصح ولا أنبل رأيا من الشافعي. وفي ((مناقب الشافعي)) للبيهقي ج٢ص١٨٦ قال يونس بن عبد الأعلى: لو أن عقول الناس كلَهم جعلت في عقل الشافعي لغرقت عقولهم في عقله .

ما كان بينه وبين تلميذه الإمام أحمد بن حنبل من الصحبة والمودة

كان بينهما صفاء المحبة والمودة والصحبة الكاملة، وقد ذكرنا أن الإمام الشافعي كان يتبرك بقميص أحمد بن حنبل، وكانا يكثران التزاور، ففي ((غــوث العــبــاد)) لأبي سيف الحمامي ص١٣٣ أن الشافعي سئل عن ذلك فقال:

قالوا يزورك أحــمــد وتــزوره   قلت الفضائل لا تفــارق منــزلــه

إن زارني فــبفــضلــه أو زرتــه   فلفضله فالفضل في الحــاليــن لــه

وكان دأب العلماء المحبة والتزاور فيما بينهم، وفي ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لقاء الإخوان جلاء الأحزان وأن الشافعي قال: ليس سرور يعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل فراقهم .

وقال الحسن بن محمد الزعفراني: ما ذهبت إلى الشافعي مجلسا قط إلا وجدت أحمد بن حنبل في مجلسه، وكان أحمد ألزم للشافعي منا. وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: ما رأيت أحمد بن حنبل يميل إلى أحد ميله إلى الشافعي. وروى الخطيب بسنده عن أحمد بن حنبل قال: هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي وأستغفر له.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: ركب الشافعي حماره فصار أبي يمشي إلى جانبه وهو يذاكره فبلغ ذلك يحيى بن سعيد فبعث إليه في ذلك، فبعث إليه أبي: إنك لو كنت في الجانب الآخر من الحمار لكان خيرا لك. وفي ((سير أعلام النبلاء))ج١٠ص٨٦ قال ابن ماجه القزويني: جاء يحيى ابن معين إلى أحمد بن حنبل، فبينما هو عنده إذ مرّ الشافعي على بغلته، فوثب أحمد يسلم عليه وتبعه فأبطأ ويحيى جالس، فلما جاء قال يحيى: يا أبا عبد الله كم هذا؟ فقال: دع عنك هذا إن أردت الفقه فالزم البغلة. وقال أحمد أيضا: ما أحد مس بيده محبرة وقلما إلا وللشافعي في عنقه منة. وقال أحمد بن حنبل: إذا جاءت المسئلة ليس فيها أثر فأفت فيها بقول الشافعي، وفي ((سير أعلام النبلاء)) قال أحمد بن حنبل: إذا سئلت عن مسئلة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها بقول الشافعي، لأنه إمام قرشي، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عالم قريش يملأ الأرض علما. وقال أحمد أيضا: لا أشد أخذا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم من الشافعي. وقال أحمد: ما رأيت أحدا أتبع للأثر من الشافعي. وقال أيضا: كان الشافعي رحمه الله قد جمع

الله فيه كل خير. وروى الخطيب البغدادي بسنده عن إسحق بن راهويه قال: دخل أحمد بن حنبل وقال: تعال حتى أذهب بك إلى من لم تر عيناك مثله فذهب إلى الشافعي .

من كان يدعو له من أكابر العلماء

قال الإمام أحمد بن حنبل: إني لأدعو للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة أقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي، فما كان فيهم أتبع لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، وفي رواية: ما أعلم أحدا أعظم منة على الاسلام في زمن الشافعي من الشافعي .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: يا أبت أي شي كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال لي: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض ؟.

وفي ((البداية والنهاية)) أن عبد الرحمن بن مهدي كان يدعو للشافعي في الصلاة دائما، وكان يحيى بن سعيد القطان يدعو له في الصلاة . وقال يحيى بن سعيد: إني لأدعو الله تعالى للشافعي في كل صلاة أو في كل ليلة أو في كل يوم، يعني لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه، وروي عنه أنه كان يقول: أنا أدعو الله للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة.

إمامته في الحديث والفقه .

قال علي بن معبد المصري: ما عرفنا الحديث حتى جاءنا الشافعي. وقال الحسن بن محمد الزعفراني: كان أصحاب الحديث رقودا فأيقظهم الشافعي فتيقظوا. وقال أحمد: ما كان أصحاب الحديث يعرفون معاني أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينها لهم .

قال الإمام أحمد: صاحب حديث لا يشبع من كتب الشافعي. وسئل إمام الأئمة ابن خزيمة هل سنة صحيحة لم يودعها الشافعي كتبه؟ فقال: لا.

وقال أحمد بن حنبل: كان الفقه قفلا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي. وسئل أبو ثور فقيل له: أيما أفقه الشافعي أو محمد بن الحسن؟ فقال أبو ثور الشافعي أفقه من محمد وأبي يوسف وأبي حنيفة وحماد وإبراهيم وعلقمة والأسود. وقد أجاد من قال:

الفقه فيك طبيعة مطبوعة ولمن سواك تكلف وتصنع

وقال الشافعي لبعض أصحاب الحديث: أنتم الصيادلة ونحن الأطباء .

بل كان جامعا للفنون والعلوم، ففي ((مناقب الشافعي)) للبيهقي ج٢ص٢٨٥ قال الربيع: كان الشافعي يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا، واستوت الحلقة

للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفعت الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، ولا يزالون إلى أن يقرب انتصاف النهار ثم ينصرف.

ومما يدل على إمامته في علوم الحديث وتبحره في فنونـــها انتساب أئمة الحديث وحفاظه إلى مذهبه، فقد تقرر أن أكابر حملة السنة المطهرة وحاملي رايتها من أتباعه المنتسبين إلى مذهبه منهم محمد بن إسمعيل البخاري، وسليمان بن الأشعث بن إسحاق الإمام الجليل أبو داود السجستاني صاحب السنن، وعلي بن عمر بن أحمد بن مهدي الإمام في المعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال الحافظ الجليل الدارقطني، وأحمد بن شعيب بن علي الإمام الجليل أبو عبد الرحمن النسائي، وأحمد بن عبد الله بن محمد المزي، ومحمد بن إبراهيم أبوبكر الحافظ المنذري، ومحمد ابن إسحق الحافظ ابن خزيمة، ومحمد بن جرير الطبري الحافظ ، ومحمد بن حيان بن أحمد الحافظ الإمام أبو حاتم، وحمد بن محمد بن إبراهيم الحافظ أبو سليمان الخطابي، وزكريا بن يحيى ابن عبد الله بن محمد الحافظ الكبير النيسابوري، وعبد الله بن محمد بن زياد الإمام الحافظ الكبير الجرجاني، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الإمام الرازي، ويعقوب بن إسحق بن إبراهيم الحافظ الكبير، وأحمد بن حسين بن علي الحافظ الكبير البيهقي، وأحمد بن عبد الله بن أحمد الإمام الجليل الحافظ أبو نعيم، وأحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب الحافظ الكبير أعلم الحفاظ، وأبو بكر أحمد بن علي الطبري الحافظ، وأحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الحافظ الكبير المعروف بالبَرْقاني، وأحمد بن محمد بن أحمد أبو سعيد الماليني المحدث الحافظ الكبير طاووس الفقراء، ومحمد ابن إدريس بن سليمان أبو بكر الحافظ، ومحمد بن أحمد بن أبي سعد الحافظ الجارودي، ومحمد بن الحسين بن موسى الحافظ أبو عبد الرحمن السلمي، ومحمد بن عبد الله بن حمويه الحافظ الحاكم المعروف بابن البيع، وإسحق بن إبراهيم بن محمد الحافظ أبو يعقوب القراب السرخسي، وسعد بن علي بن محمد الحافظ الزاهد أبو القاسم الزنجاني، ومكي ابن عبد السلام ابن الحسين الحافظ أبو القاسم، وأحمد بن محمد بن أحمد السلفي الحافظ الكبير أبو طاهر، ومحمد بن موسى بن عثمان الحافظ أبو بكر الحازمي، واسمعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي الحافظ المسند، وعبد الكريم بن محمد بن منصور الحافظ أبو سعد السمعاني، وعلي ابن الحسن بن هبة الله الإمام الجليل حافظ الأمة بن عساكر، ومؤتمن بن أحمد الساجي الحافظ الكبير الثقة، وعبد العظيم بن عبد القوي المنذري الحافظ الكبير، وعلي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الحافظ ابن الأثير، وعثمان بن عبد الرحمن بن موسى الحافظ أبو عمرو بن الصلاح، والقاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ أبو محمد بن الحافظ، وأبو زكريا يحيى بن شرف

النووي الحافظ، وأبو العباس أحمد بن مظفر بن أبي محمد الحافظ الثقة الثبتي، ومحمد بن أحمد بن عثمان الإمام الحافظ الذهبي، ومحمد بن علي بن وهب القشيري أبو الفتح تقي الدين الحافظ ابن دقيق العيد، وعبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الحافظ شرف الدنيا الدمياطي، وعلي بن عبد الكافي السبكي الحافظ، والقاسم بن محمد البرزالي الحافظ، ويوسف بن زكي بن عبد الرحمن الحافظ المزي انتهى ما لخصته من ((طبقات الشافعية الكبرى)). ومنهم شمس الدين محمد بن محمد الحافظ الجزري، واسمعيل بن كثير الحافظ، وعبد الرحيم العراقي الحافظ، وأبوزرعة، وأبوالفضل أحمد بن علي بن حجر الحافظ العسقلاني، وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي الحافظ، وجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي خاتمة الحفاظ.

إخلاصه في أعماله

وكان رحمه الله معروفا بمزيد الإخلاص وحسن النية وإرادة وجه الله تعالى في تصنيفه وأعماله كلها، فقد روى عن الشافعي بطرق كثيرة أنه قال: ما ناظرت أحدا قط على الغلبة، وبودي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب يعني كتبه ولا ينسب إليّ شيء منه . روى ذلك عنه الربيع بن سليمان المرادي والحسن بن محمد بن الصباح، والحسن بن عبد العزيز المصري وحسين الكرابيسي، وفي رواية ماناظرت أحدا قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وودت أن يتعلمه كل أحد ولا ينسب إليّ ، وما كلمت أحدا قط إلا و لم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه، وقال المزني: دخلت يوما على الشافعي وكان يصنف كتابا، فقلت له: رحمك الله إنّ أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة صنفوا الكتب الكثيرة ويجتهدون في العلم أكثر من اجتهادك، فقال لي: يا إبراهيم أليس ترى ما نحن فيه؟ وكان يتأذى بالبواسير ثم قال: نصنف ويصنفون وماكان لله تعالى يبقى إلى الدهر .

أقواله وحكمه

قال الشافعي كما في ((مناقب الشافعي)) : إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله عز وجل فما لله ولي وفي رواية أخرى إن لم يكن الفقهاء أو لياء الله في الآخرة فما لله ولي، وقال أيضا: ما أحد أورع لله من الفقهاء. وقال الشافعي للربيع: أجب يا ربيع في المسائل فإنه لا يصيب أحد حتى يخطئ. وقال: ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة، ولقد كنت أطلب القرطاس فيعسر عليّ، وقال: لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح. وقال: ليس العلم ما حفظ، العلم ما

نفع. وكان يكره أن يقول الرجل قال الرسول، لكن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له .

أقوال العلماء فيه

قال شيخه مالك بن أنس: إن الله عز وجل قد ألقى عليك نورا فلا تطفئه بالمعصية، وقال أيضا: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن . وقال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظــي   فأرشدنــي إلى تــرك المعــاصــي

وأخبرني بــأن العــلــم نــور   ونور الله لا يعــطــى لعــاصــي

وكان شيخه سفيان بن عيينة: إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا التفت إلى الشافعي، وقال: سلوا هذا. وفي ((تــهذيب الأسماء واللغات)) قال أبو العباس بن سريج: من أراد الظرف فعليه بمذهب الشافعي وقراءة أبي عمرو .

وقال المريسي ما رأيت أمهر من الشافعي . وقال ابن عبد الحكم: ما رأيت مثل الشافعي ولا رأى مثله. وقال تلميذه الكرابيسي: ما فهمنا استنباط أكثر السنن إلا بتعليم الشافعي إيانا. وقال داود بن علي الظاهري: كان الشافعي سراجا لحملة الآثار ونقلة الأخبار. وقال أبو أيوب حميد ابن أحمد البصري: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسئلة فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث، فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي، وحجته أثبت شيء فيه. وروى الخطيب بسنده عن إبراهيم الحربي أنه قال: أستاذ الأستاذين، قالوا من هو؟ قال: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل. وقال المزني: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسئلته عن الشافعي فقال لي: من أراد محبتي وسنتي فعليه بمحمد بن إدريس الشافعي المطلبي فإنه مني وأنا منه .

ومن الأشعار التي قيلت في الشافعي:

ومن شعب الإيمان حب ابن شافــع   وفــرض أكيــد حــبــه لا تطــوع

وإن حياتــي شافــعــي فإن أمــت   فتــوصيتي بعدي بــأن تتشفــعــوا

والبيتان لأبي عبد الله البوشنجي ، وقال فيه نفطويه :

مَثَلُ الشافعي في العلمــاء   مَثَلُ البدر في نجوم السمــاء

كان والله معــدنا لعلــوم   سيد الناس أفقــه الفقــهــاء

راجحــا عالما كريم طباع   سيد الناس أحلم الحلــمــاء

وكأنه يشير إلى ما في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) للنووي من أنه روى عن أبي الحسن علي ابن أحمد الدينوري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يارسول لله بقول من آخذ؟ فأشار إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: خذ بيد هذا فأت به ابن عمنا الشافعي ليعمل بمذهبه فيرشد ويبلغ باب الجنة، ثم قال: الشافعي بين العلماء كالبدر بين الكواكب اهـــ. وقال ابن حجر الهيتمي في ((الفتاوي الحديثية))ص ٢٧٩: قد اتفقوا على أن الشافعي رضي الله عنه كان من الأوتاد، وفي رواية أنه تقطب قبل موته اهـــ .

غريبة

قال ابن السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٥ص١٣٤: قال أهل التجربة: إن أقاليم مصر والشام والحجاز متى كان اليد فيها لغير الشافعية خربت، ومتى قدم سلطانـــها غير أصحاب الشافعية زالت دولته سريعا.

وكأن هذا السِّرَّ جعله الله في هذه البلاد كما جعلها لمالك في بلاد المغرب، ولأبي حنيفة فيما وراء النهر، وقال صدرالدين بن المرحل: ماجلس على كرسي ملك مصر غير شافعي إلا وقتل سريعا، وهذا الأمر يظهر بالتجربة فلا يعرف غير شافعي إلا "قُطُز" رحمه الله كان حنفيا ومكث يسيرا وقتل، وأما الظاهر فقلد الشافعي يوم ولايته السلطنة. وأطال ابن السبكي في ذلك.

٢- ومنهم ابن جرير الطبري

ففي ((طبقات الشافعية)) لابن السبكي ج٢ص١٣٦ و((تاريـــخ بغـــداد))ج٢ص ١٦٣ أن الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أباجعفر الطبري مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، وذكر أبو محمد الفرغاني أن أقواما من تلامذة محمد بن جرير حسبوا لأبي جعفر منذ بلغ الحلم إلى أن مات، ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة!! وروي أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير، فأجابوه مثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير. قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن بالويه يقول: قال لي ابن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن ابن جرير، قلت: نعم إملاء، قال: كله، قلت:نعم، قال: في كم سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين، قال: فاستعاره مني ابن خزيمة ثم رده بعد سنين، ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته

الحنابلة. وكان ابن سريج يقول: إن محمد بن جرير قال: أفتيتُ بفقه الشافعي ببغداد عشر سنين، وقال ابن السبكي: إن المحمدين الأربعة ابن جرير، وابن خزيمة، وابن نصر، وابن المنذر وإن كانوا من أصحابنا الشافعيين فربما ذهبوا باجتهادهم المطلق إلى مذاهب خارجة عن المذهب الشافعي. فلا نعد تلك المذاهب من مذهبنا بل سبيلها سبيل من خالف إمامه في شيء من المتأخرين أو المتقدمين. وكان مولد ابن جرير سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين، وتوفي رحمه الله سنة عشر وثلاثمائة.

ومن تصانيفه كتاب سماه ((تـــهذيب الآثار)) وهو من عجائب كتبه ومات قبل تمامه، وابتدأ بكتاب ((البسيط)) فخرج منه كتاب الطهارة في نحو ألف وخمسمائة ورقة، وله كتاب ((التاريخ)) وكتاب ((القراءة والعدد والتنـــزيل)) وكتاب ((اختلاف العلماء وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين)) وكتاب ((أحكام شرائع الإسلام)) وكتاب ((الخفيف)) وهو مختصر في الفقه وكتاب ((التبصير في أصول الدين)). وعن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني أنه قال: لو سافر الرجل حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـــ ملخصا .

٣- ومنهم أبو الحسن الأشعري

وكان أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل كثير التصانيف، فقد قال الحافظ ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري)) ص١٣٦: إن أبا المعالي بن عبد الملك القاضي قال: سمعت من أثق به قال: رايت تراجم كتب الإمام أبي الحسن فعددتـــها أكثر من مائتين أو ثلاثمائة مصنف اهـــ. وتبعه ابن السبكي في ((طبقاته الكبري)) ج٢ص ٢٥٢.

وقال العلامة المحدث الكوثري في تعليقه على ((تبيين كذب المفتري)) ص٢٩و١٣٦: قال الحافظ أبو بكر بن العربي في ((العواصم عن القواصم)): إن الشيخ أبا الحسن ألّف في تفسير القرأن كتاباسماه بـــ((ـــالمختزن)) وهو خمسمائة مجلد، وذكر المقريزي أنه في سبعين مجلدا، وعدد المجلدات مما يختلف باختلاف الخط . وابن فُوْرك كثير النقل عن هذا التفسير، وقال التاج ابن السبكي: إنه اطلع على مجلد منه اهـــ .

وقال في ((تبيين كذب المفتري)): كان الشيخ أبو الحسن الأشعري يصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء قريبا من عشرين سنة . وكان لا يحكي عن اجتهاده أحدا، وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهما، وقال أبو عمران موسي بن أحمد بن علي: سمعت أبي يقول: خدمت الإمام أبا الحسن بالبصرة سنين، فلم أجد أورع منه، ولا أغض طرفا، ولم أر شيخا أكثر حياءً منه في

أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة. وكانت ولادته سنة ٢٦٠ ووفاته سنة ٣٢٤ ويقال: ٣٣٠ وقيل غير ذلك اهـــ.

٤- ومنهم ابن الأنباري

ففي ((معرفة القراء الكبار))للذهبي ج١ص ٢٨١ أن محمد بن القاسم بن محمد أبا بكر بن الأنباري كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهدا في القرآن، وكان ثقة صدوقا، وقال أبو علي التنوخي: كان ابن الأنباري يملي من حفظه، ما أَملَى قط من دفتر. وقال محمد بن جعفر التميمي: ما رأينا أحفظ من ابن الأنباري ولا أغزر من علمه، حدثوني عنه أنه قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقا، قال التميمي: وهذا ما لا يُحفظ لأحد قبله. وحُدِّثتُ أنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها. وقيل: إن ابن الأنباري أملَى كتاب ((غريب الحديث)) في خمسة وأربعين ألف ورقة. وله كتاب ((شرح الكافي)) في ألف ورقة. وكتاب ((الألباب)) وهو كبير، وكتاب ((الجاهليات)) في سبعمائة ورقة. وكان رأسا في نحو الكوفيين، وله كتاب ((المذكر والمؤنث)) ما ألف أحد أكبر منه. ولد سنة ٢٧١ وتوفي رحمه الله سنة ٣٢٨هـــ ببغداد اهـــ.

وفي ((البداية والنهاية)) ج١١ص ١٩٦ أن ابن الأنباري كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا، وحفظ تعبير الرؤيا في ليلة، وكان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة. وكان من بحور العلم في اللغة والعربية والتفسير والحديث وغير ذلك اهـــ .

٥- ومنهم ابن شاهين

قال ابن العماد في ((شذرات الذهب)) ج٣ص ١١٧: قال أبو الحسين المهتدي بالله: قال لنا أبو حفص بن شاهين عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي: صنفت ثلاثمائة وثلاثين مصنفا منها ((التفسير الكبير)) ألف جزء ، و((المسند)) ألف وثلاثمائة جزء، و((التاريخ)) مائة وخمسون جزءا. قال ابن أبي الفوارس: ابن شاهين ثقة مأمون، وصنف ما لم يصنف أحد، وكان واعظا مفسرا حافظا صاحب تصانيف. وقال السيوطي في كتابه ((مشتهى العقول ومنتهى النقول)): إن كتاب ((منتهى التفاسير)) لابن شاهين ألف مجلد، و((المسند)) له ألف وخمسمائة مجلد. ومداد تصانيفه انتهى إلى ثمانية وعشرين قنطارا. قال ابن الجوزي: قلت: هذا من طي الزمان، انتهى ما نقله ابن العماد من السيوطي.

وقال الخطيب في ((تاريـــخ بغـــداد)) ج١١ص٢٦٧ والذهبي في ((ســـيـــر أعـــلام النبـــلاء)) ج١٦ص٤٣٢: إن ابن شاهين عمر بن أحمد بن عثمان قال: صنفت ثلاثمائة مصنف

وثلاثين مصنفا، أحدها ((التفسير الكبير)) ألف جزء و((المسند)) ألف جزء وخمسمائة جزء و((التاريخ)) مائة وخمسون جزءا و((الزهد)) مائة جزء. وكان يقول: كتبت بأربعمائة رطل حبرا، وقال : حسبت ما اشتريت به الحبر إلى هذا الوقت فكان سبعمائة درهم ، قال الداودي: وكنا نشتري الحبر أربعة أرطال بدرهم، قال: وقد مكث ابن شاهين بعد ذلك يكتب زمانا. وعن محمد بن أبي الفوارس قال: كان ابن شاهين ثقة، قد جمع وصنف ما لم يصنف أحد. توفي رحمه الله سنة ٣٨٥هـ. قال الذهبي: مولده سنة ٢٩٧هـ فعاش ٨٩ سنة، وقال الخطيب البغدادي: قال ابن شاهين: أول ما كتبت الحديث في سنة ٣٠٨هـ وكان لي إحدى عشرة سنة، وكذا كتب ثلاثة من شيوخنا في هذا السن فتبركت بهم. وذكر ابن كثير في ((البداية والنهاية)) بعض ما ذكرناه عنه.

٦- ومنهم الباقلاني

قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١١ ص٣٥٠: إن القاضي أبا بكر الباقلاني كان لاينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره، قال ابن كثير: وقد كان في غاية الذكاء والفطنة، وسأله مرة بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم، وماكان من أمرها بما رميت به من الإفك ؟ فقال الباقلاني مجيبا له على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسوء، مريم وعائشة فبرأهما الله عز وجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج، يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم، وكلاهما بريئة مما قيل فيها، فإن تطرق في الذّهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحي الله عز وجل .

وقد قبله الدارقطني يوما وقال: هذا يرد على أهل الهوى باطلهم ودعا له. توفي رحمه الله سنة ٤٠٣ اهـ . وقد ذكرنا أنه يستسقى ويتبرك بقبره .

وقال الحافظ ابن عساكر في ((تبيين كذب المفتري)) : قال أبو بكر الخوارزمي: كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس، سوى القاضي أبي بكر الباقلاني فإن صدره يحوي علمه. وقال أبو الفرج محمد بن عمران الخلال: كان الباقلاني كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه وكتب خمسا وثلاثين ورقة تصنيفا عن حفظه. وقد صنف سبعين ألف ورقة ردا على الملحدين، وكان أبو محمد اليافي يقول: لو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس لوجب أن يدفع إلى الباقلاني. وكان من أئمة الأشاعرة يرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج والحشوية والمشبهة وغيرهم انتهى ملخصا.

٧- ومنهم السمرقندي

وفي كتاب ((الـــرســـالـــة المستطـــرفة)) ص١٣٧ للعلامة محمد بن جعفر الكتاني المتوفي سنة ١٣٤٥ أن الحافظ أبا محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن قاسم بن جعفر السمرقندي جمع كتاب ((بحر الأسانيد))، قال الذهبي: هو ثمانمائة جزءا، وفيه مائة ألف حديث، لو رتب وهذب لم يقع في الإسلام مثله اهـــ. توفي أبومحمد السمرقندي رحمه الله سنة ٤٩١.

٨- ومنهم الحافظ الكبير ابن عساكر

ففي ((سير أعلام النبلاء)) ج٢٠ص٥٥٤-٥٧٠: أن الحافظ الكبير محدث الشام أبا القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي صنف الكثير من الكتب، فمنها ((تاريخه)) في ثمانمائة أجزاء، قال الذهبي: الجزء عشرون ورقة فيكون ستة عشر ألف ورقة، وجمع ((الموافقات)) في اثنين وسبعين جزءا و((عوالي مالك)) و((الذيل)) عليه خمسين جزءا و((غرائب مالك)) عشرة أجزاء، وله ((مناقب الشبان)) خمسة عشر جزءا و(فضائل أصحاب الحديث)) أحد عشر جزءا و((فضل الجمعة)) مجلدا و(تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري)) مجلد و((المسلسلات)) مجلد و(السباعيات)) سبعة أجزاء و((من وافقت كنيته كنية زوجته)) أربعة أجزاء و((في إنشاء دار السنة)) ثلاثة أجزاء و((في يوم المزيد)) ثلاثة أجزاء، ثم ذكر الذهبي من تصانيفه نيّفا وستين كتابا. وقال الذهبي: بلغنا أنّ الحافظ عبد الغني المقدسي بعد موت ابن عساكر نفَّذ- أي أرسل- من استعار له شيئا من ((تاريخ دمشق)) فلما طالعه انبهر لسعة حفظ ابن عساكر، ويقال: ندم على تفويت السماع منه، فقد كان بين ابن عساكر وبين المقادسة واقع. وكان ابن عساكر مواظبا على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن، يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، وكان كثير النوافل والأذكار ويحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والتسبيح، ويحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة. وقال ابن عساكر: لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلا يقول: تلدين غلاما يكون له شأن، ورأى أبي رؤيا معناه يولد لك ولد يحيي الله به السنة. وحكى الفَراوي قال: قدم علينا ابن عساكر فقرأ عليّ في ثلاثة أيام فأكثر فأضجرني ، وآليتُ أن أغلق بابي وأمتنع، جرى إليّ هذا الخاطر بالليل، فقدم من الغد شخص فقال: أنا رسول رسول الله إليك رأيته في النوم، فقال: امض إلى الفراوي، وقل له : إن قدم بلدكم رجل من أهل الشام أسمر يطلب حديثي فلا يأخذك منه ضجر ولا ملل، فما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ أوَّلا. قال الذهبي: وعدد شيوخ ابن عساكر الذي في ((معجمه)) ألف وثلاثمائة

شيخ، منهم بضع وثمانون امرأة لهن ((معجم)) صغير. ولد في أول المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة هــ، وتوفي رحمه الله في رجب في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة انتهى ملخصا.

٩- ومنهم الإمام السيوطي

ففي ((شذرات الذهب)) ج٨ ص٥١ أن الحافظ جلال الدين أبا الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ولد سنة ٨٤٩، وختم القرآن العظيم وله من العمر دون ثمان سنين، ثم حفظ ((عمدة الأحكام)) و ((منهاج النووي)) و ((ألفية ابن مالك)) و ((منهاج البيضاوي)) واجتهد وجد، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث، قال: ولو وجدت أكثر لحفظته!! وله تآليف كثيرة نافت-أي زادت- عدتـــها على خمسمائة مؤلف .

ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا وأهلها. ورؤي النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ السيوطي يسأله عن بعض الأحاديث والنبي يقول له: هات ياشيخ السنة، ورأى هو بنفسه هذه الرؤيا والنبي يقول له: هات يا شيخ الحديث، وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي أن السيوطي كان يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فقال لي: يا شيخ الحديث، فقلت له: يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم، فقلت: من غير عذاب سبق ؟ فقال : لك ذلك ، وقال له الشيخ عبد القادر: كم رأيتَ النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ؟ فقال: بضعا وسبعين مرة، وتوفي سنة ٩١١ .

وقال السيوطي في ((حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة)) ج١ص٣٣٨: رزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، والذي أعتقد أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلا عمن هو دونـــهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه أوسع نظرا وأطول باعا، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونـــها الإنشاء والفرائض، ودونـــها القراءت، و لم آخدها عن شيخ، ودونـــها الطب، وأما علم الحساب فهو أعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني. وقد كملت عندي الآن آلة الإجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر !! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله، لاقوة إلا بالله .

وكان يقال له: ابن الكتب لأن أمه وضعته في غرفة الكتب .

١٠- ومنهم النابلسي

وفي ((هديـــة العارفـــين في أسمـــاء المـــؤلفيـــن وآثار المصنـــفيـــن من كشـــف الظنـــون)) ج٥ص٥٩٠ أن الشيخ اسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي العارف بالله الحنفي الصوفي النقشبندي القادري له تآليف كثيرة تبلغ مائتين وثلاثين مؤلفا. ولد الشيخ بدمشق سنة ١٠٥٠ وتوفي بـــها سنة ١١٤٣ .

١- وممن لم تعلم لهم الخطيئة القاضي أبو الطيب

قال ابن السبكي في ((طـــبقـــات الشـــافـــعيـــة الكـــبرى))ج٣ص١٧٧: قال القاضي أبوبكر الشامي: قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا وقد عمر: لقد متعت بجوارحك، فقال: لم لا وما عصيت الله بواحدة منها قط، وكان القاضي أبو الطيب الطبري طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن عمر إماما جليلا بحرا غواصا متسع الدائرة عظيم العلم جليل القدر كبير المحل، تفرد في زمانه وتوحد، واشتهر اسمه فملأ الأقطار، وطاب ثناؤه فكان أحسن من مسك الليل وكافور النهار، والقاضي فوق وصف الواصف ومدحه، وعنه أخذ العراقيون العلم وحملوا المذهب.

ولد سنة ٣٤٨. وابتدأ القاضي أبو الطيب يدرّس الفقه ويعلّم العلم وله أربع عشر سنة، فلم يخل به يوما واحدا إلى أن مات. ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له: يا فقيه، وإنه يفرح بذلك ويقول: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيها، وعنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يارسول الله أرأيت من روى عنك أنك قلت: نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها -الحديث- أحق هو؟ قال: نعم .

وإذا أطْلَقَ الشيخُ أبو اسحق وشبهه من العراقيين لَفْظَ القاضي مطلقا في فن الفقه فإياه يعنون، كما أن إمام الحرمين وغيره من الخراسانيين يعنون بالقاضي القاضي حسين، والأشعرية في الأصول يعنون القاضي أبا بكر بن الطيب الباقلاني، والمعتزلة يعنون عبد الجبار الإسترابادي. توفي القاضي أبو الطيب سنة ٤٥٠ اهـــ.

٢- ومنهم إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري

ذكر ابن السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٣ص٢٥١ أن إمام الحرمين تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له: يا إمام ماهذا الذي لم يعهد منك؟ فقال: ما أَرَاهَا إلا بقايا المصة، فقيل: وما هذه المصة ؟ قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي وأنا رضيع فبكيت، وكانت

عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتني مصة أو مصتين، ودخل والدي فأنكر ذلك، وقال: هذه الجارية ليست ملكا لنا وليس لها أن تتصرف في لبنها وأصحابـــها لم يأذنوا في ذلك، وقلّبني حتى لم يدع في باطني شيئا إلا أخرجه، وهذه اللجلجة من بقايا تلك الآثار. ثم قال ابن السبكي: فانظر إلى هذا الأمر العجيب، وإلى هذا الرجل الغريب الذي يحاسب نفسه على يسير جرى في زمن الصبا الذي لا يكلف فيه .

وذكر هذه القصة أيضا ابن خلكان في ((وفيات الأعيان)) ج٣ص١٦٩ وابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١٢ص ١٢٨ واليافعي في ((مرآة الجنان)) ج ٣ص١٣٠-١٣١. واللجلجة التردد في الكلام، وثقل اللسان، وأن لا يخرج بعض الكلام في أثر بعض .

قلت: والظاهر من هذا أن إمام الحرمين لم يعمل خطيئة أصلا، لأنه لو علم سيئة أتى بـــها لأسند تلك اللجلجة إليها و لم يذكر مصة في طفولته، فلهذا ألحقتُه بمن حفظهم الله عن ارتكاب المعاصي صغيرة أوكبيرة. فسبحان واهب المنن الذي يخص من شاء من عباده بما شاء من ألطافه.

وقال ابن السبكي: وعن الشيخ أبي محمد الجويني والد الإمام قال: رأيت ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في النوم فأهويت لأقبّل رجله فمنعني من ذلك تكريما لي، فاستدرت فقبّلت عقبه، فأوّلتُ ذلك الرفعة والبركة في عقبي .

ثم قال ابن السبكي: وأي رفعة وبركة أعظم من هذا الإمام الذي طَبَّقَ ذكره الأرض وعم نفعه في مشارقهاومغاربـــها.

وقال الحافظ ابن عساكر في ((تبييـــن كـــذب المفتـــري)) ص٢٧٨-٢٨٥: أخبرنا أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسين الأديب في كتابه أن عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبا المعالي كان إمام الإئمة على الإطلاق، حبر الشريعة المجمع على إمامته شرقا وغربا، من لم تر العيون مثله، رزق من التوسع في العبارة وعلوّها مالم يعهد من غيره، حتى أنسى ذكر سحبان، وفاق فيها الأقران، ولما توفي أبوه أبو محمد الجويني كان سنه دون العشرين أو قريبا منه، فأقعد مكانه للتدريس، وكان يصل الليل بالنهار في التحصيل، وكانت لذته وتنـــزهه في مذاكرة العلم وطلب الفائدة من أي نوع كانت، وكان يقول: أنا لا أنام ولا آكل عادة، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلا كان أو نـــهارا، وآكل إذا اشتهيت الطعام أيّ وقت كان، وكان من رقة القلب بحيث يبكي إذا سمع بيتا أو فكر في نفسه ساعة، وإذا شرع في حكاية الأحوال وخاض في علوم الصوفية في مجالسه أبكي الحاضرين ببكائه، وقطر الدماء من الجفون بزعقاته

ونعراته وإشاراته، لاحتراقه في نفسه وتحققه بما يجري من دقائق الأسرار. ولد سنة ٤١٩ وتوفي سنة ٤٧٨ وهو ابن ٥٩ سنه .

وآثار جده واجتهاده في دين الله يدوم إلى قيام الساعة،وإن انقطع نسله من الذكور ظاهرا، فنشر علمه يقوم مقام كل نسب، ومما قيل عند وفاته:

قلوب العالمين على المقـــالي وأيام الورى شبه الليالــــي

أيثمر غصن أهل الفضل يوما وقد مات الإمام أبو المعالي

انتهى ما لخصته من ((تبيين كذب المفتري)) .

والزعقة الصيحة، والزعاق كشدّاد من يطرد الدواب ويصيح في آثارها، وزعقة المؤذن صوته .

قوله "نعراته" في ((القاموس)) وشرحه نَعَرَ الرجل نعيرا ونُعَارًا صاح وصوَّتَ بخيشومه .

وقال ابن السبكي في ((طبقـــات الشـــافعيـــة)): وعن إمام الحرمين ما تكلمتُ في علم الكلام كلمة حتى حفظت من كلام القاضي أبي بكر وحده اثنى عشر ألف ورقة، سمعت الشيخ الإمام يحكي ذلك . ثم قال ابن السبكي: انظر هذا الأمر العظيم، وهذه المجلدات الكثيرة التي حفظها من كلام رجل واحد في علم واحد، فبقي كلام غيره والعلوم الأخَرُ التي له فيها اليد الباسطة، والتصانيف المستكثرة فقها وأصولا وغيرهما، وكان مراده بالحفظ فهم تلك واستحضارها لكثرة المعاودة، وأما الدرس عليها كما يدرس الإنسان المختصرات فأظن القوى تعجز عن ذلك اهـــ.

وقال الشيخ أبو إسحق الشيرازي: تمتعوا بـــهذا الإمام فإنه نزهة هذا الزمان، يعني إمام الحرمين، وقال له مرة: يا مفيد أهل المشرق والمغرب لقد استفاد من علمك الأولون والآخرون، وقال مرة أخرى: أنت اليوم إمام الأئمة، وقال ابن السبكي وغيره: من تصانيفه ((النهاية في الفقه)) لم يصنف في المذهب الشافعي مثلها و((الشامل في أصول الدين)) و ((البرهان في أصول الفقه)) و ((الإرشاد في أصول الدين)) و ((التلخيص مختصر التقريب)) و((الإرشاد في أصول الفقه)) أيضا و((غياث الأمم ومغيث الخلق في ترجيح مذهب الشافعي)) و((الرسالة النظامية)) وله ((مختصر النهاية)) اختصرها بنفسه، وهو من محاسن كتبه، وقال فيه : إنه يقع في الحجم من ((النهاية)) أقل من النصف وفي المعنى أكثر من الضعف .

ومن حميد سيرته أنه ما كان يستصغر أحدا حتى يسمع كلامه بادئا كان أو متناهيا، ولا يستنكف عن أن يعزى الفائدة المستفادة إلى قائلها ويقول: إن هذه الفائدة مما استفدته من

فلان، ولا يحابي أنـــها من الزيف إذا لم يرض كلامه ولو كان أباه أو أحدا من الأئمة المشهورين.

٣- ومنهم عبد الواحد بن أحمد الشافعي

ففي ((طبقات الشافعية الكبرى)) لابن السبكي ج٣ص٢٨٣ أن عبد الواحد بن أحمد بن الحسين حج وأنفق مالا صالحا على المجاورين الفقراء بالحرمين، وحُكِيَ أن الحُجاج عطشوا في تلك السنة فسألوه أن يستسقي لهم، فتقدم وقال: اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة، ثم استسقى فسقي الناس . توفي سنة ٤٨٦ اهـــ.

٤- ومنهم ابن الصلاح

ففي ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٥ص١٣٧ قال ابن الصلاح: ما فعلت صغيرة في عمري قط. قال ابن السبكي: وهذا فضل من الله عليه عظيم. توفي سنة ٦٤٣ وسبق ذكره في التبرك بمقابر الصالحين، وأنه يستجاب الدعاء عند قبره .

٥- ومنهم تقي الدين ابن دقيق العيد المالكي ثم الشافعي

ففي ((طبقات الشافعية الكبرى)) ج٦ص٤ أن أبا الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب ابن مطيع بن دقيق العيد كان يقول: ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلا إلا وأعددت له جوابا بين يدي الله عز وجل، وكان يخاطب عامة الناس -السلطان فمن دونه- يا إنسان، وإن كان المخاطب فقيها كبيرا قال: يافقيه، وتلك كلمة لا يسمح بـــها إلا لابن الرفعة ونحوه. وكان إماما حافظا زاهدا ورعا ناسكا مجتهدا مطلقا ذا خبرة تامة بعلوم الشريعة سالكا سبيل السادة الأقدمين، أكمل المتأخرين وإمامهم، وبحر العلم الذي لا تكدره الدِلاء، ولم يزل حافظا للسانه مقبلا على شأنه، ولو شاء العادّ أن يحصر كلماته لحصرها، وكان ابن دقيق العيد العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه في الحديث النبوي، ولد سنة ٦٢٥ ، فأخذه والده على يده وطاف به في الكعبة وجعل يدعو الله أن يجعله عالما عاملا، وكانت والدتُهُ بنتَ الشيخ المفرِج، ووالده الشيخ البركة مجد الدين فأصلاه كريمان، وكان دأبه في الليل علما وعبادة، فربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين ، وربما تلا أية واحدة فكررها الى مطلع الفجر، واستمع له بعض أصحابه وهو يقرأ فوصل إلى قوله: "فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" فما زال يكررها إلى طلوع الفجر . توفي سنة ٧٠٢، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب ((الامام)) في الحديث ، وهو جليل حافل لم يصنف مثله، وكتاب ((الإلمام)) و((شرحه)) وله أشعار مليحة اهـــ .

وقال الحافظ العسقلاني في ((الدرر الكامنة)) ج٤ص٩٢: قال الشيخ قطب الدين السنباطي: قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: لكاتب الشمال سنون لم يكتب عليّ شيئا. وفي بعض نسخ ((الدرر)) لكاتب الشمال ستون سنة لم يكتب عليّ شيئا.

وفي ((الدرر الكامنة))أيضاج٤ص٩٥ قال الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي: أقام الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أربعين سنة لا ينام الليل إلا أنه كان إذا صلى الصبح اضطجع على جنبه حتى يتضحى النهار .

وقال الشعراني في ((لطائف المنن)) ص٥: كان الإمام الليث بن سعد يقول: أنا أعرف شخصا من منذ وعى على نفسه ما عصى ربه قط. قال الشعراني: فكان أصحابه يتحدثون فيما بينهم أنه يعني بذلك نفسه. وغمز رجل قدم أبي العباس السياري أحد رجال رسالة القشيري، فقال له أبو العباس: أتغمز قدما ما مشى إلى معصية قط اهـ

ومن أحيا الليالي وصلى بوضوء العشاء صلاة الصبح أربعين سنة أو أكثر منها

١- سعيد بن المسيب التابعي الجليل

روى الحافظ أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) ج٢ص١٦٣ بسنده عن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة اهـ .

وقال النووي في ((تهذيب الأسماء واللغات)): هو الإمام الجليل أبو محمد سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب إمام التابعين، وأبوه وجده صحابيان، واتفق العلماء على إمامته وجلالته وتقدمه على أهل عصره في العلم والفضيلة ووجوه الخير، وكان يقال له: فقيه الفقهاء. وقال الإمام أحمد: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، ومراده أفضلهم في علوم الشرع وإلا ففي ((صحيح مسلم)) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن خير التابعين رجل يقال له: أويس، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم .

وقال أصحابنا المتأخرون: مراسيل ابن المسيب حجة عند الشافعي، ولأصحابنا المتقدمين وجهان مشهوران، أحدهما أنها حجة مطلقة، والثاني وهو الصحيح واختاره المحققون أنها كغيرها من مراسيل كبار التابعين، فإن اعتضدت بمسند أو بمرسل من جهة أخرى أو قول بعض الصحابة أو أكثرِ الفقهاء بعدهم كانت حجة عند الشافعي، وإلا فلا، كذا ذكره البيهقي والخطيب البغدادي وغيرهما من الحفاظ المتقنين . وروى البخاري في ((تاريخه)) أن ابن المسيب حج أربعين حجة . و"المسيب" بفتح الياء وكسرها والفتح هو المشهور، وحكي عنه أنه كان

يكرهه. ولد ابن المسيب لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب، وقيل لأربع سنين. وتوفي سنة ٩٣، وقيل ٩٤ اهـــ ملخصا من ((تـــهذيب النووي)).

٢- ومنهم أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليمني التابعي

قال الحافظ ابن الجوزي في ((صفة الصفوة)) ج٢ص٢٨٨: وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى وهب بن منبه وطاووس اليماني الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان طاووس يقول: طَيّر ذكرُ جهنم نوم العابدين، وأتى طاووس رجلا في السحر فقيل له: هو نائم، فقال: ما كنت أدري أن أحدا ينام في السحر، وكان إذا صلى هو وأصحابه العصر استقبلوا القبلة و لم يكلموا أحدا وابتهلوا في الدعاء، وكان يقول: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا، فكانوا يستحبون أن يُطْعَمَ عنهم تلك الأيام. أدرك طاووس خمسين من الصحابة، وأكثر روايته عن ابن عباس. توفي طاووس سنة ١٠٦، وله بضع وتسعون سنة اهـــ

وقال الذهبي في ((ســـير أعلام النبـــلاء)): كان طاووس فقيها قدوة عالم اليمن حافظا، قال ابن حبان: كان من عُبَّاد أهل اليمن ومن سادات التابعين مستجاب الدعوة حج أربعين حجة .

٣- ومنهم وهب بن منبه

في ((سير أعلام النبلاء)) ج٤ص٥٤٧ عن مسلم الزنجي قال: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءا، ولد سنة ٣٤ ومات رحمه الله سنة ١١٠ وقيل: سنة ١١٤هـــ.

وفي ((صفة الصفوة)) أيضا ج٢ص٢٩٤ أن وهب بن منبه كان يصلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة.

٤- ومنهم صفوان بن سليم

وفي ((صفة الصفوة)) ج٢ص ١٥٤ أن صفوان بن سليم لم يضع جنبه على فراش منذ أربعين سنة اهـــ. وقد ذكرناه في باب التبرك بذكر الصالحين .

٥- ومنهم الإمام أبو حنيفة

وفي ((البداية والنهايـــة)) لابن كثير ج١٠ص١٠٧ أن الإمام أباحنيفة رحمه الله تعالى كان يقوم الليل، ويقرأ القرآن في كل ليلة ويبكى حتي يرحمه جيرانه، ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين الف مرة. توفي سنة ١٥٠.

٦- ومنهم أبو بكر بن عياش

وفي ((معـــرفة طبقـــات القراء الكبــــار)) للحافظ الذهبي ج١ص١٣٦- ١٣٨ قال يزيد بن هارون: إن أبابكر بن عياش كان خيّرا فاضلا لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة، وقال يحيى ابن معين: لم يفرش لأبي بكر فراش خمسين سنة، وروي من غير وجه أنه مكث أربعين سنة أو نحوها يختم القرآن كل يوم وليلة. ولد سنة خمس وتسعين وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة. وقال الذهبي كان سيدا إماما حجة كثير العلم منقطع القرين، وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش، ولما حضرته الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى الزاوية قد ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة اهـــ.

٧- ومنهم السَري بن المُغَلِّس السَقَطِيُ

ففي ((رسالة القشيري)) للإمام أبي القاسم القشيري و((البداية والنهاية)) للحافظ ابن كثير و((تاريخ بغداد)) للخطيب البغدادي، و((سير أعلام النبلاء)) للحافظ الذهبي، و((النجوم الزاهرة)) و((شذرات الــذهب)) أن الشيخ السري السَقَطِي أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت اهــ. وذكر ابن الجوزي في ((صفـــة الصفوة)) ج٢ص٣٨٢ أن الجنيد البغدادي قال: ما رأيت أعبد من السري السقطي، ما رؤي مضطحعا ثمانية وسبعين سنة إلا في علة الموت اهــ. وكان مع هذا شديد الخوف، ففي ((سير أعلام النبلاء)) و((حلية الأولياء)) ورسالة الإمام القشيري، و((شذرات الذهب)): أن الجنيد قال: سمعت السري يقول: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرارا مخافة أن يكون وجهي قد اسود، وما أحب أن أموت حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض فافتضح. وقال كمافي ((صفة الصفوة)): من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم .

نبذة من أقواله وحكمه

وفي ((طبقات الصوفية)) للحافظ أبي عبد الرحمن السلمي و((سير أعلام النبلاء)) قال الجنيد: سمعت السري يقول: إذا فاتني جزء من وردي فلا يمكنني قضاؤه. يعني لاستغراق أوقاته. وفي ((الحلية)) أنه قال: اعتللت فدخل عليّ القراء يعودونني فجلسوا فأطالوا جلوسهم فآذاني، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله فمددت يديّ وقلت: اللهم علمنا أدب العيادة. وكان يقول: لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه جميع ما خلق الله من الأشجار، عليها جميع ما خلق الله من الأطيار فخاطبه كل طير منها بلغته وقال: السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في يدها أسيرا.وقال: قليل في سنة خير من كثير في بدعة، وقال: من خاف الله خافه كل شيء.

وكان يقول: أقوى القوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز.
وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)): هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي صحب معروفا الكرخي وهو أجل أصحابه، وهو خال الجنيد البغدادي وأستاذه، ولد في حدود الستين ومائة اهـ. واختلفوا في سنة وفاته فقيل: ثلاث وخمسون ومائتان وعليها الأكثرون، وقيل واحد وخمسون ومائتان، وقيل: سبعة وخمسون ومائتان.

تنبيه

وما قاله الذهبي من أنه ولد في حدود الستين ومائة لا يتمشى مع قولهم: إنه ما رؤي مضطجعا ثمانية وتسعين سنة كما لا يخفى. وعلى ما ذكره الذهبي من أنه ولد سنة مائة وستين تقريبا مع تقدير أن وفاته كانت سنة سبعة وخمسين ومائتين يكون عمره سبعة وتسعين سنة، فالقول بأنه لم يضطجع ثمانية وتسعين سنة غير معقول، ويحتمل أنه ولد قبل الستين ومائة فالغلط مما ذكره الذهبي فإنه يبعد كل البعد أن يكون ما توافق عليه الحفاظ النقاد والائمة المذكورون غلطا، فلعل الغلط مما ذكره الذهبي في ((السير)) والله أعلم.

وفي ((الأنساب)) لأبي سعد السمعاني ج٣ ص ٢٨٥: السقطي بفتح السين المهملة وفتح القاف، وكسر الطاء المهملة، وهذه النسبة إلى بيع السقط وهي الأشياء الخسيسة اهـ.

٨- ومنهم أبو بكر النيسابوري

وفي ((تهذيب الأسماء واللغات)) للنووي ج٢ص٤٨٥ أن أبابكر النيسابوري عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري كان زاهدا بقي أربعين سنة لم ينم الليل يصلي الصبح بطهارة العشاء، قال الدارقطني: ما رأيت أحفظ منه. واتفق العلماء على توثيقه والثناء عليه، وأكثر الدارقطني الرواية عنه في سننه. ولد سنة ٢٣٨ وتوفي رحمه الله سنة ٣٢٤ اهـ.

٩- ومنهم الشيخ عبد القادر الجيلاني

وفي ((الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية)) ج٢ص٨٩ أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان يصلي الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة .

وقال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٢٠ص ٤٣٩: كان الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلي الحنبلي إماما عالما زاهدا عارفا شيخ الإسلام علم الأولياء، ولد بجيلان في سنة ٤٧١ وعاش الشيخ عبد القادر ٩٠سنة وانتقل إلى رحمة الله في ١٠ ربيع الآخر سنة ٥٦١. وتكلم الذهبي عن أحوال الشيخ عبد القادر في ستة أوراق. وفي ((النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)) ج٥ص ٣٧١ أن الشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى

ابن عبد الله الجيلي الحنبلي كان سيدا شريفا صالحا زاهدا، وأمه أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي، وكان شيخ العراق صاحب حال ومقال، عالما عاملا قطب الوجود، إمام أهل الطريقة قدوة المشايخ في زمانه بلا مدافعة، أفتى ودرس ووعظ سنين ونظم ونثر، وكان محققا وهو أحد المشايخ الذين طنّ ذكرهم في الشرق والغرب اهـ. يعني ذاع صيتهم وذكرهم في الآفاق والأقطار كما في ((المعجم الوسيط)) .

وقال ابن العماد في ((شذرات الذهب)) ج٤ص ١٩٨: كان الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله نحيف الجسم عريض الصدر عريض اللحية أسمر مدوّر الحاجبين، ذا صوت جهوري وسمت بهي، تفقه في مذهب الإمام أحمد بن حنبل وسمع الحديث من جماعة، وعلوم الحديث من آخرين، وصحب حمادا الدباس فأخذ عنه علم الطريقة بعد أن لبس الخرقة من أبي سعد المبارك المخرمي، وفاق أهل وقته ووقع له القبول التام مع القدم الراسخ في المجاهدة وقطع داء الهوى والنفس وصار قطب الوجود، وكراماته تخرج عن الحد، قال الشيخ موفق الدين وقد سئل عن الشيخ عبد القادر: لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحدا يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر . وقال ابن النجار : سمعت عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر يقول: وَلَدَ والدي تسعة وأربعين ولدا، سبعة وعشرون ذكور والباقي إناث انتهى باختصار .

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في ((طبقات الصوفية الكبرى)) ج٢ ص١٠٨: ولد الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلي سنة ٤٧٠ وتوفي سنة ٥٦١، وقد أفرده الناس بالتآليف، وكان رضي الله عنه يتكلم في ثلاثة عشر علما، وكانوا يقرأون عليه في مدرسته درسا من التفسير ودرسا من الحديث ودرسا من المذهب، وكانوا يقرأون عليه طرفي النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والأصول والنحو، وكان رضي الله عنه يقرأ القرآن بالقرآت بعد الظهر، وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه، ورفع إليه سؤال في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد أن يعبد الله عزّ وجلّ عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبّسه بها،فما ذا يفعل من العبادات ؟ فأجاب على الفور يأتي بمكة ويخلى له المطاف ويطوف سبعا وحده وينحل يمينه، فأعجب علماء العراق وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها. وأطال الشعراني في ذكر أحواله وكراماته قدس الله أسراره

ونفعنا ببركاته اهـــ. والجيلاني كما في ((الأنساب)) و((اللباب)) بكسر الجيم وسكون الياء، وهذه النسبة إلى جيلان، وهي بلاد وراء طبرستان. وفي ((معجم البلدان)) لياقوت الحموي جيلان: بالكسر اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما قرى بين جبال، ينسب إليها جيلاني وجيلي ، والعجم يقولون كيلان اهـــ.

تنبيه

علم مما ذكرناه اختلافهم في اسم والد الشيخ عبد القادر، فالذهبي وابن العماد قالا: هو أبو صالح عبد الله، وفي ((النجوم الزاهرة)) هو أبو صالح موسي بن عبد الله، وقال الشعراني: موسي بن عبد الله فقط و لم يذكر كنيته أبا صالح، فالله أعلم.

١٠–ومنهم حبشي بن داود

ففي((مكاشفـــة الـــقلـــوب)) ص٥ أن حبشي بن داود صلى الغداة أربعين سنة على طهر العشاء اهـــ

وفي ((تنبيه المغترين)) ص٥٢ كان بشر الحافي ويزيد الرقاشي ومالك بن دينار وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم يقومون الليل كله على الدوام إلى أن ماتوا رحمهم الله ونفعنا بأمدادهم اهـــ.

وكان قوم من الصالحين يصلون كل ليلة ألف ركعة

١– منهم زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

ففي ((صفة الصفوة)) ج٢ص٩٣–١٠٠ وحلية الأولياء ج٣ص ١٣٣ أن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان إذا توضأ يصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أقوم؟ وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: مالك؟ فقال: أتدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي؟ وقد وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله النارَ يا ابن رسول الله النارَ، فما رفع رأسه حتى أُطْفِئَتْ، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الأخرى. وكان علي ابن الحسين رحمه الله يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة. توفـــي سنـــة ٩٤هـــ وهو ابن ٥٨ سنة اهـــ. وأكثر ذلك في ((سير أعلام النبلاء)) أيضا.

٢– ومنهم بلال بن سعد

ففي ((سير أعلام النبـــلاء)) ج٥ص ٩١ قال الأوزاعي: كان بلال بن سعد من العبادة على شيء لم نسمع أحدا قوى عليه، كان له كل يوم وليلة ألف ركعة. وبعضهم يشبهه بالحسن البصري، وقال الأوزاعي: سمعت بلال بن سعد يقول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر

من عصيت. قال الذهبي: هو الإمام الرباني الواعظ شيخ أهل دمشق كان لأبيه سعدٍ صحبة، حدث عن أبيه وعن معاوية وجابر بن عبد الله، وروى عنه الأوزاعي وخلائق. توفي رحمه الله سنة نيف وعشرة ومائة اهـــ.

٣- ومنهم علي بن عبد الله بن عباس

ففي ((صفة الصفوة)) ج٢ص١٠٧ أن الأوزاعي وعلي بن جملة قالا: كان علي بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة .

وقال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) ج١ص٣٢٠ قال أبو سنان: كان علي بن عبدالله بن عباس يصلي كل يوم ألف ركعة، وكان يدعى السجاد. توفي سنة ١١٧.

ومثله في ((سير أعلام النبلاء)) ج٥ص٢٨٤. وفيه أيضا قال ابن المبارك: كان له خمسمائة شجرة يصلي عند كل شجرة ركعتين وذلك كل يوم . قال الذهبي لقب بالسجاد لكثرة صلاته.

٤- ومنهم كهمس بن الحسن

ففي ((صفة الصفوة)) ج٣ص ٣١٤ أن كهمس بن الحسن القيسي كان يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة، فإذا ملّ قال لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء فو الله ما رضيتك لله ساعة قط .

وعن عمارة بن زازان قال لي كهمس بن الحسن: يا أباسلمة أذنبتُ ذنبا وأنا أبكي عليه أربعين سنة، قلت: وما هو؟ قال: زارني أخ لي فاشتريت له سمكا بدانق، فلما أكل قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين فغسل بـــها يده، فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة.

وقال عطاء الرملي: كان كهمس يقول في جوف الليل: أَتراك معذبي وأنت قرة عيني ياحبيب قلباه؟ وقال أحمد بن الفتح : سمعت بشر بن الحارث يقول: كان كهمس يصلي حتى يغشى عليه.

٥- ومنهم مرة بن شراحيل الهَمْداني

ففي ((صفة الصفوة)) ج ٣ص ٣٤ عن عطاء بن السائب قال: كان مرة الهَمْداني يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثقل وبَدُنَ صلى أربعمائة ركعة، وكنت أنظر إلى مباركه كأنـــها مبارك الإبل. وعن زبيد اليامي قال: كان مرة الهمداني يصلي في اليوم والليلة ستمائة ركعة، وقال حصين: أتينا مرة بن شراحيل نسأل عنه فقالوا: إنه في غرفة له قد تعبّد اثنتي عشرة سنة فدخلنا عليه. وقال ابن الجوزي: أسند مرة عن أبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم.

وقال الحارث الغنوي: سجد مرة الهمداني حتى أكل التراب جبهته. وقال العلاء بن عبد الكريم: كنا نأتي مرة الهمداني فيخرج إلينا فنرى أثر السجود في جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه، فيجلس معنا هُنَيَّةً ثم يقوم قائما، فإنما هو ركوع وسجود اهـــ.

وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن العظيم

ففي ((الأذكار)) للنووي ص٩٥ قد كانت للسلف عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه القرآن، فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل ثمان ليال ختمة، وآخرون في كل سبع ليال ختمة، وهذا فعل الأكثرين من السلف، وآخرون في كل ست ليال، وآخرون في خمس، وآخرون في أربع، وكثيرون في كل ثلاث، وكان كثيرون يختمون كل يوم وليلة ختمة، وختم جماعة كل يوم وليلة ختمتين، وآخرون كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات، وممن ختم أربع ختمات في الليل وأربعا في النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفي، وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة، وروى السيد الجليل أحمد الدورقي بإسناده عن منصور بن زادان بن عباد التابعي أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وشيئا، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل. وروى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهدا رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء اهـــ.

قال ابن علان في ((شرحـــه علـــى الأذكـــار)): هذا والذي قبله وما في معناه من أنواع الكرامات، وهو المباركة في الوقب بحيث يجري فيه من الخير ما لا يجري فيما هو أطول منه. وقال النووي أيضا: أما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتـــهم، فمنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتميم الداري، وسعيد بن جبيراهـــ. وقال ابن علان فيه أيضا نقلا عن ((التبيان)) للنووي: وممن ختم في كل يوم وليلة ختمتين عثمان بن عفان وتميم الداري رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي . وممن ختم في اليوم والليلة ثلاث ختمات سليم ابن عِتْرٍ، وكان قاضي مصر في خلافة معاوية، وكان تابعيا كبيرا، شهد فتح مصر في عهد عمر رضي الله عنه .

قلت: وممن أدركته من العُبّاد الذين يختمون كل يوم وليلة ختمة شيخ مشايخنا الشيخ طاهر بن الشيخ عمر بن الشيخ حسن معلم تلميذ سيدي الشيخ علي ميه.

ومنهم الشيخ محمود بن الشيخ أحمد أيْبَكَر " غَبْيَوْ" وأخبرني أنه كان يقرأ الختمة كيف اتفق له، قال: ثم أمرني سيدي الشيخ محمد بن الشيخ علي ميه أن أقرأه على طهارة واستقبال ونظر للمصحف الشريف.

ومنهم رفيقنا الشيخ سِيْدو –البَغدِيُّ– المُعمّر، فقد كان يختم كل يوم وليلة ختمة، وأخبرنا أنه كان يختم في شبابه كل يوم وليلة سبع ختمات، قال: وبعد ذهاب الشباب وضعف القوة عجزت عن ذلك تدريجيا، فكنت أقرأ ست ختمات ثم خمسا وهكذا حتى صرت أختم في اليوم والليلة مرة واحدة فقط. وكان رقيق القلب كثير البكاء عليه سيما الصالحين.

وكان أستاذي الشيخ عبد الله بن الشيخ داود يقرأ في اليوم والليلة نصف القرآن فيختم في الشهر خمسة عشر مرة.

لطيفة

وقد يسر الله لبعضهم حفظ القرآن الكريم في مدة وجيزة، منهم الإمام الزهري أبو بكر محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن عبد لله بن شهاب.

ففي ((تـــذكرة الحفاظ)) للذهبي ج١ص١١٠ أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة، وروى ليث عنه قال: ماستودعتُ قلبي علما فنسيتُه، قال مالك: بقي ابن شهاب وما له في الدنيا نظير . ولد الزهري سنة خمسين وتوفي رحمه الله سنة ١٢٤. وفي ((شذرات الذهب)) ج٨ ص ٣٣٧ أن سعد الدين علي بن محمد بن علي حفظ القرآن العظيم وهو ابن خمس سنين في سنتين، وتوفي رحمه الله سنة ٩٦٣هـــ.

ومن أرباب المجاهدات وسهر الليالي ممن يكابد بأنواع الطاعات المختلفة خلائق غير من ذكرناهم .

١– كأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي الشافعي

ففي ((الرسالة القشيرية)) ص٣٦ قال أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي: ربما أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة " قل هو الله أحد" وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة. توفي سنة ٣٩١.

٢– وعروة بن الزبير التابعي الجليل

قال ابن العماد في ((شذرات الذهب)) ج١ص١٠٤: إن عروة بن الزبير كان يصوم الدهر ومات صائما، واشتهر أنه قطعت رجله وهو في الصلاة لأَكِلَةٍ وقعت فيها و لم يتحرك اهـــ.

وفي ((القاموس)) الأَكِلَةُ كفرِحة داء في العضو يأتكل منه .

وقال النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)) ج١ص٣٠٥: عروة بن الزبير التابعي الجليل أحد الفقهاء السبعة، أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث فقيها عالما مأمونا ثبتا. توفي سنة ٩٤ وقال البخاري: سنة ٩٩ هـــ

وفي ((البداية والنهاية)) ج٩ص١٠٢-١٠٣ روي أنـــهم قطعوا رجله وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة. ثم قال ابن كثير: ذكر غير واحد أن الأكلة وقعت في رجله، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه، وربما ترقت إلى الجسد فأكلته فطابت نفسه بذلك، وقالوا له: ألا نسقيك مُرْقِدًا حتى يذهب عقلك فلا تحسّ بالألم، فقال: لا، ولكن فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة، فإني لا أحسّ بذلك ولا أشعر به، فقطعوا رجله من قوق الأكلة وهو قائم يصلي فما اختلج. وقال الأوزاعي: لما قطعت رجل عروة قال: اللهم إنك تعلم أني لم أمش بـــها إلى سوء قط. ورأى عروة رجلا يصلي صلاة خفيفة فدعاه فقال: يا أخي أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك؟ إني لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله الملح. وقال عروة: رب كلمة ذُلٍ احتملتها أورثتني عزا طويلا، وقال لبنيه: إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، والسيئة تدل على أختها .

٣- و أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني

ففي ((سير أعلام النبلاء)) ج٦ص١٧-٢٢ كان أبوبكر بن أبي تميمة كيسان السختياني يقوم كل ليلة فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة .

وروى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد قال: كان أيوب في مجلس فجاءته عَبْرَةٌ، فجعل يتمخط ويقول: ما أشد الزكام، وكان أيوب حج أربعين حجة، وكان يقول: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل .

وقال أيوب: ذُكِرْتُ ولا أحب أن أُذْكَرَ . وقال له رجل من أهل الأهواء "أي البدع": يا أبابكر أسألك عن كلمة؟ فولّى وهو يقول: ولا نصف كلمة مرتين. ولد أيوب عام توفي ابن عباس سنة ٦٨ وتوفي سنة ١٣١ بالبصرة، وله ٦٣ سنة .

٤- و أبو يزيد ربيع بن خُثَيْم التابعي الجليل

ذكر ترجمته الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٤ص٢٥٨-٢٦٢ فمما قال فيه: كان الربيع ابن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحتم قال: ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا .

وعن بعضهم قال: صحبت الربيع عشرين عاما ما سمعت منه كلمة تعاب. وعن ابنة للربيع قالت: كنت أقول: يا أبتاه ألا تنام؟ فيقول: كيف ينام من يخاف البيات، وكان الربيع يقاد إلى الصلاة وبه الفالج، فقيل له: قد رخص لك وقال: إني أسمع حي على الصلاة. وقال له ابن مسعود: يا أبا يزيد لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذَكَرْتُ المخبتين. قال الحافظ الذهبي: وهذه منقبة عظيمة للربيع. وروى الثوري عن رجل عن أبيه قال: جالست الربيع بن خثيم سنين، فما سألني عن شيء إلا أنه قال لي مرة:أمك حية ؟ توفي الربيع قبل سنة خمس وستين اهـــ .

وروى أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) ج٢ص١٠٧و١١٠ بسنده عن رجل من بني تَيْمُ الله قال: جالست الربيع عشر سنين فما سمعته يسأل عن شيء من أمر الدنيا إلا مرتين، قال مرة: والدتك حية؟ وقال مرة: كم لكم مسجدا ؟.

وقالت سُرِّيَة ربيع بن خثيم: كان عمل الربيع سرا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه . وقال الربيع: كل ما لا يبتغى به وجه الله يضمحل، وكان الربيع إذا سجد كأنه ثوب مطروح، فتجيء العصافير فتقع عليه، وكانت أم الربيع تنادي ابنها فتقول: يا بني ألا تنام؟ فيقول: يا أمه من جنّ عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن لا ينام اهـــ.

٥- وعمران بن مسلم القصير التابعي الجليل

ففي ((صفة الصفوة)) ج٣ص ٣١٢ أن عمران بن مسلم القصير التابعي قد عاهد الله أن لا ينام بليل أبدا إلا مُسْتَغْلَبا، وكان يقول: إني حُبِّبتُ إلى طاعةِ الله تعالى طول الحياة، ولو لا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما باليت أن لا أعيش في الدنيا فُواقا، فلم يزل مجهودا على ذلك حتى مات رحمه الله .

٦- وأبو محمد ثابت بن أسلم البُنَاْنِي التابعي

روى أبو نعيم بسنده في ((حلية الأولياء)) ج٢ص٣١٩ عن شيبان بن جسر عن أبيه قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني لحده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره، قال: فلما سوينا عليه اللَبِنَ سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معي: ألا ترى؟ قال: اسكت، فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابت؟ فقالت: وما رأيتم ؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها، فما كان الله ليرد ذلك الدعاء .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه يوما: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتا مفتاح من مفاتيح الخير.

٧- والإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمِد بضم الياء المثناة من تحت وكسر الميم قال الإمام النووي في ((تـــهذيب الأسماء واللغات)): كان الأوزاعي من تابعي التابعين إمام أهل الشام في عصره بلا مدافعة ولا مخالفة. وكانوا على مذهبه قبل انتقالهم إلى مذهب مالك. وروينا عن هِقْلٍ قال: أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسئلة، وعن غيره أنه أفتى في ثمانين ألف مسئلة .

وقد أجمع العلماء على إمامته وجلالته وعلوّ مرتبته وكمال فضله، وأقاويل السلف كثيرة مشهورة مصرحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بالحق وكثرة حديثه وغزارة فقهه وشدة تمسكه بالسنة وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له واعترافهم بمرتبته اهـــ.

وترجم له الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٧ص١٠٧-١٣٤ فمما قال فيه: قال ضمرة بن ربيعة: حججنا مع الأوزاعي سنة ١٥٠، فما رأيته مضطجعا في المحمل في ليل ولا نـــهار قط، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب. وقال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

وقال أبو مسهر: كان يحيي الليل صلاة وقرآنا وبكاء، وكانت أمه تدخل منـــزله وتتفقد مصلاه فتجده رطبا من دموعه في الليل .

قال الوليد بن مسلم: ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام والأوزاعي إلى جنبه، فقلت يا رسول الله عمّن أحمل العلم ؟ قال: عن هذا وأشار إلى الأوزاعي .

وقال الأوزاعي: من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام، وقال: إن المؤمن يقول قليلا ويعمل كثيرا، وإن المنافق يتكلم كثيرا ويعمل قليلا. وقال: كان يقال: ويل للمتفقهين بغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات اهـــ.

وترجم له ابن كثير في ((البداية والنهاية)) ج١٠ص ١١٥-١٢١ ومما قال فيه: قد بقي على مذهب الأوزاعي أهل الشام وما حولها من البلاد نحوا من مائتين وعشرين سنة. وما تكلم كلمة إلا كان المتعيّن على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها .

وقال يحيي القطان عن مالك: اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت: أيهم أرجح؟ فقال: الأوزاعي .

وقال سفيان بن عيينة وغيره: كان الأوزاعي إمام أهل زمانه، وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثوري آخذ بزمام جمله ومالك بن أنس يسوق به، والثوري يقول: افسحو للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة وجلسا بين يديه يأخذان عنه .

وكان الأوزاعي يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكي بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلسه قط، وكان إذا خلا بكى حتى يرحم. وقال الأوزاعي: رأيت رب العزة في المنام فقال: أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فقلت: بفضلك أي رب، ثم قلت: يا رب أمتني على الإسلام فقال: وعلى السنة اهـ.

٨- وإبراهيم بن يزيد التيمي

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٥ص٦٠: كان إبراهيم التيمي إماما قدوة صالحا قانتا لله عالما كبير القدر عابد الكوفة، قال الأعمش: قال لي إبراهيم التيمي: ما أكلت منذ أربعين ليلة إلا حبة عنب، وربما أتى عليّ شهر لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا، لا يسمعنّ هذا أحد منك. وروي عنه أنه قال: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل منه يدك. قَتَلَه الحجاج، وقيل: مات في حبسه سنة ٩٢هـ وقيل: ٩٤ ولم يبلغ عمره أربعين سنة انتهى ملخصا.

لطيفة

فإن تخيل متخيل بأن ما ذكرناه عن إبراهيم التيمي غير واقع وأن ذلك مستحيل فاعلم أن ما ذكره الذهبي في ((سيرأعلام النبلاء)) ج١٣ص٥٧٢ أغرب وأعجب منه، فقد قال: كانت رحمة بنت إبراهيم لم تأكل ولم تشرب نيفا وعشرين سنة، وكانت قتل زوجها وترك ولدين، وكانت مسكينة فنامت فرأت زوجها مع الشهداء يأكل على موائد، وكانت صائمة، قالت: فاستأذنـهم، وناولني كسرة أكلتها فوجدتـها أطيب من كل شيء فاستيقظت شبعانة. ثم قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة . وقال الحاكم: حدثنا أبي سمع الطهماني يقول: رأيت بخوارزم امرأة لا تأكل ولا تشرب ولا تروث. وعائشة الصائمة "بالأندلس" دامت أعواما لا تأكل، ودام رجل بالعراق لا يأكل سنين اهـ .

قلت: وقد ثبت أيضا أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان يواصل صيام خمسة عشر يوما ولا يفطر، وقيل: سبعة عشر. وكان سهل بن عبد الله التستري يأكل خمسة عشر يوما مرة واحدة، وكان مولانا عبد الرحمن بن محمود أقام مرة هو وتلامذته في الخلوة ثلاثين يوما ولم يطعموا طعاما ولم يشربوا شرابا. فسبحان المدبر الفعّال لما يريد القادر على كل شيء .

٩- وهرم بن حيان

ففي ((سير أعلام النبلاء)) أن هرم بن حيان كان ثقة له فضل وعبادة، وكان يخرج في بعض الليل وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها، وعجبت من النار كيف نام هاربــــها!!، ثم يقول: أفأمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا بياتا .

وقال الحسن البصري: خرج هرم وعبد الله بن عامر، فبينما رواحلهما ترعى إذ قال هرم: أيسرك أنك كنت هذه الشجرة؟ قال: لا والله، لقد رزقني الله الإسلام وإني لأرجو، قال: والله لوددتّ أني كنت هذه الشجرة فأكلتني هذه الناقة ثم بعرتني ولم أكابد الحساب، إني أخاف الداهية الكبرى، وكان هرم ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس .

وقيل: سمي هرما لأنه بقي حملا سنتين حتى طلعت أسنانه .

وكان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه وُدَّهم.

قال الحسن: مات هرم في يوم حار، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة حتى قامت على القبر، فلم تكن أطول منه ولا أقصر منه ورشته حتى روّته ثم انصرفت اهـــ.

١٠- والأسود بن يزيد النخعي

ففي ((سير أعلام النبلاء)) ج٤ص٥٠ كان الأسود بن يزيد النخعي صوّاما قواما حجاجا، حج ثمانين حجة وعمرة، وكان نظير مسروق في الجلالة والعلم والفقه والسن، يضرب بعبادتــــهما المثل، ويختم القرآن في رمضان في كل ليلتين.وفي ((تــــهذيب الأسماء واللغات)) ج١ص١٣٣ أنه سافر ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما، وسافر ابنه عبد الرحمن ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما. وروينا أن عبد الرحمن كان يصلي كل يوم سبعمائة ركعة، وكانوا يقولون: إنه أقل أهل بيته اجتهادا، وإنه صار عظما وجلدا، ورأى أسود بن يزيد أبابكر وعمر رضي الله عنهما اهــ.

وقال ابن كثير في ((البداية والنهايــــة)) كان يصوم الدهر وقد ذهبت عينه من كثرة الصوم. توفي سنة ٨٥ .

١١- وهشيم بن بشير بن أبي خازم

قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) ج٨ص٢٩٠: كان هشيم بن بشير يصلي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة. وكان إماما محدثا شيخ الإسلام حافظ العراق، ولد سنة١٠٤ وقال أحمد بن حنبل: كان كثير التسبيح ويقول: لا إله إلا الله يمد بـــها صوته. وقال الخطيب البغدادي: مات هشيم سنة ١٨٣ .

وآمنة الرملية

ففي ((صفة الصفوة)) ج٤ص٣٠٥ قال جعفر بن محمد: اعتلّ بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية من " الرملة" ودخل أحمد بن حنبل يعوده، فقال: من هذه؟ فقال: هذه آمنة الرملية، بلغتها علتي فجاءت من "الرملة" تعودني، قال: فسلها تدعو لنا، فقالت: اللهم إن بشرا بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما، قال أحمد: فانصرفت، فلما كان من الليل طُرحت إليّ رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ولدينا مزيد .

١٢- والسيدة معاذة بنت عبد الله العدوية

وفي ((سير أعلام النبلاء)) ج٤ص٥٠٨ كانت السيدة معاذة عالمة عابدة زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم، وكانت تحيي الليل عبادة وتقول: عجبت لعين تنام وقد علمت طول الرُقاد في ظلم القبور. ولما استشهد زوجها وابنها اجتمعن النساء، فقالت: مرحبا بكنّ إن كنتنّ جئتنّ للهناء، وإن كنتنّ جئتنّ لغير ذلك فارجعن . توفيت سنة ٨٣ .

١٣- وصلة بن أشيم أبوالصهباء العدوي البصري

وفي ((سير أعــلام النبلاء)) ج٣ص٤٩٧ و((حلية الألياء)) ج٢ص٢٣٧ و((صفــة الصفــوة)) ج٣ص ٢١٦ أن صلة بن أشيم أبا الصهباء العدوي كان زاهدا عابدا قدوة، زوج العالمة معاذة العدوية .

وقال ابن المبارك في ((الزهد)): عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يكون في أمتي رجل يقال له: صلة، يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا. وقال جعفر بن سليمان: عن يزيد الرِّشْك، عن معاذة قالت: كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفا .

وقالت معاذة: كان أصحابه تعني : صلة، إذا التقوا عانق بعضهم بعضا.

وقال ثابت: جاء رجل إلى صلة بنعي أخيه فقال له: أدن فكل، فقد نُعي إليّ أخي منذ حين، قال تعالى: إنك ميّت وإنـــهم ميّتون .

وقال حماد بن سلمة: إن صلة كان في الغزو، ومعه ابنه، فقال: أي بني تقدم، فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل، حتى قتل، ثم تقدم صلة، فقتل.

وقال رجل لصلة بن أشيم: أدع الله لي، فقال: رغبك الله فيما يرضى وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين. توفي سنة ٦٢ انتهى ملخصا .

نفعنا الله ببركاته ورزقنا بصلته وعطيته بحرمة صلة وبأحبابه أجمعين .

ونختتم به ذكر الصالحين المذكورين في "الخاتمة " ، وأرجو أن يكونوا للكتاب كالختم والطابع، والله الموفق، وبيده التدبير والتصرف .

وهذا آخر ما رمته من كتابة هذه المقاصد الأربعة ولواحقها، وقد بذلت قصارى جهدي في تحرير ذلك وتنقيحه، ومع ذلك فإني معترف بعدم سلامته من الخلل والزلل وأقول: كما قال الشيخ الرملي في آخر شرحه لربع العبادات المسمى ((نـــهاية المحتاج بشرح المنهاج)) :

حـــررته مـــجتـــهـــدا وليس يخـــلو عن غلـــط

قـــل للذي يلـــومـــني من ذا الذي ما ساء قـــط

وقد قاسيت في أيام جمعه بعوارض كثيرة من المشاكل العامة والخاصة، فقد صادف تأليفه زمان انـــهيار الدولة وسقوط الحكومة وخروج الأمر عن الضبط، فعمّت فيه الفوضى والظلم والطغيان والبغي والفساد، واستُحِلّت الحرمات واستبيحت الدماء والفروج والممتلكات، وانتفى النظام والاستقرار وحلّ الرعب والخوف محل الأمن والإطمئنان، فطال لذلك زمن جمعه وأوان تـــهذيبه وبلغ خمس سنين وشهورا .

فليعذرني امرؤ رأى فيه الخلل، وليصفح عن الزلل، فإن ذلك من دأب الكمل، فقد قيل في المثل: إن من دخل البئر لم يخرج منه بدون بلل، فكذلك من صنف في هذا الزمان لا يخلو غالبا عن السقطات والهفوات وقد أجاد من قال:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلـــها كفى المرء نبلا أن تعدّ معايـــبـــه

وأسأل الله تعالى أن يدفع عنه مكر الماكرين وشر الحاسدين وكيد الظالمين. وأرجو من الله أن ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم، واعتقاد صحيح، وأن يزيل القَذَى عن عين من نظر إليه بالإنصاف .

وإني أبتهل إلى الله أن يسامحني عما غلط فيه فهمي القاصر، وذهني الفاتر، أو طغى به القلم، وأن يتقبله مني بفضله وإحسانه وبجاه من اصطفاه من جميع بريّته صلوات الله وأزكى تسليماته عليه، وببركة ورثته السالكين في نـــهجه القويم وصراطه المستقيم، وبحرمة القائمين للدفاع عن ملته والذبّ عن حمى شريعته، وسائر عباد الله الصالحين إنه جواد لطيف برّ كريم .

وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليما كثيرا .

وقد تم بحمد الله تحريره وتبييضه بعد صلاة العصر من يوم السبت ٢٧/من ربيع الثاني سنة ١٤٢٤هـــ

تقريظ الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ محمود المشهور بالشيخ أبا الشاشي المقدشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فاضت علينا ميازيب آلائه، وعمت بركاته المتبركين بأوليائه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المختار، وآله السادة الأطهار، وعلى أصحابه الذين كانوا انجم اهتداء، ما سرى حادي العيس في البيداء.

أما بعد: فلما تصفحت وأمعنت النظر في هذا الكتاب، الذي ألفه الشيخ عثمان بن الشيخ عمر المشهور بعثمان حدك والمتبوئ من الشرف ذروة الهضاب، وقع مني موقع الاستحسان، وراعني تعبيره المتقن غاية الإتقان، ورأيته وافيا بالمقاصد، وجامعا للفوائد، فهو يدل على سعة اطلاع مؤلفه في العلم، وحيازته القدح المعلى في الفهم، حيث أخذ كلامه من مراجع مختلفة، كارعا من مناهل الحكمة والمعرفة، ومستقصيا في البحث عن طرق الاستدلال، وباذلا جهده في إقناع أهل الجدال، فأصاب المحز فيما قصد، ولم يسبقه في صنيعه أحد، فلله دره محييا للسنة المحمدية، وناشرا للطريقة الأحمدية.

وجدير بمثل هذا الكتاب أن نبادر إلى اشترائه، وأن لا تخلو مكاتبنا عن اقتنائه، جزى الله المؤلف عنا خيرا، ووقاه شرا وضيرا، ولا زال فخرا للصومال، ونافعا للأجيال.

وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

تقريظ آخر

نظم الشيخ عبد الناصر علي حسين

كواكب في سماء العلم لاحت | فحيران الضلالة في اهتداء
وفجر الهَدْيِ أسفر في فضاها | وليل الغي آذن بانقضاء
فرائد لو تبارت للغواني | لأطرقن الرؤوس من الحياء
كتاب قد حوى دررا سنية | به تجلى العيون من العماء
تبرُّكَ سادة صلحا كرام | بهم نجّى الإله من البلاء
برؤيتهم تنال ذرى المعالي | وصحبتهم لَمِنْ جَزْل العطاء
بجاههمو يُفَرَّج من كروب | وباسمهمو همى غيث السماء
أجلهمو حبيب الحق خير الـ | ـورى طرا سراج الأنبياء
وضم تراجما لهمو بهية | وما حازوه من طيب الثناء
وحُلَّتُهُ نسيج يد الهمام | جزاه إلهنا أوفى الجزاء
وجاء مباركا ميمون طلعة | ووافانا ربيع الأصفياء
عديم المثل في ذا الباب صدقا | به لمن اقتنى خير الغَناء
وفيه لُمْنكِرٍ حجج دوامغ | وفيه لذي السقام شفاء داء
له نرجو من المولى قبولا | ونفع الكل في ذي واللقاء
صلاة مع سلام الله تترى | على طه المشفع ذي اللواء
وآل ثم صحب أهل مجد | وأتباع سراة أتقياء
ومن بهمو تبرك باعتقاد | متى ما الشمس تغرب في المساء

مصادر الكتاب

١- التفاسير

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة (٣١٠) هـــ

٢. الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١) هـــ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـــ ٢٠٠٠م .

٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان

٤. تفسير ابن كثير، لابن كثير، المتوفى سنة (٧٧٤) هـــ

٢- الحديث

١. صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة (٢٥٦) هـــ

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٢) هـــ دار المعرفة– بيروت لبنان– بتصحيح وإشراف محب الدين الخطيب .

٣. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة (٢٦١) هـــ

٤. شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، المتوفى سنة (٦٧٦) هـــ، دار الكتاب– بيروت–لبنان– سنة ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م

٥. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للحافظ القسطلاني المتوفى سنة (٩٢٣) هـــ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـــ ١٩٩٦م .

٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للحافظ العيني، المتوفى سنة (٨٥٥) هـــ

٧. الأذكار، للإمام يحيى بن شرف النووي،

٨. الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية، للإمام محمد بن علان المتوفى سنة (١٠٥٧) هـــ المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ .

٩. الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري

١٠. رياض الصالحين، للإمام يحيى بن شرف النووي

١١. دليل الفالحين، للإمام محمد بن علان الصديقي

١٢. الحصن الحصين للإمام الجزري، المتوفى سنة (٨٣٣) هـــ مصطفى البابي الحلبي مصر– سنة ١٣٤٩هـــ

١٣. عدة الحصن الحصين، للإمام الجزري

١٤. تحفة الذاكرين، للشيخ محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة (١٢٥٠) هـــ دار القلم– بيروت– الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م

١٥. عمل اليوم والليلة، لابن السني المتوفى سنة (٣٦٤) هـــ مكتبة البيان– دمشق– الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـــ ١٩٩٤م

١٦. عمل اليوم والليلة، للنسائي، المتوفى سنة (٣٠٣) هـــ

١٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري المتوفى سنة (١٠١٤)

١٨. الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري المتوفى سنة (٦٥٦) هـ دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت لبنان- سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م

١٩. نيل الاوطار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني

٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة (٢٤١)هـ

٢١. شرح الجرداني على الأربعين محمد بن عبد الله الجرداني المتوفى سنة (١٣٣١) هـ

٢٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي المتوفى سنة (٨٠٧) هـ بيروت لبنان- الطبقة الثالثة سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

٢٣. تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ بن حجر بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل

٢٤. الفتاوي الحديثية للعلامة أحمد بن حجر الهيتمي، المتوفى سنة (٩٧٤) هـ

٢٥. الجامع الصغير، للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١) هـ مطبعة سليمان مرعي، الطبعة الأولى .

٢٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، الموفى سنة (١٠٣١) هـ دار الفكر للطباعة والنشر

٢٧. خلاصة الأحكام للإمام يحيى بن شرف النووي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م

٢٨. القول البديع، للحافظ شمس الدين السخاوي المتوفى سنة (٩٠٢) هـ، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ

٢٩. غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي المتوفى (١٣٧١) هـ

٣٠. المقاصد الحسنة، للحافظ السخاوي

٣١. كشف الخفا، للعجلوني، المتوفى سنة (١١٦٢) هـ، دار التراث، القاهرة، بإشراف وتصحيح وتعليق أحمد القلاش .

٣- **السيرة النبوية**

١. دلائل النبوة، للحافظ البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨/ بتعليق الدكتور عبد المعطي قلعجي

٢. المواهب اللدنية ، للقسطلاني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ ١٩٩١م، بتحقيق صالح أحمد الشامي .

٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض المتوفى سنة (٥٤٤) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

٤. نسيم الرياض شرح الشفاء للقاضي عياض للشهاب الخفاجي المتوفى سنة (١٠٦٩) هـ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة .

٥. السيرة الحلبية

٦. الشمائل المحمدية، للإمام محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة (٢٧٩) هـ

٧. المواهب اللدنية شرح الشمائل المحمدية، للباجوري المتوفى سنة (١٢٧٧) هـ

٨. جوامع السيرة النبوية لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفى سنة (٤٥٦) هـ

٩. جواهر البحار ، للإمام النبهاني المتوفى سنة (١٣٥٠) هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

١٠. حجة الله على العالمين، للإمام النبهاني، مكتبة الجند، مصر، بتحقيق محمد مصطفى ابو العلا.

١١. شرح الشفا، لملا على بن سلطان قاري، ، المكتبة السلفية، المدينة المنورة .

١٢. السيرة النبوية ، للحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) هـ

١٣. الفتوحات الأحمدية في المنح المحمدية للجمل المتوفى سنة (١٢٠٤) هـ

١٤. الوفا بأحوال المصطفى، للحافظ ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة (٥٩٧) هـ

١٥. شرح الزرقاني على المواهب للدنية للزرقاني، المتوفى سنة (١١٢٢) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، بتصحيح محمد عبد العزيز الخالدي .

٤- **مصطلح الحديث**

١. الكفاية في علم الرواية للحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣) هـ

٢. معرفة علوم الحديث للحافظ أبي عبد الله الحاكم المتوفى سنة (٤٠٥) هـ، دار الأفاق الجديدة، بتحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة .

٣. تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للحافظ السيوطي، مطبعة السعادة، بمصر، بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

٥- **فن الرجال**

١. تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦هـ

٢. تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

٦- **الفقه**

١. المجموع، للإمام يحيى بن شرف النووي

٢. البيان، للعمراني، المتوفى سنة (٥٥٨) هـ، دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع .

٣. الأحكام السلطانية، للماوردي، المتوفى سنة (٤٥٠) هـ

٤. بغية المسترشدين

٥. إثمد العينين في اختلاف الشيخين

٦. مغني المحتاج في شرح المنهاج للخطيب الشربيني المتوفى سنة (٩٧٧)هـ،

٧. المغني، لابن قدامة الحنبلي، المتوفى سنة (٦٢٠) هـ

٨. الأنوار، للأردبيلي، المتوفى سنة (٧٩٩) هـ، مطبعة المدني، قاهرة، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

٩. إعانة الطالبين لأبي بكر بن السيد محمد شطا، المتوفى سنة (١٣١٠) هـ

١٠. روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام يحيى بن شرف النووي

١١. تحفة المحتاج في شرح المنهاج للإمام أحمد بن حجر الهيتمي

١٢. الساجد في أحكام المساجد لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى سنة (٧٩٤) هـ

١٣. قلائد الخرائد للشيخ عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي المتوفى سنة (٩٥٨) هـ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

١٤. فتح العزيز بشرح الوجيز، للإمام أبي القاسم الرافعي المتوفى سنة (٦٢٣) هـ

١٥. حاشية الإيضاح على مناسك الحج، للإمام ابن حجر الهيتمي، مطبعة دار التأليف، مصر، الطبعة الثانية.

١٦ منهاج الطالبين، للإمام النووي

٧- **اللغة**

١. القاموس المحيط، للفيروزأبادي المتوفى سنة (٨١٦ أو٨١٧) هـ

٢. تاج العروس شرح القاموس، للإمام مرتضى الزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥) هـ

٣. المقاييس في اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة (١٣٣٦) هـ

٤. أساس البلاغة، للزمخشري، المتوفى سنة (٥٣٨) هـ

٥. المصباح المنير للشيخ أحمد بن محمد بن علي المقرئ المتوفى سنة (٧٧٠) هـ

٦. النهاية في غريب الحديث، للإمام ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة (٦٠٦) هـ

٧. المعجم الوسيط لنخبة من العلماء .

٨. تهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى بن شرف النووي

٨- **الأنساب والبلاد**

١. الأنساب للسمعاني لأبي سعد عبد الكريم بن محمد، المتوفى سنة (٥٦٢) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى .

٢. اللباب في تهذيب الأنساب للشيخ عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفى سنة (٦٣٠) هـ، دار رصادر، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٣. قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين، للشيخ عبد الغني بن أحمد البحراني، المتوفى بعد (١١٧٤) هـ، طبعة الهند عام ١٣٢٣هـ

٩- **التراجم والتواريخ**

١. مناقب الإمام الشافعي، للإمام البيهقي، دار النصر للطباعة .

٢. البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية .

٣. طبقات الشافعية، لابن الشهبة، المتوفى سنة (٨٥١) هـــ، بيروت لبنان، سنة ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م، بتصحيح وتعليق الدكتور الحافظ عبد العظيم خان .

٤. سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الحادية عشر، سنة ١٤١٧هـــ ١٩٩٧م، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم القرقوس .

٥. تاريخ بغداد، للحافظ الخطيب البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر .

٦. تـــهذيب تاريخ دمشق، للشيخ عبد القادر بدران، المتوفى سنة (١٣٤٦) هـــ، دار المسيرة، بيروت، سنة ١٣٩٩هـــ ١٩٧٩م.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، للعسقلاني، مطبعة النهضة للطباعة والنشر، بتحقيق علي محمد البحاوي

٨. صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـــ، ١٩٧٩م .

٩. مرآة الجنان، لعبد الله بن أسعد اليافعي، المتوفى سنة (٧٦٨) هـــ، دار الفاروق الحديثية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـــ ٩٩٣م .

١٠. الضوء اللامع ، للسخاوي، دار الجليل، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـــ ١٩٩٢م.

١١. النور السافر، للعيدروس، المتوفى سنة (١٠٣٨) هـــ،

١٢. طبقات فقهاء اليمن، للجعدي، المتوفى سنة (٥٨٦) هـــ، الطبعة الثانية، بيروت سنة ١٤٠١هـــ ١٩٨١م.

١٣. طبقات الخواص، للشرجي، المتوفى سنة (٨٩٣) هـــ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـــ ١٩٨٦م.

١٤. طبقات المفسرين، للحافظ الداوودي، المتوفى سنة (٩٤٥) هـــ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

١٥. تذكرة الحفاظ، للذهبي ، دار إحياء التراث العربي .

١٦. معرفة القراء الكبار، للذهبي، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـــ ١٩٨٤م، بتحقيق بشار عواد ، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهد عباس.

١٧. حلية الأولياء، لأبي نعيم، المتوفى سنة (٤٣٠) هـــ، بروت لبنان، الطبعة الخامس سنة ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م.

١٨. هدية العارفين، لإسمعيل بن محمد البابابي، المتوفى سنة (١٣٣٩) هـــ

١٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان .

٢٠. المشرع الروي للشيخ جمال الدين محمد بن أبي بكر المتوفي بعد سنة (١٠٩٦) هـــ

٢١. الخيرات الحسان، لابن حجر الهيتمي،

٢٢. حسن المحاضرة، للحافظ السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨هـــ ١٣٨٧م .

٢٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغر بردي المتوفى سنة (٨٧٤) هـــ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٢٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي، المتوفى سنة (١٠٨٩) هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٥. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان .

٢٦. وفيات الأعيان، لابن خلكان، المتوفى سنة (٦٨١) هـ، دار صادر، بيروت- لبنان، بتحقيق الدكتور إحسان عباس .

٢٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، دار الجليل، بيروت .

٢٨. رحلة ابن بطوطة لابن بطوطة، المتوفى سنة (٧٧٩) هـ، دار التراث، بيروت، سنة ٢٣٨٨هـ ٢٩٦٨م .

٢٩. فهرس الفهارس للعلامة عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المتوفى سنة (١٣٨٢) هـ، دار العرب الإسلامية، بيروت-لبنان، سنة ٢٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٣٠. طبقات الشافعيين لابن كثير،

٣١. طبقات الفقهاء الشافعيين، لابن كثير، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، بتحقيق أنوار الباز .

١٠- الردود

١. الرد المحكم المتين للغماري

٢. تبيين كذب المفتري للحافظ ابن عساكر ، المتوفى سنة (٥٧١) هـ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، سنة ١٣٨٨هـ ١٩٧٩م.

٣. محق التقول في مسألة التوسل للمحدث محمد زاهد الكوثري، المتوفى سنة (١٣٧١) هـ

٤. الدرر السنية في الرد على الوهابية للإمام زيني دحلان، المتوفى سنة (١٣٠٤) هـ

٥. شواهد الحق للنبهاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر .

٦. مفاهيم يجب أن تصحح، للشيخ محمد علوي المالكي

٧. دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد، للعلامة المحدث الشريف التقي الحصني، المتوفى سنة (٨٢٩) هـ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي .

٨. حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة، للشيخ موسى محمد علي، دار التراث العربي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٩. الإغاثة بأدلة الاستغاثة للمحدث حسن بن علي السقاف

١٠. غوث العباد ببيان الرشاد لأبي سيف الحمامي، المتوفى سنة (١٣٦٨) هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٠هـ ١٩٥٠م .

١١. صحيح صفة صلاة النبي، للمحدث حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، عمان- أردن، الطبعة الأولى سنة ٢٤١٣هـ ١٩٩٣م .

١٢. رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزيارة، للمحدث محمود سعيد ممدوح، دار الإمام النووي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
١٣. التأمل في حقيقة التوسل، للدكتور عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري
١٤. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، للإمام تقي الدين السبكي، المتوفى سنة (٧٥٦) هـ
١٥. الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم، للإمام ابن حجر الهيتمي، المطبعة الخيرية سنة ١٢٣١هـ .
١٦.تبرك الصحابة، للعلامة المؤرخ محمد طاهر الكردي، دار ابن حزم، طبعةالأولى سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م
١٧. المدخل، لابن الحاج، المتوفى سنة (٧٣٧) هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٨. غاية البيان في تنـزيه الله عن الجهة والمكان، إعداد: قسم الإبحاث والدراسات الإسلامية في جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

١١- أحوال البرزخ وأمور الآخرة

١. شرح الصدور، للحافظ السيوطي
٢. التذكرة، للقرطبي، المتوفى سنة (٦٧١) هـ، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٢- التصوف

١. الطبقات الكبرى، للإمام عبد الوهاب الشعراني، المتوفى سنة (٩٧٣) هـ
٢. التعرف بمذهب أهل التصوف لمحمد بن إبراهيم الكلاباذي، المتوفى سنة (٣٨٠ أو ٣٨٤) هـ
٣. كفاية الأتقياء، للشيخ أبي بكر بن السيد محمد شطا
٤. تنبيه المغترين للإمام الشعراني
٥. المنتقى النفيس، للشيخ صالح الجعفري، المتوفى سنة (١٣٩٩) هـ
٦. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي
٧. روض الرياحين في حكايات الصالحين، لليافعي
٨. إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، المتوفى سنة (٥٠٥) هـ
٩. سعادة الدارين، للنبهاني
١٠. الرسالة ، للإمام أبي القاسم القشيري، المتوفى سنة (٤٨٢) هـ
١١. بستان العارفين، للإمام النووي .

فهرس كتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

الموضوع: **الصفحة**

فهرس كتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

الموضوع:	الصفحة

فهرس كتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

فهرس كتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

فهرس كتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

رس كتاب إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين

الموضوع: **الصفحة**